المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية
البرنامج الوطني للبحث : السكان و المجتمع

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار

لمحمد بن أحمد أبي راس الناصر

- الجزء الأول -

تقديم و تحقيق المخطوط من طرف
محمد غالم

منشورات CRASC

عجائب الأسفار
ولطائف الأخبار

لمحمد بن أحمد أبي راس الناصر

- الجزء الأول -

تقديم و تحقيق المخطوط من طرف
محمد غالم

منشورات CRASC

مدخل

– يدخل هذا العمل في سياق التعريف بالتراث الأسطوغرافي في الجزائر و دراسته دراسة موضوعية تبتعد عن التغني بالماضي و مجاملة الذات.

لقد قام الترجمان العسكري في أواخر القرن التاسع عشر، السيد أرنو بترجمة مخطوط عجائب الأسفار و لطائف الأخبار إلى اللغة الفرنسية و نشره جزئيا، في المجلة الإفريقية Revue Africaine، غير أن النص الأصلي لم ينشر رغم أهميته.

لهذا، قمنا بتحقيقه لتقديمه للباحثين المهتمين بدارسة الإنتاج الفكري الجزائري القديم.

– توجد في المكتبات الرسمية و عند الخواص نسخٌ كثيرة من تأليف "العجائب" لأبى راس المعسكري لكننا لم نلجأ إليها كلها واعتمدنا بالدرجة الأولى على نسختين محفوظتين في المكتبة الوطنية بالجزائر – يعود ذلك إلى ضيق الفارق الزمني بين تاريخ النسخة الأصلية – و هي مفقودة – و تاريخ النسخة التي رمزنا إليها بحرف "ب" إذ لا يتجاوز 37 سنة. كلما كانت النسخ المعتمدة في التحقيق قريبة من تاريخ تدوين المخطوط، كانت الأخطاء قليلة.

– فالنسخة الأولى رمزنا إليها بحرف "أ" و قد كتبها السيد عبد الرحمن بن أحمد بن الربيع الشريف في أواخر شعبان سنة 1262 هـ.خطها مغربي، لونه أسود لكن أبيات القصيدة السينية كتبت باللون الأحمر. عدد أوراقها 165 ورقة و قياس الورقة 187 X 171 مم. رقمها: 3327

– أما النسخة الثانية فقد أشرنا إليها بحرف "ب" و كتبها السيد عبد اللّه بن الربيع بن عبد الرحمن الشريف بتاريخ 2 شعبان 1243 هـ. عدد أوراقها 165 ورقة و قياس الورقة 218 x 156 مم، تحمل رقم 1632 وخطها مغربي أنيق و لونه أسود لكن أبيات القصيدة السينية كتبت بلون أحمر. تبدو كاملة، تامة عدا الورقة الأولى التي تنقصها بعض الجمل في وقت لا تخلو النسخة الأولى من حذف لفقرات و عبارات ومفردات.

– إضافة إلى هاتين النسختين، لجأنا إلى الترجمة الفرنسية التي وضعها السيد "أرنو" لتصحيح الأخطاء في نقل أسماء الأعلام و الأماكن و تواريخ الوقائع و الأحداث التاريخية. لقد كان الدافع إلى ذلك اعتماد المترجم على ثلاث نسخ قريبة من تاريخ النسخة الأصلية.

– و في الأخير، نريد أن نتقدم بالشكر إلى السيد حمدادو بن عمر الذي زوّدنا بقرص مضغوط سجلت فيه صورة النسخة الأولى "أ" و إلى موظفات" دائرة النشر" بمركز الأنثربولوجيا الاجتماعية و الثقافية بوهران – السانية و أخصّ بالذكر السيدة بابا أحمد و السيدة العايدي و السيدة خنتاش و الأنسة حمومي اللواتى ساهمنَ في تسجيل هذا العمل على الحاسوب و إعداده للطبع.

أبوراس المعسكري مسار عالم جزائري وإنتاجه الفكري

خلال العهد العثماني، استقطب الساحة العلمية والثقافية في الغرب الجزائري مركزان هامان: الراشدية وحاضرتها معسكر ومازونة ومدرستها الفقهية التي تألق نجمها بعد أفول نجم تلمسان وهجرة علمائها إلى المغرب الأقصى.

تخصصت مدارس الراشدية وزواياها في تدريس الفقه المالكي وعلم التوحيد إلى جانب علوم اللغة العربية، أما مدينة مازونة ، فاشتهرت بالفقه المالكي منذ القرن الرابع عشر واهتمت زواياها بتدريس المذاهب الصوفية.

فالثقافة المحلية تقليدية وذات بعدين: فقهي–لغوي وصوفي واتجاهاتها تعليمية أساسا. يعود ذلك إلى عاملين رئيسيين: النزعة المحافظة التي أفضت إلى تراجع العلوم العقلية والنزعة الأصولية التي ارتكزت على تقليد السلف الصالح، فمواد التدريس ومناهجه كانت تنحصر في رواية الشروح والمختصرات التي وضعت على المصادر كمختصر خليل في الفقه المالكي وألفية ابن مالك في النحو وصحيح البخاري في الحديث والعقيدة الصغرى في التوحيد وسلّم الأخضري في المنطق. وقامت طرق التحصيل العلمي على الحفظ والاستظهار إذ كان الشيوخ والطلبة يتنافسون على رواية الشروح والمتون. فالغاية من التعليم دينية– اجتماعية يقصد بها تقوية الإيمان وترسيخ الأخلاق الكريمة.

نشأ أبوراس وترعرع في ظل هذه البيئة الثقافية المحافظة، فأخذ عن شيوخها البارزين ثم دعّم تكوينه على يد شيوخ آخرين خلال رحلته العلمية إلى مراكز المغرب والمشرق.

فلقّب بالحافظ لضلوعه في شتى علوم عصره ولقوة ذاكرته إذ كان يستحضر– متى شاء– دروسه ومسائله كأن العلوم كتبت بين عينيه.إنه الفقيه السلفي الأشعري يأخذ بالحل الوسط في القضايا الدينية والاجتماعية ويرفض التشدد والغلو كتشدد علماء المذهب الوهابي وغلو المتصوفة دون أن يكفرهم.

ألف أبوراس في التاريخ والنسب والسيرة واهتم بإحياء هذه الفنون في وقت كانت فيه المؤسسة التعليمية تهملها ولا تعتني بها.وارتبطت العناية بالتاريخ، خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بالحكم التركي القائم الذي جنّد العلماء لصياغة مشروعية تبرر نفوذه على المجتمع. عندئذ، ظهر عدد من المؤرخين– وأبرزهم أبوراس– حملوا على عاتقهم الدفاع عن المؤسسة السياسية القائمة، لا سعيا

وراء التقرب منها والانتفاع من عطاءاتها، بل لموقف نابع من السياسة الشرعية التي يتبناها الفقهاء السلفيون.

تقوم السياسة الشرعية على الجهاد والحكم العادل ولا تقوم على تشجيع الفتن والقلاقل.

يكتب أبوراس التاريخ بمنظور لا يختلف عن منحى الأسطوغرافيا المغربية التقليدية.فالغاية من التاريخ الاعتبار لأن قراءاته تتجاوز الأطر القصصية لتسمو إلى تهذيب الأخلاق أما وظيفة المؤرخ فهي إبداء النصيحة للملوك والأمراء.واتبع منهج السرد التاريخي الذي كان سائدا في عصره. يتم الخبر عن المشاهدة والسماع والنقول الصحيحة والمرويات المسندة وعلى أساسها تتكون المعرفة التاريخية.تلازم هذه الأدوات المعرفية النص الأخباري الذي لا يتجاوز الوصف والتقرير.ويلازم السرد التاريخي وظيفة الاعتبار ولا يتعداها إلى الكشف عن قوانين التطور التاريخي.

1. الراشدية ومازونة: في رحاب الثقافة المحلية

1.1. طفولة في الحرمان:

يقول أبوراس عن مولده: "إني ولدت بين جبل كرسوط وهونت[1]، ثم شرق بنا أبونا إلى متيجة، فماتت أمي بها.وبعد وفاتها، انقلب الوالد إلى حوز مجاجة واعتكف على القرآن وتعليمه للرجال والصبيان".

لا يشير صاحبنا في رحلته إلى تاريخ ميلاده، فرجّح بعض الباحثين انه ولد سنة 1150 هجرية وقال آخرون أنه ولد سنة 1165 هجرية[2]. أما سنة وفاته، فلا يختلفون حولها إذ تؤكدها المصادر المحلية. فقد سجل الشيخ مسلم بن عبد القادر في الأنيس[3] أنه توفي بمرض الطاعون يوم 15 شعبان سنة 1238 هجرية، وتصدر جنازته تلميذه الشيخ أحمد الدايج، فدفن بالقرب من بيته في حي باب علي بمدينة معسكر.

يضفي الشيخ أبوراس على مولده مسحة صوفية، غيبية يريد بها التبرك فيقول: "ولمّا ولدت حملتني أمي ووالدي إلى الشيخ الصالح الذي كاد أن يكون كالجيلي، الشيخ اللّبوخي أحد صلحاء اليعقوبية، فبارك علي وأخبر بغيب خوارق

---

[1] أبوراس: فتح الاله..ص18: يقع جبل كرسطو غربي بلدية وادي التاغية على بعد 8 كلم من قرية هونت: إحدى قرى دائرة سيدي بوبكر التي تقع على بعد 50كلم من مدينة سعيدة. أما مجاجة فهي الشلف الحالية.

[2] ضمن كتاب فتح الاله، يذكر الدكتور سعد الله أنه ولد سنة 1165هـ (1735م)، أما المحقق: محمد بن عبد الكريم، فيشير إلى أن مولده كان سنة 1150هـ (1737م) ص.ص. 7و11.

[3] مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب. ص.25.

وعادات تكون لي مؤدات: من علم وصلاح وغنى وحفظ وإصلاح وشيخ طلبة ولفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف.. فكان"[4]. وحول وفاته، نسجت المخيلة الشعبية أساطير يقف عندها المؤرخ المزري في سعد السعود مثل " نزول المطر بعد جفاف واخضرار الأرض بعد شهور"

أما اسمه فهو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن الناصر.. الراشدي قبيلة والمعسكري دارا. ورغم إنتمائه إلى قبيلة بني راشد الزناتية، فإنه يقر بشرف نسبه المتصل "إلى عمرو بن باديس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلّم."[5] كان الشرف رهانا اجتماعيا وعلميا، لهذا نرى أباراس يشهد علماء عصره للتأكيد على نسبه الشريف ومنهم الشيخين مصطفى بن المختار جد الأمير عبد القادر وعبد القادر ابن السنوسي بن دحو.

ويتضح من سيرته الذاتية، أن أسلافه رجال علم ودين وتصوف. فأبوه من "القراء الماهرين" وجده "أعجوبة الزمان" في الولاية والصلاح وجد أبيه، يضرب به المثل في معرفة الفقه والفتوى ولا سيما علم الفرائض وأمه "زولة" فيقول عنها أنها كانت "كربيعة العدوية علما وورعا".

غير أن أسرته لم تكن ميسورة ، فهي لا تنتمي إلى الخاصة التي جمعت بين الجاه والمال. وقد طاله الفقر في طفولته وصباه على الأقل، يقول في هذا الصدد: " لقد استمررت عشر سنين عريانا لا لباس لي إلا خرق كالعدم وما لبست نعلا إلى أن قرب صومي... ولما قدرت على السعي، صرت أطلب من البيوت ثم أبيع وأكسي..."[6]
توفي أبوه وهو صغير، فكفله أخوه الأكبر: ابن عمر وأخذه معه إلى نواحي تلمسان حيث تعلم القرآن وحفظه على ظهر القلب، ولما حفظ القرآن وأتقن رواياته، انتقل إلى معسكر لدراسة الفقه واللغة والحديث على يد علمائها. ومنها رحل إلى مدينة مازونة وسنه لا يتجاوز 15 سنة. فدرس على فقهائها مختصر خليل وحفظه حفظا وفهمه معنى ولفظا."ولما ذكر لي الطلبة مازونة وكثرة مجالسها.. وقريحة أشياخها سافرت إليها.."[7] وخلال إقامته بها، تميز عن بقية الطلبة بشدة الذكاء وقوة الذاكرة رغم صغره. وكان حينذاك، يقوم بخدمة الطلبة يسأل لهم الأكل والشراب من بيوت أهل مازونة.

[4] فتح الاله. ص19: تحققت أمنيته لكن الفقر ظل يلاحقه. فلم يكن غنيا بالمال لكن بالعلم.
[5] ص: 25 فتح الاله
[6] فتح الاله : ص: 19
[7] فتح الاله : ص. 43.

-ولما سمع أبوراس بالشيخ عبد القادر المشرفي الذي أتقن علوما جمة وبرع فيها. "يخضع له القضاة والولاة ويهابونه ويرجعون إليه في مهمات الدين وفي مصالح عباد الله المهتدين"[8]، قدم إليه وهو بضاحية معسكر فتتلمذ عليه وتأثر به ولازمه مدة، كان خلالها يغسل ثيابه وثياب أهله.

ولما شعر بشيء من الاستقلال العلمي، خرج إلى الريف وتزوج وبدأ التدريس، ثم تولى القضاء وقد بقي على هذا الحال سنتين كاملتين تبين له خلالهما: " أن آفات العلم في الريف بادية"، فانتقل من جديد إلى مدينة معسكر كي لا يذهب علمه. يقول "وشمرت ساق الجد للتدريس ليلا ونهارا وداومت ذلك ستا وثلاثين سنة متصلة وما بطلت فيها يوما واحدا"[9] وفي معسكر، ذاع صيته وقد رشحه الشيخ المشرفي، إمام الراشدية- ليكون خليفته في التدريس كما خصه بايات الغرب الجزائري، بعناية وأجروا عليه جرايات يستفيد منها في مهماته التعليمية.

1.2. خصائص الثقافة العلمية:

خلال العهد العثماني، استقطب الساحة الثقافية والعلمية في الغرب الجزائري مركزان هامان: الراشدية وحاضرتها معسكر ومازونة ومدرستها الفقهية التي تألق نجمها بعد أفول نجم تلمسان وهجرة علمائها إلى المغرب الأقصى بسبب احتلال الأتراك لها.

تخصصت مدارس الراشدية وزواياها مثل زاوية "القيطنة" في تدريس الفقه المالكي وعلم التوحيد إلى جانب الحديث وعلوم اللغة العربية من نحو وبيان. أما مدينة مازونة فاشتهرت بالفقه المالكي، كل شيخ من شيخوها"تخصص في باب من أبوابه". إلى جانب ذلك، اضطلعت زوايا الإقليم منذ انتصار التصوف خلال القرن السادس عشر بمهام تدريس المذاهب الصوفية.فالثقافة المحلية تقليدية ذات بعدين فقهي-لغوي وصوفي واتجاهاتها تعليمية أساسا. يعود ذلك إلى عاملين رئيسيين: النزعة الأصولية المرتكزة على تقليد السلف "إذ لا يكون المتأخر أعلم من الأول." فمواد التدريس كانت تنحصر في رواية الحواشي والشروح والمختصرات التي وضعت على المصادر كمختصر خليل في الفقه المالكي وألفية ابن مالك في النحو وصحيح البخاري

[8] فتح الاله : ص.53
[9] فتح الاله : ص.22

في الحديث والعقيدة الصغرى (أم إبراهيم) في أصول الدين وسلم الأخضري في المنطق[10].

وكانت طرائق التحصيل السائدة تعتمد على النقل والرواية والحفظ ولا تشجع ملكات النقد والتجديد لدى الطلبة والشيوخ على السواء. فالغاية من التعليم في نظر الفقهاء دينية-أخلاقية يقصد بها تتميم الدين وتقوية الإيمان. فمن الكتّاب إلى الجامع كان الحفظ والاستظهار، جوهر التعليم وكان الشيوخ والطلبة يتنافسون على رواية المصادر كالقرآن والحديث والمختصرات في شتى العلوم. وحتى العلوم العقلية كالمنطق والحساب، فكانت تدّون في صيغة قصائد شعرية ليسهل على الطالب حفظها وروايتها. يقول أبوراس في هذا الصدد: " شأن العلم أن يحفظ." إن ظاهرة الحفظ كانت تؤثر سلبا على بنية التعليم ومضامينه. فالرواية تدفع العلماء إلى اقتناء العلم من الأسلاف ولا تدفعهم إلى تجديده.

كان التدريس يتم في المسجد أو الزاوية على شكل حلقة الطلبة حول شيخهم يروي عليهم الدرس أو ينقله من كتاب. ولم يكن نظام التقويم يعتمد على الامتحانات بل يهدف إلى اختبار ذاكرة الطالب ومثابرته في شتى العلوم التي يتلقاها. فالطالب يختار المواد التي يدرسها وتنتهي الدراسة حين يتلقى من شيخه "الإجازة " التي تؤهله إلى تدريس ما حفظه من مختصرات وأبواب في الفقه وغيره. ولم يكن هذا النظام التعليمي تابعا للدولة، خاضعا كليا لأهدافها بل كان قائما على تلبية أغراض ووظائف نابعة من المجتمع. وإذا كانت الدولة تستفيد من بعض الكتبة والفقهاء في إدارة شؤونها فإن ذلك لم يكن يخرج عن نطاق المسعى الاجتماعي العام.

2- شيوخ أبي راس في المغرب والمشرق:

يكنّ أبوراس احتراما فائقا لشيوخه. فقد رثى كبارهم مثل المشرفي والمرتضى الزبيري.. ونوه بعلمهم وخصالهم الكريمة. وقال في حقهم: " والدي سبب حياتي

---

[10] وضعت الحواشي والشروع على مصادر العلوم الشرعية. ففي التفسير، وضعت الحواشي على تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية- المعتمدة في غريس وبلاد المغرب. وعلى مختصر خليل في الفقه المالكي دون ابن حاجب، وعلى الغنية للقلصادي في الفرائض وعلى العقيدة الصغرى دون غيرها في التوحيد الأشعري وعلى صحيح البخاري" و"دلائل الخيرات" في الحديث وعلى ألفية ابن مالك في النحو (مثل شرح المكودي) وعلى سلم الأخضري في المنطق.

الفانية وشيخي سبب حياتي الباقية"[11] فهم قدوته في العلم والحياة، لا يسعى إلى الخروج عن سيرتهم والتميز عنهم.

2.1 درس الفقه المالكي في معسكر ومازونة على يد شيوخ كانوا حجة في فروعه وأبوابه، ومن أبرز الفقهاء الذين تتلمذ عليهم بمعسكر الشيخ محمد بن علي بن سحنون قاضي معسكر ووالد المؤرخ الشيخ أحمد بن سحنون صاحب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني[12] والشيخ الموفق بن عبد الرحمان الجلالي الذي تخرج عنه عدد من العلماء والشيخ عبد القادر المشرفي عالم الراشدية على الإطلاق "انتفع به خلق كثير شريعة وحقيقة وبرهانا وطريقة..."[13] قليل التردد على الأمراء.. عرض عليه القضاء عدة مرات فلم يلتفت إليه ولا عرج عليه".

وفي مازونة، درس على فقهاء كبار منهم الشيخ مصطفى بن هني والشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ مصطفى بن يونس" كل منهم مختص في باب من أبوابه" وقرأ "الفرائض" على الشيخ "البدالي" و القضاء والشهادات والأحكام على "أجل قضاة مازونة" الشيخ محمد بن عبد القادر و"تحقيق الصرف وبيوع الآجال" على الشيخ أحمد بن نافلة..

وفي تونس درس فقه النوازل على الشيخ القاضي سيدي محمد بن قاسم المحجوب" أحاط بأشتات المحاسن وغرائب النوازل وجمع فرعها وأصلها وكشف نقاب الشكوك وأوضح نتائج الرسوم والصكوك.. المطلع على كل بديعة من علم القضاء والفتوى"[14].

لم يكتف أبوراس بدراسة فقه المالكية بل تلقي المذاهب الفقهية الأخرى على شيوخ تونس ومصر والحجاز. فقرأ المذهب الحنفي على مفتي الحنفية بتونس السيد محمد بيرم " بمختصر الكنز وغيره" وهو الإمام في الفقه والآداب والبيان والإعراب والتاريخ واللغة والأنساب والفرائض والحساب"[15]. ثم على أستاذه في مصر الشيخ محمد المرتضى "الصالح الصوفي، الحبر الحنفي، الفقيه المجتهد الذي طار صيته في الأقطار.. حامل لواء السنة ومشهرها، مد حض البدعة ومخمدها"[16].

---

[11] فتح الاله..ص41.
[12] أحمد بن سحنون: الثغر الجماني تحقيق المهدي البوعبدلي: الجزائر 1973.
[13] فتح الاله.. ص 53
[14] فتح الاله ص 51.
[15] قتح الاله ص 52.
[16] فتح الاله ص 57: صاحب تاج العروس " في شرح كتاب القاموس في عشرة أسفار. توفي بالقاهرة سنة 1205 هجرية. وقد أجازه في الحديث والفقه الحنفي وغيرهما" ص 16.

ودرس الفقه الشافعي على الشيخ عبد الله الشرقاوي "شيخ جامع الأزهر" الذي قاد المقاومة ضد الحملة النابوليونية في القاهرة وعلى الشيخ عبد الغني مفتي الشافعية بمكة المكرمة وتلقى الفقه الحنبلي في الحجاز على يد الشيخ عصمان الحنبلي.

وفي الحديث والتفسير والأصول، درس على الشيخ مصطفى بن المختار- جد الأمير عبد القادر- له دراية واسعة بالعقيدة الصغرى "أم البراهين" للشيخ محمد السنوسي دفين تلمسان وعلى الشيخ عبد القادر بن السنوسي بن دحو "فقيه نبيه، جيد النظر، سديد الفهم.. له لكل علم وصول من حديث و..أصول.. طار صيته.. حتى صار نخبة أهل العصر.. راسخ القدم في الأصول والعلل.. أخذ عنه جماعة من أصحابنا.."[17] ثم على الشيخ محمد بن الصادق بن أفغول "شيخ الإسلام ذو الخبرة التامة بعلم الشريعة.. انتهت إليه رياسة التدريس وشدت إليه الرحال من حوالي زواوة وغريس.. وكان للعلوم جامعا وفي فنونها بارعا مقدما في معرفة الحديث على أقرانه، منفردا بهذا الفن النفيس في زمانه"[18] وعلى الشيخ محمد الأمير المازوني نزيل القاهرة "برع في الحديث وجميع فنون العلم.. طار صيته في المغرب والشام والعراق.. كان عالما بالتفسير والحديث.. وعلم الكلام والأصول"[19]والشيخ عبد الرحمان التادلي نزيل مكة المكرمة "أحد رجال الطريقة.. منبع الحديث والقرآن..".

2.2 ودرس علوم اللغة العربية والمنطق على علماء من الراشدية وخارجها أمثال الشيخ السنوسي بن السنوسي شقيق عبد القادر "قد أنجب في العلوم بالمغرب الأوسط. كنت قرأت عليه المنطق والبيان وكان.. علامة محققا، قدوة حافظا، نظارا أصوليا، لغويا نحويا، بيانا صالحا، سنيا سنيا باحثا حجة.. ذا القدم الراسخ في العلوم والإمامة العظمى في الفنون: فقها وأصولا وتفسيرا وعربية وإعرابا.. راسخا في الورع والعفة وأتباع السنة وتجنب البدع.. شجاعا جوادا شيخا مجاهدا قتل في معركة عظيمة بين المسلمين ونصارى وهران"[20].

كان أبوراس- وهو بمازونة- يلحن في اللغة على طريقة طلبة هذه المدرسة ولما انتقل إلى معسكر وشرع يدرّس بها، طلب منه تلامذته إصلاح لسانه "فتعلقت بحفظ ألفية بن مالك وسردها لي بعض طلبتي ففتح الله علي فيها"[21]. وفي الجزائر العاصمة، درس الآداب على "أمجد النظار السيد أحمد بن عمار.." كان غاية في

[17] فتح الاله ص 65.
[18] فتح الاله ص 45.
[19] فتح الاله ص60: توفي هذا العالم سنة 1230 هـ بالقاهرة . وقد أجاز أبا راس ولقبه بالحافظ ص 116.
[20] فتح الاله ص 73.
[21] فتح الاله ص 23.

الأدب والحديث ينسل إليه من كل حدب، تولى بها زمنا الخطابة والفنون والإمامة.. علا بالعلم واعتز وماثل في الأدب ابن الخطيب وابن المعتز"[22].

وفي مستغانم، على الشيخ العربي بن قيران، وعلى علماء جمعوا بين شتى العلوم مثل الشيخ محمد المرتضى والشيخ محمد الأمير وغيرهما.

أما التصوف فقد درسه على يد علماء مازونة تتلمذوا على كبار المتصوفة مثل الشيخ موسى بن يحي المازوني صاحب "ديباجة الافتخار في مناقب الأولياء والأخيار" والشيخ الصباغ القلعي صاحب "بستان الأزهار" وأبي عبد الله المغوفل صاحب "الفلك الكواكبي". وفي تونس نهل علم الطريقة من الشيخ عبد الله السنوسي المغربي" أبرع ما عنده من علم الطرائق وقد وفقه فيه الله أحسن توفيق.. كأنه الجنيد"[23].

كان أبوراس وهو في طور التحصيل العلمي يرفض حضور مجالس بعض المتصوفة الذين يقولون بالكرامات ويغرّرون بطلبتهم وبالعامة مثل الشيخ عبد العزيز البلداوي "لِمَا يدعيه من إشارات غيب رغم ضلوعه في باب النكاح". فكان يستغل العامة في الأسواق" فكل يدفع مالا للظفر بما أراد وطلب وارتاد حتى يجمع مالا وفيا"[24] إنه ينبذ الشعوذة الطرقية لكنه يشيد بالتصوف في نطاق السنة.

3- أبوراس: الحافظ

عرف أبو راس المعسكري بالحافظ لضلوعه في شتى علوم عصره ولقوة ذاكرته التي أبهرت العلماء الذين ناظروه في مسائل فقهية وقضايا نظرية وعقائدية. ومنهم عالم مدينة الجزائر المحروسة وعلماء فاس بالمغرب الأقصى وأستاذه محمد الأمير نزيل القاهرة وغيرهم.

3.1- الرحلة العلمية: المجالس العلمية

كلمة الرحلة تعني سرد الأسفار أي الذهاب بعيدا إلى موطن آخر، فالقارئ ينتظر وصفا للبلدان التي زارها صاحب الرحلة وذكرا للعادات والطقوس التي يتميز بها كل بلد. لكننا لا نجد هذا كله حين نتصفح السيرة الذاتية التي كتبها الشيخ أبو راس: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته." تذكر السيرة الذاتية في الثقافة

[22] فتح الاله ص 48.
[23] فتح الاله ص 50.
[24] فتح الاله ص 46

العربية التقليدية، عناصر وموضوعات متصلة بالنسب العائلي والأساتذة والأسفار العلمية. هكذا يفرد أبوراس الباب الأول من كتابه للحديث عن نسبه العائلي، فلا يتكلم عن طفولته إلا ما يتصل بحفظ القرآن وهو في ذلك يسعى إلى إثبات نباهته وتأكيد انتمائه إلى النخبة العالمة. ثم يتحدث في الباب الثاني عن أساتذته في المغرب والمشرق. فالتصور الذي يكمن وراء لائحة الشيوخ هو أن العلم شعلة تنتقل من أستاذ إلى طالب عبر الأجيال. وهناك تطالعنا فكرة النسب العلمي: قل لي من هم أساتذتك، أقول لك من أنت، خاصة أن الأساتذة يمنحون الإجازات، أي الشهادات التي تؤهل لتدريس العلم الذي تلقاه. أما المناظرات والتآليف التي عالجتها الأبواب الأخرى فإنها تؤكد المنزلة العلمية التي اكتسبها أبوراس ومقامه البارز في سلم العلماء المؤلفين.

سافر أبوراس إلى المشرق مرتين[25] فزار الشام والحجاز ومصر والتقى بعلمائها في القاهرة والإسكندرية ومكة والمدينة، وانتقل إلى المغرب الأقصى وتونس فاستقبله علماء البلدين في فاس وتونس وغيرهما، ولم تكن رحلته إلى هذه الديار للتحصيل العلمي كما يعتقد بعض الباحثين[26] بل للمناظرة و التفاوض حول المسائل العلمية والقضايا الدينية. فلم تكن مراكز العلم في المغرب الأوسط أقل شأنا من نظيراتها في المشرق. أسوته في ذلك رحلة "الجهابذة النحارير والأسانيد الجماهير كرحلة الإمام ابن رشيد السبتي والخطيب ابن مرزوق ورحلة الشيخ أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي.."

فالمناظرات العلمية كان الغرض منها في نظر أبي راس التأكيد على نباهته وتفوقه في علوم عصره. ففي تونس: " اجتمعت بعلمائها وأجلّة فقهائها... فتذاكرنا وتناظرنا وترافعنا وتشاجرنا وتقابضنا في جميع الفنون الدقيقة.."[27] وفي القاهرة "لقيت بها العلماء الكبار أهل العلم والأدب الأخيار.. فتناظرنا وتذاكرنا في مسائل جمة.. فارتفع ذكري وازداد فخري.."[28] وفي الحجاز:" لقيت علماء الوهابية وهم تسعة أكابر.. أفضلهم الشيخ علي فوقع لي معهم مناظرة ومباحثة واعتراضات وسؤالات وأجوبة فائقات ودلائل قاطعات وأحاديث مروية عن أكابر الأئمة... ثم تناظرنا بعد صلاة العصر قبالة الحجر في صلاة العصر وقراءة دليل الخيرات والتسبيح بالسبحة

---

[25] كانت الأولى سنة 1204 هجرية والثانية سنة 1226 هجرية.

[26] أنظر د/ سعد الله: أبحاث وراء في تاريخ الجزائر–ط2– الجزائر 1980 وناصر الدين سعيد في "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر– الجزائر سنة 1972.

[27] فتح الاله ص 115.

[28] فتح الاله ص 117.

ومشاهد السادات وهدم مباني الأولياء ذوي الكرامات، فرجعوا عن البعض بعد الاستدلال بالنصوص العظيمة العميمة"[29]

وفي فاس "أحضر العلماء الأعيان وشيخهم حافظ العصر السيد.. الطيب بن كيران..موضوعات المناظرة.. ولقيت الفقيه النبيه.. الشيخ محمد بن بنيس.. بحثت معه في تفسير بن عطية..."[30] في كل الحالات، كان هؤلاء العلماء يشهدون له بتفوقه وسعة حفظه.

3.2- المناظرات وموضوعاتها

ساجل أبوراس علماء المغرب والمشرق وأجاب على أسئلتهم وتشير أجوبته إلى مواقفه من القضايا الدينية والاجتماعية التي ميزت عصره.

الفقيه السلفي الأشعري

يكن أبوراس احتراما للعلماء والأولياء الصالحين ويعترف لهم بالكرامات لكنه يرفض الغلو والتطرف الذي طال بعض شيوخ الطرق الصوفية مثل الشيخ عبد القادر بن سليمان السماحي الذي"تعجب أهل الصحراء في نظريته وولايته ومكاشفته حتى كادوا يدعونه الإله"، ويعاتب على أنصار الطريقة الشيخية انهماكهم في البدع الشنيعة "لم يخافوا..من الله نسأل الله العافية وصفاء السريرة الصافية"[31] إنه يشيد بموقف الشيخ أبي المحلي الذي ردّ على مؤسس الطريقة الشيخية وألف كتاب "منجنيق الصخور في هدّ بناء شيخ الغرور"[32] أبطل فيه دعاويه ودعاه فيه إلى الرجوع إلى مذهب السنة". فكان أجل من عمل بحديث رسول الله وهو "إذا ظهرت البدع وسكت العالم لعنه الله".

وحين التقى بعلماء الوهابية بمكة خلال حجته الثانية اعتبرهم "خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع وأما في العقائد فهم على ما عليه الإمام أحمد.." [33] فلم يؤيد مواقفهم المتشددة مثل مقاومة الطرق الصوفية وتهديم أضرحة الأولياء الصالحين. كما كان يضيق ذرعا من أدعياء التصوف الذين يقولون بالخوارق. يقاوم أبوراس هؤلاء

---

[29] فتح الاله ص 119.

[30] فتح الاله ص: 106.

[31] فتح الاله: ص 47.

[32] فتح الاله: ص 47: أسس الشيخ عبد القادر السماحي الطريقة الشيخية في القرن 11هـ وهو جد قبيلة أولاد سيدي الشيخ بإقليم الساورة. امتد نفوذها في منطقة الهضاب الغربية وبالصحراء إلى غاية الحدود المالية.

[33] فتح الالة: ص.119

وأولئك ليؤكد أشعريته. فهو الفقيه المالكي مذهبا والأشعري عقيدة، لا يكفر أحدا من المسلمين ودليله في ذلك أبو الحسن الأشعري الذي أشهد ابن عساكر "على أني لا أكفر أحدا من أهل القبلة" [34]

يعلن أبو راس أشعريته عند مناظرة بينه وبين عالم آخر حول آيات التشبيه ومنها الآية الكريمة" الرحمن على العرش استوى". إنه يبدي امتعاضه من كثرة الحديث عنها على طريقة الإمام مالك بن أنس الذي "كره التحدث بالأحاديث الموهمة للتشبيه... ألا ترى أن فقيها سأل الإمام عن هذه الآية فقال له الإمام: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.. وسئل عنه الإمام الشافعي فقال آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك"[35]

ويؤكدها مرة أخرى عند الخوض في مسألة "خلق القرآن"، رافضا موقف المعتزلة. يقول: " القرآن مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، محفوظ في القلوب بحكمة غلاب الغيوب.. وإنه مع ذلك قديم بذات الله لا يقبل الانفصال والاقتراب بالانتقال إلى القلوب والأوراق"[36]

فأبوراس عالم متسامح لا يكفر حتى المتصوفة الذين قالوا بالحلول وادعوا الألوهية. دليله في ذلك ما قرأه عن بعض العلماء المتقدمين الذين قالوا في حق الحلاج: " وذهب كثير من المشايخ إنه من أولياء الله منهم الغزالي واعتذر عما صدر منه في مشكاة الأنوار.. وقد قال كثير من المشايخ إنه عالم رباني منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني قائلا" لو كنت حاضرا لأخذت بيده وقال إن قوله " أنا الحق إنما قاله لما غلب عليه الشوق وسكر من كأس محبته.. لكن أهل الشرع حفظوا حمى الشريعة". [37]

يعطف أبوراس على المتصوفة وعلى من قتل منهم و" وظنه... براءتهم ولكن ضاقت عنهم العبارة عن حقائق صريح العلم فأدت بظاهرها ما يتوهم مع براءتهم منه... هذا معتقدنا فيهم"[38]. لكنه لا يشجب قاتليهم لأن غاية هؤلاء حماية الشريعة من فساد رأي العامة إذا انتشرت بينهم عقيدة الحلول.يراعي في ذلك مقتضيات أهل الحق وضرورات السياسة الشرعية.

---

[34] الميلي: الشرك ومظاهره ص 25.

[35] فتح الالة: ص 132: يناقش أبوراس قضايا التوحيد: صفات الله وذاته، وخلق الأفعال بإسهاب في هذا الكتاب معتمدا على المنظور الأشعري. وهو موقف المغاربة منذ الدولة الموحدية.

[36] فتح الالة: ص132

[37] فتح الاله: ص153: يعرض أبوراس حادثة قتل الحلاج وصلبه وفي حديثه كثير من الحزن والأسى.

[38] فتح الإله : ص.154.

قضايا سياسية واجتماعية:

خلال القرن الثامن عشر، كانت المؤسسة السياسية في الجزائر (نظام الدايات) تعاني من أزمة حادة بفعل عوامل ترتبط بالوضع الدولي من ناحية وبالمقاومة العنيفة التي قادتها الطرق الصوفية وبعض القبائل من ناحية أخرى. فساند أبوراس، على غرار معظم علماء عصره، نظام الدايات. ولم يتقرب هؤلاء العلماء من السلطة القائمة رغبة في الكسب والارتزاق بل كان موقفهم نابعا من مفهوم السياسة الشرعية التي تقوم على الجهاد والحكم العادل.

فالجهاد، يعني في الاصطلاح الفقهي، توفير الأمن و الاستقرار وحماية الثغور. إنه واجب السلطة والجماعة معا. فالمؤسسة العثمانية أقامت الجهاد لأنها سهرت على حماية الجزائر من التحرشات الأوروبية وقاومت الفتن والقلاقل التي ترمي إلى ضرب وحدة السلطة والجماعة وإشاعة الفوضى وبث التصدع العقائدي.

فالعلاج الحقيقي للأزمات هو إنشاء رئاسة قوية تكون قادرة على إشعاع السياسة والشريعة على المركز والأطراف. يقترن الأمير القوي بالنموذج السياسي الذي يحلم به العلماء لأن المصالح والشريعة لا يتحققان إلا في ظل سلطة قوية يذعن لها القاصي والداني من الرعية. أما العدل، فإنه، في منظور الفقهاء، يضمن تماسك الجماعة ووحدة السلطة. يقول ابن سحنون الراشدي: " إن العدل هو الحكم بمقتضى الشريعة لا لهوى نفسي.. ومن العدل تنشأ محبة الناس ومحبة الناس دالة على محبة اللّه تعالى." ويتحلى الإمام العادل–على خلاف الإمام الظالم– بمكارم الأخلاق، يرعى العلم والعلماء، يرفق على الفقراء في أوقات الحاجة وينصف بين العامة والخاصة.

يتبنى أبوراس هذا المفهوم السياسي حين يشجب فتنة درقاوة[39] خاصة والقلاقل الأخرى عامة، وينوه بخصال بعض البايات أمثال محمد الكبير، فاتح وهران والباي مصطفى من قبله الذي كان يرعى شؤون العلم[40] ويلتزم شيخنا بوحدة "المغرب الأوسط" –إقليما وسلطة– إذ يؤكد على استقلال نظام الدايات عن الأستانة ويدافع عن حدوده مثلما حدث له مع السلطان المغربي المولى سليمان حين زار فاسا. "محل العلم والإيناس.. ثم حضرت مجلس ذي الخلافة.. السلطان الجليل.. مولانا سليمان.. وسألني يوما.. عن حد المغرب الأقصى فقلت: قال ابن خلدون: حده

---

[39] أبوراس: " ثم عمتنا ثورة درقاوة.. فاتصلت علينا أواصر النكبات والبليات من الخوف والجوع والروع الذي في الفؤاد مودوع عجائب الأسفار. وقد خص هذه الانتفاضة بكتاب سماه" درء الشقاوى في فتنة درقاوة".

[40] بنى الباي مصطفى مكتبة أبي راس "المصرية" أودار "المذاهب الأربعة" وخصه الباي محمد الكبير بمال يستعين به في وظيفة التدريس.

وجدة" وجدد ذلك الحد أول القرن الثاني عشر مع جدك السلطان مولاي إسماعيل وأتراك الجزائر.. فقال لي، إني رأيت حده تافنة، فسكتت خشية منه"[41].

في كل الحالات، يتميز أبوراس بحس إسلامي حاد، يجعله يتحسر على ضياع الأندلس حين يكتب تاريخ مدنها وعلمائها وملكوها. فقد زار شيخ الأزهر في القاهرة، فقال هذا الأخير "الحمد لله الذي عوضنا عنها (الأندلس) بالقسطنطينية فأجابه أبوراس "أحمد الله" لكن علق عليه قائلا "إن لم تكن إبلا فمعز".[42].

ويبدي حماسا حين يكتب عن فتح وهران سنة 1792 وتحريرها من أيدي الإسبان ويشيد بمقاومة علماء الأزهر وعامة القاهرة للحملة الفرنسية التي قادها نابوليون إلى مصر سنة 1798 وينوه بمقاومة الجزائريين للتحرشات الأوروبية على قاعدة الملك "الجزائر المحروسة".

من القضايا الاجتماعية التي ناقشها مع علماء الجامع الأعظم بالجزائر مسألة شرب "القهوة والدخان".

كانت مدينة الجزائر منذ القرن السادس عشر قد امتلأت بالمقاهي التي يأتيها الجنود الأتراك والأهالي لتناول كؤوس القهوة وشرب الدخان (الرنجيلة) والسماع إلى الموسيقى. وعمّ هذا التقليد الذي أدخله الأتراك إلى الجزائر، شرائح اجتماعية متباينة مثل الحرفيين والخاصة في المدن والأرياف إلى أن شغل الفقهاء فأفتوا فيه. يقول أبوراس "اختلفت فيه الناس فمنهم متغال في الحل يرى ذلك قربة ومنهم متغال في التحريم يراه كالخمر". ويرى أن "والحق أنه في ذاته لا إسكار فيه وإنما فيه تنشيط للنفس ويحصل من مداومته ضررة تؤثر في البدن عند تركه كاعتياد أكل اللحم بالزعفران"[43]

لا يجد أبوراس نصا دينيا يحرم شرب القهوة لكنه يدعو الناس إلى الأعراض عنه وتجنبه إلا لضرورة "وقد كثرت هذه الأيام فيتعين على العاقل اجتنابها" لعوارض فيها. أما الدخان "فسفه وشمه...مندرج ضمن المفسدات للعقول "وفيه إضاعة مال..." لهذا ينصح بتركه وإن غاب النص الديني لتحريمه. ويستدل لذلك بقول جمهور الفقهاء مثل أحمد المقري صاحب نفح الطيب الذي قال فيه " لا نص عندي فيها صريح..." والشيخ أحمد بابا التمبكتي صاحب الديباج "يباح فيها القليل "وقال

[41] فتح الاله: ص 107 سكوت أبي راس مبرر خوفا على نفسه، غير أنه قدم له الأدلة التاريخية التي تؤكد استقرار خط الحدود — منذ الدولة الزيانية.
[42] أبوراس: عجائب الأسفار– ورقة 77.
[43] فتح الاله.. ص 159.

ابن عسكر صاحب الدوح الناشر "إن النبات كله مباح إلا ما يغطي العقل" والشيخ عبد القادر الفاسي النسابة الشهير"والذي ينبغي اعتماده "تحريم الدخان لاعتراف كثير أنه يحدث تفتيرا ويشارك الخمر في نشوته ويرخي الأطراف ويوهنها".[44]

يصرح أبوراس باجتناب الدخان، لا لاعتبارات دينية بل لاعتبارات تستدعيها المصلحة العامة التي هي قوام الشريعة في نظر الفقهاء المتأخرين.

واتخذ أبوراس موقفا ناقدا ضد المتشرفة من أهل غريس فأبطل مزاعمهم بالحجة والدليل وتعرض لكتاب الشيخ أبي زيد "التوجني" العقد النفيس في أعيان أهل غريس "ورد عليه في كتابه مروج الذهب ونبذة من النسب ومن انتهى إلى الشرف والنسب" متهما إياه بعدم ضلوعه في علم النسب وقلة اهتمامه بالتحقيق والتدقيق فيما يكتب. فأبوراس من العلماء البارزين في أنساب القبائل العربية والبربرية في المغرب الأوسط ينافس ابن خلدون ويعارضه بالحجة.

وقد عانى شيخنا من عداء أدعياء الشرف (المتشرفة) إذ أنكر عنهم النسب الشريف، فهددوه وحاولوا إتلاف كتابه. يقول في هذا الصدد "الناس من داء عضال لا نتخلص منهم على كل حال، سهامهم مسمومة وخلق أكثرهم مذمومة ولا ينظرون بعين الإنصاف ولا يملون من الانتقاد والخلاف، يسقون من أفواهم العسل وفي قلوبهم السم الزعاف".[45]

تحتل مسألة الشرف والشرفاء أهمية بالغة في نظر السلطة والرعية معا. فالشرف رهان اجتماعي وسياسي لأن الأشراف كانوا يحتلون مرتبة اجتماعية مميزة نظرا لما يحظون به من مزايا اجتماعية وسياسية. أملاكهم لا تتعرض للمصادرة وهم معفون من أداء الضرائب غير الشرعية، لا ينالهم ظلم واضطهاد من قبل السلطة وعمالها. بالعكس، يتقرب إليهم البايات والقياد، يقدمون لهم الهدايا في المناسبات الدينية. لهذا السبب، تعرض أبوراس إلى عداء أعيان غريس من أولاد سيدي دحو وأولاد سيدي علي الشريف وغيرهم وأحس بالمضايقة والمقاطعة. وكاد أن ينقطع عن التأليف، "ولو لم يكن إلا سكني حاضرة كبادية فناهيك عن معذرة بادية ولا سيما من اشتد فيها عسره ولم يساعفه دهره، كيف يرتفع ذهنه إلى التصنيف وأمله إلى وضع تأليف"[46].

[44] فتح الاله.. ص 160-161.
[45] أورده د/ سعد الله في كتابه: أبحاث وآراء... المرجع السابق.
[46] فتح الاله: ص.123

4- أبوراس مؤرخا

ألف أبوراس تقريبا في كل العلوم غير أن أغلب مؤلفاته في التاريخ والآنساب والأخبار. ذكر في رحلته 63 كتابا بين كبير ومتوسط وصغير، ونسب إليه 137 مؤلفا غير أن معظمها تناول موضوعات تاريخية وأدبية متكررة تحت عناوين مختلفة.

أكثر أبوراس في التأليف على غير عادة علماء المغرب المعاصرين له وأسوته في ذلك الإمام جلال الدين السيوطي. يقول: " إنما عددت تآليفي وجملة تصانيفي اقتداء بالإمام السيوطي.. وما أعلم أحدا أكثر التأليف بعده غيري والكمال لله"[47].

وتميز أبوراس بذاكرة قوية كانت عماده في التأليف والتدريس. يقول: "... وكنت أجلس للدرس فابتدئ من باب الاعتكاف ثم لا أقوم حتى أقف على باب الزكاة ولا يقف لي شئ ولا أشك مع كثرة باب الحج وطوله وصعوبته ومع كثرة الطلبة وقوة إعتراضهم حتى أني لا أصحب معي كتابا وأورد درسي على التحقيق والتدقيق وربما لاجني بعض الطلبة في صورة فأقول لا كتاب لي هنا فإذا قمتم فاطلبوه ليظهر الصواب معي أو معكم فوقع ذلك غير مرة لا يظهر الصواب إلا معي..."

فقد لقبه علماء من الجزائر وتونس وفاس والقاهرة بالحافظ "لتمكنه متى شاء من استحضار مسائله.. كأن العلوم كتبت بين عينيه" وقال عنه الشيخ الكتاني "وكان حافظا حجة في السيرة النبوية لا يفوته فيها سؤال وإن أعضل، يحفظ البخاري متنا وإسنادا وكذا صحيح مسلم، أعلم أهل زمانه بتاريخ وأنساب العرب العرباء وشيوخ المذهب، طأطأ له العلماء الرؤوس... وفهرسته تشهد له بذلك"[48].

4.1- إحياء علم التاريخ:

خلال العهد العثماني، كانت العناية بعلم التاريخ نادرة ويجب انتظار النصف الثاني من القرن الثامن عشر ليظهر علماء اهتموا بتدوين أحداث العصر وأخبار الجزائر والعالم العربي في الماضي والحاضر. وقد لاحظ هؤلاء العلماء غياب التاريخ- تدريسا وتأليفا- لدى من سبقهم من العلماء. يقول أبوراس في هذا الصدد: " إني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده ودست مصادره وموارده وقلبت دياره ومراسمه

---

[47] فتح الاله: ص 21.
[48] الكتاني: فهرس الفهارس والأنساب.. صص 15-16.

وعفت أطلاله ونسجت عنها عناكب النسيان وأشرفت شمسها على الأفول واستوطن فحولها زوايا الخمول"[49]

ويؤكد الحسين الورثلاني صاحب "نزهة الأنظار"[50] قلة العناية بعلم التاريخ قائلا "إن الاهتمام بالتاريخ أمر مضحك، لا يدرسه أهل الجد والدين بل هو عند البعض ضد الدين والأخلاق.. فعلم التاريخ منعدم فيهم وساقط عندهم، يحسبونه كالاستهزاء واشتغال بما لا يعني.. فترى المتوجه منهم إلى الله يرى الكلام فيه مسقطا من عين الله تعالى.. ليس عندهم من علم يذكر إذ لا طائل فيه أصل"[51].

يعزو الدكتور سعد الله هذا القصور العلمي إلى سيطرة التصوف والروح الدينية السلبية لأن فن التاريخ والأخبار منسوب عندهم إلى السير العامة ومتصل بالأدب المجون"[52] ويتفق مع الباحث الفرنسي ليفي بروفنصال الذي "اعتبر المغاربة قليلي الاهتمام بالتاريخ لأنهم يعتبرونه من المسائل الدنيوية وأن الاشتغال به من باب اللهو والعبث"[53]_إلى جانب هذا العامل، يرى الباحث ذلفان "أن التعليم في المغرب العربي– خلال هذه العصور– كان يتم عن طريق الحفظ والاستظهار، فلا يعقل — في نظره، أن يدرس التاريخ بطريقة الحفظ والرواية.

في الواقع، إذا قلت العناية بالتاريخ، فلأن المؤسسة السياسية القائمة بالجزائر، لم تهتم– على الأقل، في عهد قوتها وعظمتها، بصياغة أيديولوجيا تقر بها وجودها ولا بدعوة سياسية أو مذهبية معينة. غير أن الأزمة السياسية التي شهدتها الجزائر خلال النصف الثاني من القرن 18 دفعت السلطة الحاكمة إلى تجنيد المثقفين لصياغة شرعية تبرر نفوذها على المجتمع. فالاهتمام بالتاريخ مرتبط بحاجة الدولة إلى كسب شرعية تقاوم بها المعارضين لها وتدافع عن وجودها، حينئذ ظهر عدد هام من التآليف التاريخية كان قاسمها المشترك تمجيد السلطة العثمانية القائمة.

حمل هؤلاء العلماء على عاتقهم مهمة إحياء علم التاريخ، يبين رائدهم أبوراس المعسكري فائدة هذا العلم قائلا: " إن البحث من علم التاريخ ممن تقدم شأن الأدباء الأفاضل من أولى بصيرته وقد اعتنى به أهل كل طبقة وجهابذة كل ملة من صلحاء السلف وحذاق الخلف.. في كل عصر عصابة هم أهل إصابة، فألقوا وأجادوا"[54].

[49] عجائب الأسفار.. (مخطوط)
[50] الورثلاني.. نزهة الأنظار.. مخطوط.
[51] الورثلاني: نزهة الأنظار مخطوط
[52] د/سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الثاني ص..332.
[53] ليفي بروفنصال مؤرخوا الشرفاء.. ص37.
[54] عجائب الأسفار.. مخطوط

ومن المدافعين عن علم التاريخ، أحمد بن هطال الذي اعتبره "أجل العلوم قدرا واكملها محاسن وفخرا". ويشيد الورثلاني– رغم تصوفه– بهذا الفن قائلا: " فإن علم التاريخ منة جزيلة و معرفة أخبار العلماء منقبة جليلة." ثم يبين قيمته ويدعم رأيه بايات قرآنية وأحاديث نبوية تحث على الاعتبار من دروس الماضي. إن مرتبة العلماء في نظره تزيد أو تنقص بقدر معرفتهم للتاريخ"[55].

ويحذو الشيخ أحمد بن سحنون حذو هؤلاء العلماء فيرى أن العالم لا تكتمل فيه صفة العلم ما لم يحط بالتاريخ ويكتب فيه على بنية، مصححا أعماله بشرط الاعتماد على النقول الصحيحة والكتب السليمة.

4.2- *مفهوم التاريخ عند أبي راس: السيرة الذاتية، علم الأنساب والأخبار*

كتب أبوراس في الأخبار والأنساب والرحلة وهي أجناس ميزت الأسطوغرافيا التقليدية في المشرق والمغرب. كيف يكتب إذن في هذه الأجناس التاريخية؟

تحتل السيرة الذاتية مكانة هامة في الثقافة المغاربية التقليدية، فألف أبوراس سيرته الذاتية ضمن أفقها المعرفي لا يخرج عنه إذ يصرح بانسياقه في موكب علماء الرحلة مثل ابن رشيد السبتي والخطيب ابن مرزوق والشيخ محمد العياشي.. إن الحديث عن الذات في الأدب القديم ينبني على موضع الذات في سلم ترتيبي. أن أتكلم عن نفسي معناه في هذه الحالة أن أعلن هل أنا أسمى، أرفع منزلة، أعلى مقاما في فضيلة من الفضائل أو علم من العلوم (أو كلها) ضمن نخبة العلماء والفقهاء ورجال التصوف؟ تتضح هذه الإشكالية في أكثر من مجال حين نتصفح رحلة أبي راس.

فإذا كانت السيرة الذاتية الحديثة تنبني على الاختلاف[56] : أي أن الذي يكتب اليوم عن حياته، يسعى إلى إثبات تميزه عن باقي الناس وبالتالي إلى إثبات وحدته، فإن السيرة الذاتية القديمة تقوم على الانتماء إلى النخبة العالمة (أو السياسية) وعلى رصد صاحبها لموقعه في ترتيبها السلّمي.

كيف يتحدث أبي راس عن نفسه؟ يقول:" إني عزمت على تأليف عظيم الجدوى، بليغ الفحوى، يحتوي على أبواب وأسئلة فتوى." فالباب الأول يفرده للحديث عن مولده ونسبه العائلي، للتأكيد على نباهته التي شهد له بها متصوفة:

---

[55] نزهة الأنظار: مخطوط

[56] عبد الفتاح كيريطو: الرحلة: تساؤلات منهجية مجلة الجدل عدد 6/5– الرباط 1987.

أصحاب كرامات وعن أسرته التي نالت حظا وافرا في العلم والتقوى على مر الزمان. أما الباب الثاني "ففي عدة أشياخي"، يترجم لكل واحد منهم حسب اختصاصهم وفضلهم وتفوقهم في العلوم خصوصا من تأثر بهم كالشيخ المشرفي، والشيخ السنوسي والشيخ محمد مرتضى الزبيدي والشيخ الأمير، رثاهم بقصائد بعد وفاتهم وشهد لهم بالعلم والخلق القويم، لا يخشون في الله لومة لائم، وهم سبب حياته الباقية. وفي الباب الثالث يتحدث عن سفره إلى بلاد المشرق وإلى تونس والمغرب ومروره بالمدن الجزائرية والجزائر العاصمة خاصة. يرتبط السفر بالعلم و الحج لهذا تقل الأوصاف المتعلقة بالمدن و الأقاليم التي زارها اللهم إلا ما يتصل بالعلم منها. هكذا يتحسر عن واقع العلم في مدينة تلمسان التي كانت من قبل منارة العلم في المغرب الأوسط"ولما رجعت من فاس، دخلت تلمسان.. أما علماؤها فأولاد بن زاغوا.. والعقابنة.. والمقارة.. وأولاد الإمام.. وأما الآن فهي... كالميت القابر: فقد استولى على أكثرها الخراب وناح على خاوي عروشها الغراب.. فأصبحت خامدة الحس، ضيقة النفس كأن لم تكن بالأمس..."[57] .

وينتقل في الباب الرابع إلى المناظرات التي كان يعقدها مع علماء الأقاليم التي زارها. وتؤكد كلها أن أباراس ينتمي إلى أهل الفضل والعلم، يحظى بمنزلة مميزة ضمنهم، يعترف له الأساتذة والشيوخ بقوة الذكاء وشدة الذاكرة. وفي الباب الخامس والأخير، يذكر مؤلفاته في شتى العلوم: في التفسير، والحديث والفقه والنحو والبلاغة والأصول والعقائد والتصوف والتاريخ والآداب. عموما هذه التآليف عبارة عن حواشي ومختصرات غلب عليها طابع العصر: اعتمد فيها أبوراس على حفظه للمتون، غير أنها تدل على قيمته العلمية ومكانته السامية في سلكهم. وتختلف السيرة التي كتبها عن سيرة الأولياء والصوفية التي تكثر فيها المناقب والغيبيات والخوارق والكرامات فغايتها التبرك لا النباهة العلمية.

ألف أبوراس في علم الأنساب "الوسائل في معرفة القبائل" تحدث فيه عن أصول القبائل البربرية والعربية ومواطنهم ورجالاتهم في بلاد المغرب وكتب "مروج الذهب في نبذه من النسب ومن انتمى إلى الشرف وذهب" ليبطل مزاعم بعض الأسر الغريسية في الشرف. يقول في هذا الصدد:" واعلم أن امتياز النسب أندر في هذا الزمان، فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع فيه اختلاف كثير في الأمة الواحدة لاختلاط النسب

[57] فتح الاله: ص108.

وتبيان الدعاوي."[58] يعزو أبوراس الاختلاف في الأنساب إلى الاختلاط الذي حصل بين البيوتات الشهيرة بفعل المصاهرة على مر الزمان وهو لا يختلف في ذلك، عن ابن خلدون الذي اعتبر "صريح النسب" مرتبطا بالبداوة لاعتبارات اجتماعية واقتصادية واضحة[59]. غير أن صاحبنا يضيف عاملا جديدا يتمثل في كثرة أدعياء الشرف في عصره. ما هي إشكالية النسب في المجتمع الغريسي؟[60]

تقترن ظروف التأليف في الأنساب بالوظائف التي يقوم بها هذا الجنس التاريخي. إن سجل الأنساب هو امتداد للوثيقة القانونية أي امتداد للرسم العائلي (الحالة المدنية) ويبدو أن هذا التأليف يعكس رغبتين متقاطعتين: رغبة السلطة القائمة في إحصاء الشرف و الشرفاء نظرا لما يترتب عن ظاهرة الشرف من إعفاءات وامتيازات شرحناها سابقا ثم رغبة الشرفاء في تأكيد الأصول والاحتماء من الدخلاء.

ما هو محتوى النص النسبي؟ إننا في الواقع أما نسيج من المضامين. فالنسابة يتبرك في البداية بذكر السلالة النبوية، ثم يرتب شجرة النسب ويحصي فروعها و الأسر، ثم يترجم لعدد من رجالات البيوتات المذكورة إذ أن الحسب يرافق النسب. إنه في كل هذه الموضوعات، يثبت أقواله بالحجج والأسانيد لتأكيد أصول هذه الأسرة أو تلك. هذا ما فعله أبوراس حين تعرض إلى البيوتات الشهيرة في مقاطعة معسكر: فتبين له ضعف أقوال التوجني فأثار غضب أدعياء الشرف.

ثم ألف أبوراس عددا من كتب الأخبار، أخبار وهران والجزائر وأخبار الأندلس والمغرب والسيرة النبوية[61] هاجسه في ذلك الغيرة على الإسلام والمسلمين، يحن إلى أيام عظمة المسلمين ويبكي ضياع الأندلس ويحزن للأوضاع التي آلت إليها البلدان الإسلامية في عصره، يصف مواقف درامية تكشف عن نباهة بعض الملوك والأمراء وغباوة البعض الآخر.

فالتاريخ في نظره، مطلوب لفوائده الجمة، فالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية تؤكد صحة هذه الفوائد[62].

---

[58] أبوراس المعسكري: الخبر المعرب.. مخطوط

[59] يقول ابن خلدون في هذا الشأن:" إن صريح النسب يوجد عند المتوحشين وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن.. لما كان معاشهم من القيام على الإبل ونتاجها ورعايتها والإبل تدعوهم للتوحش في الفقر لرعيتها من شجرة..والفقر مكان الشظف والسبق.. فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط النسب.

[60] انظر العقد النفيس في أعيان أهل غريس لمؤلفه: أبي زيد التوجيني وترجمة إلى الفرنسية "قين" المجلة الإفريقية 1891.

[61] انظر الملاحق...

[62] الآيات التي أوردها في عجائب الأسفار:" نحن نقص عليكم أحسن القصص" و"لقد كان في قصصهم عبرة لأولي "الألباب"

فالغاية من التاريخ الاعتبار لأن قراءاته تسمو إلى تهذيب الأخلاق واستخلاص العبر من تجارب السلف الصالح والأولين. وأما وظيفة المؤرخ فهي إبداء النصيحة للملوك والأمراء. فالملوك إذا وقفوا على سير أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب، يتناقلها الناس، "ونظروا إلى ما أعقب من سوء الذكر وخراب البلاد والعباد.. استقبحوها وأعراضوا عنها". يتجاوز الإنسان الأطر القصصية حين يدرس التاريخ لأنه يسعى إلى تحقيق مكارم الأخلاق. ولا تتحقق هذه الأخلاق الكريمة إلا إذا امتلك الإنسان الماضي واستخلص عبره ليسير على هديها.

4.3- منهجه التاريخي: نقول وروايات

اتبع أبوراس منهج السرد التاريخي الذي كان سائدا في عصره. فالدراسات التاريخية كانت تقوم على الرواية والخبر ولا ترقي إلى مستوى "التحقيق والنظر"كما كان يدعو إليه ابن خلدون. فهي لا تحمل "تلك النظرات العالية التي كانت لدى كبار المؤرخين في العصر الوسيط". لا نستغرب هذا الواقع ونحن نتحدث عن عصر الانحطاط، تراجعت فيه العلوم العقلية وانحسر فيه الاجتهاد والإبداع حتى في العلوم النقلية مثل اللغة والفقه.

يعرف أبوراس التاريخ قائلا: "التاريخ لفظ عربي وهو لغة الأخبار... واصطلاحا توقيت الفعل بالزمن ليعلم مقدار ما بين ابتدائه وانتهائه[63] فالرواية والنقول الصحيحة هي أدوات التاريخ، وليس البحث والنظر.

يتم الخبر عن المشاهدة والسماع وعلى أساسهما تتكون المعرفة التاريخية. ينتهج أبوراس هذا المنهج حين يؤرخ للأحداث التي شهدها أو سمع عنها (فتح وهران، الحملات الأوروبية عل الجزائر المحروسة، المقاومة المصرية للاحتلال الفرنسي، فتنة درقاوة وغيرها.) ويتم الخبر بالنقول الكثيرة والصحيحة حين يؤرخ للعهود السابقة (تاريخ وهران أو تاريخ الأندلس أو القبائل العربية والبربرية)

في كلتا الحالتين: تناسب هذه الأدوات السرد التاريخي وأفقه المعرفي الذي لا يتجاوز الوصف والتقرير. ويلازم السرد وظيفة الاعتبار ولا يتعداها إلى الكشف عن قوانين التطور التاريخي.

نستقرئ هذا المنهج عند الكشف عن المصادر التي يعتمدها أبوراس في التأليف التاريخي. فهي شهاداته وشهادات المعاصرين له حين يصف استعدادات الباي محمد الكبير العسكرية وتنظيم المتطوعين وحصار مدينة وهران ومواقع الجيش

[63] مخطوط : الخبر المعرب

والمتطوعين وبداية الحرب بين المسلمين والنصارى إلى غاية إنهائها وفك الحصار بعد المفاوضات ودخول محمد الكبير المدينة وجلاء الإسبان عنها. ثم هي نقول ومرويات عن المصادر التي تتحدث عن تاريخ وهران والدول التي تعاقب عليها كمغراوة والمرابطين والموحدين والدولة الزيانية، ثم المحاولات العثمانية لفتحها وانتزاعها من الإسبان[64].

يستعمل أبوراس "الحوليات" حين يؤرخ لفتح وهران إذ يعتمد على السنة في تنظيم الحوادث التاريخية. ثم يستعمل وحدة الملك حين يعرض لتاريخ وهران، أي يتعرض إلى الدول التي حكمت وهران محترما تسلسلها الزمني. في نظره، تشكل وحدة الملك الإطار الصحيح لتنظيم الأحداث التاريخية الماضية وهي وحدة موضوعية لأن الملك عقدة التاريخ.

هكذا ينتظم النص الإخباري عند أبي راس حول محورين زمنيين: محور السنة الذي يجسد تقسيم الحدث إلى أدوار معينة: دور البدء ودور الاختتام، ومحور الملك الذي لا يفقد الحدث وحدته. وفي كل هذا يسير أبوراس على نهج المؤرخين العرب السابقين، ويقلدهم.

[64] من هذه المصادر: الشيخ عبد الرحمن الجامعي في شرح أرجوزة الحلفاوي والصغرى والكبرى والتسني وابن خلدون صاحب العبر ويحي بن خلدون صاحب بغية الرواد. والمازوني صاحب الدرر.

مؤلفات أبي راس

في القرآن:

- "مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التسيير إلى علم التفسير" في ثلاثة أسفار. أخذ فيه عن الزمخشري والبيضاوي وابن عطية.

في الحديث:

- "الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات" — مع تتميمات وتنبيهات.

في الفقه والمذاهب

- "درة عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخراشي" في 6 أسفار
- "المدارك في ترتيب فقه الإمام المالك"
- "رحمة الأمة في اختلاف الأئمة"

الأصول والعقائد:

- "كفاية المعتقد ونكاية المنتقد" في شرح العقيدة الكبرى للشيخ السنوسي.

في التصوف:

- "الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي"
- " التشوف إلى مذهب التصوف"

في المنطق:

- "القول المسلم في سرح السلم"

في الآداب:

- "الدرة اليتيمة في شرح المكودي على الألفية".
- "النزهة الأميرية في شرح المقامات الحريرية"
- "البشائر والإسعاد في شرح "بانت سعاد"
- الدرة الأنيقة في شرح العقيقة* " في المديح النبوي.

في التاريخ:

- "زهرة الشماريخ في علم التاريخ"– (تكلمت فيه مع ابن خلدون وغيره)
- "المنى والسول من أول الخليفة إلى بعثة الرسول"
- " در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة"
- " درء الشقاوة في حروب درقاوة"
- "الوسائل لمعرفة القبائل"
- "الحلل السندسية فيها جرى بالعدوة الأندلسية"
- "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" في وقائع وهران
- "مروج الذهب في نبذة من النسب ومن انتمى إلى الشرف وذهب"
- "فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"

تقديم

"عجائب الأسفار و لطائف الأخبار"

– الجزء الأول –

1- المضمون و المنهجية و المصادر

كان فتح وهران على يد الباي محمد الكبير سنة 1206 هـ (1792) مناسبة استغلها أبو راس الناصر فنظم قصيدة مدح فيها هذا الباي ونوّه بمآثره العديدة [65] تقع هذه القصيدة في 118 بيتاً و تسمى "نفيسة الجمان في فتح ثغر و هران على يد المنصور باللّه سيدي محمد بن عثمان"[66] و حين عرضها عليه، طلب منه أن يشرحها شرحا وافيا، فكان ذلك الشرح كتاب "عجائب الأسفار و لطائف الأخبار". و قد أنهى أبو راس تدوينه في أواخر ذي القعدة سنة ست ومائتين وألف.

في هذا الصدد، يقول: "صارت نفسي تحدثني بالتدوين والانخراط في سلك المؤلفين... فتحركت العزائم و تجددت العناية بما أنعم اللّه به على المسلمين عامة و على أهل المغرب الأوسط خاصّة بفتح وهران وانجلاء أهل التثليث و الأوثان... كشفت عن ساق الجدّ و الاجتهاد... بأن أنشدت قصيدة في ذلك على حرف السين... ونمقت وزنها من بحر الكامل... ذهبت بها إلى حضرة الملك (كذا) الأفضل، قرأ بعضها و مدح لفظها و معناها... و أمرني بشرح يظهر لباب تراكيبها الضافية."[67]

يقع مخطوط عجائب الأسفار في 165 ورقة و ينقسم إلى جزء ين : الأول في 92 ورقة و يتضمن 63 بيتاً "تكلمنا فيه عن إنشاء و هران وما تداولها من الدول وما دَهَاهَا من الأمور الطوام و النوائب العظام و مدّة أهل الكفر و الإسلام "والثاني يتضمن 55

[65] من العلماء المعاصرين لأبى راس الذين نظموا قصائد في فتح وهران و تطورت قصائدهم إلى تآليف:
أحمد بن سحنون الراشدى: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني: قسنطينة 1973
مصطفى بن عبد اللّه الدحاوى: الرحلة القمرية في السيرة المحمدية. مخطوط. 3322.

[66] ذكر الجنرال "فوربيقى" الذي ترجم إلى الفرنسية كتابى أبي راس "الحلل السندسية" و فتح الإله" في مطلع القرن العشرين أنه عثر على نسخ أخرى من القصيدة تشتمل على عدد كبير من الأبيات منها نسخة "روضة السلوان المؤلفة في مرسى تطوان" التي تقع في 135 بيتا.

[67] مخطوط "عجائب الأسفار" رقم 1632 – المكتبة الوطنية – الجزائر.

بيتًا فهو "المشتمل على الفتح العظيم و الفخر الجسيم و مدح من فتحها الباي سيدي محمد بن عثمان"[68]

يحتوى التأليف على معارف متنوعة تتقاطع فيها شتى العلوم التقليدية مثل الأدب و التاريخ و الجغرافيا و الفلك و الفقه ونحوها. فلا يجوز اعتباره كتاب أخبار فحسب و إن كان التاريخ لمدينة وهران من موضوعاته الرئيسية. لقد أراده أبو راس "شرحا وافيا" يتناول فيه قضايا ومسائل من الأخبار و النسب و التراجم و الأدب واللغة و البلاغة والجغرافيا و الفلك و الفقه..

إنه بمثابة محطّة ثقافية تختزن علوما ومعارف تسائل الباحث في الأدب والتاريخ و الأنثربولوجيا،و تستجوب من يهتم برصد الثقافة الجزائرية التقليدية و بتحليل أبعادها الفكرية و الاجتماعية.

لهذا السبب، نقوم بنشره على حالته دون تصرّف. في الواقع، لا يمكن التعامل مع المصادر القديمة بطريقة المؤرخين الوضعيين الذين ينظرون إليها على أنها مجرد مستودع وثائق تستخرج منه " المعلومات التاريخية". إن مثل هذه الرؤية التجزيئية تقلل من قيمة المصادر التي تشكل حقًا معالم فكرية تحيل إلى واقع الثقافة في لحظة تاريخية معينة.

لم يقم أبو راس بتبويب كتابه، بل اكتفى بتقسيمه إلى جزء ين ومع ذلك فمادّته تخضع إلى منطق واضح يحترم التسلسل الزمني و ترتيب الموضوعات. فكل بيت من أبيات القصيدة يعبر عن فكرة "و كأنه عنوان فصل"[69] وأما الفصل فهو الشرح الذي يليه. إنه يورد البيت الذي يحتوى على الفكرة الرئيسية، ثم يشرع في تفسير مفرداته و تعابيره لغويا معتمدا على المعاجم اللغوية و دواوين الشعر و كتب البلاغة و النحو و ينتهي بالشرح التاريخي مستندا إلى المصادر التاريخية، مما يدلّ على إِلْمَامِه بعلوم عصره و يؤكد مدى حفظه و قوة ذاكرته.

تتسم لغة أبي راس في العجائب ببعض الخصائص، إنه لم يلتزم بالسجع إلا في مقدمة الكتاب أو إذا جاء عفويا في ثناياه[70] رغم أن هذا الأسلوب كان شائعا بين علماء عصره، كما أنه يكثر من استعمال الاستعارة إلى حدّ يقارب الإسراف، في قصائده. فهو يلجأ إليها ليبرهن على صدق قريحته و نبوغه في فنون الشعر ولإجادة

---

[68] مخطوط "عجائب الأسفار..."

[69] سعد الله : أبحاث وأراء...ص 98

[70] سعد الله: المرجع السابق ص 110

وصف الباي محمد الكبير و التعبير عن عواطفه و التهليل لفتح وهران، لكنه إذا ما أنصرف إلى ذكر الأخبار أو عالج مسائل تاريخية فإنه يتبع أسلوب البساطة و الدقة، قد يوظف في بعض الأحيان تعابير عامية و مفردات دراجة إلا أن ذلك ليس عيبًا لأنّ علماء عصره في المشرق و المغرب كانوا يحبذون ذلك.[71]

لا غرابة أن يكون أبو راس شاعرًا شأنه شأن علماء عصره، أما شعره فيخضع لذوق معاصيره و ينم عن سعة الاطلاع على الأدب العربي إذ تشهد قصائده على موهبة معينة و في كل الأحوال ينبغي نقدها بوضعها في سياقها التاريخي و مقارنتها بشعر الأدباء المعاصرين له و مراعاة التقاليد المتبعة آنذاك، ورغم أن شعره لم يصل إلى درجة فحول الشعراء، فإنه نال إعجاب زملائه و حظي بإقبالهم عليه، وإذا كان أغلب القراء في زمنا هذا لا يعجبون به و لا يميلون إليه، فلا يمنع ذلك من أن هذا الشعر يحمل قيمة في ذاته إذ أن عصر أبي راس أتسم بغلبة العلوم الدينية و فتور العلوم الأدبية و العقلية.

يكثر أبو راس من الاستطراد، فيتعرض إلى قضايا جانبية تحت عناوين مختلفة منها فائدة و نادرة و غربية و تتمة و لطيفة مستضرفة، غير أن الاستطراد عند أبي راس، لا يمكن اعتباره حشوا أو تمييعا للموضوعات المدروسة بل أسلوبا تربويا يرمي إلى الترويح عن نفس القارئ و تسليته قبل مواصلة الكتابة التاريخية التي تزدحم فيها الإحداث والوقائع. إضافة إلى ذلك، يمثل هذا الأسلوب مظهرا من مظاهر الفكر الموسوعي الذي لازم الثقافة المغاربية القديمة.

فإذا كان الجزء الثاني من كتاب العجائب "يعتمد على أخبار رواها المؤلف عن شهود عيان و معلومات استقاها من الرسائل و الوثائق الرسمية، فإن الجزء الأول في أغلب فصوله يستقى فيه معلوماته من مصادر متعددة و متنوعة، ففي الأدب واللغة، ينقل كثيرا عن الشيخ الفيرو زبادي (كتاب القاموس) و الخفاجي (شرح الشفا) و في الأنساب، يروي عن إبن حزم (جمهرة الأنساب) و إبن خلدون (تاريخ العبر) و عبد القادر المشرفى (بهجة الناظر) و في الأخبار، يعتمد على المصادر المشهورة في تاريخ المغرب و الأندلس كالمقريّ (نفح الطيب) و إبن الخطيب (رقم الحلل) و البكري (المسالك و الممالك) و البلاذري (فتوح البلدان) و يحي بن خلدون (بغية الرواد) و التنسي (الدر و العقيان) و السخاوي و إبن رقية التلمساني (الزهرة النيرة..) و غيرهم و على الرحلات مثل رحلة الغزال (نتيجة الاجتهاد) ورحلة

[71] في المشرق كان العلماء يستعملون التعابير الشعبية في تأليفهم مثل عبد الرحمن الجبرتى في كتابه : عجائب الآثار في التراجم و الأخبار – بيروت 1978 (2ج)

الجامعي الفاسي (شرح الحلفاوية) و في المناقب يستند إلى إبن صعد (روضة النسرين) و الصباّغ (بستان الإزهار) و إبن مريم (البستان) ونحوهم

يذكر أبو راس في بعض المواطن المصادر التي اعتمد عليها خصوصا عندما يسرد الآراء التي يسوقها للقارئ ويريد إقامة الدليل في المسائل المختلف فيها، و في غالب الأحيان، لا يشير إلى المصادر التي يستقى منها المعلومات، لكنه يبرهن على إطلاع واسع للتاريخ الإسلامي عامّة و تاريخ المغرب الأوسط خاصّة.

فالنص التاريخي في العجائب تتقاطع فيه الأخبار و النسب و التراجم و هي الأجناس التاريخية التي ميّزت المدرسة التاريخية المغربية منذ وقت مبكر، إلا أن مجال التاريخ يكاد ينحصر في نشاط السلاطين و الملوك و الأمراء بخاصة الحروب و المعارك التي تتحكم في آليات تداول السلطة. و حين يكتب أبو راس عن العلماء و الأولياء الصالحين، يتسع هذا المجال إلى الحياة الاجتماعية و الثقافية فتحظى بعض القضايا المتصلة بها بعناية محدودة. عموما يظل منهجه التاريخي خاضعا لإشكالية السرد (الرواية و الخبر) و لا يرقى إلى التحليل و النقد العميق.

2- الموضوعات التاريخية

نعرض لبعض الموضوعات التاريخية التي يتناولها مؤلفنا في الجزء الأول من كتاب "عجائب الأسفار" دون غيرها نظرا لأهميتها بالنسبة لتاريخ وهران و المغرب الأوسط و لقيمتها المعرفية الوثائقية، و قبل ذلك، نسوق موقفه من علم الأخبار و النسب الذي لم يحظ بعناية غالبية علماء العصر العثماني لتعلقهم بالفقه و التصوف.

2.1 – *دفاعا عن التاريخ*

أحب أبو راس التاريخ رغم أن دور التعليم في عصره، لم تكن تُلَقّنه لطلبتها، يقول في هذا الصدد: "وأين لي بذلك و بضاعي في هذا العلم نزرمنزور"[72] فقد دافع عنه بأدلة نقلية و عقلية فهو يرّد على من اعتبره "علما لا ينفع و جهالة لا تضرّ"[73] مستدلا بالآيات القرآنية التي تدعو إلى الاعتبار من تجارب الأمم و الأخذ من دروس الماضي كقوله تعالى" لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب"[74] و يشير إلى

---

[72] عجائب الأسفار...تأتي مناقشة هذا الموضوع في مقدمة الكتاب

[73] عجائب الأسفار...: يشير كذلك إلى آراء بعض الفقهاء مثل مالك بن أنس الذين نهوا عن الاشتغال بعلم النسب

[74] سورة يوسف الآية 111

الحديث النبوي الذي ينصّ على العناية بعلم النسب "تعلموا من أنسابكم ما تصلوا به أرحامكم".

و في رأيه، اهتم الصحابة بعلم التاريخ منهم أبى بكر الصديق و ابن العباس وعقيل بن أبى طالب، كما اعتنى به التابعون كالزهري و إبن سيرين و علماء المسلمين مثل الطبرى و البلاذري و الجرجاني و أبو بكر البغدادي و الدمشقي والمسعودي و إبن خلدون و السيوطي..كما خطي باهتمام الأمم الأخرى كالفرس وبني إسرائيل و الروم و البربر، فالحاجة إلى علم التاريخ و النسب واضحة و تتجلى في المسائل الفقهية كالإرث ونوعية ملكية الأرض و معرفة نسب الأشراف و الأنبياء والرسل، و هي أكثر جلاءًا حين ترتبط بمسائل تدخل في توطيد وحدة الجماعة وحماية الأمة من الفتن، في هذا السياق، يعمل أبو راس على تسجيل مفاخر المغرب الأوسط ومآثر الأمّة لتبقى ذكرى للأجيال تحفظ انتماء اتهم التاريخية و الدينية.

– صحيح أن هذه الآراء نقول استقاها من أمهات المصادر التاريخية العربية، غير أنه أحسن توظيفها و تكييفها مع بيئة ثقافية اتسمت بتغييب العلوم الأدبية "إني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم و معاهده و سدّت مصادره.. لا سيما التاريخ و الأدب والأخبار الأوائل و النسب"[75] .

2.2- *وهران و علماؤها*

وهران مدينة أحبها مؤلفنا، فقد عانت من ويلات الاحتلال الإسباني مدّة تزيد عن قرنين و نصف، تحولت خلالها المساجد إلى كنائس و صوت الآذان إلى رنين الناقوس و طمست معالمها الإسلامية، فقد تجلّت فرحته حين سمع بخبر فتحها وهو بجنوب قابس فعجّل العودة إلى أرض الوطن لمشاهدة جلاء الإسبان عنها و دخول الباي محمد الكبير إليها، و قد اعتبر فتحها حدثا هاماً عوّض المسلمين خسارة الأندلس، يقول "قطعت لنا يد في الأندلس فبقيت لنا يد بوهران"[76].

تحدث أبو راس عن مدينة وهران و عمرانها فقال: "وهران بفتح الواو وسكون الهاء مدينة كبيرة... من أمصار المغرب الأوسط"[77]و قد انتقد الشيخ عبد الرحمن الجامعي في شرح أرجوزة الحلفاوي، الذي اعتبرها مدينة صغيرة بساحل البحر الرومي، و عقب عليه قائلا: "أظهر منه أن يقول و هي أحد مدن المغرب الأوسط..

[75] عجائب الأسفار..
[76] عجائب الأسفار ...مخطوط
[77] عجائب الأسفار ...مخطوط، لم يحدثنا عن معنى لفظة وهران بل اكتفى بذكر نطقها الصحيح.

و قوله صغيرة غير ظاهر بل هي مدينة كبيرة ذات أبراج عظام وأسوار ضخام"[78] ثم يستدل بقول الشاعر إبن الخميس الذي زارها في أواخر القرن الرابع الهجري "أعجبني في المغرب الأوسط مدينتين بثغرين : وهران خزر و جزائر بلكين".

و عن عمارتها يقول "هي ذات أسوار و أشجار و عيون و بناء لم يوجد مثله ولا يضع واضع شكله "ثم يصفها قائلا:"لو رأى بناءها صاحب تاريخ مصر لعدّه من أعجوبات الزمان...ولو رآها الغزال صاحب الرحلة لما اعتنى بوصف سبتة وطليطلة. "ثم "تبحرت في العمران وتدعمت أسوارها، قصدها العلماء و التجار و الأشراف والعساكر" و عن أبراجها يقول: "قلعة مرجاجو الشهيرة الفذة الجامعة الكبيرة يقل مثلها في الوجود و تتيه على قلاع بني حمود" وأما البرج الأحمر" فإنه يفوت قصور بنى الأحمر " أضاف له الباي محمد الكبير" محكمة أنيقة" و قصرا عظيما و يشير إلى الأبراج الأخرى و الأروقة التحتية التي تربط بينها.[79]

وعن تاريخ تأسيسها، يقول في عجائب الأسفار: "سنة تسعين أو إحدى وتسعين و خزر هذا مؤسسها، كان عاملا بالمغرب الأوسط لبني أمية، فَمَدَّنَ مغراوة وهران وتبحرت في العمران و عدّت من أمصار المغرب لا تدافع و من أحسن معاقله بلا منازع.."[80] اختطها خزر بن حفص المغراوي و اتخذها ابنه محمد بن خزر قاعدة إمارته، و كان بناؤها على عهد الخليفة الأموي بقرطبة عبد الرحمن.[81]

في سياق الحديث عن مدينة وهران، يذكر بعض علمائها خاصة الإمامين محمد بن عمر الهواري و إبراهيم التازي، فعن الإمام الهواري، يقول "انتهت إليه الرئاسة بوهران في مذهب مالك" و هو "محمد بن عمر بن عثمان بن سابع بن عياشة بن عكاشة المغراوي" و نسبه " من هوارة.. منهم أهل مسراتة بازاء قلعة بنى راشد "ثم يسرد بإيجاز قصّة دعائه على وهران بعد قتل إبنه أحمد الهايج، و قد عزا مقتل إبنه إلى أعوان الأمير الزياني و ليس سكان وهران كما أكدته بعض المصادر[82]، و في الأخير، يذكر بالتدقيق تاريخ وفاته (سنة 843 هـ).

---

[78] عجائب الأسفار ...مخطوط

[79] عجائب الأسفار ...مخطوط

[80] عجائب الأسفار ...مخطوط

[81] هذا القول غير صحيح لأن عبد الرحمن الأموي توفي سنة 238 هـ قبل بنائها، والصحيح أنها أسست في عهد الخليفة الأموي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأموي كما ذكره في الخبر المعرب، لا يشير أبو راس إلى رواية البكري الذي عَزَا بناءها إلى محمد بن عون و محمد بن عبدون و جماعة من البحارة الأندلسيين الذين تفاوضوا مع قبيلة بنى مسقن (مسقرين حاليا) في شأن بنائها.

[82] و هو رأى أحمد بن سحنون (الثغر) و محمد بن يوسف الزياني (دليل الحيران) و نص الدعاء: "يا وهران الفاسقة، يا كثيرة الجور و البغي و الطارقة، يا ذات الأهل الباغية السارقة، إني بعتك بيعة موافقة لنصارى

وعن تلميذه الشيخ التازي، يقول "هو من الجامعين بين العلم و الزهد... عارفا بالأولياء و أخبارهم و أيام العرب و أشعارهم... "تتلمذ على أستاذه الهوارى إذ "كان في غالب أمره في طريقه يذهب و على قابله يضرب " ثم يضيف أنه حاز رياسة العلم بوهران بعد وفاة شيخه، فنهض بالتدريس وتجاوزت شهرته بلاد المغرب : "فقد حدثني من أثق به أنه وجد بمكة المشرفة تأليفا شاملا على قصائد تتعلق بطريق القوم يباع من تأليف الشيخ المذكور" ثم يورد قصّة جلب الماء لوهران من عيون بعيدة وإشراف الشيخ التازي عليه، الأمر الذي لم يقدر على إنجازه الأمراء و الأعيان، فقد كان "يستقرض الدراهم من التجار و يصرفها في إصلاح الماء ولا يدري من أين يوفي بذلك" وحين سئل، قال "الله منه، مساعدة الزمان و مساعفة الإخوان". يعتبر أبو راس هذا الإنجاز كرامة من كراماته. توفي الشيخ إبراهيم التازي بوهران سنة 866 هـ ودفن بها ثم نقل جثمانه إلى القلعة بعد الاحتلال الإسباني و ضريحه في هذه المدينة مشهور[83].

إضافة إلى هذين العالمين الذين اشتهرت بهما وهران، يورد بإيجاز أسماء علماء آخرين أشهرهم محمد بن محرز الوهراني الملقب بركن الدين "اشتهر بالعلم و الأدب و حسن الفهم" و الواعظ أبو تميم الوهراني نزيل بجاية.

لا يذكر أبو راس مصادره عن وهران و علمائها غير أن معلوماته مستقاة من البكري و الصفدى (الوافي) وابن خلكان (وفيات الأعيان) وأحمد بابا (نيل الابتهاج) و الجامعي الفاسي و إبن مريم (البستان)، و ابن صعد (روض النسرين) و المازوني (ديباجة الافتخار) و غيرهم.

2.3- *مغراوة بين المدّ و الجزر*

قبل أن يتطرق إلى قبيلة مغراوة الزناتية الشهيرة التي استقرت بالمغرب الأوسط قبل الفتح الإسلامي وأسست إمارة عظيمة ذاع صيتها على يد الخزريين أحد بطون مغراوة، يناقش أبو راس موضوع أصل البربر، إنه يستعرض النظريات التي أبداها في هذا المجال أشهر المؤرخين و علماء الأنساب و يحاول أن يقدمها بإيجاز. و قد ساعده في ذلك ضلوعه في أنساب العرب و البربر و تكوينه الفقهي.

يبدأ عرضه بتقسيم البربر إلى برانس وبتر اعتمادا على رأى نسابة البربر كسابق بن سلمان المطماطى وكهلان بن لوى و أيوب بن زيد: "البربر فريقان البرانس

مالقة و جالقة إلى يوم البعث و التالقة مهما ترجعي فأنت طالقة "ثم أضاف بعد الحاح تلامذته "و الفرج لاحقة" فدخل الإسبان و هران 72 سنة بعد وفاته.

[83] عجائب الإسفار...وردت قصة نقل جثمانه إلى قلعة بني راشد بتفاصيلها

والبتر، أما البتر من ولد قيس بن عيلان و البرانس من نسل مازيغ..."[84] أما أصلهما، فيرجعه الطبرى و المسعودي و الصولي إلى ذرية كنعان بن حام، و في رأي إبن عبد البر، "فإن البربر من ولد قبط بن حام." ويرى البكرى أنهم من العرب "إن لمُضَر ولدان إلياس و عيلان" ثم يخلص إلى رأي إبن خلدون "أنهم من ولد كنعان بن نوح و أن جدهم يازيغ و إخوته كريكش و فلسطين..." ويبدو أنه يتبنى هذا الرأي الأخير، إذ يقول "و الحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره أنهم من ولد كنعان..."[85].

ثم ينتقل إلى قضية استقرارهم بالمغرب، فيروي أقوال النحوي و البكري بأن إفريقش اليمنى أتى بهم في جملة جيشه عندما ملك المغرب و تركهم به. و هو الذي سمّاهم البربر "لأنه لم يفهم أصواتهم" ثم يروى رأي إبن الكلبي ومفاده أنهم كانوا بالشام بجوار العرب وأن بني إسرائيل هم من أخرجوهم من أراضيهم حين قتل سيدنا داود ملكهم جالوت "وقد أوحى الله إليه: يا دواد أخرج البربر من الشام لأنهم جذام الأرض"[86].

ونشير إلى أن الصولي قد قال بهذا الرأي

ثم يأتي الحديث عن مغراوة التي تداولت ملك وهران لمدة 147سنة، إنها القبيلة الزناتية العظيمة ذكرها العلماء قبل الإسلام وبعده. يعود نسبها إلى مغراو بن يصلين بن مسروق بن زاكين بن ورسيخ بن جانا بن زنات. كانت مع بني يفرن من أكبر قبائل المغرب و"أكثرها عددا وأقوى ملكا وجندا وأعز نفرا وأرفع شأنا.. قوى تصرفهما في أراضي المغرب من طرابلس إلى المغرب الأقصى"[87]

كانت مغراوة، في رأي المؤلف، تستوطن ناحية طرابلس قبل الإسلام ثم تصرفت في شمال إفريقيا[88].

---

[84] عجائب الأسفار...

[85] عجائب الأسفار...لم يذكر رأي مالك بن المحول (توفي 699 هـ) الذي يقول بأن البربر قبائل ذات أصول مختلفة من حمير و مضر و قبط و عمالقة و كريكش (قريش) اجتمعت في الشام و تقاربت لغاتها في هذه الديار فظهرت منها اللغة البربرية، إن هذه الآراء لا تؤكدها النظريات الحديثة التي تستند إلى الإنثربولوجيا و علم الإحاثة و اللسانيات التاريخية.

[86] عجائب الأصفار: العبارة ليست آية قرآنية.

[87] عجائب الأسفار: مخطوط

[88] يرى الشيخ المهدي البوعبدلي أن موطن مغراوة الأصلي قرب مليانة فأسست بها إمارتها المعروفة بامارة بني خزر وبعد قضاء بلكين بن زيري عليها في واقعة شهيرة قرب البطحاء، تفرقت مغراوة فكانت منها فرقة بالمغرب الأقصى والأندلس ثم فرقة بليبيا تسموا بني خزرون، ثم رجع بنو خزر وأسسوا إمارة مازونة بمساعدة الموحدين في أواخر القرن السادس الهجري– وهو رأي يناقض رأي أبي راس– دليل الحيران ص 54.

وتفرقت إلى فرق عديدة منها بنو خزرون ملكوا طرابلس وبنو صقلاب ملكوا بطائح إفريقيا وسنجاس بالزاب وجبل راشد وبنو ورسيفان بمليانة ونواحيها ومنهم بنو منديل ملكوا مازونة وتنس وبنو خزر أصحاب المغرب الأوسط: اختطوا وهران وحكموها ومنهم بنو بختي ملكوا تلمسان وضواحيها ومنهم بنو عطية ملوك فاس الذين كانت لهم حروب مع بني يفرن ومنهم أولاد خلوف أسفل شلف...

عند الفتح الإسلامي، قاومت مغراوة الفاتحين العرب لكنها انهزمت على أيديهم فأسلم قائدها ونزمار بن صقلاب ووفد على الخليفة عثمان بن عفان فأكرم هذا الأخير وفادته وعقد له على قومه و وطنه، لهذا أجمع المؤرخون العرب على أن بني خزر- قوم ونزمار- موالي عتق لبني أمية "إذ أسلم قومه تبعا له بعد رجوعه من المدينة المنورة". إلى هذا الحدث يعود ولاء مغراوة للمراونين بالأندلس وبعد وفاة ونزمار قام بأمره ابنه صولات ولما هلك هذا الأخير، قام بأمر مغراوة وسائر زناتة ابنه حفص وكان ملكا عظيما ولما هلك حفص قام بأمره ابنه خزر وهو الذي اختط وهران عام تسعين من القرن الثالث الهجري خلال حكم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي[89].

استحقل ملكه وعظم سلطانه على بدو المغرب الأوسط وعلت كلمته عند الأمويين بالأندلس حين تقلص نفوذهم في المغرب وشاعت به الفتن،وعند وفاته، خلفه ابنه محمد الذي نقل عاصمة الإمارة إلى وهران فمدّنها واتسع نطاقها، فأذعنت له القبائل. عمّر محمد بن خزر طويلا فقد قام بدعوة الادارسة بالمغرب الأقصى بعد أن ساعدهم على دخول تلمسان واستيلائهم عليها من أيدي بني يفرن، كانت له- خلال عهدته- حروب كثيرة مع عجيسة وازداجة ومع الشيعة ولم تزل وهران بيده إلى أن أخذتها منه عجيسة سنة 306هـ فاستمر حكمها بها سبع سنوات تحت راية الأمويين بالأندلس. وفي سنة 313هـ استعادها الأمير محمد بن خزر بعد معارك كثيرة ثم ولي عليها ابنه الخير فقام بتنظيم ملكه وظاهر الأمويين وبقيت عجيسة وازداجة تحت حكمه وشنّ الغارات على البدو وامتد نفوذه إلى تلمسان والصحراء وحارب الشيعة ملوك إفريقيا وتاهرت.

وفي عام 318هـ، استولى الشيعة على وهران واستعملوا عليها محمد بن عون الشيعي، وبقيت وهران تحت نفوذ الشيعة إلى أن ظاهر الأمير اليفريني يعلي بن محمد- مؤسس مدينة إفكان بغريس- الأمويين سنة 342هـ فولاه عبد الرحمن الناصر

[89] وهو الصحيح كما ورد في كتابه: الخبر المعرب..

ملك المغرب الأوسط وعقد له على حروب الشيعة، فزحف لوهران وحاصر بها محمد ابن عون وعجيسة وازداجة إلى أن تغلب عليهم سنة 343هـ، ففتحها وأضرمها نارا وخرّبها فلحق أكثر ازداجة وعجيسة بالأندلس، ثم أعاد بناءها من جديد وانتقل بأهله إليها من إفكان، فعادت أحسن مما كانت.

حينئذ نزع الأمير محمد بن خزر إلى الشيعة وأدى لهم الطاعة بمعية ابنه الخير. ووفد على المعز الفاطمي بإفريقيا، فجهز هذا الأخير قائده جوهر الصقلي لغزو المغرب الأوسط وجاء معه محمد بن خزر سنة 347هـ فالتقى الجيشان (جوهر واليفريني) بظاهر تاهرت فقتل يعلي بن محمد وتفرق جمعه، وقام جوهر الصقلي بعد انتصاره بتخريب إفكان وعقد لمحمد بن الخير على وهران وخلال سنة 360هـ، فسدت النية بين الشيعة بإفريقيا ومحمد بن الخير، فتقلد هذا الأخير طاعة الأمويين بالأندلس وحشد جميع زناتة– عدا مدينة تاهرت التي استمرت بأيدي الشيعة– فنهض من وهران– قاعدة ملكه– يجر الجيوش للتمهيد والتدويخ فتصدى له الأمير زيري بن مناد وأمر ابنه بلكين بحربه فالتقى الجمعان بالبطحاء،ولما رأى محمد بن الخير أن الدائرة عليه مال بنفسه إلى ناحية وذبح نفسه، فانهزم قومه.

ثم أن ابنيه: الخير ويعلى طلبا الثأر لأبيهما من جعفر بن علي– عامل الشيعة الأسبق على المسيلة الذي ثار على المعز الفاطمي وظاهر الأمويين فاقتتل جيش زيري وجيش جعفر فكانت الدائرة على كتامة وقتل زيري بن مناد في المعركة سنة 361هـ، فتولى الخير بن محمد– (الأمير الخامس) إمارة وهران، فنهض بلكين للثأر لأبيه فكانت له حروب مع مغراوة "صعاب يشيب لها رأس الغراب" وفي سنة 367هـ، تمكن الأمير الصنهاجي بلكين من الاستيلاء على المغرب الأوسط والأقصى وأذهب منهما دعوة الأمويين وقتل محمد بن الخير في إحدى المعارك فقام أخوه يعلي بن محمد فضبط أمر الإمارة ثم تخلى عن الحكم لابن أخيه محمد بن الخير (الأمير السابع) فتولى هذا الأخير أمر وهران، ثم تولى ثامنهم الأمير محمد بن يعلي الإمارة، فاستولى على كافة المغرب الأوسط وأظهر ميلا إلى الاستقلال إذ لم يبق لبني أمية إلا الخطبة في المساجد واستحوذ على السلطة الفعلية.

وفي 368، تولى زيري بن عطية بن تبادلت (أمّه) بنت محمد بن خزر (الأمير التاسع)، فتملك المغرب الأقصى وأحيى بذلك إمارة مغراوة الكبرى، فقاتل الأمويين والصنهاجيين– عمال الشيعة في إفريقيا– إلى أن مات سنة 391هـ وعندها،تولى مرة ثانية الأمير يعلي بن محمد بن الخير أمر وهران، فضبط ملكها وخضعت له زناتة، فاستمر حكمه إلى سنة 410هـ،فبويع مكانه ابن أخيه محمد بن الخير– مرة ثانية–

فاطاعته سائر قبائل المغرب الأوسط واستمر يحكم إلى غاية سنة 430هـ ثم قام مكانه ابن عمه محمد بن يعلي مرة أخرى فضايق صنهاجة شرقا وبني يفرن غربا وبالصحراء وهلك في معركة عرب الأثبج وزغبة الهلاليين بالزاب سنة 450هـ ثم خلفه ابنه محمد الصغير فبقي في الإمارة إلى أن أزاله يوسف بن تاشفين اللمثوني سنة 473هـ فانقطع ملك وهران من يد مغراوة بعدما ملكوها مائة وسبع وأربعين سنة.

هذه نبذة تاريخية عن إحدى الإمارات الإسلامية الأولى بالمغرب الأوسط، إن لم تكن الأولى كما يعتقده الشيخ المهدي البوعبدلي. استقرت مدة 147 سنة قبل أن تزول على يد المرابطين، فقاومت أعداءها من الصنهاجين وعقدت التحالفات مع الأمويين للحفاظ على استقرارها من تجاوزات الزيريين الصنهاجيين. ولعل الحروب الطويلة التي خاضتها ترمز في جملة ما ترمز إلى سعي أمرائها إلى الاستقلال وبناء إمارة قوية ذات شأن. نستدل على تلك النزعة الاستقلالية: بحادثه الأمير زيري بن عطية مع الخليفة المنصور الأموي الذي استدعاه إلى قرطبة، فانتقل الأمير المغراوي إلى الأندلس سنة 380هـ واستقبله المنصور وأجازه بأموال طائلة ولقبه بالوزير "فكره اسم الوزارة حتى نهر من قال له الوزير وقال ما أنا إلا أمير ابن أمير[90] وحين عاد إلى المغرب ووطأتها قدماه قال: " أَنْتِ لي"

جمعنا هذه النبذة التاريخية عن الإمارة المغراوية من حديث أبي راس المطول حول الصراعات والحروب التي شهدها المغرب بين الفاطميين والأمويين وبين الشيعة والسنة والخوارج لرهانات سياسية وعقائدية لا يمكن تفصيلها في هذا المجال. أملنا أن يتناول أحد الباحثين الشباب في المستقبل تاريخ الإمارة المغراوية وأن يدرسه دراسة جادّة ترمي "إلى الكشف عن أبعاده الاجتماعية والاقتصادية وتوضيح مراحله السياسية".

2.4 الاحتلال الاسباني: غارات، نهب وسلب

يفرد أبو راس بحثا مطولا عن الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير[91] في مطالع القرن السادس عشر. أسفر هذا الاحتلال الذي دام قرنين ونصف قرن عن نتائج وخيمة على ساكنة الناحية الغربية من الجزائر،إذ لم تتوقف الغارات الاسبانية على الأهالي والقبائل ووصلت هذه الغارات إلى ناحية سعيدة ومعسكر،

[90] دليل الحيران: المصدر نفسه ص 96

[91] استولى الإسبان على المرسى الكبير سنة 911هـ وعلى وهران سنة 915 في رواية أبي راس وفي روايات مؤرخين آخرين كان احتلال وهران سنة 914.

فكان الجيش الاسباني خلالها ينهب ويسبي ويقتل إلى درجة إبادة قبائل كاملة. وتراجعت الحياة الاقتصادية إذ تحولت أراض شاسعة من الفلاحة إلى تربية المواشي وانتقل الناس من سكنى القرى إلى اللجوء إلى الخيم والاستقرار بالجبال خوفا من غدر الفرق العسكرية الاسبانية. إنه زمن الرعب والخوف..

إلى ذلك يشير المؤلف في قوله:" وكان طاغية النصارى.. يشن الغارات على المسلمين إلى أن دخل في طاعته الونازرة وقيزة وشافع وحميان وأولاد علي وأولاد عبد الله وغيرهم من بني عامر وغمرة منهم شيعته الذين ينصرونه ويعتمد عليهم في جلب الأخبار والمسير في الطرق واتخذ منهم جواسيس يقال لهم المغاطيس وقويت بهم شوكته وتعددت غزاته على الأقربين والأبعدين.. فصارت سيرات وملاتة من جملة بلاده التي تحت يده يتردد بها في ليله ونهاره.. وتكررت غزاته على هبرة والحرب بينهم وبينه سجال إلى أن تلاشوا واضمحلوا..."[92]

ومن القبائل التي عانت ويلات الاسبان" بنو شقران برمال عين الفرس الشرقية فأثخن فيهم إثخانا عظيما وسبى" و"أهل الربط والكرط فأثخن فيهم إثخانا شديدا وقتل وأسر وسبى الرجال والنساء" "ثم غزوا فروحة بغريس أرض الشيخ سيدي محمد بن يحي.. فلقوا خيلا من بني عياد أحد بطون الحشم فتحاربوا فاستشهد منهم العروصي أحد أجواد غريس" و"في الستين من القرن العاشر، غزوا على زاوية.. الشيخ عيسى بن موسى التيجاني وهو نازل شرقي نهر الطاغية"[93]

وتأثرت الحياة العلمية والثقافية بانفلات الأمن والاستقرار في ربوع القطاع الوهراني. إلى ذلك يشير أبو راس في قوله:" ولما مات الباي شعبان.. فرح النصارى فرحا شديدا واشتدت شوكتهم على الإسلام فغزوا ولي الله الأكبر سيدي بلاحة المهاجي[94].. بوطن تاسالا فأخذوا زوايته وقتلوا وسبوا وأسروه هو و بناته" ويذكر شهادة الشيخ الرماصي على رواية عبد الرحمن الجامعي قائلا:"كنت وفدت عقب الفتح على العالم العلامة... أبي عبد الله سيدي محمد المصطفى القلعي الرماصي قائلا:" فوجدته يسكن بأهله بيوت الشعر قرب غابة في رأس جبل يأوي إليه ليلا ويظل نهارا في داره ومسجده يطالع كتبه ويقرئ طلبته فسألته عن ذلك فقال لي كنّا على هذه الحالة على عهد النصارى خوفا منهم لأنّا كنّا لا نؤمن منهم في الدور من

---

[92] عجائب الأسفار...

[93] محمد بن يحي- دفين فروحة من قرى معسكر- من تلامذة الشيخ السنوسي: درس علم التوحيد بالراشدية. أما الشيخ عيسى بن موسى- دفين قرية وادي التاغية (جنوب معسكر حوالي 50كم) عالم شهير صاحب القصيدة "الغوثية" بغية الطالب في ذكر الكواكب"

[94] الشيخ بلاحة المهاجي مشهور بالقعدة، كان من علماء القرن الحادي عشر وله ذرية كثيرة

أن يصكّونا ليلا فخرجنا لبيوت الشعر ليسهل علينا الفرار إلى غابة الجبل فنمتنع منهم"[95]

يستعظم الجامعي هذا الخوف في قلوب المسلمين قائلا: " فانظر إلى أين بلغ بالمسلمين خوف أولائك الطواغيت ولا يعرف حلاوة الإيمان إلا من ذاق مرارة الخوف".

لم تقل حدة هذه الغارات الاسبانية إلا بعد الفتح الأول سنة 1708 على يد الباي مصطفى بوشلاغم "فانكسرت شوكتهم من الغزو العظيم على المسلمين.. وقطع الله فسادهم وأخمد نارهم وأذهب من أرض المسلمين آثارهم فصاروا لا يفارقون الحصون ولا يفترقون ساعة عن الحراس والعيون"

2.5- محاولات فتح وهران:

تمكن الأتراك منذ قدومهم إلى الجزائر من تحرير المدن الساحلية الجزائرية التي كان الإسبان قد استولوا عليها عدا المرسى الكبير ووهران، فقد استعصتا عليهم رغم محاولات عديدة يذكرها أبوراس، لولا هذه المحاولات لكان مصيرهما مثل مصير مليلية وسبتة المغربيتين اللتين لازالتان ترضخان تحت نير الاستعمار الإسباني. ومن العوامل التي شجعت الأتراك على تجديد الحملات العسكرية لتحرير وهران دعوة العلماء الجزائريين للجهاد. فقد اعتبر العالم ابن أبي محلّي "تولية الأتراك للجزائر علامة على فتح وهران" إذ قال:

ألستم أخذتم دار ملككم التي ... من أشرط فتحها وذا في العلائم[96]

وقد حرّض الشيخ محمد بن عبد المؤمن[97] محمد بكداش داي الجزائر قائلا:

نادتك وهران فلب نداها... وانزل بها لا تقصدن سواها

وحذا الشيخ محمد بن القوجيلي حذوه حين دعا الباشا أحمد خوجة إلى محاربة الإسبان بوهران سنة 1067 قائلا:

والتفت نحو الجهاد بقوة... فالكفر أقطع أمله بذكور

[95] محمد بن ميمون المشهور بالرماصي: فقيه حافظ، له حاشية على شرح التتائي على مختصر خليل معتمدة في مدارس الجزائر والمغرب وله فتاوي تدل على شجاعته الأدبية. توفي بمعهده قرب قلعة بني راشد سنة 1137هـ

[96] أحمد بن عبد الله بن القاضي المشهور بابن أبي محلي، ثار على المولى السعدي زيدان وأعان علماء الجزائر في الدعوة إلى الجهاد ومقاومة الإسبان، له تآليف في نبذ الطريقة السماحية. مات قتيلا في معركة سنة 1021هـ

[97] محمد بن محمد عبد المؤمن: كان قاضي المالكية بالجزائر: له تأليف حول تاريخ الداي محمد بكداش "التحفة المرضية في الدولة البكداشية "حققه محمد بن عبد الكريم– الجزائر سنة 1981

وبغربنا وهران ضرس مؤلم... وسهل اقتناع في اعتناء سرور
فانهض بعزمك نحوها مستمرا... بالله في جد وفي تشمير[98]

أول محاولة يذكرها أبوراس هي حملة إبراهيم باشا في أواسط القرن الحادي عشر "ولما تغلّب النصارى على ما يليهم من أرض أهل الإيمان إلى أثناء القرن الحادي عشر.. فغزاهم إبراهيم باشا وهو أوّل من غزاها من الأتراك ونصب عليها المدافع والبومبة من المائدة فامتنعت عليه.. وسعى في هلاكها بجميع الحيل والمكائد وهو في كل ذلك كضارب حديد بارد.. فلما أيقن أنها ممتنعة عليه، انقلب راجعا إلى دار ملكه."[99] ومن حينها وقعت للإسبان العناية بأبراج وهران وإعادة تحصينها خاصة برج مرجاجو.

بعد المحاولة الأولى، امتدت أيدي الإسبان إلى الضواحي إلى أن ولي الباي شعبان الزناقي بايليك الغرب في أواخر القرن الحادي فحاصرها وضايقهم بالآلة والجنود وأرهبهم بكثرة العساكر والحشود... زحف إلى وهران في نحو 4000 جندي فيهم نحو 3000 فارس وزحف إليه الكفرة من وهران مع مردّة العرب من بني عامر وكيزة وغمرة ونحوهم في أزيد من 8000 جندي فيهم ألف خيل والباقي رجالة.. فكان مصاف القتال بكدية الخيار وصبر الفريقان ثم انفضت الكفرة واختلّ مصافهم.. فقتل في تلك الهزيمة أكثر من 11 مائة ودامت عليهم الهزيمة حتى انتهى المسلمون إلى باب وهران فحمي الوطيس عنده.. وفي تلك المعركة قتل الباي شعبان.. على يد أحد المردة يسمى أبا نصابية.. فبقيت جثته بأيديهم ثلاثة أيام إلى أن سلموها للمسلمين فدفنوه سنة 1098هـ.

ثم كانت المحاولة الثالثة على يد سلطان المغرب الأقصى: المولى إسماعيل سنة 1112هـ "ضرب حول وهران فساطيطه وخيم أخبيته ورتب عساكره وأصلح آلته يريد من الكفرة النزال ومجاهدة الأبطال وجالت كتائبه حولها واستعان بمخيس نفر من المسلمين المجاورين لها... ولما لم يجد لها محلا يلحقها منه ضرره لمنعها ببرج مرجاجو.. فعند ذلك صعد على المائدة.. وعاين إحكامها ومنعها فقال هذه أفعى تحت حجر تضرّ ولا تضرّ". ثم عاد إلى المغرب الأقصى.

يقول أبوراس:

أعيته حيلتها حزما ومنعتها... عقاب جو قد ارتقى من الحرس

---

[98] محمد بن محمد بن علي أقوجيل: توفي سنة 1080هـ. له قصيدة مشهورة يوصى فيها بالعدل والالتفات إلى مصالح الرعية والقيام بالجهاد. من كبار العلماء– دليل الحيران.. ص 157

[99] جبل المائدة هو الجبل المطل على وهران، عجائب الأسفار..

فقال هذه أفعى تحت صخرتها... تضرّ لا الضرّ يأتي لها من أنس[100].

ثم كانت المحاولة الرابعة على يد الباي مصطفى بوشلاغم سنة 1119هـ (1708م) "وكان بايا على مازونة وتلمسان.. فتحرك لوهران وقدم لحصاره وقتال من بها بجيشه المنصور وجهز لها الباشا محمد بكداش الجنود برّا وبحرا، فخيموا على أرجائها سهلا ووعرا وانتدب للجهاد الجمّ الغفير.. فكانت الجنود التي تأتي من البحر ينزلون بمرسى أرزيو.. ولا يمكنهم حصارها من جهة البحر لإحالة مراكب النصارى بينهم وبينها مع زيادة شدّة بأس برج المرسى.. وكان عقد عليهم لصهره ووزيره أزن حسن فكان تدبير أمر الحرب إنما يصدر عنه وعن الباي مصطفى بن يوسف المسراتي.. ومازالت جيوش المسلمين تحارب وهران وتنال منها.. إلى أن فتحها عنوة وقهرا وذلك صبيحة الجمعة السادس والعشرين شوال سنة 1119هـ" "وكان أول ما فتح من أبراجها برج العيون.. أمّا برج المرسى فلم يفتح إلا بعد فتحها وفتح سائر حصونها".

وبعد فتحها، "انتقل إليها الباي بوشلاغم وجعلها قاعدة ملكه غير أن الإسبان استرجعوها سنة 1144هـ (1732م) فلم تبق تحت حكمه سوى 24 سنة. يقول أبوراس:

من بعد عشر وعشر ثم أربعة ... عادوا إليها قرّة أعين التعس.

ويؤكد أن أمر استعادتها لم يكن صعبا لضعف مقاومة الباي بوشلاغم. "ومن خبر دخولهم لها هذه المرة الثانية أنهم زحفوا لها في مراكب كثيرة وأرسوا بمرسى الحريشة غربي وهران ثم خرجوا للبرّ خيلا ورجالا في عدة وعدد وقوة ومدد. وقد زحف إليهم مصطفى بن يوسف...، في نحو 4000 جندي فلم يكن له بهم طاقة". وفي الأخير يصف المعركة التي وقعت بين الجيشين مشيرا إلى التفوق العسكري الإسباني.

ثم كانت المحاولة الأخيرة التي تحدث عنها مؤلفنا باستطراد، محاولة الباي محمد الكبير سنة 1205، فجهز جيشا "حصل له به النصر.. فخرج من معسكر قاصدا فتح وهران، وقد قدّم أمامه البارود في عدّة صناديق.. فنزل بسيق.. وارتحل من الغد يريد قتال النصارى.. فنزل بوادي تيلالت"... واجتمعت عليه الأعراش.. بالعز والتمكين... ثم نزل عليها وحاصرها وضايقها مضايقة شديدة.. وصار الحرب

[100] عجائب الأسفار... ينقل أبوراس في فصل محاولات الفتح عن شرح الحلفاوية للجامعي بشكل خاص...

بين الأمير والنصارى سجالا.. ودام حصاره لها إلى أن فتحها بقتاله في اليوم الخامس من رجب.. سنة ست من القرن الثالث عشر.."[101]

2.6 الأتراك في الجزائر:

يتحدث أبوراس في الجزء الأول عن قيام الإيالة العثمانية في الجزائر في فصول تخصّ نسبهم ومواطنهم الأصلي وقيام إمارتهم في آسيا الصغرى ثم مجيئهم إلى الجزائر في سياق الصراع ضد الدولة الإسبانية وتأسيسهم لأيالتها ودفاعهم عنها ضدّ التحرشات الإسبانية والأوروبية خلال القرون التالية (السادس عشر إلى الثامن عشر). وقد ساند مؤلفنا قيام هذه السلطة الجديدة لأنها حمت بلاد المسلمين ودافعت عنها باسم الجهاد في وقت كانت السلطة الشرعية- الزيانيون والخفصيون- تتخاذل عن الجهاد ضدّ الإسبان الذين احتلوا المدن الساحلية الواحدة بعد الأخرى.

لا نستغرب هذا الموقف من الشيخ أبي راس لأنه موقف النخبة العالمة- علماء ومتصوفة- آنذاك التي ترى في الجهاد وحماية أرض الإسلام شرطا من شروط السياسية الشرعية.

في تتمة، يتعرض المؤلف لظروف تأسيس الدولة العثمانية ومراحلها التاريخية فيشير إلى نسبهم "أولاد ترك بن كومر بن يافث بن نوح عليه السلام" وبطونهم الكثيرة منهم" التركمان —ترك إيمان- أسلم عدد هام منهم- ومنهم الطغرغر التتار("هم الذين زحفوا إلى بغداد سنة 657هـ وأميرهم جنكزخان وهلاكو ثم تيمورلنك" ومنهم الغور (المغول) ومنهم "العثامنة ملوك الآستانة" ومنهم "الأكراد قوم صلاح الدين الأيوبي" والجركس وغيرهم...

أما العثامنة فينتسبون إلى عثمان بن أرطفل بن سليمان شاه التركماني "وليس إلى عثمان بن عفان كما يقول به السخاوي. "فقد كان جدّهم ملكا على بلد دهمان قرب بلخ ممّا وراء النهر، فغلبه حنكزخان وخرب بلاده، فخرج من بلخ قاصدا بلاد الروم فمات بالفرات في طريقه، فتفرق جنده هناك وقدم عثمان على السلطان علاء الدين السلجوقي وأذن له بالإقامة في أرض قرمان وأمره بالجهاد سنة 676هـ ولازم الجهاد إلى أن تولى على بلاد الروم ولما ضعف علاء الدين السلجوقي انحاز جنده إليه ودخلوا في طاعة عثمان.. وظهر له آثارات في الجهاد.. وقد غلب ولده أورخان على أرض

---

[101] دليل الحيران.. ص 166-167

الشام والمشرق[102] وخلفه ابنه مراد الأول فتغلب على أكثر بلاد الروم ... ثم ملك السلطان محمد القسنطينية سنة 857هـ وأجلى الروم منها ثم ملك السلطان سليم مصر من أيدي الجراكسة سنة 923هـ إلى غير ذلك..."

وعن مجيء العثمانيين إلى الجزائر، فيقول "سبب مجيئهم تغلب النصارى على السواحل" وكان ذلك على يد خير الدين واخوته" مشهور البيان وواسطة القلادة، منتقل الأحوال مسعد الأنوال.. يده للسماحة وعقله للرجاحة.. كان قبل حلوله بالجزائر طبّق أرض الكفرة بالغزوات وكثرت لديه الفتوحات، أبوه حسن من حامية جزيرة مدلّى تزوّج امرأة من أهل الذمة فولدت له عرّوج أكبرهم وخير الدين وإسحاق، فشبّوا على أكمل خصال الرجولية وغاية السعادة والفحولية"[103] ثم انتقل الاخوة إلى الجزء الغربي من حوض البحر المتوسط للجهاد "فكانوا يأتون بالغنائم ويرسون على مدائن الإسلام الساحلية ليبيعوا ما عندهم... فكان خير الدين في بعض المرات أرسى أسطوله بمرسى الجزائر فرغبوه (أهلها) في المبايعة والملك عليهم لعدم استقامة دولة أهل تلمسان وأهل تونس وألحوا عليه... فقبل على شرط قتل المفسدين..." فلما انتظمت له الجزائر واستحكم أمرها وأكثر جندها وأصلح خللها" بفضل مساعدات السلطان سليم خان، ناوأه الشيخ أحمد بن القاضي– أمير جبل كوكو[104] فاتفق مع الأمراء الزيانيين بتلمسان على حربه.. فلم ينجح له شيء لأن أمر بني زيان حينئذ قد ولى الأدبار وضعف ملكهم وتقلّص ظلهم لاسيما وقد أخذت من أعمالهم وهران" وحين تمكن من القضاء على المناوئين، وفد عليه وفود من ربوع الجزائر وطلبوا منه النجدة، فانتقل إليها وفي طريقه " استعمل أخاه عرّوج على تلمسان وأخاه إسحاق على قلعة بني راشد..." غير أن عروج لقي معارضة سكان تلمسان بإيعاز من الأمير الزياني مسعود فأخرجوه منها لكنه عاد إليها فقتل عددا هاما من الأمراء الزيانيين وعاث فيها إلى أن سكنت فتنتها"

عندئذ لجأ الأمير الزياني إلى الإسبان بوهران وطلب منهم النجدة" فزحف النصارى إلى إسحاق بالقلعة فقتلوه ثم زحفوا نحو تلمسان لحصار عروج.. فلما طال

---

[102] عجائب الأسفار... ما ينقله أبوراس عن تاريخ فتح الشام على يد آل عثمان غير صحيح إذ كان هذا الفتح على يد السلطان سليم خان سنة 1516–
ينقل أبوراس في فصل قيام الدولة العثمانية عن مصادر لا يذكرها مثل السخاوي والديار بكري..

[103] عجائب الأسفار... "طبّق أرض الكفرة" عبارة عامية تعني دوّخ أرض الكفرة

[104] أحمد بن القاضي: تولى قضاء بجاية على عهد الحفصيين واتصل بعروج وخير الدين وكاتبهما صحبة ابن التومي الثعالبي أمير الجزائر وقيل أنه كاتب الخليفة سليم خان بعد احتلال الإسبان للسواحل، أسس إمارة بالقبائل الكبرى كانت قاعدتها جبل كوكو، قتل في بعض المعارك بثنية بنت عائشة.

الحصار خرج عروج بجنده من المدينة.. فلحقه الجيش الإسباني بجبل بني موسى وقتلوه ومن معه سنة 935هـ"[105]

يبدو أن أبا راس قد تأثر للقمع الذي مارسه عروج على سكان تلمسان فينقل دعوة "الولي ابن ملوكة عليه بالموت. إلاّ أن الأمر في تلمسان قد استقر فيما بعد للأتراك "فدخلها خير الدين مرّة ثانية.. فعمل بها حانبة من الأتراك.. فأذهب فتنتها وحسم داءها."

ينظر أبو راس إلى خير الدين نظرة تعظيم وتبجيل فيعتبره الأمير النموذجي ويضفي عليه هالة من التقديس إذ كان.. خلافا لأخيه عروج– " لا يقبل سفك الدماء من غير وجه شرعي..

"وكان بالغاية القصوى في الزهد والورع والتقوى والإخاء.. وكان كثيرا يرى رسول الله عليه الصلاة والسلام" في منامه".

وحين تعددت تحرشات الإسبان على مدينة الجزائر بين 1516و 1529 وهددت الحامية الإسبانية المرابطة بقلعة "الصخرة" وجود الإيالة الجديدة شمّر للمدافعة عن الجزائر في البر والبحر.. فلم يزل خير الدين يحاصره (برج الصخرة المقابل لميناء الجزائر) ويقاتله إلى أن فتحه سنة 948هـ وبني الميناء الجديد بإقامة رصيف يربط برج الفنار بالميناء القديم. ثم قطع طمع بني زيان سنة 956هـ..

قدمنا لبعض الموضوعات التاريخية التي تناولها المؤلف في هذا الجزء ولم نتناول موضوعات أخرى في التاريخ والأدب والبلاغة لكثرتها. فلنترك دراستها للباحثين المختصين.

[105] عجائب الأسفار: قتل عروج في نواحي بني زناسن على الحدود المغربية وليس بوادي المالح كما تشير إليه بعض المصادر...

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

كتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار تأليف العالم العلامة والحبر الفهامة الولي الصالح والقطب الواضح الشيخ محمد بن أحمد بن الناصر المعروف أبو راس المعسكرى رحمه الله آمين.

الحمد لله الذي لا يزال على تواريخ الدهور ملكه لا يزول ولا لمشيئته اضمحلال ولا عدول، وعزه دائم وأحوال ما سواه تحول واليه وان طال المد الرجوع وبين يديه المثول الذي جعل الدنيا جسدا عليه للآخرة الوصول ومتاعها قصره ابتلاء يعقبه النكر أو القبول.

وبعد لما طلب مني ممن له رغبة بهذا الشأن وبما ثبت أن علم التاريخ والنسب هو علم لا ينفع وجهالة لا تضر وبعد، فقد ضعفه الجرجاني وابن حزم وابن عبد البر النمري وقد قال صلى الله عليه وسلم تعلموا من أنسابهم ما تصلوا به أرحامكم إلخ.

تنبيه: القصص والأنساب لا يدخله نسخ وكذا اللغة العربية فإذا صح عندنا في قصص أو نسب أو نحوه فإنه يعمل به فيما اقتضى العمل به قال كاتبه أن أخبار الأوائل ومعرفة أجناس الناس والقبائل من لهم ما يعتني ويدخر ولا يقال: الأصل في الأخبار أن تؤخر لأن في القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ومن القصص ما يذهل الألباب ويخجل عنه البحر العباب وقد قال العلماء: القصص طلب منا لقوله تعالى "أو لم يسيروا في الأرض إلى من قبلهم" وقال" نحن نقص عليك أحسن القصص" وقال. "إن هذا لهو القصص الحق" وقال" منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك" وقال تعالى" لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب" إلى غير ذلك فعلم التاريخ من هذا مطلوب كما طلب علم النسب بمعرفته، ألا ترى قوله تعالى "ومن ذريته داود وسليمان" إلى قوله "يونس ولوطا" وقوله "إن الله اصطفى آدم ونوحا" إلى قوله "ذرية بعضها من بعض" وقال أيضا "ومريم ابنت عمران" إلى غير ذلك ابتدأناه من حيث أخذ في التوطيد للشروع في المقصود لفقد أوله. قال وقد اعتنى به يعني علم التاريخ أهـل

كل طبقة وجهابذة كل ملة من صلحاء[106] السلف وحذاق الخلف في كل عصر عصابة هم أهل الإصابة فألفوا وأفادوا وصنفوا وأجادوا وأبلغوا من المقاصد قاصيتها وملكوا من المحاسن ناصيتها جزاهم الله رضوانه وأحلّهم من رياض الفردوس ميطانه وكان أعلم الناس به في الإسلام بعد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، أبو بكر الصديق وابن عباس وجبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب رضي الله عنهم ومن التابعين الزهري وابن سيرين وأمثالهم وفيمن بعدهم الأصمعي وابن عبيدة والرقاشي و الشيباني وأمثالهم واشتهر بتدوينه كثير من العلماء الجماهير والأولياء الأكابر كالحافظ أبو نعيم[107] صاحب حلية الأولياء وهو أحمد ابن عبد الله بن اسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني من أكابر الحفاظ والمحدثين وله كتاب تاريخ أصبهان ذكر فيه أن جده مهران هو أول من أسلم منهم وهو مولى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه توفي سنة 430 وإصبهان بكسر الهمزة من مدن الجبال وألف فيه أيضا الخطيب الحافظ أحمد بن ثابت وكنيته أبو بكر نسبه بغدادي كان من العلماء المتبحرين ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه فإنه يدل على اطلاع عظيم وله قريب من مائة مصنف وفضله أشهر من أن يوصف توفي سنة 463 والعجب أن في وقته حافظ المشرق وابن عبد البر النمرى حافظ المغرب وماتا في عام واحد وكذا ألف فيه البلاذري وذكر فيه أن أرمينية نسبة لملك بها اسمه أرميناقيش وملكتها بعده امرأة "قالا" وبنت بها مدينة فسمتها "قالى" فلذا يقال لها الآن قالِي قالا وألف فيه أيضا شهير الدين بن عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالذهبي التركماني الدمشقي وتاريخه فيه عشرة أجزاء كبار رتبه على السنين من أول الهجرة فجعل كل عشرة من السنين طبقة إلى المائة السابعة. فإن وفاته كانت سنة 748 بعد شيخه ابن المجاج بكسر الميم بست سنين وهو كتاب حافل لم يدع شاذة ولا فاذة مما تتشوق النفوس إليه من علم التاريخ والإتقان كأنه جمع الأمة في صعيد واحد ثم صار يخبر عنها أخبارًا مَنْ حَضَرَها ومن التركمان الحافظ مغلطاي أيضا وتركمان نسبة إلى جبل من الترك تسموا به لأنه آمن منهم مائة ألف في شهر واحد فقالوا اتركوا الإيمان[108] ثم خففت فقيل تركمان والذهبي هذا هو القائل بأن المهدي هو عمر بن عبد العزيز ولم يسلموا له في ذلك لأدلة كثيرة عارضته. وألف في علم التاريخ المسعودي كتابا كبيرا اسمه مروج الذهب وألف فيه أيضا ابن الخطيب السلماني

[106] نسخة أ: طلبة
[107] نسخة أ: ابن نعيم
[108] نسخة أ: أترك إيمان

والشيخ أحمد[109] وابن خلدون والسيوطي ممن لا يحصى بعد ولا يدخل تحت حصر ولا حد وألف فيه قبل الإسلام داهر الفرسي وبلوقي ويوسف بن كريون من بني إسرائيل وهرشيوش الرومي ومن ألف فيه من البربر سابق بن سليمان المطماطي نسبة لمطماطة بن تمصيت بن ضريس بن زجيك بن مادغس بن بربر هذا وإني قد خضت في هذا الفن قديما وضعت به أديما لم أزل في خدمته مستديما حتى كثرت عندي رقاعه وامتلأت بقاعه وصارت نفسي تحدثني بالتدوين والانخراط في سلك المؤلفين وهونت عليّ شيئا أَمَرًّا وأنا في كل ذلك أقدم رجلا و أؤخر الأخرى وأين لي بذلك وبضاعتي في هذا العلم نزر منزور والمشتبه بما لم يعط كلابس ثوب زور مع ما كان يعوقني من ذلك ويمنعني في الخوض فيما هنالك. أني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومراسمه وعفت أطلاله ومعالمه لا سيما فن التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان وأشرفت شمسها على الأفول واستوطن فحولها زوايا الخمول يتلهفون عن اندراس العلم والفضائل ويتأسفون من انعكاس أحوال الأذكياء و الأفاضل وإلى الله المشتكى من دهر إذا ساء أصر على إساءته وإن أحسن ندم عليه من تعاسته وأدامت بذلك حيرتي واتصل إحجامي ووقفتي حتى سطعت لي أنوار الهداية فتحركت العزائم وتجددت العناية بسبب ما أنعم الله به على المسلمين عامة وعلى أهل الغرب خاصة بفتح وهران بانجلاء أهل التثليث والأوثان على يد من استظل الآنام بظل العدل والإحسان واتبعوا في رياض الأمن والأمان المنصور بعناية الملك الديان الباي سيدي محمد بن عثمان ملك تفرد بغاية المحاسن والمآثر وجمع اشتهار الفضائل والمفاخر نشأ من المملكة في حجرها ودب و دجَّ من وكرها ورضع بأريق ضرعها لا زالت أقطار الأرض مشرقة بأنوار معدلته وأغصان الخيرات مورقة بسحائب رأفته فهو الذي صرف عنان العناية نحو حماية الإسلام وتشييد بنيان الهداية فلا يخاف بعده إنهدام وأمطر على العالمين سحائب الأفضال والأنعام حتى أقامت في الرقاب له أيادي هي كالأطواق والناس كَالحَمَام و كشفت عن ساق الجد والاجتهاد وشمرت ذيل إزار الثواني تشمير جاد بأن أنشدت قصيدة في ذلك على حرف السين فجاءت كعين الإنسان أو إنسان العين محتوية على اختبارات لا تمل تملأ المسامع والأفواه والمقل وترصيع يزين الزواهر ويخل بمحاسن عقود الجواهر وإنما اختلستها فرصا مع ما أتجرع من الزمان غصصا من أمور شاقة عائقة وأحوال عن مثل هذا متضائقة وعدة من عواد وإشغال أحاطت بي عن يمين

[109] نسخة أ أحمد ماكولاه

وشمال لا سيما زمننا كثرت فيه عوارض الطوارئ وانتشرت فيه رقباء العوائق وبعد، ما قضيت منها وطري وأجليت في مستودعات أسرارها أقدام نظري ونمقت وزنها من بحر الكامل ذهبت بها إلى حضرة الملك الأفضل الفاضل قرأ بعضها ومدح لفظها ومعناها وأمرني بشرح يظهر لباب تراكيبها الضافية ويعذب مجاري أساليبها الصافية ليفوح معناها من زهر تلك الخصائل وإن أخطاه صوب الغوث الهواطل فحصل من معانيها لبابها وكشف عن الحقائق حجابها فتصان على الخبط أوراق عليها اشتملت وترتفع عن السقوط لقيح أشجار بها احتملت فجاءت رائقة للأعين والجنان حائزة قصب السبق في هذا الميدان لما فيه من أسرار تنبئ عن عظيم شأنها ومساعدة بيان ما انطوت عليه من لفظها فحلت محل القيادة[110] من الأجياد والعزة من الجياد جارية على حسب ما يقتضيه المقام من المفاكهات أو ما يدل على أسلوب البلغاء في بعض المطارحات على السنة المعهودة بين البلغاء والأدباء والطريقة المسلوكة بين الشعراء والخطباء ولم أذكر ذلك إشاعة للمفاخر بل إذاعة لقول الشاعر: "كم ترك الأول للآخر" وتحديثا بنعم الله الذي ألهمني لإبراز الدقائق واللطائف ووفقني إلى سبيل الرشاد وجنبني مهواة المتالف. وأعلم أن امتياز النسب أندرس في هذا الزمان فلا يكاد يتفق فيه اثنان حتى يقع فيه اختلاف كثير في الأمة الواحدة لاختلاط الأنساب وتباين الدعاوى فلذلك أنكر مالك معرفة الرجل بنسبه إلى آدم فقيل له فإلى إسماعيل فقال من يخبره به وعلى هذا درج علماء السلف وكان بعضهم إذا تلا قوله تعالى "والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله" قال كذب النسابون. و بما في الأثر كذب النسابون فوق عدنان و بما ثبت أن علم التاريخ و النسب هو علم لا ينفع و جهالة لا تضر و ذهب كثير كابن اسحاق و الطبري و البخارى إلى جواز الرجح في الأنساب ولم يكرهوه، و تدعو الحاجة إليه للتعصيب في الأرث و النكاح و العائلة و العلم بنسب رسول الله صلى الله عليه و سلم وأنه من فروض الإيمان و لا يعذر الجاهل به و كذا الخلافة عند من يشترط النسب فيها، قال ابن خلدون في حديث كذب النسابون إلخ أنكر السهيلي عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن عدنان بن آد بن أذاد بن يزيد إلخ و حديث العلم لا ينفع فقد ضعفه الجرجاني وابن حزم وابن عبد البرّ النمرى.

تنيه: القصص و الأنساب أمر لا يدخله نسخ و كذا اللغة و العربية. فإذا صحّ عندنا نقل في قصص أو نسب أو نحوه فإنه يعمل به فيما إقتضى العمل به فيه. وأكثر النسابون على أن إدريس ليس بجد لنوح خلافا لابن إسحاق وزعم الحكماء

[110] نسخة أ: فحلت محل القلادة من الأجياد

أن إدريس هو هرمس الحكيم المشهور وقد يترجح صحة هذا النسب من التوراة لأنه وقعت العناية فيه بنسب موسى وإسرائيل ونسب ما بينهما وبين آدم ويؤيدُهُ ما في صحيح البخاري في حديث الإسراء من قول نبي الله إدريس لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما مَرَّ به وسأل عنه جبريل فقال هو محمد صلى الله عليه وسلم مرحبا بالنبي الصالح ولم يقل والابن الصالح و الأخ الصالح كقول نوح عليه السلام وإبراهيم تأمل وما يقال من أن علماء اليهود بدلوا مواضع من التوراة بحسب أغراضهم في دنياهم فقد قال البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن ذلك بعيد وقال معاذ الله أن تبدل أمة كتاب نبيها وإنما بدلوه وحرفوه بالتأويل ويشهد له وعندهم التوراة فيها حكم الله وما في القرآن في من أن ذكر التحريف إنما المراد به التأويل ولذا لما وضع ابن سوريا القرضي اصبعه على آية الرجم في قراءته لذلك المحل من التوراة وأراد خفاء ها قال له عبد الله بن سلام ارفع إصبعك وقرأها عبد الله فبهت ابن سوريا وكان من دارسي التوراة اللهم إلا أن يقع ذلك على سبيل الغفلة أو بسبب ذهاب ملكهم وافتراق جماعتهم وعدم ضابط في وقعة طيطش ومع ذلك إنه مستحيل بعد انتشارها ولا مانع من قراءتها ووقع في الأحاديث النقل عنها وقد ارتضى هذا تتميمه وفي شرح التجاني للشفاء إذا أفاد النظر فيها مقصدا فلا يبعد الاستقلال به وقال ابن أبي حمزة في الجزء الأول معرفة الشرائع المتقدمة من المحمود شرعا وإن لم يكن فيها حكم لنا مع أنه قد يكون لنا فيها حكم كمن هدم وقفا فعليه إعادته فهو من أحكام التوراة وأصله قضية جريح العابد وأما حكم الإسلام فالقيمة. وإنما بدلوا وحرفوا كما قلنا ذلك بالتأويل ويشهد له قوله تعالى "وعندهم التوراة فيها حكم الله" وقوله تعالى "قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين" ولو تبدلت ألفاظها لم تكن بها حاجة إلى أن يكون ذلك من غير عمد وعند ذهاب ملكهم في وقعة طيطش[111] كما ذكرت ومع ذلك يمكن وجود الصحيح منها حسب ما هي عند عالمهم يوسف بن كريون على ما ينبغي من الصحة والطبع وفي عصر النبي صلى الله عليه وسلم عند عالمهم "ابن سوريا" الأعور ومالك بن الضيف وغيرهم قلت فما للشراح الخ، وغيره في فصل قضاء الحاجة غير صحيح ولم يصب من اعتراض القاضي عياض وغيره في كثرة النقل عنها لا سيما في كتاب الشفاء وتحريم الفقهاء قراءتها حتى بلغ بعضهم فقال يجوز الاستجهار بأوراقها وهذا مما لا ينبغي، أنظر شرح شهاب الدين أحمد الخفاجي على الشفا ويشمل توراة وقتنا قوله تعالى "ومن لم يحكم بما أنزل الله" ومع ذلك يمكن وجود الصحيح منها هذا وزعمت السامرية أهل شومرون وجبل نابلس أن

---

[111] Titus : الامبراطور الروماني.

التوراة الذي بأيديهم لم يحرفوا منها شيئا ويقولون في نسخ التوراة التي لغيرهم من اليهود أنها محرفة وإنما ذكرت ما مر من الكلام عن شأن النسب من أن الغرض من هذا الكتاب ذكر فتح وهران ومدح الفاتح لها وهو نادرة الزمان وقبلة الإحسان سيدي محمد بن عثمان باي حال من الملوك محل اللبة من الصدر والنور لها من هالة البدر حتى اشتهر من بينهم اشتهار النهار وشيدت به معالم الحق وانطمس رسم الباطل وكان على شفا جرفها فانهار. لأني أذكر فيه ما احتاج إليه من النسب على حسب ما اتفق لي من العجم والعرب فجعلت ما تقدم كالمقدمة المجملة وما يأتي كالتكملة لأني أتخير نوادره من متخير جواهر كل أدب ولباب اللباب فقد قال

أفلاطون الحكيم عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم وظاهره في حسن اختيارهم لأن العاقل لا يأخذ من الكلام إلا الأحسن ديباجة والأكثر طلاوة وحلاوة وقال يحي بن خالد البرمكي الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويتحدثون بأحسن ما يحفظون وقال ابن سيرين العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه وقال العتابي من قرظ شعرا أو وضع كتابا فقد استهدف للخصوم إلا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى وقليل ما هم وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر البيت المشهورة وهي عين في الرضى إلخ وقال أبو الدرداء أنصف أذنيك من فيك فإنما جعل أذناك اثنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تقول وإنما اخترت في هذه المنظومة قافية السين لأن أكثر أدباء الورى والامراء يحبونها فقد ذكر الشريسى في شرحه لمقامات الحريري أن أبا عمر وابن العلاء التميمي أحد القراء السبعة كان يساهر الأمير العبادي عباد المهلبي وكان يعجبه روى السين لستين شاعرا كل منهم اسمه عمر وكذا يقال وقع لحماد الراوية مع يزيد بن عبد الملك بن مروان وعباد هذا من نسل المهلب بن أبي صفرة الأزدي بفتح الهمزة وابنه عباد بن عباد ذكره البخاري في صحيحه. في كتاب التفسير وأبو عمر هذا اسمه محمد أو حماد أو حميد بن عبد الله بن حنين التميمي أخذ عنه عيسى بن عمر الثقفي ويونس بن حبيب وأبو الخطاب الأخفشي والأصمعي وغيرهم. قال الأصمعي رآني يوما بلا عمامة فناولني عمامة ثم قال لي الزم العمامة فإنها تشد اللمة وتحفظ الهمّة وتزيد في القامة وزادني كساء توفي سنة 154 عن ست وثمانين عاما وتوفي الأصمعي سنة 217 عن ثمان وثمانين سنة.

وسميته بعجائب الأسفار ولطائف الأخبار

وها أنا أشرع فيما أردت ومن الله الإعانة لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب

قال الشيخ محمد بن أحمد بن الناصر المعروف بابي راس الناصر رحمه الله ونفعنا ببركاته آمين.

طيب الرياح أرض الله جسي ∴ وبشري البُكْم مع الجن والإنس

طيب منادى على حذف النداء مضاف الرياح فلذلك نصب اتفاقا والطيب خلاف الخبيث وطاب الشيء يطيب طيبة وتطايبا قال علقمة بن عبدة التميمي "هذا تطايبها في الأنف مشموم " والأطيبان الأكل والجماع. والريح الطيبة ضد العاصف قال تعالى "وجرين بهم بريح طيبة و فرحوا بها جاءتها ريح عاصف" وقال في اللباب الرياح ثمانية يقال لها رياح الرحمة أربعة ورياح العذاب أربعة أما رياح الرحمة فالمبشرات والحاملات والذاريات والمرسلات وهيّ الرياح التي يتبع بعضها بعضا قال ابن عباس وقال بعضهم المرسلات الملائكة وأربعة عذاب: العقيم، والصرصر، وهما في البر، والعاصف، والقاصف، وهما في البحر والحق أن العاصف يكون في البر والبحر. قال تعالى "ولسليمان الريح عاصفة" وقال تعالى "كرماد اشتدت به الرياح في يوم عاصف" وقال عبد الله بن عمير في تقسيم الأربعة رياح المبشرات وهي التي تعم الأرض عما والمثيرة السحاب والمؤلفة واللواقح فتلقح الشجر وقال ابن عباس رضي الله عنه اللواقح هي التي تلقح الشجر والسحاب وقال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء إلا بعد أن تعمه الرياح الأربعة فيه الصبا تهيجه والشمال تجمعه والجنوب تذروه والدبور تفرقه وأما الرخاء فهي الرياح اللينة من أي جهة كانت وهي التي كانت تتواجد بكرسي سليمان عليه السلام[112] الذي فيه بساطه وقدمت حول البساط خشب وألواح حتى كان سريرا يحمل جميع عسكره وقواته فتنقله من الأرض في الهوى ثم يتولاه الريح الرخاء بعد ذلك فتحمله إلى حيث أراد سليمان وأما الإعصار فهي الريح الشديدة التي فيها احتراق لكل ما مرت عليه يكون ذلك في شدة الحر وشدة البرد وذلك من فيح جهنم ومن لطائف ابن الجوزي الحنبلي أنه طلق امرأة اسمها نسيم الصبا ثم أراد مراجعتها فأبت فكانت يوما ماشية مع امرأتين فلما رأته جالسا مع بعض طلبته في جانب طريق مرورها تسترت بهما فمرت المرأتان مما يليه فلم يرها لما تسترت بهما قال متمثلا في الحال

يا جبلى نعمان بالله خليا ∴ نسيم الصبا يخلص إليّ نسيمها

فلما سمعته ضحكنّ كلهن وضحك أهل مجلسه وقوله جميع أرض الله جميع مفعول مقدم بجسي والأرض مؤنثة و هي اسم جنس وكان حق الواحد منها أن يقال

[112] نسخة أ: حيث أراد يروي أن الريح العاصفة كانت تعبّ على سرير سليمان.

أرضة ولكنهم لم يقولوا والجميع أرضات لأنهم قد يجمعوا المؤنث الذي ليست هاء التأنيث فالتاء كقولهم عرشات ثم قالوا أرضون بالفتح فجمعوا بالواو والنون والمؤنث لا يجمع بالواو والنون إلا إذا كان منقوصا وربما سكّنوا الراء فقالوا ارّضون ومنه

لقد ضجت الأرضون إذ أقام من بني ∴ هداد خطيب فوق أعواد منبر

وقوله جسي أي اقصدي قال الحافظ البخاري في صحيحه في قوله تعالى فجاسوا خلال الديار تيمموا قال القسطلاني في تفسير تيمموا أي اقصدوا فصح قول جسي بمعنى اقصدي وقال الجوهري في صحاحه جاسوا خلال الديار أي تخللوها فطلبوا ما فيها كما يجس الرجل الأخبار أي يطلبها وقال في موضع آخر جسه بيده واجتسه أي مسه والمجسة الموضع الذي يجسه الطبيب وجسست الأخبار تفحصت عنها والجواس الحواس وقد يكون بالعين قال الشاعر، "فاعصوصبوا ثم جاسوه بأعينهم" وجساس بن مرة الشيباني قاتل كليب بن ربيعة قلت وكليب هذا نجل[113] أحد السادات الثلاث الذين سادوا على ربيعة ومضر وسبب قتله هاجت الحروب المسماة بحرب البسوس بين ثغلب وشيبان أربعين سنة وثغلب أحدى القبائل الثلاث التي بقيت منتصرة من العرب والثانية بهراء والثالثة غسان فقد ذكر الشريسي أن أمراء برجولة أحد مدن النصارى من نسل جبلة بن الأيهم الغساني ومن ثغلب الأخطل الشاعر المشهور وكان بمكانة عند عبد الملك بن مروان وراوده على الإسلام ويتمنى عليه ما شاء فأبَى ومن أحسن ما يحكى أن الأخطل جلس يوما عند عبد الملك إذ دخل كثير بن عزة وكان من أجلة الطلبة ومن فحول الشعراء فقربه عبد الملك وحادثه ولاطفه فلما رأى الأخطل ذلك قال يا أمير المؤمنين من هذا؟ وكان يعرفه فقال هذا كثير الشاعر وقال إن أذنت لي هجوته فقال كثير: يا أمير المؤمنين من هذا؟ فقال الأخطل فقال له كثير: هلاّ هجوت من قال فيكم :

والثغلبي إذ تنحنح للقراء ∴ حكا ستة وتمثل الأمثالا

وكأنه ألغمه حجر وضحك عبد الملك حتى استلقى والقائل فيهم هذا البيت لجرير المشهور وقولي وبشري البكم يقال رجل أبكم وبكيم أي آخر بين الخرس قال الشاعر

فليت لساني كان نصفا منهما ∴ بكيم ونصف عند مجرى الكواكب

ويستعمل لفاقد الصوت من النغم وناقة بكماء إذا مضى لها ستة أشهر من حملها فلا تصوت ولو قطعت ومرادي بالبكم ما يشمل ما ذكر وسائر الحيوانات التي لا تعقل وسائر الجمادات أي الطيب الرياح يبشر ما ذكر والإنس والجان بفتح ثغر

[113] نسخة أ: ثغلبي

وهران وإن كانت البشائر عرفا هي حصول السرور للمبشر بالفتح بالأمر المبشر به لأن هذا من المبالغة التي هي أحد أقسام الضرب المعنوي من ضربي البديع وإن اختلف أهله قال بعضهم لا تكون من الحسنات إلا المقبولة لا المردودة واستدل بقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

وإنما الشعر لبّ المرء يعرضه ∴ علـى المجالس إن كيسا وإن حمقا

وإن الشعر بيت أنت قائلـه ∴ بـيـت يـقـال إذا أنـشـدته صـدقـا

وقال بعضهم أنها مقبولة مطلقا لان أحسن الشعر أكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه وقال دعبل لم يكذب أحد قط إلا حطه الناس إلا الشاعر فإن كذبَهُ زيادة في مدحه ولذا استدرك النابغة الذبياني على حسان في قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى ∴ وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

حيث استعمل جمع القلة أي الجفنات والأسياف وقال يقطرن ولم يقل يقطن أو نحوه وهو الذي درج عليه الخطيب الغزويني في تلخصيه ولذا قال فيه والمبالغة أن يدعي لوصف أحد مستحيلا أو مستبعدًا ولم يقل والمبالغة المقبولة إلخ والمبالغة ثلاثة أقسام تبليغ وإغراف وغلو. وما نحن فيه من الثالث ومنه قول أبي نواس

وخافتك النصف التي لم تخلق ∴ وقولي مع الجن خلاف مع الإنس

والواحد جني وجنّ الرجل جنونا وأما جنه شاذ.

فائدة، قال الشيخ البليدي في كتابه نيل "السعادات في شرح المقولات" أن الفلاسفة أثبتوا في العالم قسما ثالثا غير جوهر ولا عرض وسموه بالجواهر الروحانية وبالمجردات وجعلوا من ذلك النفوس والأرواح والعقول وحكى أن الغزالي وبعض الصوفية ساعدوهم في النفوس العشرية وقد قيل به في الملائكة أيضا وأنها لا تشكل ولا تعمر فراغا والصحيح خلافه وأنها تشكل وتعمر فراغا كالجن وانظر الفرق بين الشكلين في شرح الأربعين النووية للشبرختي ثم قال :

نادرة: روى شيخ أشياخنا العلامة يحي بن سعيد الجزائري أنه قتل ثعبانا فإذا هو جني فاختطفه جني آخر قريبه وألقاه في أودية الجن فدخل بعدوة أعني في محل فوجد شيخا كبير السن وكأنه القاضي شمهروش فقص عليه الحال فقال له إذا أقبل سلطان الجن فقف واطلب الشرع فلما أقبل وقف عليه الإنسي وشكا من الجنّي فأحضره السلطان وسأله عن موجب خطفه الإنسي فقال لقتل أخي فقال الإنسي إنما قتلت ثعبانا فدعا السلطان بالشيخ الأول الجني واستفتاه فيما يلزم الإنسي فقال بعد أن رفع حاجبيه بيده رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "من تصور

على غير شكله فدمه هدر" وهذا سند غريب من وجهين تأملهما. فأمر السلطان برد الإنسي إلى بلاده بالمغرب فوجد زوجته متهيئة للدخول فمانع وأخذها. قلت ومما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن أيضا الهام بن الهيم بن لاقس بن إبليس الأكبر ذكره الأُبي ومات سنة مائة في أيام عمر بن عبد العزيز وفي موته حكاية لا نطيل بها و أما قصة و فادة الجن على النبي صلى الله عليه و سلم: هل هذا الوفد هم المتجسسون أم لا؟ فاختلفت الروايات، عن ابن مسعود وغيره في ذلك والتحرير أن النفر الذي جاءه دون أن يشعر به هم المتجسسون المتفرقون من أجل رجم الشهب ثم بعد ذلك وفد عليه وفد وهم حسب ما ورد من الآثار قوله تعالى"فلما حضروه قالوا أنصتوا" فيه تأدب مع العلم وكيف يتعلم قال جابر قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة الرحمان فكان إذا قال فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من آلائك نكذب ربنا لك الحمد ثم تفرقوا في الأرض منذرين للجن.

تنبيه: "ذكر الثعلبي" خلافا في مؤمني الجن هل يثابون على الطاعة ويدخلون الجنة أم يجارون من النار فقط وقال مالك وابن أبي ليلى والضحاك والفخر الرازي أنهم في حكم بني آدم سواء. وقولي والإنس البشر، الواحد إنسي وإنسي بالتحريك والجمع أناسي وإن شئت جعلته إنسًا ثم جمعته أناسي فتكون الياء عوضا من النون قال تعالى و"أناسي كثيرا" وكذا الأناسية كالصيارفة و الصياقلة ويقال للمرأة إنسان ولا يقال إنسانة وسمي إنسان من التأنيس وسمي إنسان لنسيانه قال الشاعر:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ∴ ولا القــلب إلاَّ إنه يتقلب

تنبيه: لا يجوز إطلاق السهو والنسيان على أفعاله صلى الله عليه وسلم جملة كما للقاضي عياض في الشفاء من الباب الأول من القسم الثالث وقال الشهاب الخفاجي في شرحه وكذلك غيره من الأنبياء وهذا القول ذهب إليه كثير من مشايخ الصوفية وبعض المتكلمين وخصه بعضهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعدم جواز إطلاق السهو والنسيان عليه صلى الله عليه وسلم هو صريح بعض روايات الحديث كما في موطأ مالك. لست أنسى بصيغة المتكلم المعلوم المخفف ولكني إنسي بالمجهول المشدد أي ينسبه الله لحكمه كالتشريع وتعليم الأمة.

نادرة مستضرفة: أن أشعث المشهور صاحب الحكايات والنوادر والمضحكات كان يجالس سالما بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه فقال يوما في مجلسه وفيه أكثر الفقهاء السبعة: لو كان ما تحفظه من الحكايات والنوادر جعلته حديثا لكان أنجح لك قال أما والله إني أحفظ كثيرا من الحديث فقال له سالم حدثنا بشيء قال حدثنا كريب مولى ابن عباس عن ابن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم أنه قال "من كان فيه خصلتان كان عند الله خالصا فابتدره الفقهاء وما هما يا أشعث؟ فقال نسيت واحدة ونسي كريب أخرى فضحكوا كثيرا رضي الله عنهم أجمعين.

بمغرب الأرض هي ومشرقها ∴ جوفا وقبلتنا والأنجم الخنس

قال العلامة بحرق في كبيره قالوا في المكان أي في طرف المكان من شرقت الشمس تشرق كنصر ينصر ومن غربت تغرب كنصر ينصر أيضا المشرق والمغرب أي بفتح الأول وكسر الثالث وجملة ما جاء من ذلك ثمانية عشر (18) وزنا كما عدها ابن مالك في آخر لاميته وكلها كسر ثالثها شاذ وتصغير مغرب مغيرب على خلاف القياس و سمي المغرب مغربا وغربا لأن أهل المغرب وهو الدَّلْوُ الكبير يسقون به الزرع والأشجار وحد المغرب البحر المحيط وحاضرة آسفي وفي قبلة آسفي بلد بودة وفي قبلة بودة أرض لمتونة يتصلون بالبحر المحيط وفي قبلتهم السودان وأما حده من المشرق فقال بعضهم القلزوم والسويس فيدخل فيه مصر وبرقة والعرف الجاري الآن أنه من طرابلس لأنه الذي كان في القديم ديار البربر ومساكنهم ونحوه لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون في تاريخه الكبير وسيأتي الكلام عن تقسيمه لأقصى وأدنى و أوسط إن شاء الله عند قوله بتقليد المغرب الأوسط لعمدتنا إلخ... ويلي تلول المغرب جبال من تخوم تلك التلول ممتدة من لدن البحر المحيط في المغرب إلى برنيق من بلد برقة مما يلي النيل ورأيت في بعض التاريخ أن مسافتها من المغرب إلى المشرق ستون (60) يوما. وقال مجاهد في قوله تعالى "رب المشرقين" للشمس في الشتاء مشرق ومشرق في الصيف ومغرب في الشتاء ومغرب في الصيف.

فائدة: قال العلامة الشيخ على بن ثابت في شرح البردة عند قول البوصيري:

"حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم إلخ" روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم إنه قال "ينقطع الجهاد من كل موضع و لايبقى إلا بأرض المغرب وإن أقواما بالمغرب مرابطون وهم مع نسائهم في فراش واحد" الخ.

وقولي الأراضي حذفت النون من غير إضافة للضرورة وقولي وهي الضمير للريح لأنها مؤنثة ولذا قال ريح وريحة كما قال دار ودارة والريح واحدة الرياح والأرياح يجمع على أرواح لأن أصلها الواو وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها فإذا رجع إلى الفتح عادت إلى الواو ورياح حي من يربوع ومنهم عبد الله بن وهب الرياحي وقيل الراسبي بسين–وباء نسبة إلى بني راسب رأس الخوارج وإليه ينتسب الطائفة

الوهبية[114] ومنهم بجربة كثير والروح نسيم الريح ويقال يوم روح وريوح أي طيب وروح وريحان أي رحمة والراح الخمر والدهن المروح عند النوم المطيب وفي الحديث أنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاثمد المروح عند النوم. وهب مضارعه يهب بضم الياء على خلاف القياس لأنه لازم وقياس المضاعف اللازم الكسر كجن يجن وقولي ومشرقها أي وهي أيضا بمشرقها أي الأراضي وقال الخفاجي عند قول القاضي عياض وفي حديث زويت الأرض مشارقها ومغاربها الجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون وكما المغارب وقال بعض الفقهاء المشارق الشمس والفجران والمغارب غروب الشمس والشفقان أي الحمرة والبياض كما أن الفجرين الصادق والكاذب.

تنكيت: ولِمَ قال صلى الله عليه وسلم زوي لي مشارق الأرض ومغاربها ولم يذكر الجنوب والشمال. كان معظم امتداد ملك أمته في المغرب والمشرق وكذا هو في الواقع كما أخبر به صلى الله عليه وسلم فامتدت أمته ما بين أرض الهند في أقصى المشرق إلى بحر طنجة في أقصى المغرب وطنجة لفظة بربر، مدينة عظيمة فتحت في الإسلام ثم استولى عليها النصارى سنة 876 بعد قتال عظيم ودامت لهم إلى أن أخذها منهم السلطان إسماعيل السجلماسي العلوي ثم الينبوعي أوائل القرن الثاني عشر والحمد لله.

تنبيه: يحكى أن الشيخ ابن تيمية قال رأينا أن الدنيا صورت على صورة طائر له رأس وجناحان وذنب فالرأس المشرق والصدر الحجاز و الجناحان الشام واليمن والذنب المغرب فقال له رجل مغربي في المجلس إن كانت روايتك صحيحة فالمراد بالطير الطاوس فتعجب أهل المجلس من كلامه وألجمهم ولم يراجعوه بكلمة.

وقولي جوفا وقبلتنا أي معشر المسلمين ويقال له الشمال والجوف يقال للمطمئن من الأرض والجوف للإنسان والجواف ضرب من المسك والجوف اسم واد بأرض عاد ذو ماء وشجر حَمَاهُ رجل اسمه حمار بن مويلع وكان له عشرة بنين فهلكوا فكفر فقتل من لقي من المسلمين فأقبلت نار من أسفل الجوف فأحرقته ومن فيه وغاض ماؤه وفي المثل أكفر من حمار بن مويلع.

وقولي والأنجم الخنس وسميت الخنس أي لأنها تخنس بفتح التاء وكسر النون أي في مجراها أي يرجع وراءها بينما ترى النجم في آخر البرج أذكر راجعا إلى أوله ومرادي بالنجوم وجميعها وإن كان المراد بالخنس خمسة فقط زحل، المشتري، المريخ، الزهرة وعطارد قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه وقال

[114] نسخة أ" الموهبية

الجمهور، الخمسة والشمس والقمر وقال أبو زيد تخنس أي تتأخر عن مطالعها كل سنة.

تنبيه: ذهب المبطلون إلى أن السماوات محيطة بالكون كالبيضة ومنعوا الخرق والالتئام فأحالوا الإسراء والحق أن السماوات غير الأفلاك لأنه الملائم للشرع الصادق فإن الأفلاك ملتفة كطباق البصل كل فلك منها يشتمل عليه ما فوقه ويشتمل هو على ما تحته والسماوات أطرافها على جبل قاف كأطراف الخبأ والأفلاك تحتها وتأمله مع المشهور من أن الشمس في السماء الرابعة والقمر في سماء الدنيا وأن الأفلاك أجسام لطيفة والسماوات أجسام كثيفة وأن الأفلاك موضع الكواكب والسماوات موضع الملائكة وأن الأفلاك دائرة متحركة والسماوات لا. من البليدي على المقولات ثم قال تتمة الكواكب على قسمين سيارة و هي السبع وثوابت بمعنى أنها لا سرعة لها وإلا فهي تتحرك من المشرق إلى المغرب حركة بطيئة جدا تقطع في كل أربعة وسبعين سنة وشهرا وسبعة وعشرين يومًا درجة و السيارة غير الشمس والقمر فلا تنضبط لكونها تارة ترجع القهقرى وتارة تسير معتدلة وتارة تخنس في غروبها فلأجل ذلك لا يصلح أخذ عمل منها وجميع الثوابت في فلك واحد وهو الثامن وأما التاسع فلا نجم فيه وهو أعظمها وله في كل يوم وليلة دورة من المشرق إلى المغرب ويدور بدورانه كل ما يحويه من فلك وكوكب ثم قال اختلف المتقدمون في حركة الكواكب فقيل أن الجرم الفلكي ساكن والحركة للكواكب خارقة له وقيل أن الفلك متحرك والكوكب كذلك على خلاف حركته وقيل المتحرك الفلك فقط.

تنبيه اعلم أن عطارد والزهرة والقمر أصغر من الشمس والثلاث الأخر أعظم من الشمس و الشمس أعظم من الأرض بأضعاف والقمر أصغر منها بدليل الخسوف وأصغر كوكب من الثوابت أعظم من الأرض وجميع الكواكب نوره ذاتي إلا القمر ومن الثوابت الثريا واختلفوا في عدة نجومها فقيل سبع وقيل ست وقيل غير ذلك. و من لطائف أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباصب الشريف الحسني: قوله:

خليلي إني للثريا لحاسد ∴ وإني على ريب الزمان لواجد

أيبقى جميع شملها وهي ستة ∴ ويفقد من أحببته وهو واحد

وهذا يوافق القول الثاني ومما يستضرف في هذا أن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف تزوج بمصر الثريا من بنات الصحابة فلما سمع ذلك عمر بن أبي ربيعة المخزومي قال ملغزا:

يا أيها المنكح الثريا سهيلا ∴ أعــزك الـله كيـف يـلتـقــيـان
فـهــى شـاميــة إذا ما استهلت ∴ وسـهـيل إذا مـا اسـتـهـل يمان

ونجم سهيل يُرَى في آخر الخريف من مدينة سميت به في الأندلس لكونه لا يرى في ذلك القطر إلا منها وإليها ينسب السهيلي صاحب الروضة في شرح السيرة النبوية وقال الشاعر:

إذا كوكب الخرفاء لاح بغدوه ∴ سهيل أذاعت عزلها في الغرائب

والصائبة هم الذين تدينوا بالكواكب بأن يعرفوا قسمة كل قطر من الكواكب ويتوجهوا إليه بما يناسبه في استنزال روحانيته وأول من تدين بهذا الدين كنعان بن كوش بن حام وهو أول من ملك الأرض من ولد نوح عليه السلام وفي التوراة أن النمرود من ولد كوش وفي تفاسيرها أن منهم أهل زويلية ببرقة والنوبة وفزان وزَغَاوَةَ، وفزان هذا قبلة طرابلس. ولما نفى سلميشار ملك الموصل الأسباط العشرة إلى قرى أصبهان من أرض ملكهم سامرة ونفى معهم ملكهم و"هو شيع لِسْتَع*" من ملكه ولستّ من ملك حزقيا بن أحاز من ملوك القدس بني سليمان بن داود عليهما السلام وبقيت السامرة و أَرْصًا قصبة ملكهم خرابا جمع ملك الموصل المذكور قبائل من كوثة وحماة، وصفر، وأروم، وأسكنهم السامرة فسلط الله عليهم السباع تفترسونهم(كذا) فبعثوا وفدًا منهم إلى الملك يعرفهم بصاحب قسمة السامرية من الكواكب ليتوجهوا إليه بما يناسبه على طريقة الصائبة فقيل له أن الشريعة التي رسخت فيها وهي من دين اليهودية تمنع من ذلك فبعث لهم كهنونين يعلمونهم الدين والتوراة فتعلموا، فقهر الله عنهم السباع فهذا أصل السامرة فهي في فرق اليهود وليسوا من نسبهم فلم يظهر لهم وأما الأسباط العشرة فلم يظهر لهم خبر من حين نفيهم إلى آخر الدهر. فاليهود الموجودون الآن إنما هم من سَبْطَيْ يهود وبن يامين ومن ذرية نبي الله هارون عليه السلام الذي هو من سبط لآوي بن يعقوب عليه السلام و ذلك أن من أولاد فنجاص بن العارز بن هارون عليه السلام لما ذهب الأسباط العشرة بيريغام بن نباط من سبط إبراهيم بن يعقوب إلى السامرة ونابلس وملكوه عليهم بقوا بالقدس بأيديهم الكهونية العظمى وبيت لحم وسكنوا مع سبطي يهود وبن يامين ولما فتك إيطوخس الرومي بأهل القدس وكاد أن يستأصلهم، هرب للجبال ميتيتيا بن يوخا بن شمعون الكوهن الأعظم من نسل هارون عليه السلام فلما انقلب إيطوخس إلى رومة جمع بني

* يقال له بالفرنسية : OSEE و يقال لـ حزيقا بن أحازح HAZKIA fils d'Arhaz

إسرائيل وملكوه عليهم وبقي الملك في عقبه وهم المعروفون بملوك جشمناي* إلى أن انتقل الملك منهم إلى أبي هيدروس وهو إتصفتر من أعيان بني إسرائيل وأكثرهم مالا واتصل الملك في عقبه إلى أن قطع طيطش سلطان الروم ملكهم فلم تقم لهم قائمة بالملك إلى الآن فاستلحمهم ملحمة عظيمة لم تقع مثلها لا قبلها ولا بعدها. قال يوسف بن كريون: فكان عدد القتلى الذين خرجوا من الباب للدفن بأخبار من بالباب مائة ألف وخمسة وعشرون ألف وثمانمائة (125800) غير الملقى في الآبار أو طرح خارج الحصن أو قتل في الطرقات والسبي عددهم مائة ألف (100.000) فكان طيطش يلقي كل يوم منهم للسباع إلى أن فرغوا ووصل منهم إلى رومة مائة ألف (100.000) شخص يعلمون فيهم أولاد الروم رمي الرماح والسيوف فانقطع بذلك ملك بني إسرائيل أجمع وتفرقوا في الأراضين خوفا على أنفسهم مما ابتلاهم الله به ومن نسل هارون عليه السلام بنو الأخطب وبنو الحقيق وغيرهم وأهل خيبر وفدك ووادي القرى وبنو نظير وبنو قريظة وبعضهم من الإسرائيليين الذين أغزاهم يوشع بن نون إلى العمالقة الذين كانوا بتلك الأرض وأوصاهم أن لا يتركوا أحدًا منهم فتركوا ملكهم الأرقم، فلما أخبر يوشع غضب عليهم فبقوا هنالك. وصفية زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم بنت جبير من نسل سيدنا هارون بلا شك إلخ.

<u>طوامي الأبحر وأهل جزائرها</u> ∴ <u>بفتح وهران دار الشرك والومس</u>

طمى بمعنى علا وجاء السيل فطمى الركبة أي دفنها وعلا عليها وكل شيء علا فقد طمى. يقال فوق طامة طامة ومنه سميت القيامة طامة وبحر طَامٍ أي علا ماؤه و كثرت أمواجه وجاوز حده والأبحر واحدة بحر <u>بوزن فعل ولذا جمع جمع القلة و أكبرهم</u> البحر المحيط وسمي أيضا البحر الأخضر وبحر الظلمات لأنه تقل فيه الأضواء ومن الأبحر البحر الرومي المتفرع من هذا البحر المحيط يخرج من بين طنجة وطريف من بلاد الأندلس وعرض خروجه ثمانية أميال وكانت هناك قنطرة ركبها ماء البحر وينتهى هذا البحر إلى سواحل الشام وثغوره أنطاكية، والعلايا، وطرطوس، و المصيصة، وصور، وغيرها، كاسكندرية، مما يلي القبلة والجزائر، ووهران، المحدث عنها وغيرهم وطوله ستة آلاف (6000) ميل وعرضه بين سواحل إفريقية وجنوة سبعمائة (700) ميل ومنهم بحر القلزوم والسويس ويتصل بذلك بحر المندب إلى عدن في ساحل اليمن وبحر الهند وبحر فارس إلا أن بعضها متصل ببعض وبعضها منفصل

* جشمناي : Les Macchabées

ومن الأبحر بحر نيطش* تسكنه أمم من الترك في حافته الجنوبية وكثير منهم في جزائره مما يلي الشمال وأما عدوته الشمالية فيسكنها البلغار نسبة إلى مدينتهم ويليهم في الشمال أيضا البريجان أمة كبيرة لا تعرف أخبارهم وبحر النيل منبعه وراء خط الاستواء من تل مرتفع فالذي يأتي من المشرق يصب في البحر الرومي حذو أبي قير والذي ذهب إلى المغرب يصب حيث انتهت أرض لمتونة في البحر المحيط ولذا سمي يوسف بن تاشفين وقومه لمتونة بالمرابطين. كان ابن ياسين الذي بعثه معهم التقى تلميذ أبي عمران الفاسي لما رجعوا من حجهم، انعزل بجزيرة يحيط بها بحر النيل فتجرد للعبادة، بها يحي بن عمر بن ثلاثمثين من رؤساء لمتونة وأخوه أبو بكر ثم ابن عمهم يوسف المشهور وتسامع الناس بهم فكل من فيه مثقال خردلة إيمانا دخل فيما هم فيه فكملوا ألفا وزادوا على ذلك فاشتهروا بالمرابطين لأجل تجردهم للعبادة بتلك الجزيرة ثم وَلّوا أمر حربهم إلى يحي ولقبوه أمير الحق وشمروا للحرب وإقامة الدين إلى آخر أمرهم. ومساكن الريح على بحر الهند وقاعدتهم مدينة هلسا وغيرهم أهل مدينة معرشو وفي غربهم عليه أيضا أمة يقال لها الدمادم وهم حفاتا (كذا) عراتا وغيرهم الحبشة على شاطئ البحر الغربي مجاورون لليمن ودار ملكهم "كَقْبَر" وهم نصارى وينتظرون ملك اليمن آخر الزمان مرة ثانية.

وقولي وأهل جزائرها أي الأبحر مثل. ميروقة، ويابسة، ومنرقة، وصقلية، وقريطيس، وسردانية، وقبرس(كذا)، ومُورَة وغيرها مما لا يحصى وجزائر سويس مثل ذلك أو أكثر يسكنها أمة يقال لهم البُجَا و هم نَصَارَى ومسلمون ويجاورونهم النوبة وقاعدتهم مدينة دنقلة لاكنهم على شاطئ النيل الغربي وفيهم النصارى وهم الأقرب لمصر وفيما ذكرت كفاية ولو تتابعت ذلك لضاقت الطروس.

غريبة إن ملكا كان أبو جعفر المنجم متصلا بخدمته، طلب رجلا من أكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة فاستخفى فأراد الملك منه أن يعمل ما يهتدي إليه وعلم الرجل أن أبا معشر يستخرجه بعمله فأراد أن يعمل شيئا لا يهتدى ويبعد عنه حسده فأخذ طستا وجعل فيه دما وجعل في الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما ولما عجز الملك عن طلبه قال لأبي معشر: عرفني أين موضعه بعلمك فسكت زمانًا متحيرا فقال الملك ما سبب سكوتك وحيرتك فقال أرى شيئا عجيبا قال وما هو؟ قال الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم فجبل الذهب جزيرة بحر من الدم، لا أعلم في أرض الله موضعا على هذه الصفة فقال له أعِدْ نظرك وغير المسألة وجدد المطالع ففعل ثم قال ما أراه لا كما ذكرت لك وهذا شيء ما وقع لي شيء مثله

* البحر الأسود

فلما أيس منه الملك نادى في البلاد بالأمان للرجل ولمن أخفاه وأظهر في ذلك ما وثق به فلما اطمأن الرجل وحضر بين يدي الملك فسأله الملك عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما عمل فأعجبه حسن احتياله في إخفاء نفسه ولطافة أبي معشر. وأبو معشر هذا هو جعفر بن عمر البلخي المنجم المشهور وله في علم النجم تواليف منها المدخل والريح والأتواق وكانت له إصابة عجيبة مات سنة (اثنين و سبعين ومائتين) 272

وقولي بفتح وهران إلخ وهران بفتح الواو وسكون الهاء مدينة كبيرة معدودة من أمصار المغرب الأوسط على ساحل البحر الرومي ذات أسوار وحصون وأشجار وعيون وبناء لم يوجد مثله ولا يضع واضع شكله لو رءاه صاحب تاريخ مصر القاهرة لَعَدَّهُ من أعجوبات البناء ذكرها في كتابه حسن المحاضرة ولو رآه الغزال[115] صاحب الرحلة لما اعتنى بوصف سبتة، وطليطلة، ولو أخبر به صاحب كتاب اللباب الواصف لضخامة بنيان البلدان لما قال الدار داران إيوان وغمدان، ولا سيما قلعة مرجاجو الشهيرة الفذة الجامعة الكبيرة يقل مثلها في الوجود وتتيه على قلاع بني حمود، قد وضعت في قمة[116] جبل لمس الأفلاك بيده ونظم النجوم في مفرقه وتلفع بالسحاب في مروطه وأوى الرياح إلى جوه وألقى إلى خبر السماء بإذنه وأطل على البحر بشماريخه واستدبر قاعات سيرات وملاتة بظهره وأقام سائر جبال بني ماخوخ في حجره وحق المدح للجديد والعيون فإنهما والله قرة للعيون واجتمعت العجائب بالبرج الأحمر، فإنه يفوق حصون بني الأحمر ولو رأى ابن كريون برج اليهودي لما وصف قلاع أمصياهو[*] ملك بني يهود ولو وصفت لك سائر مصانعها على التمام وما تحت أراضيها من الأبنية العظام لقلت يعجز عنه "سور- ديب" المفتخر ببناء الاهرام ولو راى ذلك سليمان بن سابق لقال لا يقدر على مثله لاحق و لا سابق هذا وقد ملّك الله جميع تلك الهياكل والمصانع الحوافل للمنصور بعناية الملك الديان سيدي الباي محمد بن عثمان مغنما ومكسبا حلالا طيبا قرت بذلك العيون وصدقت بسعادته الظنون لقد شفي غليل المسلمين من دار الشرك والفجور وقالوا الحمد لله الذي اذهب عَنَّا الحزن ان ربنا لغفور شكور.

ولقد أمر اعلا الله مجده ووصل سعده ببناء محكمة مشتملة على الحزم والعدل والحلم والفضل فوق ابنية البرج الاحمر اذا رأيتها قلت عقاب في عقاب ونجم في السحاب لها القمام عمامة والهلال قلامة و قلت فيه متمثلا:

[115] نسخة أ : الغزالي و هو خطأ.
[116] نسخة أ : قنّة.
[*] يقال له : أمصيا Amasia

فـلـله مبـنـاها الجـمـيـل فإنـها ∴ تـفـوق عـلى حكم الـسعـود يمانيـا

هــي القبة الـغـراء عـز نـظيرها ∴ ترى الحسن فيها مكتسبا وعاريــــا

يمد لها الجوزاء كـف مـصـافـح ∴ و يـد نـوالـها بـدر السماء مناجيـا

ولا عجب إن فاتت الشهب في العلا ∴ وقد جـاوزت فـيها المـداء المشاهـيا

بـــها مقـعـد حـاز البـهـاء وقد غـدا ∴ بها القصر قد فاق المباني مباهـــيا

وسيأتي تاريخ بنائها وما يتعلق به إن شاء الله.

وقولي دار الشرك والومس، الومس بفتح الواو والميم الفجورقال الجوهري والمومسة المراة الفاجرة ومعنى الثلاثة الأبيات، أيها الريح الطيبة اقصدي جميع خلق الله وبشريهم بفتح هذا الثغر العظيم الذي كان ماوى للشرك والفجور فعطف الومس الذي هو الفجور على الشرك من عطف العام على الخاص وقولي بفتح الخ متعلق ببشري وبمغرب الأرض الخ بيان لمكان الثلاثة قبله وقولي والانجم الخ بالنصب معطوف على البكم ومعنى اهل جزائرها سكان جزر البحر لا البلد المعروف الخ.

وحدثيهم بويلات لنا سلفت ∴ فطال مارمت الإسلام بالتعس

الضمير المرفوع للريح المبشرة، و المنصوب للأشياء المارة.

وقولي بويلات لقائل ان يقول لم يقال ويلات وهو مصدر والمصدر لا يثني و لا يجمع ولم جمع على الويلات ولا يجمع على ويلات قياسا للوبلة ويجاب عن الاول بانه انما جمعه باعتبار الاسمية لا المصدرية بالنظر الى اعتبار تعدد محن الإسلام بسبب وهران وعن الثاني فانه بتقدير الهاء عليه فصار ويلة وقال الجوهري ويل كلمة مثل ويح الا انها كلمة عذاب وقد تدخل عليها التاء فيقال ويلة و انشد قول مالك بن جعد الثعلبي.

بأمـك ويلة وعـلـيـك اخـرى ∴ فلا شات تنيل ولا بـعـيـرا

فساغ جمعه على وزن ويلات بهذا التقدير وقد قال امرؤ القيس

يوم دخلت خدر خدر عنيزة ∴ فقالت لك الويلات انك مرجل

فيحتمل ان يكون جمع ويلة وهو الظاهر ويحتمل ان يكون جمع ويل على غير قياس كما قالوا في جمع سجل وسرداق سجلات وسردقات وروي عن عطاء بن يسار رضي الله عنه انه قال الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لذابت من شدة حرها أي يذوب من شدة حرالنار

وقولي لنا أي معشر المسلمين سلفت تقدمت. هذا اللفظ يقال لكل متقدم ومنه قيل السلف الصالح والويلات التي اصابت المسلمين من الكفرة مشهورة كشن الغارات و غيرها من ذلك أن الكفرة أذلهم الله لما استولوا على برج المرسى وكان ذلك على يد اليهودي ولما ملكوا المدينة انزلوا اليهودي بهذا البرج وفوضوا له التصرف في الخرجات البرية والبحرية وتوارثها عنه بنوه من سنة تسعمائة وخمسة عشر 915 إلى سنة ثمانين 80. جرت بينه وبين نصارى وهران منافسة فبعثوا الى طاغيتهم ان اليهود يريدون تمليك البلاد للمسلمين فجاء المكتوب باخراجه ونفيه الى عدوتهم. فكان يخرج العامل اليهودي من هذا المرسى الى مطالب بني عامر وخرجاته في زي الملوك بخدم من اسارى المسلمين فينزل اليهودي بفسطاطيه فيحكم بين اهل الاسلام في شكاياتهم ويامر وينهي ويفصل ويقتل ويضرب. حاصله يتصرف كيف شاء وهذا اكبر المصائب وافضح المعايب وكانت لهذا اليهودي جواري من احسن بنات الاسلام والى ذلك يشير الشيخ ابو محلي حيث يقول:

فهل مبلغ عني قبائـل بني عامر ∴ ولا سيما من قَدْثَوَي تحت كافر

وكـل فـتى مـن صـنـاديـد راشـد ∴ بتيجانها مع رأسها عبد القادر

وشيخ بني يعقوب والحامي الفتى ∴ بـل كـل قبـيـل مولع بالعسـاكـر

وطلـحـة والاحلاف غـرب هـذه ∴ وشـيـخ سويـد بل وكـل مفـاخـر

أيـا معـشر الاسلام اين فحولكم ∴ اما ابصروا في السبي غير الحرائر

وتـحـت اليهـودي غـاذة عربيـة ∴ يـعاليـهـا و الخنـزير فوق الهـزابر

إلى أخره. فيقول قبائل عامر نسبة الى عامر بن زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال. بنو عامر بن صعصعة احد بطون هوازن بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفصة بن قيس بن غيلان اصل ارضهم بجبل غزوان عند ال طائف واخوتهم بنو سعد بن بكر بن هوازن وفيهم استرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم... وبنو عامر هؤلاء الذين بالمغرب بطون ثلاثة بنو يعقوب الذي تنسب إليهم ارض اليعقوبية المشهورة و الثانية بنو حميد منهم الحجز وهم بنو حاجز بن عبيد بن حميد منهم جحوش وجحيش ومحمد ورياب والمحاجزة وغيرهم والبطن الثالث بنو شافع وكانوا أي شافع في شفع جند نصارى وهران و غيرهم من أخوتهم رعية و ذلك لقرب أرضهم من وهران حينئذ ورياسة بنو عامر كافة لداوود بن هلاك بن عطاف بن كرش بن عياد بن منيع بن يعقوب ومن زغبة ايضا بنو مالك بن زغبة منهم سويد المذكور في الشعر وهو ابن عامر بن مالك وعمه الحارث بن مالك. و من الحارث، العطاف

وارضهم غربي مليانة و الديالم من ولد ديلم بن حسن بن ابراهيم بن رُومي وكانت لسويد مغارم على بلد سيرات والبطحاء وهوارة. ومن بطون سويد فليتة ومجاهر وجوثة والحساسنة بنو حسان بن شبابة وغفير وشافع غير شافع العامري ومالفة وأبو رحمة وأبو كامل وحمان واولاد مقدر ومخيس بن عمار اخو سويد نزلوا ضواحي وهران. ومن بطون سويد هبرة ينسبهم الناس إلى مجاهر بن سويد هم يزعمون أنهم من ولد سيدنا المقداد بن الاسود الصحابي البدري ومنهم من يزعم انهم من تجيب قبيلة من كندة تسموا باسم امهم والله اعلم. ومن ضواعن سويد صبيح بن هلال وكانت لهم إقطاعات جبل دارك وموطن الديالم قبلة وانشريس وكانت لهم إقطاعات وُزْنَةَ ومن بطون الحارث عريب ومن بطون بني عامر بنو صغير بن عامر ومن بطون يعقوب بنو ساسي بن سليمان بن داوود ومن بطون زغبة خميس بن عروة بن زغبة ومنهم اولاد خليفة والحماقنة والسحاري ذوى زيان وقوله طلحة والاحلاف هذان من عرب المعقل اليمانية و هم قبائل ذوي عبد اللّه و ذوي منصور و ذوي حسان و مواطنهم غربي تلمسان إلى ملوية وهم بارض انقاد وهم يزعمون أنهم من ولد جعفر بن ابي طالب وليس بصحيح لان اهل البيت لم يكونوا اهل بادية ونجعة والصحيح واللّه اعلم أنهم من اليمن من معقل بن كعب بن عليم بن خباب من بني قضاعة أو من معقل بنو ربيعة من مدحج وهو الانسب قاله إبن خلدون. ومن المعقل الثعالبة الذين بمتيجة وهم الرقيطات و الشبانات وبنوا منصور ذوى عبد الله مجاورون لبني عامر من المغرب وكانت لهم الاتاوة على وجدة وندرومة وقيل ندرومة وبني زناسن ومديونة وبني سنوس وهما بطنان الهداج والخراج وكان منهم شيخ كبير على جميعهم عظيم الشان يقال له طلحة فلذا يقال لاهل انقاد الآن طلحة كما في الشعر ومات في آخر القرن الثامن ومن الهداج والخراج الجعاونة من جعوان بن خراج و الغسل من غاسول بن خراج و المطارفة و العثامنة و المهاية أولاد مَهْيَا بن مطرف بن خراج وبنوا هداج اهل تاوريت والثعالبة اخوتهم ملوك متيجة واستمر ملكهم بها الى اخر المائة الثامنة فقتلهم ابو حمو وسباهم الى ان دثروا ومنهم الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن عمر بن نوفل بن عامر بن منصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن مفضل بن عبد الرحمن بن عبد البربن قيس بن هلال بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن ابي طالب هذا نسب الشيخ رضي الله المنقول عنه كثيرا وقد علمت عن قريب ما يخالفه و الله أعلم توفى رحمه اللّه سنة خمس و سبعين و ثمانمائة عن ستة و سبعين سنة و دفن بالجزائر فوق طريق باب الواد وقبره في غاية التعظيم عند ملوك الجزائر، حل لطلب العلم متوجها للمشرق أوائل القرن

التاسع فدخل بجاية ولقي بها اصحاب الشيخ عبد الرحمن الوغليسي فحضر مجالسهم ثم ارتحل الى تونس فلقي بها الشيخ الغبريني و الآبي و البرزلي و غيرهم وأخذ عنهم ثم ارتحل لمصر فلقي بها الشيخ ولي الدين القرافي فاخد علوما جمة معظمها علم الحديث واجازه فيما قرا عليه ثم حج ولقي بمكة المكرمة بعض الافاضل ثم رجع الى تونس فوجد فيها أبا عبد الله بن مرزوق قادما لإرادة الحج فأخذ عنه وأجازه في التدريس في انواع الفنون قال وحرضني على اتمام تقييد وضعته على ابن الحاجب الفرعي ثم وفد علينا الشيخ ابن مرزوق في ارضنا مرة اخرى بعد رجوعه من حجه آتيا من تلمسان متوجها الى تونس سنة 863 للصلح بين سلطانها وسلطان تلمسان. فقد ختمنا بعض نسب العرب برحلة هذا الولي الأنجب. واستمر تغلب كفرة وهران على ما يليهم من ارض اهل الايمان الى اثناء الحادي عشر فغزاهم باشا وهو اول من غزاها من الأتراك ونصب عليها المدافع والبومبة من المائدة فامتنعت عليه ورجع الى مملكته ومن ثم وقعت لهم العناية بقلعة مرجاجو ودبروا في إقامتها و صعب عليهم الماء فكان أول من أتى بقرب الماء لأجل إقامتها شيخ احميان وقبيلته ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واحميان هؤلاء من بني يزيد بن عيسى بن زغبة كانت لهم الاتاوة على ارض حمزة والدهوس وارض بني حسن* من قبل الموحدين وسبب اتيان احميان لتلك الارض ان يغموراسن بن زيان لما تولى ملك تلمسان كثر عبث المعقل وفساد المجاورين له وهم اهل انقاد فاتى ببني عامر من صحراء بني يزيد وانزلهم بينه وبين المعقل لان زغبة كانوا قبل ذلك ما بين المسيلة في المشرق الى قبلة تلمسان في المغرب في ارض القفر ولما أتى بهم من تلك الارض لحقتهم قبيلة احميان احد قبائل بني يزيد واستمروا ساكنين بين المعقل وتلمسان بحذاء واد زاووقية حتى تملك ابو حمو الاصغر في حدود نيف وستين من القرن الثامن من أعْيَاص ملوك بني زيان بعد فتك أبي عنان بهم وكاد يستأصلهم، نقل بني عامر من ضواحي تلمسان القبلة وانزلهم في تاسلة واتصلت مجالاتهم الى هيدور جبل وهران فكان قسم احميان احد بطون بني يزيد تلك الارض الحفرة وما ولاها والاكثر منهم نفي بالقفر إلى الآن لم ينتقل الى ضواحي تلمسان مع بني عامر من اول الحال، هذه أحوال احميان بن عقبة بن عبس بن زغبة واخبرني كثير من التقاة بالتواترأنَّ منهم المحاميد اهل حداد ومنهم بنوا كرز وبنو موسى والمرابعة والخشنة كل هؤلاء شعوب بني يزيد ومن اخوانهم عكرمة بن عبس وكانت لاولاد لاحق ثم انتقلت منهم لاولاد معافة ثم صارت في بيت سعد بن مالك من نسل المهدي بن يزيد بن عيسى بن

* اسم إقليم يسقي معظمة بوادي بجاية (الدهوس) و أرض حمزة : إقليم برج بوعريريج

زغبة وهم يزعمون انه المهدي عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه نسب تأباه رياستهم على غير عصبيتهم هكذا قال ابن خلدون وانظر تمامه. وامتدت ايدي الكفرة ايضا الى ارض الاسلام لما أقلع عنها ابراهيم باشا المذكور وهم معها بين نفرة واستقامة الى ان ولي الغطريف الهمام والاسد الضرغام معز الدين والايمان الباي شعبان: رحمه الله الأتي ذكره فطالت بهم معه الحروب، أتصل عليهم بدولته أعظم الكروب وذلك في حدود السبعين من القرن الحادي عشر فمن ثم قطع الله فسادهم واخمد نارهم واذهب من ارض المسلمين اثارهم فصاروا لا يفارقون الحصون ولا يفترقون ساعة عن الحراس والعيون الى ما كان ما ياتي إن شاء الله تعالى والى جميع ما مر اشرت بقولي فطال ما رمت الاسلام بالتعس. الهلاك واصله الكب وهو ضد الانتعاش قال مجمع بن هلال:

تقول وقد افرد تها عن خليلها ∴ تعست كما اتعستني يا مجمع.

وفي الحديث تعس عبد الدنيا.

و من لطائف ما يحكى أن أبا جعفر المنصور جلس ذات يوم عند جنازة للدفن و هي امرأة من بني عمه فأتى أبو دلامة فوجد الخليفة حزينا كئيبا كان على رأسه الطير ناظرا إلى القبر، فأراد أن يسره كعادته معه فسبقه المنصور بأن قال له: تعست أبو دلامة وانتكست أفنيت عمرك في المجون و ما لا ينبغي[117] و ما أعددت يا و يحك لهذا المكان يريد القبر، فقال ارتجالا بنت عم أمير المؤمنين، فضحك المنصور حتى استقلى. و من أخباره أنه مرض و لده فعالجه طبيب فلما برئ قال له ما عندي شيء نعطيك و لكن ادعي على فلان اليهودي و كان ذا مال كثير بمقدار جعلك وأنا وولدي نشهد بذلك فمضى الطبيب إلى قاضي الكوفة ابن أبي ليلى وقيل عبد الله بن أبي شبرمة فأدعي عليه الطبيب فأنكر اليهودي فقال: لي بيّنة و خرج لإحضارهما فاحضر أبا دلامة وولده و دخلا إلى المجلس و خاف أبا دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية فأنشد قبل دخوله بحيث يسمعه القاضي:

إن الناس غطوني تغطيت عنهم ∴ و إن بحثوا عني ففيهم مباحث

و إن نبثوا بئري نبثت بئارهم ∴ ليعلم قوم كيف تلك الينابث

ثم أحضرا بين يدي القاضي واديا الشهادة عند القاضي فقال لهما كلامكما مسموع وشهادتكما مقبولة ثم غَرَمَ المبلغ من عنده واطلق اليهودي وما امكنه ان يرد شهادتهما خوفا من لسانه فجمع بين المصلحتين يتحمل المغرم من ماله. ودلامة بضم

[117] نسخة أ: ما لا يعني.

الدال هو ابن يزيد الجون وذكر الحافظ ابو الفرج انه كان عبدا اسود ونوادره واخباره كثيرة ومنها ان المهدي اعطاه جارية فاتى بها الى زوجته ام دلالة وقال لها تحفظي بها لايراها دلامة ابني فعلمت انه يستر لها عليها فلما اتى ابنها قالت له ما قال ابوه واغرته بوطئها فوطئها ابنه ففوتها على ابيه فلما اخبر ابوه أخذه وذهب إلى المهدي واخبره.

فقال المهدي للحرس خذه للسجن فقال الولد يا امير المؤمنين اتسمع مني كما سمعت منه قال قل، قال إن أبي هذا منذ اربعين سنة وهو يطأ أمي وما سمع منّي كلمة ولا شكاية والآن وطئت جاريته مرة واحدة فصرت الى ماترى، فضحك المهدي حتى استلقى وامر لابي دلامة باخرى واقر الولد على الاولى ومعنى البيت ان كفرة وهران طالت في الاسلام صولتهم وتعددت على ايديهم روعتهم وسوم الخسف والاخذ بالعنف لكن من اول دخولهم إلى ولاية الباي شعبان اكثر واضرّ ومنه إلى أبي الفتوحات يقع الضرر احيانا ومرات:

<u>فرد ربنا الكرة عليها لنا</u> ∴ <u>قضينا دينا منها قد كان في تنس</u>

الكر هو الرجوع على العدو و التأخر، قال عبد الله بن المطيع وهو من أجل التابعين، لما حوصر مع الزبير بمكة و كان تأخر بعض الأيام لما حمل عليه بعض جيوش الحجاج بن يوسف و لامه سيدنا عبد الله بن الزبير.فصار يقاتل و يقول "ساخلف الكرة بعد الفترة والشيخ لا يفر الا مرة". واشتد قتاله معهم حتى قتل. و لما سأل هرقل اباسفيان عن احوال الرسول صلى الله عليه وسلم فكان من جملة ذلك أن قال كيف الحرب بينكم وبينه قال سجال ينال وننال منه، قال كسرى هي عادة الانبياء تبتلى ثم تكون لها العافية فقلت: فعلى هذا فان العافية والكفرة لا يكونان الا بعد مكابدة وجهد قال الله تعالى " ثم رددنا لكم الكرة عليهم" أي ثم بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد قيل سنحارب ملك الموصل او جالوت ملك الجزيرة او بخت نصر* على اختلاف وبعد ترددهم وسط الديار رددنا لكم الكرة عليهم الخ وقد قال تعالى " والعاقبة للمتقين" أي رد ربنا الكرة لنا على اهل وهران حتى قضينا دينا نسجت عليه عناكب النسيان والمراد حصل الياس منه حتى صار لم يذكر وتَنُوسِيَ حتى فتح الله بالنصر واعاننا على الظفر فشفينا غلنا وقضينا ثارات ديننا وقرت الاعين بعد الإياس و تعطل الأسباب. قرت عين مسافر بالسلامة و الإياب قال أمية بن الصلت في يوسف بن ذي يزن الحمدي:

* بخت نصر: الملك البابلى نَبُوشُو دُونُوصْور

لن يطلب الثأر إلا كابن ذي يزن ∴ يديم الخُـبَّ عـلـى الاعـداء جـوالا
يـمم قيـصـر لـما صـان رحـلـتــه ∴ فلم يجد عنـده بـعض الـذي سـالا
ثم أتى ابن كسرى من بعد تاسعة ∴ على الاعـداء يـهـئ الـنـفـس والمالا
حتى اتى بني الاحـرار يقدمـهـم ∴ مخايل قد جرت في الأرض أحبالا
لله در هـم مـن عصبـة خـرجـوا ∴ مـا إن أرى لهم في النـاس امـثـالا
الى ان قال:
تلك المكارم لا قعبات من لبن ∴ شيب بماء فعاد بعد أَبْوَالاً

وهذا الشعر أحق ما يتمثل في فتح أبي الفتوحات سيدي محمد بن عثمان باي ثغر وهران وانا اقول فيه:

فنـم هـنيـئا وبـك النصـر مـقـترن ∴ بـقصـر وهـران دار لك محلالا
ورثـت مُعَنَّى في جوده و في شـيـم ∴ وفي الشفاعة ورثث ابن مكيالا
فلا يدانيك قرنهم وان هو ذي يزن ∴ ولا لمختطف من سواك نوالا

ومما يستضرف في هذا المقام ويسلك في عقد هذا النظام المَوردي: قال سايرت ابا طاهر اسماعيل بن القائم ابن عبيد الله المهدي الملقب المنصور ثالث ملوك بني عبيد بالمهدية وذلك يوم هزم أبا يزيد الخارجي صاحب الحمار الافريني وبيد المنصور حينئذ رمحان فسقط احدهما مرارا فمسحته وناولته إياه و انشدته قول الشاعر سجيم بن واثيل

فألقت عصاها واستقر بها النوى ∴ كما اقر عينا بالإياب المسافر

فقال ألا قلت ما هو خير من هذا واصدق "وأوحينا إلى موسى أن الق عصاك فإذا هي تلقف ما يَا فِكُونَ فوقع الحق و بطل ما كانوا يعلمون، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين." فقلت يا مولانا أنت ابن رسول فقلت ما عندك من العلم ومثل هذا لما أمر عبد الملك بعمل باب بيت المقدس وكتب اسمه عليه ساله الحجاج ان يعمل له بابًا فإذن له فاتفق ان صاعقة النار وقعت واحترق منها باب عبد الملك وبقي باب الحجاج فعظم ذلك على عبد الملك فكتب له الحجاج "بلغني أن نارا أنزلت من السماء فحرقت باب امير المؤمنين ولم تحرق باب الحجاج وما مثلها في ذلك إلا كمثل ابني ادم اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر فَسُرَّ عنه لما قراه ومن بديع ما قلته في فتح وهران ادامها الله للإيمان.

خليلي قـد طـاب الـشـراب المـورد ∴ لما ان صار الامير في الثغر يقصد

وأجفت رحـال الوافدين ام عسـكر ∴ وقـد كان ماوى للوفود ومقعـد
تَجَـذَبـتـه وهـران لـمـا افـتـحتـها ∴ وقد قالت اهلا بالحبيب محمد
فهـات عـقارا في قـمـيص زجـاجة ∴ كـيـا قُوتَـة فـي درة تـتـوقــد
يـصـب علـيـه الـماء مسبك فضـة ∴ لـه حلـق بـيـض تـحل وتـعقد
جلوسا على ذَرْوِ الحصون فما ترى ∴ بوهـران نـاقوس ولا الوثن يعبد
قـواعـدها تـهـز شـوقا إلـى النـداء ∴ إذ قال في الخمس المؤذن اشـهـد
فهـلا أبصـرت طـربـها بـآذانـــنـا ∴ وقـراءتـنــا أم كـــان طرفـك أرمد
إذ أقـطـعـت بـأنـدلس يدًا العـداء ∴ يـدا بـقـيـت والحـمد لله لي يـد
ومـا زال طـمع الـمسلمين فـي رده ∴ لـعلمـك أن الـدهر يـدنـي ويـبعد
فـهاهي وهـران العـدا صفـت لنــا ∴ وفـي كـل عـورة لـها لـنـا مرصد
كأن لم تكن بالامس ترمي صواعق ∴ عـلـيـنا بــزمجـر عـتـلـيـة صــلـد
تـقتـني من النار الجحيم بنـفسها ∴ فـيا عجب لي كيف يجتمع الضد
وكـيـف تدوم الخَيْزُرَات بكـفـرهم ∴ وتـَـدْمــُر و مــنــها الفـريـدة روند
وقـرطـبـة كانـت مـحط رحـالـنـا ∴ شـريـس الشـريسى وشقة ثم لوكد
بتـذكارهـم عمت وجمت همومـنا ∴ الـى أن نفـي الاكـدار قوم ممـجد
بـفتـحه لوهـران وسـطة عـقدهـم ∴ بـها طـال مـلكـهـم قـديما ممـدد
زهـت بـه مصـر ثم نجد وشامنـا ∴ وبـضـربـهـم بـــها عريض ومبـعد
واهـل الحجـاز قد تسامعوا فعله ∴ ولا شـك للمـصـرين يـعلو ويصعد
فـكـان بوسط الغرب ذخر مضرة ∴ وكـــم درة عـــليـاء بالـيـم تـوجـد
وعـم العـفـاة نيـل فيـض عطائه ∴ ومـلـك من احـسـانه ليس يجحد

والدائرة والكرة عند العرب واحد فقد قال بسطام بن قيس الشيباني لمن الكرة وعلى من الفرة لما وقف عبد الله بن مسعود على ابي جهل وهو مثقل بالجراح يوم بدر فقال له لمن الدائرة اليوم فقال ابن مسعود لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

بجهبذ شمس للحرب متزرا ∴ بحلل النصر فيا له من لبس

الجهبذ هو كامل لخصال الأبطال الجامع لما افترق من المحاسن في الرجال والازار معروف والحلل برود اليمن كما لابي عبيدة والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين والحلة بفتح التاء دهن السمسم والحل بكسر الحاء ضد الحرام

والخليل الزوج والخليلة الزوجة. قال الفرزدق في حلقة الحسن البصري.

وذات خليل أنكحتها رماحنا ∴ حلال على السابي لما لم تطلق

جواب عن الحسن رضى الله عنه لما سأله سابي كافرة عن حليتها فقال الحسن للفرزدق إنك مع شعرك لفقيه.

و قولي فياله من لبس هي صيغة تعجب كقولهم ياله رجلا وويله إنسان ولله دره فارسا ولاشك في دخول من على هذه الصيغ إلا أن باب التعجب لما ذكر من هذه الصيغ بل لصيغتين مشهورتين وهما ما افعل وافعل به مرادي بهذا الجهبد المشمر للحرب اميرنا المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان بَاي ممدوحنا بهذه القصيدة فانه والله اتقن سوق العلم وغلاء سعره وعلا شانه وعظم اهله فجمع بحزمه بين دينه ودنياه ولم يطاوع احدا في هواه فسياسته للخاصة اشادة وللعامة سعادة بل بلطائفة المستحسنة و مقاصده الحسنة

ومما يستضرف في هذا المعنى ويضاف الى صور هذا المبنى ان عبد الله بن أبي السمط لما قال في المامون.

أضحى إمام المهدي المأمون مشتغلا ∴ بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قال له المأمون ما قلت فينا شيئا انما جعلتني عجوزا في محرابها وبيدها سبحتها فمن يقوم بامر الخاصة والعامة ومن يصادع الامور الطامة عجزت ان تقول ما قال جرير في عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ∴ ولا غرض الدنيا عن الدين شاغله

وكيف أميرنا لا يجمع الخصال المحمودة والهداية المشهودة بل خليق بكل ذلك وجدير بجميع ما هنا لك لانه ذو بديهة معجزة وبصيرة مطرزة ولا يشق له غبار ولا يجدري في مضمار، ولا اختراعه الافتكار واقتراعه الأزهار ويطلع الانوار ويبدع الازهار ضابط الملك بالآية رابط السلك بارائه فاق ابن مكدم في شجاعته وعمر في حماسته واحق ما يتمثل به في ممدوحنا المنصور بالله قول أبي العباس الدارمي في سيف الدولة ابن حمدان.

أمير العلا أن العوالي كواسب ∴ علاك في الدنيا في جنة الخلد

يَمُرُّ عليك الحول سيفك في الطلا ∴ وصرفك ما بين الشكيمة واللبد

وتمضي عليك الدهر فعلك يرتضى ∴ وقولك للتقوى وكفك للرقد

اتته الخلافة منقدة ∴ اليه تجر اذيالها

فلم تك تصلح الا له ∴ ولم يك يصلح الا لها
ولو اراد احد غيره ∴ لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه مئات القلوب ∴ لما قيد الله أعمالها

ومن قولي فيه بشري إلخ...

بشرى لأهل المغرب الأوسط أن لهم ∴ ركنا وثيقا اليه تسند الامر
لقطب دائرة الملوك قاطبة ∴ فخرهم إذا ما بالملوك افتخر
محمد الهمام المُخْشَي بوادره ∴ يحلل النصر مرتد ومتزر
كم سد خلت في سنين مجذبة ∴ واكسب الناس بعد عسر هم يسر
فالكل عمهم جوده ومعروفه ∴ كما عم الخلق بضيائه القمر
ففارق الناس داء القحط كلهم ∴ أهل القرى و أهل المدن والوبر
من كل فج اتوه لائدين به ∴ نعم الملاذ ونعم السيد النصر
اذا جفا ارضهم غيث فقالوا له ∴ بابي عثمان اخلفناك يا مطر
فالمجد والسؤدد و الحلم حيز له ∴ كَحَوْزِ ما اقتنص البزات والظفر
اذا جاورته لاتعبأ بحادثة ∴ إذا أدرعت فلا تسال عن السمر

و قولي: من لبس اللبس بمعنى اللبس من باب شرب تقول لبس يلبس لبسا بمعنى التخليط قال تعالى: "والبسنا عليهم ما يلبسون". قال المعري ابو العلاء في الصدر الاول:

وانما في لبس الفتى شرف له ∴ فما للسيف إلا غمدةُ والحمائل
نَكَبَ عن جانب طرق عواقبها ∴ لم يستشر الا السيف والقنا الدعس

نَكَبَ أي عدل عن جانب أي جهة، طرق بمعنى طرق عواقبها أي مهلكاتها وقولي ولم يستشر أي احد الا السيف فهو استثناء منقطع والقني بالقصر جمع قنات والدعس أي الشديدة ويقال ايضا للطعن ويكنى به الجماع وهذا مبالغة في قوة عزمه وحزمه ومما يليق رسمه بهذا الموضوع، وينخرط في سلك المجموع، ان المعتصم بن هارون الرشيد العباسي لما حاصر عمورية إحدى مدن الروم وطال أمره عزم صبيحة يوم ذي قروص على حربهم فقال بعض وزرائه لخادمه إذهب إلى المنجمين لعلهم يخبرونا عن حربنا هذا اليوم،فاتى الخادم من عند المنجمين بعدما نظروا في كيفية ذلك و قال للوزير، قال لك أهل التنجيم إن حاربتهم هذا اليوم هزمك الروم وأبادوكم

فقال الوزير للخليفة ذلك فغضب وازداد عزمه وقال لا بد لي من الحرب اليوم و لا استشير الا السيف فسكت الوزير وتاهب الناس الى القتال فأرادوا إيتار قوسهم فلم يقدروا لفشل ايديهم ومفاصلهم من كثرة الجليد فامر مناديا يقول كل من عجز عن الايتار فَلْيَأْتِ بالقوس لامير المؤمنين يوترها له فاوتر تلك الصبيحة اربعة الاف قوس ثم زحفت الجنود الى القتال طوعا أو كرها ففتح الله على المسلمين فتحا عظيما و أكثر الشعراء في ذلك وممن أجاد فيه أوس بن حبيب الطائي المشهور بابي تمام حيث قال:

السيــف أصدق أنباءا من الكتب ∴ في حده حدّ بيـن الجد واللعــب

بيض الصفائح لا سود الصحائف ∴ في متونهن جـلاء لـشـك والريــب

فحــكـم الســيف لا تعـبأ بعاتبه ∴ وسر بنـا سيرة تبقى على العقب

فــما تــنال بغــير السيف مرتبة ∴ ولا تــرد صدور الكمات بالكـتب

وقال سعيد بن ثابت:

اذا هــم القنى بَيْنَ عينيه عزمـة ∴ ونكـبا على طرق العواقب جانبـا

ولـم يسـتشر في امـره غير نفسـه ∴ ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

كان أبو جعفر كثيرا ما ينشد في جلسائه بعد قتله ابي مسلم الخرساني مؤسس الدولة العباسية قول بعض الشعراء:

طوى كشحه عن أهل كل مشورة ∴ وبــات يــناجي عــزمـه ثـم صمما

واقــدم لمــا لـم يـجـد مـذهـبــا ∴ ومــَنْ لـم يـجد بدا من الأمر أقدما

ما احسنهما في هذا المعنى ولم اقف على قائلهما بعد الفحص والبحث.

فائدة للسيف اسماء كثيرة منها اسمه المشهور وهو السيف ومنها المخدم ومنها الرسوب قال علقمة بن عبده التميمي :

مــظــاهر سِربـَـالَـيْ علـيهــما ∴ عــقــيــلا ســيـوف مخدم ورسوب

ومنها الحسام قال الاحوص يخاطب مطرا

فــطلـقــها لـســت لـها بكف ∴ و إلا يــعــلـو مــفرقــك الحــسام

والمشرفي كما في قول امرئ القيس:

أيــقــتلني والمشرفي مضاجعي: ∴ وَمَســْنُونـَـه زرقــاء كانياب اغوال

والضمير في يقتلني عائد على زوج سلمى ومنها القاضي والقاضب قال أبو تمام:

يَمُدون من ايد عواصي عواصم ∴ يصول باسياف قواض وقواضب

والأبيض ومن قول أبي تمام أيضا في مرثية محمد بن نهشل حين استشهد:

وقد كانت البيض القواضب في الوغى ∴ بواتر فهي الآن من بعده تبر

واما الصماصمة فهي اسم سيف كما قال الشاعر

حاز صماصمة الزبيدي عمر ∴ من بين الانام موسى الامين

ويقال انه من سيوف عاد بن عوص بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام. كان أبو جعفر المنصور امر الجند ان يغيروا زيهم، بان يجعلوا قلنسوات طوال ويعلقوا اسيافهم على أوساطهم ويكتب كل واحد في قميصه من عند الاكتاف "سيكفيهم الله وهو السميع العليم" فقال الجند لما استثقلوا ذلك لابي دلامة: ان أبطلت علينا هذا الزي أدَّينالك جعلا فدخل يوما على الخليفة وهو في ذلك الزي فقال له كيف أنت يا ابا دلامة فقال واي خير فيمن صار وجهه في وسطه وسيفه معلق على استه وكتاب الله وراء ظهره فضحك المنصور كثيرا وامر بتغير ذلك الزي

لايُثْنَى عن الرجاء غير مبتسم ∴ حتى يُزَاوله بالسيف والفرس

لا يُثْنَى أي لا يترك امرا يرجى نجاحه وطرق الموصل إليه غير سهلة حتى يزاوله بالسيف والخيل والمزاولة المعالجة والمحاولة. قال الشاعر:

وقال رائدهم أرسو نزاولها ∴ فكل حتف امر يجري بمقدار

والضمير في نزاولها للحرب قاله في المطول ولم يسم قائل الشعر والفرس يقال للذكر والانثى ولايقال للأنثى فرسة لكن تصغير الذكر فريس والانثى فريسة وفارس وفرسان بالفتح قبيلة وابو فراس شاعر بني حمدان وفارس واحد الفرسان بالكسر وجمعه على فوارس شاذ وفارس امة من اقدم أمم العالم وأعظمها ملوكا ونسبتهم الى فارس من ولد ايرام بن اشور ابن سام بن نوح عليه السلام، وهم أهل العراق وفارس ايضا اسم سلطان المغرب ابن ابي الحسن المريني وكنيته ابو العنان وكان ابو زيد سيدي عبد الرحمن بن مخلوف من كتاب السرّ عنده و صنف تاريخه الكبير المشهور كما اخبر بذلك في مقدمته، قال ابن مزيد:

إذا رام يحي الامر ذل صعابه ∴ وناهيك من راع له ومدبر

تنبيه كثيرا ما يعبر العلماء والشعراء بهذا اللفظ وهو ناهيك واني وجدت معناه في شرح الشريسي على مقامات الحريري ونصه يقال ناهيك من رجل وناهيك من رجل أي انه ذو نجدة وعناية ينهاك عن ان تطلب غيره فناهيك بمعنى كافيك إنتهى.

يقال فلان ناهيك به من فارس قال الحسن البصري رضي الله عنه ما كنت اظن ان الفارس يقوم مقام الف في الحرب حتى رايت عباد بن الحصين التميمي في احد وقعات دير الجماجم ومن الفرسان عمير بن الجباب القيسي وكان يدعى فارس الاسلام ومنهم الحريش بن هلال السعدي ومنهم الوليد ابن طريف الشاوي بايعته الخوارج ايام الرشيد فاستولى على نصيبين و الخابور و ما وراء ذلك فكان الرشيد يجهز له الجيوش فيهزمهم وياخد اموالهم وكان كثيرا ما ينشد في تلك الحروب:

جوركم اخرجني من داري ∴ فبعت نفسي للاله الباري

ثم وجه اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فجرت بينهم حروب عظام وقتله اليزيد في آخرها ورثته أخته بالأبيات المشهورة التي منها.

أيا شجر الخابور مالك مورقا ∴ كانك لم تحزن على ابي طريف

فتى لايرضى بالعز الا من التّقى ∴ و لا مال الا من قنا وسيوف

خفيف على ظهر الجواد اذا عدا ∴ وليس على اعدائه بخفيف

فلو كان فيه الموت يقبل فدية ∴ فديناه من سادتنا بألوف

وكان لعنترة بن شداد العبسي في الحروب ايام مشهورة ومواقف مدونة مذكورة منها يوم الفروق الذي يقول فيه:

ونحن منعنا في الفروق نساءنا ∴ نطرف عنها مشعلات عواشيا

حلفت لهم والخيل تردي بنا معا ∴ نُزاولهم حتى يهرّ العواليا

يقال هرت القوم الحرب تهره وتهره كرهته ومن أيامه يوم القرن بينه وبين بني تميم ويوم عراعر بينه وبين بني ثعلبة وغير ذلك،

ومن قولنا في ممدوحنا ابي الفتوحات المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان باي، هذه الأبيات:

سلطان وهران ما خيب قاصده ∴ زهت به وعلت اقاليم الامم

شد قواعدها بحرمه فَغَدَتْ ∴ مكفولة به لم تيتم ولم تيّم

يرثها أولاده بعده ابدا ∴ كارث آل شيبة مفتاح الحرم

فالدنيا البست الهناء بطلعته ∴ رشيدها الثاني جاءت به للعلم

عم باحسانه بدوا وحاضرها ∴ كالغيث للهضبات يروي والاكم

في قبة من نوافذ شيدت عن حسب ∴ وجعفر بن يحي بها من الخدم

وابـــن امـــامة وابـن سـعد تابعـــه ∴ وحـــاتـــم ابو دلـــف مع هـــرم
تعــودت كـفه بســط الجسام فلـو ∴ اراد قبضها لم تطعه بل تـــهـــم
ســار مسيـر زحـل فـي مـنـازلـه ∴ وهــب كالــريح في الاراضـي والاطم
شمس ظهرت في أعلى الأفق ساطعة ∴ أضاءت الخلق من عرب و من عجم
مـلـوك أقـطار الأرض هـم كواكبها ∴ شـعـاع أنـــواره وأراهـم كالـظلـم
بشـــرى فقـد انـجز الاقبـال موعده ∴ بالكوكـب السعـدي لم يفل ولم يرم
ذو المفــاخر اعـــيتـهـم مـآثـــره ∴ من دون ادنـاها وقفوا على العـــدم

ولما انشدت مثلها على هذا الروي بين يدي شيخنا سيدي محمد بيرم مفتي الحنفية في تونس وذكرت فيها البدو كهذه وكنت كسرت واو به ونونته في ظني انه منقوص فقال لي انصبه فليس هو من الاسماء المنقوصة فقلت له رايته مرات بالياء فقال لي لعل الياء التي رايتها فيها جيء بها للنسب فتنبهت عن الغفلة من هذا الامر المعلوم كانتباهي من النوم

قاد المقانب للجهاد رائدها ∴ يبغي كفاح ذي التثليث والجرس

و المقانب واحدها مقنب، وهي الكتيبة من الخيل من الاربعين الى الستين او الى المائة، والمراد بهم الجيوش والاجناد، قال ابو الطيب المتنبي في مدح سيف الدولة بن حمدان لما فتح خرشنة إحدى مدن الروم.

قاد المقانب لا يرضى استرجاعها ∴ كالموت ليس له ري ولا شبـع

هذا في الجمع و قال كعب بن زهير المزني في المفرد في مدح الأنصار

مـن اراد كرم الحيـــاة فـلا يـــزل ∴ في مقنب من صالح الانـصار

والرَّائد في الاصل الذي يتقدم القوم لطلب الماء و الكلأ، والمراد به هنا الأمير على الاجناد ورئيسها ومقدمها، فإذا حسن رجوع الضمير للمقانب ورجع مؤنثا لانه معنى الكتائب أوالقبائل. انظر مثله في الخفاجي عند قول الشفاء، قالت قريش و قال الشاعر رائدهم أرسوا نزاولها أي قال رئيسهم و مقدمهم أرسوا أي أحبسوا، ومقدمهم أرسو، أي احبسوا، نزاولها في الحرب والكفاح. قال الأصمعي كافحوهم إذا استقبلوكم في الحرب بوجوههم ليس دونهم ترس ولا غيره والتثليث لقوله تعالى "قد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة" الآية. تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، وان أردت الوقوف على ذلك انظر شرح الكبرى عند قول الشيخ السنوسي ومن هنا تعلم وجوب تنزيهه تعالى الخ وحاشية اليوسي هناك فاني رايت عدم الخوض في ذلك

احسن في هذا الكتاب، أو أنظر ابن خلدون في الخبر عن الملوك القياصرة المنتصرة من اللاطنيين و هم "الأكيتوم".

و قولي و الجرس الصوت الخفي، و في الحديث يسمعون جرس طير الجنة. الأصمعي: كنت في مجلس شعبة بن الحجاج و قد قال فسمعوا جرش طير الجنة بالشين المعجمة فقلت جرس بالسين، فنظر إلي وقال خذوها عنه فانه اعلم بهذا منا وأجرس الحلي إذا سمعت صوت جرسه، قال الحجاج :

تسمع للحلي اذا ما وسوسا ∴ وارتج في أجيادها وأجرس

والجرس بالفتح فقط الذي جرب الأمور، يقال جرسته الأمور أي جربته ومرادنا هنا صوت الناقوس وقد استعمل في كلام البلغاء واهل اللغة كثيرا. ومن ذلك ان إبن مردنيش أمير بلنسية لما ضايقه العدو بعث كاتبه ابا عبد الله ابن الآبار لأبي زكريا الحفصي عام 636 يستصرخه للمسلمين وانشد قصيدة يستحثه فيها و قال محل الشاهد وهو:

ما للمساجد عادت للعداء بيعا ∴ و للنـداء يـرى أثـنـاء ها جـرسًا

قال الجوهري في فصل النون من باب السين: نقص الناقوس الذي يضرب به النصارى لاوقات الصلاة، قال جرير.

لـما تذكــرت بالديـرين رَقَّنـِي ∴ صوت الدجاج وضرب بالنواقيص

والنقص ضرب الناقوس و في حديث عبد الله بن يزيد كانوا ينقصون حتى راى عبد الله بن يزيد الاذان في المنام وكانت ام خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز البلخي المعروف بالفهري امير العراقين لهشام نصرانية وكان قد بَنَى لها كنيسة تتعبد فيها وفي ذلك يقول الفرزدق يهجوه

الا قبـح الرحمان ظهر مـطيــة ∴ تتـهادى من دمشــق بــخالـــد

وكيف يأمّ الناس من كانت امه ∴ تــديـن بان الله ليـــس بواحـــد

بنى بيعـة فيــها الصليـب لامّة ∴ و يهـدم من بعـض منار المساجد

وذكر الطبراني ان هشام ولى خالد العراقين سنة 105 و عزله سنة عشرين وسببه أن امرأة مسلمة أتته شاكية بغلام له مجوسي وطئها غصبا فقال لها كيف وجدت فعلته فكتب حسان النبطي الى هشام بذلك فعزله وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ابن عم الحجاج و أمر بحبسه و التضييق عليه واستمر في الحبس حتى قتله ايام

الوليد بن يزيد سنة 126 بالحيرة على فرسخ من الكوفة وكان خالد من المشهورين بالبلاغة والجود وأخباره كثيرة.

حتى أقام علة أرباض وهران لا ∴ تحصى عساكره بالعد والحدس

الارباض جمع ربض وهو ما حول المدينة، قال أبو الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة

حتى أقام على أرباض خرشنة ∴ تشقى به الروم والصلبان والبيع.

و الحدس الظن و التخمين يقال هو يحدس بكسر الدال لأنه من باب ضرب، أي يقدر شيئا بالظن و حدست بسهم أي رميت و حدسته برجلي أي وطأته قال الشاعر.

بمعترك شط الحُبْيَا ترى به ∴ من القوم محدوسا و آخر حادس.

و الحدس ليل شديد الظلمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا خيبر أصبح ذات يوم بجنوده في ساحتها فخرج اليهود من المدينة بمكاتلهم ومَجَارفهم لخدمة البساتين فمن راى منهم العسكر قال محمد والخميس أي هذا محمد والجيش فقال صلى الله عليه وسلم: الله اكبر خربت خيبر إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. فخيم أميرنا المنصور بالله على وهران بجحافله وأنَاخَ عليها بكلاكله، قال الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ∴ تعددت الاسباب والموت واحد

ومن اللطائف الرقاق وغرائب الإنفاق إن صاحب البيت وهو ابو نصر عبد العزيز محمد بن نباتة التميمي السعدي قال: دق على الباب رجل يوما أول النهار فخرجت له وقلت من أنت، قال شرقي قلت ما حاجتك، قال: أنت القائل ومن لم يمت بالسيف مات بغيره الخ، قلت نعم، قال اورويه عنك، قلت نعم، فرواه ومضى.

واتى آخر، آخر النهار ودق الباب فقلت من؟ قال رجل من تاهرت بالمغرب قلت ما حاجتك قال أنت القائل ومن لم يمت بالسيف الخ قلت نعم قال اورويه عنك قلت نعم فرواه ومضى و عجبت كيف وصل إلى و حلَّ إلى أقصى المشرق و المغرب و مات صاحب هذا البيت سنة 405.

جند عرمرم لا شيء يقدم له ∴ يضيق عنه فضا الأثلاث و المفس

عَرمْرَمُ أي كثير ويقدم له أي يثبت له في الحرب والفضاء أي المتسع من الارض والاثلاَث هو الموضع الذي قتل فيه إخوة بيهس واستحيوه لصغر سنه وكانوا بعد

قتلهم اقتنصوا و حشًا و فصَّلُوا لحمه فقال بعضهم: ضلّلوا لحمكم فنطق بيهس: إن بالأثلاث لحما لم يضلل فذهب مثلا فقال أكثرهم هذا الصبي يأتينا منه شرا فلا بد من قتله فمنعهم باقية عنه فلما ذهب لامه سألته عن اخوته فقال قتلوا فقالت ولِمَ تركوك أنت، فقال لها لو خيرك القوم لاخترت فذهب مثلا ثم أخذ بثأره منهم بعد ذلك ومعه عَمُّه خالد ابو حنش وهي قصة معروفة و بيهس من أسماء الاسد و المفس موضع بازاء القيروان و قصته أن معاوية رضي الله عنه لما صفت له الخلافة، وَلَّي عقبة بن نافع الفهري على المغرب فاختط القيروان سنة 47 وافترق امر الافرنج وصاروا الى الحصون وبقي البربر بضواحيهم الى ان ولي يزيد بن معاوية فولى على افريقية ابا المهاجر المولى ورئيس البربر يومئذ كسيلة من البرانس ويرادفه سَكَرْ دِير بن رومي من أوربة اسلما أول الفتح ثم ارتدا لدين النصرانية وعند ولاية أبي المهاجر اجتمع اليهما البرانس وزحف إليهما أبو المهاجر حتى هزمهما الى يَسْرِ بإزاء تلمسان وفضَّ جمعهم فظفر بكسيلة فاسلم وأطلقه ثم ولي عقبة بعد أبي المهاجِر ثانية على افريقية وزحفت اليه جموع البربر بالزاب ففضّهم ثم تراجعوا الى السرسو قبلة تاهرت فهزمهم أيضا وسار على تبعهم حتى دخل المغرب الاقصى واطاعته غمارة الى ان وصل الى وليلي وجبال درنة غربي مراكش فَحَاصَرَهُ المصامدة أهلها فنهضت إليهم زناتة من المغرب الاوسط فأفرجوا عن عقبة واثخن فيهم حتى اسلموا ودوخ بلادهم ثم جاوز إلى صنهاجة أهل اللثام فأتخن فيهم وانتهى الى ترودانت فاثخن فيهم و في مسوفة وراء السوس وسبى منهم ورجع وكسيلة أسيرا معه وذلك لما قدم في هذه الولاية الثانية سنة 62هـ، اطلع على أبي مهاجر صحبة كسيلة واوثقه واخذه معه الى ان انتهى الى البحر المحيط وقد دوخ البربر كلهم كما مر وزاد الشيخ علي بن ثابت في شرح البردة ان عقبة بن نافع الفهري، خاض فرسه في البحر المحيط حتى وصل الماء الى ركبة الحصان ثم وقف وقال اللّهُمَّ انك تعلم لو لا هذا البحر منعني لعبرت الى جهاد اعدائك بالأندلس ثم رجع وهو في كل ذلك يستخف به أي بكسيلة وامره يوما بسلخ شاة بين يديه فدفعها كسيلة الى غلمانه وارغمه عقبة ان يتولى سلخها هو نفسه وانتهره فقام اليها مغضبا (كذا) وكلما دحس يده في الشاة مسحها بلحيته وقال العرب ما هذا يا بربري وهو يرد عليهم هذا جيد للشعر فقال شيخ منهم البربري يتوعدهم بمكيدة وقد كان أبو المهاجر ينهى عقبة عن اهانته واعتقاله وقال له كان صلى الله عليه وسلم يستألف جبار العرب و انت تعمد إلى رجل جبار في قومه بدار عزه قريب عهده بالشرك فتفسد قلبه وَخَوَّفَهُ فتكه فتهاون عقبة من قوله فلما وصل طبنة قافلا عن هذه الغزوات الطويلة صرف العساكر افواجا ثقة بما دوخ

من البلاد فارسل كسيلة إلى قومه فقتلوا عقبة واصحابه كلهم رضي الله عنهم ولم يفلت منهم احد و كانوا ثمانية و ثلاثمائة من الصحابة و التابعين و منهم أبو المهاجر فأبلى بلاءا حسنا وقبورهم بارض الزاب الى الآن وقد جعل على قبر عقبة مسجدا عرف باسمه تصلى فيه الجمعة، وبنيت المدينة حوله وهو من الأضرحة المشهورة بالبركة والزيارة و أُسِر من الصحابة يومئذ محمد بن اوس الأنصاري ويزيد بن اخلف القيسي وما بقي معهما ففداهم ابن مصاد صاحب قفصة وبلغ الخبر زهير البلوي بالقيروان فخرج هاربا بجلّ المسلمين، و نزل برقة و قام ينتظر المدد من الخليفة و دخل كسيلة القيروان و أمن فيها أهل الإثقال و الذراري من المسلمين و بقي ملكا على إفريقية مدة خمس سنين، لما قارن ذلك مهلك يزيد وفتنة الضحاك بن قيس الفهري بمرج رابظ مع ما اتصل ذلك من حروب آل الزبير رضي الله عنه فاضطرب امر الخلافة واضرمت المغرب نارا وفشت الردة فيه فلذلك قال الشيخ محمد بن ابي زيد "و ارتد أهل المغرب اثنا عشر مرة ولم يرسخ الايمان في قلوبهم الى ان قطع طارق بن زياد الى الاندلس وقطع معه كثير من رجالهم وفتح الله عليهم فعند ذلك ايسوا من الكفر "انتهى. واستمر ملك كسيلة بافريقية الى ان صفت الخلافة لعبد الملك وكان زهير مقيما ببرقة منذ موت عقبة وأصحابه فبعث إليه عبد الملك بالمراد فزحف بالاف من جنود طالبا ثأر عقبة و زحف إليه كسيلة بجنود عظام فالتقوا بمفس من نواحي القيروان واشتد القتال ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومنح الله العرب أكتافهم فقتلوا منهم ما لا يحصى و كان ذلك سنة سبع و ستين (67) ثم صاروا يهزموهم بعد ذلك المشهد جمعا بعد جمع الى واد ملوية فحينئذ ذل البربر وحصد العرب شوكتهم و قتلوا فرسانهم و استولى العرب على وليلي وهي بين فاس ومكناسة بجانب جبل زرهون ومن ثم اتصل تدويخ جيوش القيروان وان للمغرب مرة بعد أخرى إلى أن نزل عليهم ادريس الاكبر رضي الله عنه فبايعه البربر وقاموا بأمره فتم له الملك و لأولاده إلى أن ظهرت دولة الفاطميين ملوك المهدية والله غالب على أمره لا اله الا هو.

هلا هنيئا له التمكين ساحتها ∴ سلا هب كسبت الاوعار والوعس

سلاهب جمع سلهب قال الجوهري السلهب من الخيل الطويل ويقال بالصاد ايضا ووصف اعرابي فرسا فقال إذا عزّ سلهب واذا قيد جعلب، و إذا إنتصب أتلأب و الوعر المكان الصعب ضد السهل والوعس يقال ارض وعسا أي لينة سهلة و المعايس الأرض التي لم تطأ و أو عسنا مشينا ليلا

و مما يستضرف في هذا: أن يزيد بن المهلب أغزاه سليمان بن عبد الملك أذربيجان فظفر و سبى فحصل لرجل من جنده جارية جيدة فكتب إلى زوجته يقول

ألا أبلغ أم البنين وقل لها ∴ غنينا واغتنينا السلاهبة الجرد

بجيد مناط المنكبين إذا جرى ∴ و بيضاء كالتمثال زينها العقد

فــهـــذه لايـــام العــدو وهـــذه ∴ لحاجة نفسى حين ينـــصرف الجند

فلما قال كتبت اليه هذين البيتين

إلا أقراه السلام مني وقـــــل له ∴ عـنــيــنا واغــتنـينا القــطارفـة المرد

فلا قفل الجيش الذي انت منهم ∴ وزادك رب النـــاس بــعـــدا على بعد

فلما وقف على ما قالت خاف الفضيحة، لما جبل على النساء، من الغيرة وبعث إليها الجارية تخدمها والاجرد في الخيل الذي رقت شعرته وقصرت وهو ممدوح في الخيل والجريد فضاء لا نبات فيه وموضع بارض تميم

وقولي هنيئا هذا دعاء منا لأميرنا المنصور بالله وشاع هذا الدعاء في اشعار العرب فمن ذلك ما كتب به بدران الى اخيه الأمير دَبيس بن سيف الدولة وهو نازح عنه

ألا قـل لمنصـور وقـل لمســيـب ∴ وقل لادريس إنـني لغريـــــب

هنيئا لكم ما في الفرات وطـيبة ∴ اذا لم يكن لي في الفرات نصيب

فكتب اليه دبيس

ألا قل لبدران الذي جاء نازحا ∴ الى ارضه والجد ليس يخـيـب

هنيئـا لايـام السـرور فانمــــا ∴ عذار الاماني بالهموم يشـــيب

أي ملأ الساحة وهران بالابطال وغلب الرجال ولما وفد عامر بن طفيل العامري الأعْوَرَ أحد فرسان الجاهلية المشهورين على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا عامر ألاَ تكف عن جحودك قال على شرط أن تجعل الأمر من بعدك لي، فقال صلى الله عليه وسلم ذلك لله تعالى، ولكن اولائك اعنة الخيل في سبيل الله قال له عامر أو ليست هي بيدي اليوم لاملان عليك لابيتها بالف شقراء. فلما انصرف من عند النبي صلى الله عليه وسلم هو و ابن عمه أربد بن قيس فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال اللهم اكفني عامر بن طفيل فاخذته غدة فمات في طريقه في بني سلول ولما حضرته الوفاة قال غدة كغدة البعير وموت في بيت إمرأة سلولية. ومما قلت في المنصور بالله:

كثيرا ما تراه نحو وهران غازيـا ∴ بجند عرمرم الى الـــروم فاجـــع

يقود الجيوش كل حين اليهـم ∴ فكانت له مع الاعداء وقائـــع
ترى كل بطريق وان كان قومهم ∴ بقصر امامنا لنفسه باخـــــع
فان ابعدوا يوما لاجـل رعـاية ∴ او مُحْتَطَبٍ تخطفتهم زعـــازع
من فرسان إسلام ضراغم غـارة ∴ حماة كـماة كالصـقور صـــوادع
من جند أمـير المؤمنـين محـمـد ∴ وكل فتى شهيم في قرنه طامـــع
يرثـون العلجات حــزنا ونكبـة ∴ وشق الجيوب فاقدات البراقـــع
ملوك بني خاقان قد علا مجدهم ∴ بـملك همـام للمـآثـر جـامـــع
بملـكه زاد الملك حسـنا وبهجة ∴ وكوشى ثياب حسنة الصـنـائـع
فانــه قطــب دائــرات تملوكهم ∴ وقد حاز قصب السبق ليس بدافـع
سليم بن عثمان كَهُوَ في عــصره ∴ أوائــل عاشــر وآخر تاســـع
وقام فيها بأمر الله منتـــصرا ∴ كالصارم آهتز او كجـود منجـــبس

أول آية نزلت في الجهاد قوله تعالى "اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير"

قال ابن عباس وابن جبير نزلت عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة وآية الامر به هي قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يَلُونكم من الكفار"، وقالت جماعة من المفسرين معنى هذه الآية ان الله تبارك وتعالى امر فيها المؤمنين ان يقاتلوا كل فريق منهم الجنس الذي يليه من الكفرة وقولي كالصارم اهتز الصارم من اسماء السيف أي قام على وهران محاصرا لها ومضايقا لأهلها شمَّر ذلك تشمير المجد واهتز اهتزاز مهند قال الحطيئة:

"معيد ومتلاف اذا ما اوتيته ∴ تهلل واهتز اهتزاز المهنـــدي"

والجود بفتح الجيم وسكون الواو وبالدال المهملة المطر الغزير ومعنى منجبس أي منفجر فكان جوده وسع الغزاة والجنود ومعروفه عم الصفات والجود كما قال الشاعر في خلاد بن عبيد الله القيسري:

تفرعت لي بالجود حتى نعـــشتـني ∴ وأعطيتني حتى حسبتك تلعـــب
فانت الـندا وابن الندا واخوالنـــدا ∴ حليف الندا ما للندا عنك مذهـــب

وكان امرينا في جوده لا يجاري وفي شدة باسه لا يصاري فكان ذلك في جانبه مشهور كتميم او باديس بن المنصور، وكان هذا باديس أمير افريقية والمغرب من قبل

سلطان مصر الحاكم العبيدي وكان باديس إذا هَزَّ رمحا كسره. مات سنة 406 أربعمائة و ستة، وسبب موته انه حاصر تونس لما فتكوا باهل جنده من الشيعة وعزم على خرابها وقال تبقى ارض تحرث ولا تبقى تونس وعرضت عليه عساكره من اول النهار الى نصفه فسر بذلك، ففزع أهل تونس إلى ولي الله سيدي محمد بن خلف المشهور بسيدي محرز سيد تونس وتضرعوا اليه في ذلك، فقال لما قالوا له ما قال باديس "بل تبقى تونس ولا يبقى باديس" ثم قال" اللهم يا رب باديس اكفنا باديس" فمات من ليلته ودار ملكه إذ ذلك القيروان فَحُمِلَ إليها، هذا الذي رويته بتونس في ذهابي للحج ببعض التواريخ من إن حصاره كان على تونس وقال ابن خلكان ان ذلك وقع في محاصرته لبعض قرى طرابلس و الله أعلم. وتوفي الشيخ محرز سنة 413 وعلى ضريحه في تونس مشهد عظيم وهو سبب رسالة ابي زيد لانه هو الذي أمره بوضعها ومات الشيخ إبن أبي زيد سنة 396 ثلاثمائة و ستة و تسعين من القرن الرابع نفعنا الله بهم أمين. ولما وصلت رسالته الى ابن زرف بفاس لم يعتن بها ولما وصلت الى القاضي اسماعيل بن المسيب ببغداد وإبن القصار والقاضي عبد الوهاب وغيرهم فاعتنوا بها وعظموها فكانت تباع المائة دينار ذهبا ومما ينخرط في هذا المبحث في فنون الجود أن أبا الفرج الموصلي لما ضاقت به الحال عزم على قصد ابن زريق وزير مصر وعجزت قدرته على نفقة زَوْجَته بَعْدَهُ،كتب إلى الشريف ضياء الدين الحسيني نقيب العلويين بالمَقْصَر الموصلي بهذه الابيات:

وذات شجو ارسال البين عبرتـــــها ∴ فقامت تؤمل بالتقييد أمســـــاكي

من لي اذا غبت في المحل قلت لهــا ∴ اللــــــه وابــن عبـد الله مَـوْلاَك

فتكفل الشريف المذكور بجميع ما تحتاجه الزوجة إلى أن قدم ثم انقلب من مصر بمال كثير واشتغل يدرس بحمص وقال الكاتب في الخريدة في شأن أبي الفرج ما زلت وانا بالعراق، إلى لقائه مشتاق فاني كنت اقف على قصائده المستحسنة ومقاصده الحسنة وشهدت كفايته وسجلت بان أهل العصر لم يبلغوا الى غايته. فلما حاصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي حمص خرج إليه أبو الفرج المذكور فقدمته الى السلطان وقلت له هذا الذي يقول في قصيدته الكافية التي مدح بها بن زريق:

المدح لترك ابقى الفضل عندهــــــم ∴ والشعر لا يزال عند الترك متـــــروك

قال فاعطاه السلطان وقال حتى انه لا يقول متروك ثم مدح السلطان بقصيده يقول في اولها:

قال للبخيلــة بالسلام تورعــــا ∴ كيف استحليت دمي ولم تتـــورع

وزعمت ان تصلي بعام قابـــــل ∴ هيهات ان ابقى الى ان ترجــــع
ما كان ضرك لو غمزت بحاجـب ∴ يوم التــفــرق أواشـرت باصبـــع
مات ابو الفرج سنة 580 قال المؤلف رحمه الله تعالى
ثغر لمغراوة حَلّوه سابقة ∴ على يد الأموى سلطان أندلس

وقولي ثغر بدل وهران انه بدل مطابق والثغر هو الذي يكون على سيف البحر بكسر السين أي ساحله يقع الخوف من العدو فيه كعسقلان ودمياط بدال مهملة وحكى بعض اعجامها ذكره السيوطي وهاذان الموضعان مشاهد فيهما الخوف إلى الآن وأكثر خوفهما من أهل مالطة أذلّهم الله وأهلكهم ولهم شهرة بذلك الساحل كما حدثني بذلك صاحب القريحة الوقادة، والبصيرة المتقدة خاتمة العلماء والادباء ورئيس الشعراء والخطباء: أخونا سيدي محمد المسيري[118] عالم الإسكندرية وقال لي أن عسقلان الآن خراب وان اهل دمياط لهم اعتناء بالقراءة حتى أنَّ فيهم ستين امرأة محققات القرآن حفظا و إمعانا و تحقيقا واتقانا و من الثغور المشهورة: صور وطرسوس والإسكندرية ونحوها من السواحل التى يتوقع فيها خوف العدو وليس من ثغور. جدة بضم الجيم لان الثغر محل رباط وانما هي محل تجارة. قال ابن عرفة: إذا ارتفع الخوف عن الثغر لقوة الإسلام به أو بعده عن العدو زال حكم الرباط.

تنبيه: اختلف إذا سكن بأهله في محل الخوف هل هو رباط الذي اختاره الباجي أو ليس برباط وهو قول مالك، قولان. وقولي لمغراوة هذه القبيلة هي إحدى القبائل الكبار من برابرة المغرب و كان لهم ملوك ورؤساء و عمال من قبل الإسلام. قال ابن خلدون و كان لمغراوة ملك كبير أدركهم الإسلام عليه و قال في موضع آخر و كان دين البرابرة المجوسية، و في بعض الأحيان يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم فقد نقل ابن الكلبي أن حمير أبو القبائل ملك المغرب مائة عام و بنى بها مدينة صقلية، وأن الروم كانت تغزوهم و خربوا قرطاجة و هي التي بين تونس و البحر مما يلي الشمال، ثم جددوا بناءها بعد تخريبها سنة 900 تسعمائة من بنائها و 700 سبعمائة لبناء رومة لأن بناءها الأول كان قبل بناء روماش لرومة إثنين و سبعين سنة (72)، و باسمه سميت رومة و أول من بناها ديدون بن أشياس من نسل عيصوا بن إسحاق عليه السلام و هي قاعدة إفريقية و لم يذهب رسمها إلا في وسط القرن السابع لما أمر بتخريبها المنتصر الحفصي ممدوح حازم صاحب المقصورة ثم إن الروم إختطوا سبيطلة قبلة الكاف و جلولة و مرناق و غيرهما من المدن التي خربها المسلمون، و قد كان البربر لما غلب عليهم ملك الروم و بنوا هذه المدن دانوا بدين النصرانية. و أدوا

[118] نسخة أ: محل رباط المسلمين وجدة ليست محل رباط وإنما هي محل تجارة

إليهم الجباية كما يؤديها لهم ملك طرابلس و الأندلس والسكندرية و غيرهم لأن الروم كانوا غلبوا على هؤلاء أجمع و عنهم أخذوا دين النصرانية فولّى الفرنجة أمراء إفريقية و لم يكن للروم بها ولاية و ما يوجد في كتب فتح إفريقية من ذكر الروم فمن باب التغليب و "جرجير" الذي قتله سيدنا عبد اللّه بن الزبير رضي اللّه عنه إفرنجي و بعض البربر يدينون بدين اليهودية جلبوه من بني إسرائيل و هم إجراوه أهل جبل أوراس و نفوسة قبدلاوة و مديونة حتى محى إدريس الأكبر جميع أديانهم واستمر استيلاء الإفرنج على البربر إلى أن زحف إلى إفريقية عبد اللّه بن سعد بن صرح أحد بني عامر بن لؤى في زمان عثمان رضي اللّه عنه و قد كان أخوه من الرضاعة فولاه مصر ثم أمره بغزو إفريقية سنة (29) تسع و عشرون و قد أتى معه إلى الغزو من الحجاز أربعة آلاف 4000 من الصحابة و أولادهم رضي اللّه تعالى عنهم فيهم عبد اللّه و عاصم ولدا عمر بن الخطاب و عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب رضي اللّه عنهم كما ذكره ابن خلدون و غيرهم و كان جرجير ملكا بين طرابلس و طنجة ودار ملكه سبيطلة فلقي المسلمين في مائة و عشرين ألف و المسلمون في عشرين ألف فكان من هزيمة الصحابة لهم وما نفلهم اللّه من أموالهم و بناتهم التي اختصت منهن إبنته أمينة بقاتله عبد اللّه بن الزبير لعهد المسلمين له بذلك بعد الهزيمة و في بعض التواريخ أن جرجير قال من قتل أميرهم إبن سعد فله ابنتي فلما سمعها ابن سعد قال للمسلمين من قتل جرجير فله ابنته فلما قتله ابن الزبير سكت و لم يدع قتله فلما اجتمع السبي قال الأمير: من قتل جرجير فليأخذ ابنته فلم يجبه أحد قالت إن الذي قتل أبي أعرفه فعرضوا عليها العسكر فخرجت على ابن الزبير فقيل له لِمَ لم تتكلم فقال إنما قتله للّه لا لإبنته ثم إن الأمير عبد اللّه بن صرح قسم الغنيمة و بعث الخمس مع ابن الزبير المبشر بالفتح فأخذ برقة بعبيده و حشمه فمات أكثر الإبل ببرقة حتى صارت أمينة تعاقب خادم ابن الزبير على بعير فكان اذا ركبت عقبتها قال لها ذلك الخادم يا ابنت جرجير تمشي عقبتك لتحملن من قبل قربتك ان عليك بالمدينة ربتك فلما فسر لها ذلك أنفت من ان تكون أمة لغيرها فسقطت على راسها من فوق البعير فماتت ببرقة هذا تحقيق امرها بلا منازع ودع عنك ما سواه فهو جعاجع. ثم إن ابن صرح بعد قسم الغنائم شنَّ الغارات في بطائح افريقية، ثم لقيتهم مغراوة ببعضها ووقع بينهم حرب عظيم ثم انهزموا وتقبض المسلمون في تلك الهزيمة على اميرهم وانزمار بن صقلاب جد بني خزر فرفعوه الى عثمان فاسلم على يديه ومن عليه واطلقه في امارته فذلك سبب اسلام مغراوة كلهم ثم ان الفرنج

صالحوا المسلمين على ثلاثمائة قنطار ذهب على ان يرحلوا عنهم ففعلوا ورجعوا للمشرق واشتغلوا بفتنة الجمل وصفين وهذا القول الذي ذكرناه في شان اسلام وانزمار هو الذي خرج عليه "بغية الرواد في أخبار بني الواد" من أن مغراوة موالي عتق لبني امية مع انه ان صح لم يكن الولاء لهم إلا على بني وانزمار وحدهم ولا شك ان وانزمار لما رجع من المدينة النبوية مسلما اسلم قومه تبعا له ومعلوم انه لم يجر عليهم سبي ثم اسلموا بعده وهذا هو المتعين لان شرط صحة الملك السبي بشرط الكفر وهذا امر إتفق عليه الفقهاء و قد بسط الكلام، في ذلك الشيخ أحمد بابا في تأليف مستقل جامع و مانع. هذا، وان ابن خلدون نفسه ذكر في مو ضع آخر ما ارتضاه صاحب بغية الرواد بل هو المعول عليه عنه و يدل له أنه لما ذكر صنهاجة و نسبهم و عَدّ قبائلهم قال و لصنهاجة ولايَة لعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه كما أن لمغراوة ولاية لعثمان بن عفان الأموى رضي الله عنهم إلا انا لا نعرف سبب هذه الولاية ولا اصلها بلفظة ومن مغراوة بنو خَزْرُوم ملك طرابلس ومن مشاهيرهم سعيد الذي قتله بنوا زغبة بن هلال لما نزلوا هناك آتين من المشرق وسط المائة الخامسة ومنهم بنوا فلفول ومن مشاهيرهم خزرون الذي زحف الى سجلماسة سنة (366) ثلاثمائة ست و ستين فهزم ولد الشاكر و قتله واستولى على بلده و بعث برأسه إلى قرطبة مع كتاب الفتح للسلطان هشام المؤيد الذي أبو داود القارئ من مواليه كذلك أوّل حُجَابِهِ المنصور بن بي عامر و بقتل ولد الشاكر انقرض ملوك مكانسة من المغرب الى الآن ومنهم بنو خزر أصحاب المغرب الأوسط ومن الذين اختطوا مدينة وهران، كما يأتي من مشاهير هم محمد بن الخير واشرفهم نسبا. من ذلك ان الناصر الاموي ملك قرطبة لما ولي يعلى بن محمد الافريني المغرب الاوسط نزع محمد بن الخير من طاعته إلى طاعة الشيعة ووفد على المعز الى افريقية فوافق تجهيز المعز كاتبه جوهر المعروف بالقائد الرومي الى غزو المغرب سنة(48) ثمان وأربعين فاتى معه وكان عنده بمكانة رفيعة وهو سبب قتل جوهر ليعلى لما لقيه بتاهرت وخرب مدينته التي بناها بايفكان ولما جاز جوهر الى المغرب كان معه وحضر جميع وقائعه ولما شرق جوهر اقره على عمله وكان له مع الشيعة حروب عظام قبل تقليد طاعتهم ثم فسد ما بينه وبين الشيعة و تقلد طاعة بنى أمية و حشد جميع زناتة المغرب الأوسط ماعدا تاهرت لأنها مستمرة في عمل الشيعة إلى انقضاء دولتهم وامدّه المرواني من قرطبة بما اراد من الجند ونهض من وهران يجر الامم بحذافرها فلما سمع بذلك زيري جمع الجموع التي لم تعهد مثلها في الدهر إلا قليلا فلما اجتمعت عليه بدار ملكه أشير عقد عليهم لأبنه بلكين، **فالتقى الجمعان بالبطحاء***

* البطحاء : مدينة مشهورة في تاريخ الجزائر الوسيط تقع بين مازونة و قلعة بني راشد و يؤكد الشيخ المهدي البوعيدلي أنها "المطمر" الحالية قريبة من غيليزان.

فدارت بينهم حروب في الدهر لم يكن مثلها يوما[119] ثم آنحلَّ مصاف مغراوة وجموعهم ولما أيقن محمد بن الخير بالهلاك وعلم انه احيط به مَال الى ناحية من عسكره وذبح نفسه وانهزم قومه في سائر يومهم وبقيت عظامهم ماثلة بمصارعهم أعمرا فهلك من مغراوة بضعة عشر اميرا فاخذ بلكين رؤوسهم وانقلب بها الى ابيه ظافرا ثم بعثها زيري إلى افريقية للمعزّ فامتلأ المعزّ سرورا و غم المنتصر الأموي بقرطبة فعلا، بسبب ذلك، عَلاَ بلكين على سائر عمال المغرب و لما عزم المعز على الرحيل إلى مصر لما بنيت له استدعي جعفر بن علي عامل المسيلة لتولية إفريقية فهرب لظنه انها خديعة فلحق بمغراوة فالقوا بيده زمام امرهم وقام بدعوة الحاكم المرواني فزحف لهم زيري واقتتلوا قتالا شديدا وكان المعز ولاه جميع افريقية فكانت على صنهاجة وركب زيري فرسه فاحتزوا راسه و بعث به إلى الحاكم المرواني بقرطبة سنة 360 لست و عشرين من ولايته فأخذ مغراوة ثأرهم وشفي غليلهم وتهدم بزيري بنيان قوم

والدنيا يـــــــــوم بيــــوم ∴ والدهــر قــاضـــــي ما علـــيه لــوم

ثم نهض ابنه بلكين الى الاخد بثأره فكانت له مع مغراوة حروب صعاب و من نظر إليها يشيب لها راس الغراب ووافق ذلك رحلة المعز إلى مصر، وقلده أمر طاعته كله الى برقة فاتسعت مملكته وعلا صيته ولم يخرج من عمله سوى صقلية فاقر عليها المعز ابا الحسن الكلبي ومدينة طرابلس اقر عليها عبد الله الكتامي وسماه يوسف بدلا من بلكين فانتهت غزاته إلى أقاصي المغرب و ملك فاس وسجلماسة وطرد جميع أولياء الشعية و تقبض على ابن خزر المغراوي فقتله و فر من بقي من ملوك زناتة مثل يَدّ بن علي اليفريني و بنو عطية و غيرهم ولاذوا بسبتة و بعثوا الصريخ إلى المنصور بن أبي عامر، فخرج من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء وأمدهم بعساكر جمة وولى عليهم ابن حمدون و عقد له على حرب بلكين و أمدّه بمائة حمل من المال فاجازوا البحر و ضربوا مصاف القتال بظاهر سبتة و بلكين بعساكره في تطوان فتحيل و أضل على عسكرهم فرأى ما أدهشه و قال هذه أفعى فاغرت إلينا فاها فكرّ راجعا فهدم البصرة** و جاهد في برغواطة فسباهم و بعث بذلك إلى القيروان وأذهب دعوة بني أمية من المغرب كافة ولم تزل تارة مشردون منه بالصحراء إلى أن هلك سنة (73) ثلاث و سبعين و ثلاثمائة ومن مغراوة بنوا حمدان ملوك البصرة ومنهم بنو

---

[119] نسخة أ: لم يعد الدهر بمثلها يوما

** مدينة هي الآن خراب تقع بين فاس و تطوان

عطية ملوك فاس ومن اشهرهم زيري بن عطية وهو اسدي اختط مدينة وجدة سنة 384 ونقل دخائره من فاس اليها وياتي زيادة كلام عليها ان شاء الله ومن بني عطية الفرطاس الذي زحف الى المنصور بن بلكين فكانت على الفرطاس سنة 99 ومنهم بنو وانود ملوك صفرو و أبادهم يوسف بن تاشفين ومنهم منديل بن عبد الرحمن ملوك مازونة وتنس وعبد الرحمن هذا الذي اختط مازونة سنة 565، وابنه منديل هو الذي زحف اليه ابن غانيه يحي بن قابس وزحف اليه هو من مازونة فكان مصاف القتال بينهما بواجر فكانت على منديل وتقبض عليه يحي بن غانيه وذهب به إلى الجزائر فصلبه على سورها في أول السادس وتولى ملك مازونة ابنه علي وهو الذي وفد على ابي زكرياء الحفصي ومعه أمير توجين العباس بن عطية و سهلا عليه أمر تلمسان فغزاها وفر منها يغمراسن ثم استعمله عليها سنة 639 ولما نزل شلف آتيا إلى تونس أمر كلاّ من ابن علي والعباس ان يأخذا زي الملوك من بنود وطبول، ونجائب وغير ذلك ففعلا بما امرهما مضاهاة ليغموراسن وشجا في صدره وكذا منصور المليكشي على صفة زي يغموراسن وسلطانه ولما ولي بعد مهلك يغموراسن ابنه السعيد بن عثمان فجهز العساكر مع اخيه ابا عامر فاستلحم توجين ومغراوة وعفا رسمهم واندثر امرهم فصاروا من القبائل الغارسين إلى الآن، وانقطع الملك منهما معا والبقاء لله الواحد القهار. كما أن مغراوة وإخوتهم ملوك فاس قطع ملكهم يوسف بن تاشفين كما ياتي وما ذكرت من ان عثمان قطع ملك بني منديل وهو الذي في الحافظ التنسي في كتاب الدر والعقيان في ملوك بني زيان "مع اني رأيت في غيره، ذكر راشد بن محمد بن ثابت بن منديل ملك مغراوة في نحو سبع من القرن الثامن والله اعلم. ومن مغراوة قبيلة سنجاس وقبيلة حذو بجاية ومنهم ريغة في الزاب ومن مغراوة بنو قوط بين الزاب وجبل راشد ولهم قصر مشهور لهم ومنهم بنو "أوراء" بإزاء قسنطينة و منهم بضواحي مراكش و السرسو و في نواحي طرابلس و منهم بنو يرنان بإزاء ملوية و من بطون يرنان بنو و طاط بالجبل المطل على ملوية من القبلة و بنوا عبو أهل كرطوط والله اعلم ومنهم بنو خلوف في أسفل شلف و منهم قبيلة مشهورة بمغراوة بإزاء بني زروال من أوليائهم و علمائهم عالم وهران وصالحها سيدي محمد الهواري كما ياتي ومنهم ولي الله سيدي الاكحل المشهور بمدح النبي صلى الله عليه وسلم كشهرة ابن عروص بتونس و منهم أبو عبد الله المغوفل كان أحد أعجوبات الدهر في علمه وكراماته، يشهد لعلمه قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه و سلم فيها سبعون بيتا و ليس حرف مما يستحق النقط بل كلها عواطل من النقط و كفى به حجة وكان دقيس المضرب من نسل بني مخزوم يخدمه و خرج من نسله علماء وأولياء

نفعنا الله بهم، يعسر عدهم و من مشاهير أولياء الله سيدي محمد بن يحي المشهور مقرئ الجن و تلميذ الشيخ السنوسي وله تأليف في التوحيد و غيره و ضريحه بواد فروحة لكن رأيت تأليفا منسوبا للولي الصالح سيدي أبي زيد التوجاني ذكر فيه أن الشيخ محمد بن يحي المذكور شريف و سلمه شارحه الجوزي وَوَصَلاَ نسبه بأمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه و رضي عنه وزوجه فاطمة رضي الله عنها بنت الرسول صلى الله عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنهم و الله أعلم. و منهم الولي الصالح سيدي محمد المغراوي توفي بالقلعة أوساط القرن الثاني عشر وابنه ابو القاسم وله شهرة بتلمسان و غير ما ذكر مما لا يحصى كالشيخ الطاهر بن سيدي محمد المذكور وله باع في القراءات وأحكامه وله منظومات كثيرة على رسم القراءات العظيم أخذ القراءة و تعلمها عن الشيخ أبن زقاق العبد الوادي المستوطن في قرية الدبة أحد أعمال القلعة و فيما ذكرت كفاية و السلام.

وقولي حَلوه سابقة إلى أخره نزوله قديما كما يأتي و قولي على يد الأموي إلخ هو عبد الرحمن بن الحكم بن هاشم، الخليفة بدمشق الشام و الرصافة بالجزيرة و هو أول من أحدث الأذان جماعة، ابن عبد الملك بن مروان بن أمية بن الحكم بن العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كان عبد الرحمن هرب من بوصيرة من أعمال مصر لما قتل بها مروان بن مروان بن محمد آخر ملوكهم بالمشرق سنة 132 و أعجز عبد الله بن علي عم السفاح أول ملوك بني العباس، و بعث في طلبه عامر المُدْهَجي فلم يقف له على أثر و توجه للمغرب فلحق بمقيلة بإزاء مازونة فقطعوه من بعض مراسي أرضهم على الأندلس، فسلم إليه الأمر عمّا لهم به كعبد العزيز بن موسى بن نصير و مغيث و غيرهم واستقام أمره و علا صيته و كان موصوفا بالعقل و الفضل و العلم و العدل و كذا بنوه فإن حالهم أشبه بحاله و ساسوا الرعية على منواله ولما سمع الإمام مالك رضي الله عنه بعدلهم كثر مدحه لهم بمجالس عمله بالمدينة المنورة فكانت أحد الأسباب في أخذهم بمذهبه بالأندلس و حملوا إيالتهم عليه و إلا فأسلافهم القائمين بالشام على مذهب الأوزاعي الشامي و كان ملكهم يمتد إلى عدوتنا و تارة يقتصر على الأندلس و كان ممن أمتد له الملك بهذه العدوة عبد الرحمن الذي أسست على يده وهران و هو أول من ضرب الدراهم بالمغرب قال الشيخ إبراهيم في شرحه على مختصر الشيخ خليل في مبحث الصرف عند قول المصنف "وسلعة بدينار إلاّدرهمين". فائدة: أول من ضرب الدينار و الدراهم آدم عليه السلام وأول من ضرب الدراهم في الإسلام عبد الملك بن مروان و نقش إسمه عليها و هو أول من عمل الموازين و أول من ضرب الدراهم في المغرب عبد الرحمن بن الحكم

القائم بالأندلس في القرن الثالث وإنما كانوا يتعاملون بما يحمل إليهم من دراهم المشرق وأول من ضرب الدراهم الزيوف* عبيد الله بن زياد قاتل الحسين رضي الله عنه انتهى. وامتد ملك بني امية بالاندلس من مبدءه الى سنة ثلاثين وأربعمائة زاحمهم بنو حمود الادارسة في احدى عشر سنة مما ذكر على والمأمون ويحي من سنة أربع من الخامس إلى السنة الرابعة عشر منه وهم بنو حمود، بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله بن ادريس رضي اللله عنهم.

<u>ثالـــــث قــرن خـزر منهم قد أسسه</u> ∴ <u>وملكهم في غاية العزو الشمـــــس</u>

سنة تسعين أو إحدى و تسعين و خزر هذا كان عاملا بالمغرب الاوسط لبني أمية. فمدّن مغراوة وهران وتبحرت في العمران وعدت من امصار المغرب لا تدافع ومن احسن معاقله بلا منازع قصدها العلماء والتجار وارباب البضائع وكان مقصدا للعفات والوجوه والعساكر والجيوش ودخلها ابن خميس احد العلماء الكبار والفقهاء الأخيار، في آو اخر القرن الرابع فوقعت منه كل موقع بعدما دخل الجزائر اذ ذاك قريبة العهد بالبناء كما ياتي فقال: اعجبني بالمغرب مدينتين بثغرين وهران خزر وجزائر بلكين ومن علمائها ومحدثيها أبو القاسم الوهراني احد شيوخ ابي عمر بن عبد البر النَمْري القرطبي ومنهم ابو عبد الله محمد الوهراني الملقب ركن الدين كان دخل مصر في حدود 570 واشتهر فيها بالعلم والادب وحسن الفهم فكان قد حصل من العلوم لبابها وكشف عن الحقائق حجابها ومنهم ابو تميم الوهراني الواعظ نفعنا الله بهم

وقولي وملكهم الخ ...يقال فرس شماس أي قاسي الراس لا ينقاد لأحد. قال عمر بن معدي كرب الزبير لما علاه عمر بن الخطاب بالدرة:

اتفز عني كأنك ذُورَعِيــــنٍ ∴ بأنْعَمِ عيشة أَوْذُو نَــــــوَاس

فكم كان قبلك من عظيـــــم ∴ في ملك ظاهر الجبروت قاس

تحولت دنياه عنه فبانــت ∴ وصار لذله بعد الشمـــــاس

أي صار طائعا مذلولا بعد ما كان شماسا لا يطيع احدا و لا يؤجله نمر ولا أسد. روي أن عمر لما سمع هذا من عمر استحي ورمي له بالدرة فقال اضربني كما ضربتك فعفي عنه.

<u>سنة ست من أربع أزاحَهُمْ</u> ∴ <u>عن ذلك الثغر ازداجة مع عجس</u>.

* الزيوف: تعنى الفاسدة

و هاتان القبيلتان من بطون البرانس قوم كسيلة المتقدم ذكره يعدونهما من بطون زناتة مواطنهما بالمغرب الأوسط بناحية وهران و كان لهما اعتزاز وآثار في الحروب ومن رجالهما شجرة بن عبد الكريم و أبو ديلم بن الخطاب و لبني أبي دليم ذكر بالأندلس و من بطونهما بني مسقن منازلهم ملاصقة لوهران و تغلبوا عليها بمعونة جميع حيهم فملكوها سبع سنين من يد محمد خزر ثم بعد سبع سنين من ملكهم لها أخذها محمد من أيديهم بعد حروب وولي عليها ابنه الخير واستمرت بيده إلى أن استولى أبو عبد الله الشيعي على إفريقية سنة 296 فجهز عروبة بن يوسف الكتامي لحرب أهل المغرب فأناخ على تاهرت و ملوكها يومئذ بنو عبد الرحمن بن رستم من الخوارج الإباضية فدارت بينه و بينهم حروب طوال غلبهم في آخرها وانقرض أمرهم بها و لما اراد الرحيل عنها عقد عليها لأبي حمير دواس بن صولات الهيمي سنة 98 فاتصلت حروبه مع لماية شيعة بنى رستم ملوك تاهرت و كانت في هذه الحرب – لماية متوطين السرسو – يبلغ عدد خيولهم ثلاثين ألف 30.000 أو تزيد على ذلك فأثخن فيهم دواس و فرقهم فبعضهم انتقل إلى جبل مصاب و بعضهم إلى جبل راشد إلى غير ذلك. ثم حارب لواتة و مطماطة و كان من غلبه من الخوارج ينقله إلى الرافضية أو على رأي الشيعي المذكور ثم حارب عجيسة وأزداجة وأثخن فيهم وأخذ وهران من الخير بن محمد بن خزر و ولى عليها محمد بن عون فعمت الرافضة المغرب الأوسط ثم كان الناصر الأموي ولي يعلى الإفريني المغرب الأوسط و عقد له حرب الأرفاض فزحف إلى وهران فحاصر بها محمد بن عون وأزداجة لأنهم صاروا مع محمد يدا واحدة وعنه أخذوا الرافضية وطالت الحروب بينهم حتى تغلب عليهم و فرق جمعهم سنة 343 ثلاثمائة وأربعين و ثلاث وافتتح وهران عنوة أضرمها نارا فلحق أزداجة بالأندلس وأكثر عجيسة و بقيت وهران خرابا ثم بناها يعلي وانتقل إليها بأهله و حشمه وولده من أفكان ثم أن الخير بن محمد لما رأى وهران اتخذها بني يفري، دار ملكهم و بثوا فيها الدعوة المروانية نزع إلى الشيعة وأدى لهم الطاعة ووفد على المعز بإفريقية وأتى معه جوهر فكان ما أمر من قتل جوهر ليعلي و عقد لمحمد وهران دار ملكه إلى آخر ما مرّ. ثم أن عجيسة هؤلاء وإخوتهم إزداجة زَحَفُوا عَلَى قلعة أنكور، دار ملك بني صالح سنة ستة من القرن الخامس و خربوها و ملكوا هناك إلى أن قطع ملكهم يوسف بن تاشفين و من عجيسة الشيخ عبد الوهاب تلميذ ابن الغازي و هو الذي شرح بيت ابن الغازي و بينها وهو قوله:

صلحان عتقان و بضعان معا ∴ عمري لاَرَشَي عوض به أرجعا.

و قد علمت مما مرّ ان عجيسة هل هم بطون البرانس أولاد برّ أحد بطون أزناتة أولاد جانا و الذي رأيته للشيخ أبي المهدي عيسى بن موسى التجيني لما ذكر قصيدة الشيخ عبد الوهاب هذا في عدد البدريين المذكورين في صحيح البخاري عند قوله و المقداد ذو نجد قال أبو المهدي المذكور أي ذو نسب أي أن الشيخ عبد الوهاب من نسل سيدنا المقداد بن الأسود الصحابي رضي الله عنه فعلى هذا يكون من العرب واللّه اعلم وعجيسة بجيم مخففة قال ابن خلدون "وقوله ولم يزل محمد بن خزر متغلبا على اعمال المغرب الاوسط مقاسما فيها ليعلى الافريني الى ان اشتغل الخير وابوه بفتنة صنهاجة فتغلب يعلى على وهران الخ هذا إنما يظهر في حرب محمد بن خزر الشيعة أولا و أما حربه معهم في أخرى لما زحف إليهم ولَقِيَهُ بلكين بن زيري و آنحل مصاف مغراوة وذبح محمد نفسه إنما كانت بعد موت يعلى بسنين. نعم لما مات قام مقامه ابنه يدًا إلا انه لم يملك وهران والحاصل أن في ابن خلدون تخليط وتناقض و الصواب ما ذكرته لك لأنه زبدة ما نظرنا من الاخبار في ذلك. يَدُّ بن يعلى كان من الدهاة العظام كانه قيس بن زهير أو وزير مصر ضرغام ومن كلامه لما بعث له المنصور بن ابي عامر ليأتيه حمير الوحش فقال له "حمير الوحش لا تنقاد إلى البيطار فذهب مثلا.

<u>حـتى ازالـــــهم عنه يوسف وعلي</u> ∴ <u>كما ازالـــــهم قبل عـن أراضي فاس</u>

الضمير في ازالهم يعود الى ازداجة وعجيسة لانه أي الثغر لم يدم لهم إلى أيام يوسف بل أرجع ملكه مغراوة كما مر واستمر لمحمد بن الخير ثم لأخيه الفتح و لعقبهم إلى أن ظهرت دولة لمتونة و قهر ملكهم يوسف بن تاشفين وجميع ملوك المغرب من الجزائر إلى البحر المحيط وأخذ ملكهم و سلبه منهم فكان من جملة ذلك ملك مغراوة و المراد بيعلى وابنه القائم بالملك بعده و لـمتونة هؤلاء احد بطون صنهاجة ويقال لهم الملثمون أيضا اختلف في نسبهم ونسب كتامة فقيل من نسل برنس وقيل من اولاد زيغ اخوه هوار لامه وهي تضلي أوتضكي ولا يعرف لها أب وهذا قول ابن حزم في جمهرته وقيل من المكاسك بطن من كنزة او كندة وقال ابن الكلبي همامن اليمن غزاهم فرقيش بن صيفي الذي سميت به افريقية فلما قفل تركهما بها وهو الذي سمي البربر بها لانه لم يفهم اصواتهم قال ما اكثر بربرتكم لان البربر في اللغة الاصوات الغير مفهومة ومن ذلك بربر الاسد وقال هانئ بن بكار الضريسي وسابق بن سليمان المطماطي وكهلان بن لوي وايوب بن زيد من نسابة البربر ان البربر فريقان البرانس والبتر فالبتر من ولد قيس بن عَيْلَان و البرانس بنو

بر من نسل دام من مازيغ بن كنعان بن حام قال الطبري خرج برّبن قيس فارا من اخيه عمر الى البربر فتزوج فيهم وانشد عالم البربر عبيدة بن قيس العقيلي

فاقســـم انا والبـربر اخـــــوة ∴ تمـامـا وهم جـــد كـريم المناصـــــب

وقال البكري أن لمضر ولدان الياس وعيلان وأمهما الرباب بنت حيد بن عمر بن معد بن عدنان، من ولد عيلان قيس وَولد قيس بَرَّ فتزوج بنت عمه "البها" بنت دهمان فحسده اخوته فذهبت به امه الى البربر لانهم كانوا بالشام يجاورون العرب فولدت له مادغس ومادغس يلقب بالابتر وهو ابو البتر من البربر وجميع زناتة من ولده ولابن عبد البر إن البربر من ولد قبط بن حام قال ابن خلدون والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره انهم من لد كنعان بن نوح وان جدهم يازيغ واخوته كريكس وفلسطين وان ملكهم جالوت و جالوت ليس من البربر وانما هو من اخوتهم فلسطين فلا يعقبن في وهمك غير هذا. وان صنهاجة وكتامة من اليمن من بنى حمير وأول من اخرج البربر من الشام داوود عليه السلام أوحى الله إليه: ياداوود أخرج البربر من الشام لأنهم جُذَام الأرض رواه ابن الكلبي و منازلهم من الإسكندرية إلى البحر المحيط وجرت لهم الحروب مع الافرنج ثم اصطلحوا على ان السواحل للإفرنج و لهم الضواحي و الجبال حتى جاء الإسلام و كان منهم من تهود و منهم من تنصر ومن تمجس ومنهم من يعبد الشمس، و منهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد الاصنام، وأكثرهم صنهاجة إلى الآن لا يكاد قطر من أقطار المغرب يخلو من بطن من بطونهم حتى قيل انهم ثلث البربر من ولد صنهاجة بن شرين بن بر ونقل ابن النحوي مؤرخ دولتهم انهم من ولد صنهاج بن المثنى بن المنصور بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير الاصغر بن سبا تنتهي بطونهم إلى سبعين بطنا و ذكر الطبري أن بلدهم مسيرة ستة أشهر و منهم بلكانة مواطنهم بين المغرب الأوسط و إفريقية وهم أهل مدن و منهم ثابت بن وزريدن عقب على إفريقية أيام السفاح و الملك في ثلاثة فرق منهم الأولى بلكانة ملوك إفريقيا و الأندلس أيام الطوائف ومنهم مناد مقيم دعوة بني العباس وابنه زيري الذي مَرَّ ذكره. ولما ملك الشيعة إفريقية تحيز إليهم للولاية العباسية التي لعلى رضي الله عنه وأرضه، من المسيلة إلى حمزة فلذا اختط مدينة أشير بسفح جبل تيطري و حصنها بأمر المنصور العبيدي واتسعت خطتها ورحل إليها العلماء و هي الآن خراب في طرف أرض بني مقران مما يلي المغرب واختط ابنه بلكين بأمره الجزائر في أواسط القرن الرابع وكانت قبل فيها

خصاص[*] يسكنها بنو مزغنة وما في الجامع من أن الجزائر بناها ملوك الأتراك قصور. وكذا اختط بلكين ابنه أيضا مليانة في خمس وخميس من الرابع بإذن أبيه أيضا و المدية في ذلك التاريخ و هذه المدن التي بنتها ملوك صنهاجة من أعظم مدن المغرب الأوسط لهذا العهد. مات زيري سنة 360 وابنه بلكين الذي بنى هذه المدن مات سنة 73 كما مرّ ثم قام بأمره ابنه باديس بن بلكين ومر سبب موته ثم قام بالأمر المعز بن باديس بويع ابن ثمان سنين وضخم ملكه و عظم أمره وما يشهد لضخامته أن عامل باغاية أدى له مائة حمل من المال وان بعض تراتيب أهل بيته من العود الهندي بمسامير من الذهب وأن باديس أعطى فَلْفُولاً المغراوي لما انقطع إليه ثلاثين حملا وثمانين تختا من الثياب و عُشْرَ ساحل صفاقس ثمانون ألف قفيز وكان سنيا ولذا بعث له المنصور العرب و جرت الوقعة المشهورة بينهم بظاهر القيروان. فكان هو أحد أسباب دخول العرب القيروان ولما قدم ابن عمه زاوي من الأندلس، و كان ملك غرناطة واستخلف على ملكه ابن أخيه حابوس سنة عشرين وأربعمائة سلم له من دار الملك بالقيروان 1000 امرأة كلها لا تحل له وهو، أمر غريب ثم ملك بعده ابنه تميم وهو الذي مدحه ابو علي بن رشيق بقوله:

أصح وأَعْلاَمَا سَمْعًنَا في الندا ∴ من الخبر المنشور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الجبال ∴ عن البحر عن كف الأمير تميم

وتوفي سنة 501 وقبره في قصر السيدة بالمسيس ومدة ملكه سبعة و أربعين سنة (47) سنة وخلف اكثر من مائة ابن و ستين بنتا وفي ايامه ملك نصارى جنوة المهدية سنة 80 فبذل لهم تميم 100.000 ألف دينار فخرجوا منها ثم ولى ابنه يحي واستمرت دولتهم الى ان انقضت بآخر هم الحسن بن علي بن يحي بن تميم بن المعز في حدود سنة 66 من القرن السادس ولما ضعف أمرهم ارتحل بأهله يريد مراكش بإذن يوسف بن عبد المؤمن فمات بتامسنة في طريقه والله وارث الارض ومن عليها. الفرقة الثانية من صناهجة لمتونة وهم الملثمون ومساكنهم بين البرابرة و السودان قوتهم الألبان و الأنعام و نحوها و تميزوا باللثام من بين الأمم و هم بطون و مساكنهم ما بين البحر المحيط بالمغرب الى قبلة برقة وهم الذين يقال لهم التوارق واهل غانة من السودان "سرق" وكان دينهم المجوسية ثم اسلموا بعد فتح الاندلس وكان يتلوتان من ملوكهم يركب في مائة ألف نجيب ويؤدي له الجزية عشرون ملكا من السودان مات سنة 222 ومر لنا سبب تسميتهم بالمرابطين ومن اشهر ملوكهم يوسف بن تاشفين فاول حربهم مع مسعود بن واندود ملك سجلماسة فقتلوه ونهبوا عسكره

[*] خصاص: أكواخ

وأخذوا البلاد عنوة وقتلوا ما بها من مغراوة واسقطوا المغارم والمكوس ونشروا العدل الذي لم يكن بعده مثله آخر الدهر وكانوا يشاورون العلامة وايجابي اللمطي تلميذ أبي عمران الفاسي ويقفون عند امره ونهيه وكان من اعيان الاولياء. هلك يحي بن عمرو سنة 247 وقدم اخوه ابو بكر ففتح سوس، وماسة وترودانت واغمات وهرب اميرها لقوط المغراوي ثم استباحوا تادلا وقتلوا بني يفرن ملوكها وقتلوا برغواطة أهل تامسنا وكانوا اشد كفرا وفي حروبهم استشهد شيخهم عبد الله بن ياسين تلميذ وَايجابي سنة خمسين فاستأصلوا برغواطة واخذوا عقيلتهم* زينب ثم ارتحل ابو بكر الى الصحراء واستعمل ابن عمه يوسف بن تاشفين فدعا لبني العباس، وقد نزل له عن زينب لما كرهت ارض الصحراء وجاهد ابو بكر في السودان حتى استولى على تسعين مرحلة من بلدهم ثم ان يوسف بن تاشفين دوخ أرض المغرب وقطع ملك بني عطية من فاس بعد ماقتل منهم ثلاثة آلاف (3000) أو أزيد وقطع ملك بني الخير من وهران وقطع ملك بني واندوس في صفرو وكلهم مغراوة ثم اختط يوسف بن تاشفين مدينة مراكش سنة أربع و خمسين واربعمائة ونزلها بالخيام وزاد سورا على مسجد الصلاة و قصبة صغيرة لاحتراز أمواله و كمل تشييدها على يد ولده وهو الذي حمل أهل فاس على استكثار المساجد وكان قبله مساجدها في غاية القلة وامتد ملكه إلى الجزائر و بسط العدل أتم بسط و غزا الأندلس فأوقع بالكفرة في الزلاقة الوقعة المشهورة التي زينت لها بغداد و الحرمين و غيرهما من مدن الشرق و شاع خبرها إلى "مرة" [120] قاعدة من مدن الهند و بعث له الناصر العباسي خرقا كثيرا يقصر عنها الوصف وقطع ثوار الأندلس مثل ابن عباد و غيره و مات رحمه الله و نفعنا ببركاته على رأس المائة الخامسة و كان قتل من كفرة برغواطة سبعة ألاف و ثلاثمائة 7300 عند صخرة معلومة هناك رحمه الله و في الجنة مأواه ثم ولى ابنه "علي" فكان خير ملك ودولته عزة الإسلام كان فقيها عالما فاضلا و في أربعة عشر من ولايته ظهر أمر المهدي و في ثماني و عشرين منها كمل بناء مراكش وأمر بحرق كتاب الأحياء أغراه عليه أبو القاسم بن حمدين و يقال أن ابن رشد و القاضي عياض وافقاه ولذا قتل الموحدون القاضي عياض بالحمام بدسيسة، و مات عَلِيٌّ سنة سبع و ثلاثين بعد ما جاهد في الله حق جهاده بالأندلس و قام بأمره و لده تاشفين وأخذ بطاعة أهل العدوتين، كأبيه وجدّه واتصلت حروبه من أول أمره مع عبد المؤمن بن علي إلى أن فرّ إلى وهران في مواحدة ابن ميمون قائد أساطيله بالبحر و حاصره الموحدون فلما علم أنه لا طاقة له ودع أصحابه و خرج ليلا

---

* عقيلتهم: ملكتهم

[120] نسخة أ: سُرّة

على فرس عتيق أقحمه في الأوعار في طريقه فتردى به في بعض الأخاديد فوجدوه ميتا صبيحة تلك الليلة أي عيد الفطر سنة إحدى و أربعين فصلب على جذع واستأصل القتل على أصحابه رحمهم اللّه و قد هرب بعضهم للنهر المنحدر من رأس العين فأضرم النار الموحدون في الوادي و كان مشعبا فمن بقي احترق ومن خرج قتل و لما بلغ مراكش الخبر بايعوا ابنه إبراهيم ثم خلع وبويع عمه إسحاق بن علي ثم وصل الموحدون إليها فخرج إليهم في خاصته فقتلهم الموحدون في مجلس عبد المؤمن فانقرض أمر بني تاشفين إلى الآن ولكل بداية نهاية. فاستولى الموحدون على المغرب أجمع ثم جاز عبد المؤمن إلى الأندلس سنة إحدى و خمسين وقتل كافة أمراء لمتونة وهرب جلهم إلى ميورقة شرقي الأندلس. الفرقة الثالثة من صنهاجة اولاد غانية بنت عم يوسف بن تاشفين وأبوهم من مَسُوفة مسوفي من بطون صنهاجة يقال له علي بن يحي من الشجعان و له من غانية محمد و عيسى فولى على بن يحي الأندلس، و محمد شرقه كميورقة و يابسة و غيرها. أما يحي أخذ منه ملكه و هلك وأما محمد فاستمر في ولايته الى ان هلك ثم خلفه ابنه عبد اللّه وتوارثوا الملك بشرقي الاندلس الى ان انتقل علي بن محمد بن علي الى بجاية ومعه اخوته يحي وعبد الله و الغازي وملوكها من يدي ابي الربيع بن عبد المؤمن سنة 581 فزحف اليه الموحدون فكان مصاف القتال بمتيجة فنهبهم علي بن غانية وهزمهم أقبح هزيمة وفتح الجزائر ومازونة ومليانة وعظم ملكه فسرح اليه يعقوب المنصور العساكر فقتلوا عماله بالمدن المذكورة و هو يومئذ محاصر قسنطينة فهرب إلى طرابلس واستنصر بقراقش الغزّي ولحق به جل قومه من لمتونة ومسوفة ففتح ارض الجريد واقام بها دعوة بني العباس كما كان يوسف وبعث ولده الى بغداد فجدد له الخليفة العهد وطلب منه الإعانة فكتب الخليفة إلى صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يمّده فكتب له صلاح الدين إلى قراقش فاتصلت ايديهما ففتحا الجريد وفي خلال ذلك مات علي ثم قام بالامر اخوه يحي فاكثر تدويخه لبلاد افريقية الموحدين مرة بعد أخرى والتقى هو و أبو محمد عبد الواحد بِصَبْرُو وافتخار بحروب شديدة وصبر الفريقان طول النهار ثم انقض جند ابن غانيه آخر النهار و أَفْلَتَ هو جريحا الى قابس ورجع ابو محمد ظافرا وأرسل للناصر بن يعقوب المنصور بالفتح لان ابا محمد عامل له على افريقية، وهو ابو الملوك الحفصيين فبعث له الناصر مائتى الف دينار و ثمانمائة (800)كسوة و ثلاثمائة 300 سيف و مائة فرس غير ما أنفد له من سبتة وبجاية ووعده بالزيادة ثم أن إبن غانية غزا تلمسان فقارن ذلك وصول أبي عمران بن يوسف بن عبد المؤمن إلى تاهرت وهو والي تلمسان فأصَابَهُ ابن غانية بها وهزم جنده وقتله و استباح تاهرت فكان

اخر العهد بعمرانها الى الآن. وامتلأت يده بالسبي فاعترضه ابو محمد فاستنقد الأسارى من يده و لحق بطرابلس ثم عزم على معاودة الحرب وبايعه أولياؤه و الذاوودة على الموت وحشد جميع قبائل طرابلس واجمعوا على افريقية فزحف اليهم ابو محمد وذلك سنة ست من قرن السابع فتزاحفا عند جبل نفوسة واشتدت الحرب فاختلت مصاف القتال ومات شيخ الذواودة مسعود البلط وابن عمه حركات وشيخ بني قرّة والغازي أمير مغراوة وغنم الوحدون من عسكره ثمانية عشر ألف 18000 من الظهر ثم إن إبن غانية زحف إلى الموحدين بعد ذلك و زحفوا إليه فكان مصاف القتال بودان فهزمهم واستولى على قابس والزاب وأطاعه أهل بسكرة ثم توجهت اليه حشود الموحدين فدخل الرمل فأعجزهم ثم إن ابن غانية غزا المغرب فأوقع بمغراوة بواجر كما مر ثم زحف الى ابن غانية إلى افريقية ومعه هوارة بظعائنهم وأبلى شيخهم بُعْرَة بن جناس بلاءا حسنا فانهزم الملثمون وابن غانية ثم زحف مرة اخرى الى تونس فملكها وعظم ملكه حتى هزم بعد حرب شديد وغزا سجلماسة و سبى وغنم ثم لما ولي ابو زكرياء صرف وجه الحرب اليه فشرده الى ورقلة واختط بها مسجده المعلوم ولما نزلها في إتباعه ولم يزل ابن غانية يدوخ الموحدين ورعايهم مرة بعد الاخرى وياخد بثار بني تاشفين إلى أن هلك لخمسين سنة من إمارته سنة 633 بشلف تحت مليانة فانقرض أمر لمتونة وباد ملكهم الى الان والبقاء لله وبقي قبائل كل صنهاجة بعد هلاك يحي من القبائل الغارمة وقال الشاعر

سأطلب حقّي بالقنـا ومشائخـي ∴ كأنـهم مـن الطـول مالـثموا مرد

ثِقَالٌ اذا لقـــوا خفافا إذا دعوا ∴ كثـيرا إذا شـذّوا قليل إذا عدوا

بطعن كأن الطعن لا طعن عندهم ∴ وضرب كأن النار من حره برد

وهم الذين قال فيهم ابن رشد هم حماة الدين. وقدولاه على بن يوسف قضاء قرطبة سنة 9 إلى سنة 12 من اوائل السادس ثم عزله وولي ابن حمدين فاستفرغ لتاليف التحصيل والبيان شارح العتيبة وخلف يحي بن غانيه ثلاث بنات بنى لهن أبو زكرياء قصرا بتونس يعرف الآن بقصر البنات أقامت تحت جرايته معظمات لوصية أبيهن بذلك لهن و حفظهن وقد يقال أن ابن عم لهنّ خطب احداهن فبعث اليها أبو زكريا وقال هذا ابن عمك و هو أحق بك فقالت لو كان ابن عمنا ما كفلنا الاجانب الى ان كن عوانس قال ابن خلدون اخبرني والدي انه أدرك واحدة منهن ايام صباه تناهز تسعين سنة فقال كانت اشرف النساء نفسا وخلقا وأزكاهن أخلاقا وأما باقي صنهاجة مثل زواوة وغيرهم لا ملك لهم اصالة وأعزهم جانبا بالمغرب اهل

الجبل المطل على تادلا وبزواوة أهل الجبل المطل على دلس وفيما ذكرنا كفاية والله الموفق للصواب

موحدون اتوا من بعـــد ذاوَ عَــلُوا ∴ استحوذوا علـــيها فـــي وســـط السـادس

وجه تسميتهم موحدون ان شيخهم المهدي بن تومرت لما ذهب الى المشرق اول عام من المائة السادسة لقي الغزالي وأخذ عنه طريق الاشعري في التوحيد واهل المغرب اذ ذاك على مذهب الحنابلة، لمتونة وغيرهم، فلما سمع به عبد المؤمن في بجاية وهو يقرأ في تلمسان وطار ذكره اهتمت الطلبة بلقائه فاول من سبق إليه عبد المؤمن فألقاه بحرا في العلوم ولا سيما التوحيد والف فيه كتابا سماه بالمرشدة لم يكن مثله فأخذ أصحابه عنه طريق الاشعري فسموا أنفسهم موحدين تَعْرِيضًا بلمتونة وغيرهم وكان عبد المؤمن قبله يقرا على ابن الخطيب الصلاة والشيخ عبد سلام الويسي ضجيع الشيخ أبي مدين رحمهما الله تعالى. وكان أبو حامد شيخه أتى مغربا لزيارة يوسف بن تاشفين فلما وصل الإسكندرية سمع به مات فرجع و ذلك قبل توجه المهدى للمشرق ثم لما سمع بكتاب الأحياء احترق بالأندلس بمشورة الأمير علي وكان وافق ذلك قدوم المهدي عليه وحقق له الخبر مد يديه في محافل نحو أربعمائة 400 من الطلبة يدعو على أهل الأندلس فنطق المهدي فقال ايها الشيخ يكن وبالهم على يديّ فقال الشيخ "على يدك إن شاء الله"، فمن ثم حدثته نفسه بالخلافة و هو من هرغة أحد بطون المصامدة ولما رجع من المشرق و اظهر أمره بالملك سنة 514 واحس به علي وقيل هذا صاحب الدرهم المربع الذي ينتظر ملكه بالمغرب.

فأراد أن يقبض عليه، فهرب إلى أغمات ثم إلى أهله فمنعوه منه ورجعوا إلى عليّ بمراكش فأوقع بهم وكاد أن يستأصل جنده. ثم أن بقية العسكر لما رجعوا له قالوا: أين ما وعدتنا." قال: لا يطلع الفجر الصادق حتى يسبقه الكاذب" وبقي على حاله من دعوى الملك إلى أن مات سنة 524 وكان استخلف عبد المؤمن فكان من خبره ما هو مشهور.

وعبد المؤمن هذا كومي من بني عابر[121]جبلهم وسط جبال أطرارة مطل على أهناي أو أحناي وبعضهم يقول إنه من عبس أحد قبائل قيس بالحجاز والظاهر الأول. وكان من العلماء الجهابدة والفقهاء الأكابر وكذلك أولاده وكان العدو قد ملك اسفاقس وسوسة وطرابلس فغزاهم عبد المؤمن حتى خلصها من العدو وأكثر من غزو الأندلس فدوخ الكفرة وقطع منهم أعمال لمتونة وفي سنة 542 أناخ على سبتة ففزعوا

[121] نسخة أ: بني عامر

إلى القاضي عياض فأجاز البحر إلى يحي بن غانية جد يحي المار في الفرقة الثالثة من صنهاجة. فلقيه بالخضراء وطلب منه واليا على سبتة فبعث معه يحي الصحراوي فكان الحرب بينهم ستة أشهر إلى أن دخلوا في الطاعة، واستعظم منصب القاضي عياض فعفا عنه إلا أنه نقله إلى بادية سالا فبقي فيهم قاضيا إلى أن مات سنة 544 وحمل إلى مراكش فدفن فيها وقبره مشهور. وقد قيل إنه دَسَّ عليه من قتله بالحمّام لأنهم اتهموه بأنه أفتى بجواز إحراق "الإحياء" وقد كان رضي الله عنه يتفرغ للعبادة، يوم السبت أخذا بالحديث:

"يا موسى تفرغ لي يوم السبت"

فكان أعداؤه الموحدون شنعوا عليه بذلك أيضا.

ثم أن ابن غانية، لما تحقق تغلب الموحدين، هرب إلى ميروقة بشرق الأندلس عند أخيه محمد وحاصرت جيوش عبد المؤمن اشبيلية واشتد القتال إلى أن فتحت عنوة وأتى القتل على عبد الله بن أبي بكر العربي من غير قصد.

ثم لَمَّا قدم إلى مراكش، وجدهم يتقدمهم القاضي أبو بكر فغزاه عبد المؤمن في ابنه وانصرف هو وأصحابه بالجوايز والإكرام وهلك القاضي في طريقه راجعا. ودفن بمقبرة فاس سنة 542 رحمه الله.

وفي سنة 546 غزا إفريقيا ودخل الجزائر على حين غفلة وهزم أهلها صنهاجة وبني مزغنة ودخل بجاية من الغد صباحا ثم سرح ابنه محمد إلى القلعة التي تعرف الآن بقلعة بني حماد قبلة مجانة وبها يومئذ جوشن ابن عبد العزيز، ففتحها وحرقها وقتل جوشن وثمانية عشرة ألفا من جنوده.

وأول من اختط هذه القلعة حماد بن بلكين بن زيري؛ أحد ملوك صنهاجة لما استقل بالإمارة وخرج عن طاعة ابن أخيه باديس المتقدم سنة 398 ونقل إليها أهل حمزة وخَرْبَة وأكثر أهل مسيلة. وكان يعظم العلماء، فرحل إليها كثير منهم فصارت بلدا مستبحرة كثيرة التجار وكان أظهر السنة و قتل الرافضة ورضى عن الشيخين. وما يتعجب منه أن زيريا بن مناد اختط مدينة آشير في سفح جبل تيطري كما مرّ.

وأما ابنه بلكين بن زيري فاختط المدية و الجزائر ومليانة و إبنه حماد بن بلكين بن زيرى فاختط القلعة المارة الذكر. فمدينة زيري خربت ومدينة ابن ابنه خربت، ومدائن بلكين الثلاثة متبحرات العمران بل في زيادة على تطاول الزمن ولا شك أنه رزق السعادة في عمله.

ولما ذهب المعز العبيدي إلى مصر، أسلم إليه إفريقية والمغرب وأمر الناس بالسمع والطاعة وأوصاه بأمور كثيرة وسماه يوسف ولما شيعه من القيروان إلى اسفاقس قال له لما أمره بالرجوع "إن نسيت وصية فلا تنسى ثلاثا أيا كان، أن ترفع الجباية على أهل البادية ولا ترفع السيف عن البربر ولا توالي أحدا من أهل بيتك فإنهم يرون أنهم أحق بالأمر منك وكان له أربعمائة جارية حتى أن البشائر وفدت عليه في يوم واحد بولادة سبعة عشر ولدا. وهذا لم يسمع مثله. وكان جيّد السيرة إلا أنه رافضي ولا شك أنه ويوسف بن تاشفين من أعظم ملوك صنهاجة. وصنهاجة بكسر الصاد و لإبن دريد بكسر الصاد لا غير ومن فقهائهم الكبار وعلمائهم الأخيار: الشهاب بن القرافي صاحب الفروق والذّخيرة والقواعد المحصول والتنقيح. سكن مصر ومات بها سنة 684 وكذلك منهم صاحب الآجرومية المشهور "بالبركة" وكثرة الشروح وغيرهما مما لا يسعه هذا المختصر.

وبلكين بضم الباء واللام وكسر الكاف المشددة، وكنت في جماعة من علماء إسكندرية بمجلس رئيسهم في الأدب والعلم وواسطة عقد سلكهم في التاريخ والجود وحسن الفهم، العلامة البارع، المحقق الجامع المانع أخونا السيد محمد المسيري إذ قدم مكتوب عشية الخميس سادس رمضان سنة 1204 من حضرة ملك مراكش السلطان محمد، كتب قبل موته لأن موته كانت برجب تلك السنة، مضمنه أنه بعث لعلماء الإسكندرية 14.000 ريال وأربعين ريالا صبنيولية فيشتروا موضعا يكون قرابة للعلماء. وقال كاتبه: صحبة خادمنا فلان الصنهاجي، فناولني المكتوب فوجدت صاحبه جعل فوق صاد الصنهاجي بكسرة و فتحة. فقلت ما تقولون فيه فسكتوا. فقلت: لم أفق على فتح الصاد في أي مظان ذلك لا في كتب اللغة ولا في غيرها وإنما الذي وقفت عليه إما بالكسر والضم وكان أكثرهم جاهلا بحالي فقربوني وأحسنوا إلي واشتغلوا بضيافتي واحدا بعد واحد. ولما قدمت على شيخنا خاتمة المحدثين بمصر أبي الفيض المرتضى برد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه، أخبرته بذلك، فزادني سرورا رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين.

ولما دخلت الإسكندرية سابع ربيع الثاني قادما من الحج سنة 1205 دعاني العلامة أخونا المسيري، فذهبت معه حتى دخلنا فندوقا* (كذا) كبيرا هائلا بعيد المهوى عن أدراك العيان، كثير البنائين و العملة والأعوان، أجلسني به مع حلقة من العلماء وجماعة من الصلحاء، فحضرت أنواع الأطعمة وأصناف الفواكه والأشربة فسألت بعد الأكل عن ذلك. فقال لي العلامة المذكور اشترينا هذا الفندق بأولئك

الدراهم الذين بعثهم (كذا) السلطان وفاضلهم نُتم به إصلاحه ويكون خراجه للعلماء كما كتب لنا أولا.

ولنرد عنان القلم إلى أخبار الموحدين. ثم بعد وقعة القلعة، سمع أهل إفريقية بجنود الغرب أتتهم، فحشدوا الحشود وجندوا الجنود ورجعوا إليه فجهز لهم ابنه عبد الله المذكور، فكان مصاف الحرب بسطيف، فاقتلوا ثلاثة أيام ثم انفضت جموع إفريقية والعرب. وسبى عبد الله نساءهم وفي سنة 557 مات عبد المؤمن وبويع أبو يعقوب و في سنة 563، لقب بأمير المؤمنين وهو أول من لقب به من ملوك هذه العدوة، وكان يوسف يلقب بالأمير فقط وكذا ابنه علي وخاطب العرب بإفريقية يستدعيهم للجهاد، فأجابوه ووفدوا عليه؛ كما هو معروف، ثم غزا الأندلس ففتح وبرة وقلعة رباع وقنطرة السيف ثم رجع إلى مراكش و في سنة 77 نهض من مراكش غازيا لإفريقية وتقبض على علي بن المعز بقفصة ووفدت عليه جموع العرب بالطاعة ثم رجع إلى مراكش.

سنة 580، غزا الأندلس وحاصر شتزين ثم أن النصارى خرجوا فوجدوا المسلمين غافلين فهجموا عليهم وأصيب بسهم في تلك الوقعة فمات. وقد أبلى بلاء حسنا في هذه السنة واسمه يوسف وكنيته أبو يعقوب و هو أول من كتب في أول الرسائل الحمد الله. إعلم أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يكتب في أول الرسائل البسملة فقط واستمر الأمر في ذلك إلى أن ولي السفاح أول ملوك بني العباس فزاد الصلاة على النبي (صلع) ودام الأمر على ذلك إلى أن بويع يوسف بن عبد المؤمن جعل مكان البسملة الحمد لله وعليه العمل الآن، ثم بويع ابنه يعقوب المنصور المشهور وفي أيامه ظهر أولاد غانية بإفريقية على ويحي فتغلبوا على الجريد فزحف إليهما المنصورمن مراكش سنة 83 وجمع ابن غانية جميع الأعراب وقراقش الغزي صاحب طربلس فلقيهم أبوحفص يوسف بن عبد المؤمن بمغرّة فأتخن فيهم ابن غانية، فخرج إليهم المنصور من تونس فالتقيا بالحامة فانفضت جموع ابن غانية ودوخ المنصور السواحل وسبى من حرم ابن غانية وذويه وأمن الغُزّ و قراقش وقتل جل الملثمين ورجع إلى مراكش سنة أربع و ثمانين، ثم أن ابن غانية تغلب على بسكرة وحاصر قسنطينة وبجاية، فنهض إليه المنصور من مراكش فلما وصل مكناسة بلغه كلب العدو بالأندلس فأهمه ذلك فاجاز البحر واراح بقرطبة أياما و كملت جنوده ثم زحف للعدو بالارك[122] ساحة بطليوس فكانت الهزيمة المشهورة على إبن القبوس وإبن الرنك*

---

[122] الأرك ALARCOS

* الكبوس، Alphonse وإبن الرند – HENRIQUEZ

لعنهما الله فقتل 30.000 منهم وأسر خمسة ألاف من زعمائهم بقصبة الارك ففدى بهم أسرى المسلمين سنة 591، ثم[123] سار إلى طليطلة فأحرق بسائطها وبساتينها و قفل. سنة 593 تقدم إلى اشبيلية فأسر قاضيها أبا الوليد حفيد ابن رشد ثم أطلق سراحه وحمله إلى مراكش فتوفي القاضي بها. دخل المنصور مراكش سنة 594 ومات في السنة الموالية فخلفه ابنه محمد الملقب بالناصر وهو الذي خاض وقعة العقاب الشنيعة التي حصد فيها الكافر اللعين شوكة المسلمين بالأندلس. و في سنة 99 تغلب ابن غانية على المهدية وأخذ طرابلس من قراقش ثم دخل تونس فقتل جل أهلها وأذعنت له بالطاعة أهالي إفريقية فوزع الأمصار على عماله وأمر بالخطبة للعباسيين. وأخذ جبال طرابلس وفرض على أهلها جباية قدرها ألف ألف دينار فنهض الناصر من مراكش سنة 601 على رأس جنده لمقاتلة المرابطى برا ويقوم الأسطول بحصاره من البحر، فلما سمع ابن غانية بخبره، نقل أمواله إلى المهدية. والتقى الفريقان بنابي فمالت الحرب على ابن غانية وأخذ الناصر منه 18 ألف حمل من المال والأمتعة و الآلة وفر المرابطى بحرمه وبنيه والتجأ إلى قبيلته. كانت وقعة العقاب المشئومة على المسلمين عامة و أهل الأندلس خاصة سنة 609. و لما نزل سلا قافلا، قتل وزيره إبن قادس لاتهامه له بجرّ الهزيمة وقد ولي ابنه المستنصر وفي السنة الثالثة عشر من ملكه ظهر أمر عبد الحق المريني وفي أيامه دخل دولتهم الهرم. ومن ملوك الموحدين السلطان السعيد الذي قتل يغمراسن وأخذ محلته بجبل بني ورنيد. وفي الغنائم، المصحف العثماني التي كانت أم الأصبع بعثته إلى أخيها عبد الرحمن الداخل. و تداولته أيادى الملوك و صحبته في غزواتهم، فبلغت هذه الذخيرة في تلمسان ثمانية عشر درهما بعد ما نزع حليته التي وجده منبهيا بها إلى يغمراسن فأخذه و بقي عندهم إلى وقعة أبي الحسن بتلمسان، فلم يظهر بعدها.

قال وانقضت دولتهم أجمع بقتل أبي دبوس على يد يعقوب بن عبد الحق المريني سنة ثمان وستين وستمائة والبقاء لله: والمهم الشيخ المهدي هو أول من زاد في الصبح "حل الصباح ولله الحمد و هو أول من أمر بتلاوة الحزب، صباحا و عشية و دام ذلك إلى الآن و هو أول من أدخل إلى المغرب اعتقاد الأشعري كما مرّ. و لما دخل العالم المشهور الشيخ أبو النصر عبد الرحيم بن القشيري مدينة تلمسان، عقد بها مجلس وَ عْظٍ حضره الشيرازي. أطبق علماء بغداد أنهم لم يروا مثله وجرى له يوما بالمدرسة التهامية كلام مع علماء الحنابلة في الاعتقاد لأنه تعصب للاشاعرة و انتهى الأمر إلى القتال فمات من الطلبة من الفريقين خلق عظيم و أتى أولاد تهام

[123] نسخة أ ثم غزا طليطلة فخرب بسائطها واكتسح مسارحها.

الملك فسكنوا الفتنة. ولا حول و لا قوة إلا بالله. و قولي استحوذوا أي غلبوا و قولي وسط السادس و قد مرّ لنا أن ملك الموحدون وهران سنة 541 وما قارب الشيء له حكمه.

<u>تمت آل زيان سلك ملكهم</u> <u>قد خلت وامتد لهم إلى دلس</u>

اختط بنو يفرن تلمسان قبل الغزو الإسلامي بكثير وجعلوها قاعدة ملكهم ثم ملكها عقبة بن نافع الفهري في أول الإسلام لما عين عاملا على إفريقية في خلافة معاوية بن سفيان –أي وسط القرن الأول– وترأسها عمال الخلافة أجيالا كثيرة ثم أخذها المولى إدريس بمعونة المطغرة* المشهورين بالمداغير. وصارت بعدها في ملك إدريس الثاني بن إدريس الأول. ولما ظهر سيدي محمد بن سليمان بن عبد الله

الكامل، ابن أخ إدريس الأول، بويع ملكا عليها. أخطأ الشامي لما قال إن سليمان بايعه أهلها لما دخلها. والأصح أن سليمان قتل في وقعة الفخ، لما أمر الرشيد جعفر بن يحي البرمكي بقتل الشرفاء. اعلم أن قبور هؤلاء الأخيار بين تنيم ومكة المكرمة مع ضريح ابن عمر رضي الله عنهم.

تاء التأنيث الساكنة تلحق من الحروف ثم ورب ولا فتحها إنما هو للتحقيق انظر حاشيتنا: النكت الوفية بشرح المكودي على الألفية. وبنوزيان أحد بطون بني عبد الواد، استولى عليها أبو يحي يغمراسن ودافع عنها وعن تلمسان يعقوب بن عبد الحق وامتد ملكهم إلى دلس قرية على البحر بين بجاية والجزائر وحاصل أمر بني عبد الواد إنهم كانوا بصحراء تلمسان أهل بادية من جملة بني واسين وزناتة وقد ألف الحافظ التنسي كتابا سماه "الدرو العقيان في شرف "بني زيان" وذكر أن بني عبد الواد اثنا عشر قبيلة وكان شيخهم لما ضعف كرسي بني عبد المؤمن، جابر بن يوسف بن عمر بن زيان وقد أرجفوا بملك تلمسان ولما سمع عاملها عثمان بن يعقوب المنصور كان ولاه عليها أخوه الخليفة إدريس المأمون، اعتقل جماعة منهم فشفع فيهم لمتوني فردت شفاعته فأنف وجمع جموعا وهجم على العامل عثمان فاعتقله وسرحهم وخلع طاعة بني عبد المؤمن وتطاول لأحياء الدولة اللمتونية وأخذ يرضى بني عبد الواد.

فأتوا البلد وفهموا ما عزم عليه فخرج للقائهم فقبضوا عليه مع ثمانية من أصحابه وقام جابر في البلد بدعوة إدريس المتقدم وكاتب بذلك فقنع منه بالخطبة ونقش اسمه في الدنانير والدراهم، فاستولى جابر على تلمسان وأحوازها عدا ندرومة،

* لعلها مطغرة

فزحف إليها ودار بها فأصيب بسهم من داخلها لثلاث سنين من إمارته ثم ولى ابنه الحسين ستة أشهر فخلع نفسه لعمه عثمان فاساء السيرة فخلعوه وولوا أبا عرة زيدان بن زيان فنكث عليه بنو مطهر وظاهرهم بنو راشد وكانت بينهم حروب قتل في بعضها فبايعوا أخاه يغمراسن بيعة استقلال وذلك أيام عبد الواحد أحد خلفاء بني عبد المؤمن في سابع جمادى الأخيرة سنة سبع وثلاثين وستمائة ومات سنة إحدى وثمانين. ثم ولي ابنه عثمان واستمرت بأيديهم إلى أن أخذها منهم الأتراك سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة.

ومن أولاد سيدي محمد هذا، بنو العيش، ملوك أرشقون وبنوا إبراهيم ملوك أتنس والي إبراهيم هذا ينسب السوق الذي هو غربي العروسي حيث مكب وادي اسلي في وادي الشلف ومنهم حمزة وأخوه على: ملوك الأبيرة إزاء جرجرة جبل زواوة وبحمزة سميت تلك الأرض إلى الآن وامتد ملكهم بها، إلى أن أزالهم ملوك إفريقية من الشيعة، فأخذها منهم في أواخر الثالث، عروبة الكتامي و مصالة المكناسي وغيرهما من عمال بني عبيد الله المهدي. ولما انتقل المعز إلى مصر غزاها بلكين وملكها كغيرها من أمصار المغرب وأول من استخلصها من عمال إفريقية، جابر بن يوسف بن محمد العبد الواد وكان بنو يفرن يستولون عليها في بعض الأحيان ثم ملكها يوسف بن تاشفين وبنوه ثم الموحدون. ويقال إن الجامع الذي بتلمسان القديمة بناه مولانا إدريس الأكبر وعمل له المنبر وتلمسان الجديدة بناها يوسف بن تاشفين وبتلمسان القديمة ضريح الداودي بن نصر أول من شرح البخاري توفي في أواخر القرن الرابع.

ولما ضعف ملك الموحدين ولحقه الهرم كما شأن الدول سنة الله التي قد خلت من قبل، استولى يغمراسن بن زيان عليها سنة 635 وكان بين نفرة واستقامة مع آخر ملوك الموحدين بمراكش وتونس ومر لنا قتله بالسعير ولما مات خلفه ابنه عثمان وحاصره يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني سبع سنين ومن ملكوهم السلطان أبو حمو الذي وفد عليه بتلمسان شريف العلماء وعالم الشرفاء أبو عبد الله الشريف وكان معظما للعلم. ولما قدم عليه إبنى الإمام أبو زيد و أبو موسى بنى لهما مدرسة عظيمة معروفة بهما إلى الآن و من ملوكهم السلطان أبو ثابت وأحمد العاقل الذي جعل دار ملكه وهران لما وقع بينهم خلاف ونزاع..

وقولي: امتدا لهم إلى دلس: قرية بإزاء زواوة على البحر، فكان ملكها الأمير أبو عبد الله الحفصي سنة 765 والذي بنى منار الجامع الأعظم بالجزائر، هو أحد

أعاصي ملوك بني زيان وامتد ملكهم بتلمسان من تاريخ يغمراسن إلى سنة 956 فصفت للأتراك وتغلب عليهم أثناء هذه المدة أبو الحسن وأبو عثمان كما يأتي.

اعلم أن مدة ملك لمتونة أهل اللثام 96 سنة لأنهم خرجوا من رباطهم في جزيرة النيل[124] لتمهيد الأقطار سنة 445 وأول أمرائهم الأمير يحي إلى أن قتل تاشفين بوهران وابن أخيه إسحاق بمراكش سنة 541. ومدة ملك الموحدين من عبد المؤمن وبنيه من استيلائهم على وهران ومراكش وتلمسان إلى آخرهم أي أبى دبوص 128 سنة لأن ابتداء ملكهم من عام 41 من السادس إلى عام 68 من السابع وأيام شيخهم خارجة من هذا : 11 سنة وعبد المؤمن 16 سنة. ومدة ملك آل زيان بتلمسان 295 سنة وقيل ثلاثمائة غير تسع سنين. وكل دولة ما فيها من الهرم على ما بيَّنَّاه ولكل ميدان غاية ولكل بداية نهاية.

قال الشاعر رحمه الله آمين:

كأن لم يكن من الحجون إلى الصفا ∴ أنيس ولم يسمر بمكة سامر.

في وقتهم بها الرباني عالمها ∴ محمد الهواري الأستاذ كابن شاس

الضمير يعود على بني زيان لأن تلمسان بعد فتك أبي الحسن بها وابنه أبي عنان، صفت لأبي ثابت وبنيه من أعاصي ملوكهم ولهم بوهران التصرف المطلق من غير منازع بعد هروب عبد الله بن سعيد قائد أبي عنان منها لأن أبا عنان لما هلك آخر سنة 758 وصفت لأبي سالم الخلافة فارتحل من فاس متوجها للمغرب الأوسط فلما نزل بتلمسان نزل للسلطان أبي العباس على إفريقية وأقر بني زيان على ما بأيديهم. وبالجملة هو أول من نفض يده من هذه الأعمال الشرقية.

وقولي الرباني أي المنسوب لله تعالى كما قال مثله ولي الدين القرافي في قوله كابن يزيد الأسود الرباني. وهي نسبة للرب، من حيث هو عالم بما عمله، عامل بطاعته، معلم للناس بما أمر به وزيدت فيه النون مبالغة. وقال قوم منسوب إلى الرباني وهو الربان و هو معلم الناس و النون فيه زائدة كما هي في غضبان و عطشان و في البخاري: الرباني الذي يُرَبي الناس بصغار العلم قبل كباره. قال في القاموس و الربَّان رئيس السفينة و قولي و عالمها العالم أَعَمُّ و الفقيه من يحسن الفروع الفقهية هذا في اصطلاح العلماء لا اللغة. وكان الإمام مالك يقول ابن وهب عالم وابن قاسم فقيه، نقله ابن خلكان

[124] الأصح النيجر

وقولي محمد الهواري نسبة لهوارة وأولاد هوار هو ابن مازيغ بن برنس وتقدم لنا شئ "من ذلك وأكثر هوارة بأعمال طرابلس ومنهم أهل مسراتة التي بها ضريح الشيخ زروق ومنهم أهل قلعة أسنان التي هي الآن محل محط أثقال بني حناش أهل تمطماطة ومنهم قبائل بإزاء القيروان وهم الذين زحفوا مع أميرهم عكاشة بن أيوب إلى حنظلة بن صفوان الكلبي: عامل هشام بن عبد الملك على إفريقيا، فأوقع بهم وهم بتوزر الجريد كثير. ومن مشاهيرهم بالمغرب الأوسط أهل مسراتة بإزاء قلعة بني راشد وكان لهم عزة بها وقصبتهم بها مشهورة يومئذ لبنى يوسف من ولد محمد ابن إسحاق والذي اختطها محمد منهم. هوار هذا أخو اللمط من أمه الذي من نسله الشيخ واقاق اللمطي المتقدم ذكره هذا وفي الشيخ ابن صفوان فالشيخ سيدي محمد الهواري من مغراوة فإنه قال في مدحه: شيخ الشيوخ المشهود له بالثبت والرسوخ سيدي محمد بن عمر بن عثمان بن سابع بن عياشة بن عكاشة بن سيد الناس، المغراوي المعروف بالهواري آنتهى.

ومغراوة مر الكلام عليهم والله أعلم. توفي (الهواري) صبيحة يوم السبت ثاني عشر ربيع الثاني من سنة 843 وابن شاش هذا هو محمد بن عبد الله بن نجم بن شاس الجزامي، السعدي الفقيه المالكي. كان فاضلا فقيها في مذهبه وانتفع به خلق كثير وصنف في مذهب مالك كتابا نفيسا أبدع فيه وسماه: الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، و ضعه على ترتيب وجيز الغزالي وفيه دلالة على غزارة علمه ولطائفه المالكية. بمصر عاكف عليه أهلها لحسنه وكثرة فوائده وكان يدرس بمصر بالمدرسة المجاورة للجامع. مات بثغر دِمْيَاط غازيا لما أخذه العدو سنة 616. ولا يقال الأستاذ إلا للعالم الكبير. فإذا قال ابن السبكي الأستاذ و أطلق فالمراد أبو إسحاق الإسفراني لأنه كان اصوليا كلاميا فقيها حاز رياسة العلوم بالعراق وخرسان وناهيك أن تلميذه البيهقي والقشيري واكثر الحفاظ كما أن العلامة إذ أطلق فالمراد به الشيرازي. ولما بنى نظام الملك المدرسة سأله أن يتولاها، فلم يقبل فولاها ابن الصباغ مدة يسيرة ثم أجاب إلى ذلك، فدرس فيها إلى أن مات سنة 476.

ولما سمع به نظام الملك قال: من الواجب أن تغلق المدرسة لأجله وتوفي الأستاذ سنة 418. ولما قيل للقدوري: انت أعلم أم أبو إسحاق، أنشد

نزلوا بمكة في قبائل نـوفـل ∴ ونزلـت بالبـيـداء أبعد منزلـي

حَذرًا عليه من مقالة كاشح ∴ دَرب اللسان يقول ما لم يفعل

ولما كان الشيخ الهواري انتهت إليه الرياسة بوهران في مذهب مالك، فإني شبهته في الأستاذية بابن شاس لسعة علمه وكان ابن شاس لا يضاهيه أحد في مذهب مالك بمصر. وكان ابن عرفة يقول للطلبة: عليكم بفقه ابن جلاب لأنه لا يشوبه شئ من مذهب الشافعية. أما ابن الحاجب وابن شاس فقد نقلا كثيرا من وجيز الغزالي في فقه الشافعية.

فائدة: وقع السؤال بمجلس ابن تاشفين أحد ملوك تلمسان الذي نحن بصدد الكلام عليهم، عن ابن القاسم هل هو مقلد أو مجتهد؟ فقال الفقيه أبو زيد بن الإمام: مقلد النظر بأصول مالك و قال سيدي عمران المشدالي إنه مطلق الاجتهاد. و احتج بمخالفته في بعض المسائل؟ فاستظهر أبو زيد بنص شارف بن التلمساني يمثل فيه الاجتهاد المخصوص لابن القاسم بالنظر إلى مذهب مالك بالمزري الشافعي فقال المشدالي: إن هذا مثال والمثال لا تلزم صحته.

وكان سبب أخذ النصارى لوهران، دعاء الشيخ الهواري بذلك لما قتل بنوزيان ولده وحضر لهذه الدعوة سيدي على الأصفر التلمساني وأنذرهم تلميذه الشيخ إبراهيم التازي بقصيدة تائية مع ما أنظم إلى ذلك من أن الشيخ: أبا العباس سيدي أحمد بن يوسف أحد الأولياء الكبار والأتقياء الخيار، الهواري وطنا الوانودي أصلا نفعنا به الله، آمين، ذهب مرة إلى وهران، فعظمه أهلها أشد التعظيم، فكتب قائدها للأمير الزياني إن "رجلا بارض هوارة يخشى منه الملك" فكتب الأمير للقائد: " إبعثه إلي أو أقتله". فلما أتى الشيخ أهله برأس الماء*، بعث العامل لأمير هوارة: أحمد بن غانم في الشيخ فأطلع الشيخ على ذلك، ارتحل من وطنه وقال: " شوشونا، شوشهم الله من البر والبحر." فلم يكن إلا قليل حتى شوش الله بني زيان من البحر بالكفرة فأخذوا وهران ومن البر بالأتراك، فأخذوا تلمسان، فرحل الشيخ قاصدا بني غدّو واعترضه محاربون من سويد، فقبض ثلاثة أحجار من الصمّ وحكها بيده، فصارت رمادا وقال لهم "إن تعرضتم لنا يسحقكم الله مثل هذه الأحجار"، فاتوه تائبين مذعنين. وذكر الصباغ إن له بنتا حينئذ إسمها عائشة. وكراماته لا تحصى، توفي رحمه الله سنة 931، وقبره بمليانة من أعظم المزارات.

<u>خلفه بعد موته إبراهيم</u> ∴ <u>الذائع لصيت إلى قومس.</u>

كان رضي الله عنه من الجامعين بين العلم والورع والزهد والفضل وكان من أكابر القراء والمحدثين وجهابذة العلماء المسندين. وقفنا له على تصانيف صحيحة وقصائد

---

* قرية بولاية سيدي بلعباس

مليحة وخطب بديعة وملح صنيعة، عارفا بالأولياء وأخبارهم وأيام العرب وأشعارهم وبالأدب و بالأدباء ونوادرهم أخذ عن عدّة أشياخ و من أشهرهم الشيخ محمد الهوراي المذكور. كان في غالب أمره في طريقه يذهب وعلى قابله يضرب. وإني رأيت في تأليف منسوب إليه، أنه بعث إلى أهله بالمغرب من وهران مكتوبا يقول فيه: فقد ظهر فضل الشيخ عليّ والحمد لله، إني أدرس في مختصر خليل ولا أحتاج لنظر الشروح. ولما مات شيخه رضي اللّه عنه، قام مقامه وتقلد حسامه ونَصَّبَ راية العلوم وشيد بنيانها ورفع قواعدها ودعم أركانها، فابتهج به المحل والأوان وحاز رياسة الفضل بثغر وهران فهو المطاع وليس ذي السلطان.

وبديع تدبيره لمائه. يدل على فراسته ودهائه. فكان له به الآثارات الجسام التي لا يقدر عل بعضها الملوك العظام. يحكي أنه كان يستقرض الدراهم الكثيرة من التجار ويصرفها في إصلاح هذا الماء ولا يدري من أين يوفي بذلك. ولما تم بنيانه وصوب ميزانه وأرصد مكانه، أخرج للناس الأطعمة المختلفة الأنواع والألوان، فشبع كل ما كان بثغر وهران. وكان ذلك اليوم المشهود من الأعياد والمراسيم معدودا. فقيل له: من أين أخرجت هذا الطعام وما صرفت على الماء ولست من الملوك والأعيان والأغنياء، فقال: اللّه منّه، مساعدة الزمان ومساعفة الإخوان" وكان نفعنا اللّه به شديدا على الملحدين، لين الجانب للمتقين، وقال صلى اللّه عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق، ظاهرين عليه، لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة". وفي الجامع الصغير للسيوطي أن "اللّه تعالى،" عند كل بدعة كيد بها الإسلام وأهله ولي صالح يدب عنه ويتكلم بعلاماته، فاغتنموا تلك المحاسن بالدَّبْ على الضعفاء وتوكلوا على اللّه وكفى باللّه وكيلا ولله در العارف باللّه سيدنا عبد اللّه بن المبارك حيث قال:

قد يفتح المرء حانوتا لمتجرة ∴ وقد فتحنا لك الحانوت للدين

والمبارك أبوه وهو الذي كان يعمل لمولاه سنين ولم يعرف بالبستان الرمان الحامض من الحلو خلافا للشيخ أبي بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك أن هذه القصة صاحبها إبراهيم بن أدهم رضي اللّه عنه وعن الجميع. والذائع الصيت أي فاشي الذكر منتشره.

وقولي إلى قومس. قومس إقليم من عراق العجم حده من جهة خراسان بسطام[125] ومن العراق سمنان وقاعدته الدامغان وهذا الإقليم هو المعنى بقول أبي التميم في مدح عبد الله بن طاهر الخزاعي:

يقول في قومس سيروا وقد أخذت .·. هنا السرى وخطى* المهرية القود

ولا شك أن هذا الولي انتشر خبره إلى ذلك الموضع أو أكثر. فقد حدثني من أثق به أنه وجد بمكة المشرفة تأليفا شاملا على قصائد تتعلق بطريق القوم يباع من تأليف الشيخ المذكور ومع ذلك إن بائعه عراقي ونسب الشيخ رضي الله عنه من لواتة أولاد لومن صاهيك بن رجيك وقال الصولي: " إن هوارة ولواتة أولاد حمير بن سبأ" ولابن عبد البر: أنهم من ولد قبط إخوة أهل مصر. وراجع ما مرّ من الأقوال. وأول استقرارهم بالمغرب جهات طرابلس ثم امتدوا إلى سوس الأقصى مفترقين فيه.

فلذا قال ابن خلدون: سبب تسمية جبل من البربر هوارة لما أتوا إلى المغرب، قالوا لقد تهورنا وهو بخلاف ما مر لنا إنهم أولاد هوار ألخ. واعلم أن اسم لو في البربر إثنان: لو الأكبر ولو الأصغر والمتحدث عنهم أولاد الأصغر وعند أكثر المؤرخين أن لو الأصغر من نسل لو الأكبر والبربر إذا أرادوا الجمع زادوا الألف والتاء، فصار لوات فلما عربه العرب حملوه على الأفراد وألقوا به هاء الجمع.

وهم بنواحي برقة وبجبل أوراس كثيرون تناهز خيلهم ألف فارس وهم بنو باديس وسبب إنتشارهم بالمغرب أن أبا الخطاب رأس الخوارج الأباضية لما فتح طرابلس وهرب منهم عمر بن عثمان القرشي، بعث جعفر المنصور من بغداد واليا على إفريقية: وهو محمد بن الأشعث وعقد له على حرب الأباضية بها. فلما سمع به أبو الخطاب زحف إليه بحنوده، فكان المصاف بسرت، فكانت على البربر والخوارج، وانفضت جموعهم، فلما رأى عبد الرحمن بن رستم بن دستان من ولد رستم صاحب حرب القادسية مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ذلك، فر إلى المغرب واجتمع معه لماية و لواتة وبعض نفزاوة وملكوه عليهم واختط مدينة تهارت بسفح جبل قزول على رأس تلول (تلال) منداس شرق نهر مينا سنة 218 واجتمعت الصفرية بمكناسة قرب تازة وملكوا عليهم عيسى بن أبي زيد الأسود، فاختط مدينة سجلماسة سنة 140 واتسع خط كل من المدينتين ودام ملك عبد الرحمن رأس الأباضية بتاهرت إلى أن استولى عليها الشيعة سنة 298. وتغلب عليها محمد بن الخير أحد ملوك وهران من مغراوة وقبض على ميسور الخصي وأطلقه بعد حين. ونزلت عساكر بني أمية أيام

[125] نسخة أ : د بسطام
* يقصد بها آمتنعت الأبل عن السير

المنصور بن عامر ثم ملكها لمتونة ثم الموحدون إلى أن خرج عليهم ابن غانية من ناحية قابس ولم يزل يَشُنّ الغارات على المغرب ويكرر دخوله إليها عنوة مرة بعد أخرى إلى أن اختل ساكنها وخلا جوها وأعفى رسمها سنة[126] 685 وذلك آخر العهد بعماراتها.

وأكثر أهل مصاب من لماية ويأتي الكلام على جربة. ولما خرج حميد بن نصّال على المنصور الشيعي، ظاهروره (كذا) لواتة وزحف بهم المنصور فلما انفضّوا، هربوا أمامه غرب السارسو فرجع المنصور عنهم. وذكر ابن الرقيق أنه في رجوعه، وقف على أثر من بناء الأقدمين وهي القصور* التي على الجبال الثلاثة المبنية بالحجر المنحوتة تبدو للناظر على البعد كأنها أصنمة: أي قبور وأنه رأي كتابة في حجر منها فُسّرَ له" أنا سليمان السَرْدحاوس". خالف أهل هذا البلد على الملك، فبعثني، إليهم ففتح الله علي وبنيت هذا البناء للذكر به".

وكان بنو وَرْدَجين بعزونة أمير مطماطة زحفوا إلى لواتة فكان بينهم حروب عظام هلك فيها "أعيان" أمير وزدجين فأزاحوهم إلى السرسو وكان بينهم قوم من مغراوة فغدروا بهم عند كدية سيدي العابد وأزاحوهم إلى جبل إيغود فنزلوا درّاكا وانتشروا إلى الجبل المطل على متيجة وجبل دراك في قطاع موسى من مشيخة العطاف. ومن لواتة نفر قبلة قابس ومنهم بنو مكي رؤساء قابس ومنهم النفر الذي بمالطة وهم المشهورون إلى الآن على دين النصرانية وسبب نزولهم بها معروف عند أهل إفريقية. ومن لواتة نفر بإزاء السكندرية ومنهم بجبل نسمط يقال أن بني سلوكسن منهم ومنهم لواتة جبل بني عامر بحوز تازة وإليهم ينسب التازي لأن قومه من حوزها ومنهم بنواحي تادلى بقرب مراكش ومنهم قرى بالصعيد ومنهم بالجبال غربي تلمسان. وأما بنو ورنيد وبطيوة وبني يزناسن فمن بطون صنهاجه لا لواتة.

مات الشيخ التازي سيدي إبراهيم رحمه الله يوم التاسع شعبان من سنة 866 ودفن بوهران، ثم لما دخلها النصارى، صار المجاور بضريحه ينهب في ماله وكريته ووافق ذلك قدوم أهل القلعة بخروجهم إلى وهران، فدفع ذلك المجاور الكراء من عند أهل القلعة، فاحتملوه ودفنوه بها وقبره الآن عليه، قبة جيدة مشهد في التماس البركة وقبول الدعوة رحمه الله

<u>ثامن قرن قد أمها المريني أبو</u> ∴ <u>حسن تمّتا بيعة طرابلس</u>

[126] نسخة أ: سنة 620 و هو الأصح

* هي "الاجدار" حاليا : جنوب تيارت مشهورة بآثارها

بني بها الأحمر ففاق كل بناء ∴ ثم بني الثاني حذو سفن المرس

قصدها وبيعة بفتح الباء هي إعطاء الطاعة وهي مشهورة عند الخلفاء والسلاطين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الشجرة بالمدينة المشرفة، مد يده للبيعة فبايعته. وأول من بايع فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفيها بايع صلى الله عليه وسلم عن عثمان نيابة وقال: "يميني لي وشمالي لعثمان وهذه البيعة يسمونها ببيعة الرضوان. وأوّل من بايع عثمان عبد الرحمن بن عوف و أول من بايع عليا طلحة رضي الله عنهم أجمعين. وكانت يد طلحة مثلا بترت في وقعة أحد لما وقى بنفسه نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل:" سبحان الله يد بايعت أمير المؤمنين يعني عليا رضي الله عنه، مثل هذا الأمر لا ينضبط له كالذي قبله. فكان كذلك. وكان الخلفاء الراشدون يجعلون على البيعة القسم بالله تعالى، وأول من حلف الناس بالطلاق والعتق عبد المالك بن مروان.

والبيعة بكسر الباء فهي كنيسة النصارى والمرسة الجبل والجمع مرسات بفتحتين وجمع المراسي هو جمع الجمع كالأيادي وكذا على ما لابن الشيخ وابن العلج والمرسى أيضا مصدور ورجل مرس شديد العلاج ومرست يدي بالثوب مسحت والمرمريس الداهية.

وأبو الحسن هذا الذي بني البرج الأحمر، وبرج المرسى بثغر وهران سنة 748 هو السلطان على بن أبي عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المشهور بابن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن ورزين بن فقوس بن كرماط بن مرين. وكان عبد الحق هذا استخلص الملك من آل عبد المؤمن بسيفه سنة 613، لكن لم يستول على كرسي الخلافة بمراكش، لا هو ولا ابنه محمد ولا ابنه أبو بكر. واستولى على كرسي الخلافة ابنه يعقوب المشهور سنة 668 بقتله آخر ملوك بني عبد المؤمن ابن أبي دبوس.

سنة 72 من ولايته، عبر البحر إلى الأندلس غازيا لما استدعاه محمد بن نصر أحد ملوك غرناطة من بني الأحمر وزحف إليهم دنونة[127] ملك الروم فدارت بينهم حروب قلّ أن تكون في الدهر. ثم انفضت عساكر الروم فقتل دنونة في الهزيمة وقتل من جنوده تسعة آلاف كما في نظم ابن الخطيب حيث يقول رحمه الله.

تسعة آلاف من الكفار ∴ دعا بهم داع البواري

[127] Don Nùna

وكان قدر الغنيمة 7330 أسيرا و 124.000 من البقر و من الكراع* 14600. وأما الغنم و الماعز فضاقت الأرض بها. فقد بيعت الشاه بدرهم ولما قسم الغنائم، ارتحل فنزل قصر الصخرة فأتاه "هوانري"** ملك جبل قشتالة لعقد الجزية، فلما قبّل يد السلطان، دعا بماء في حضور بطارقة الكفرة وغسلها من قبلته فكانت على الروم انكى من الغزوة المتقدمة. فكان له بذلك فخرا جميلا وفخما جليلا كما قال لسان الدين بن الخطيب السلماني رحمه الله "واجتمع القوم بحصن الصخرة و شاهد الناس جميعا فخره و كان هذا الفخر من بني مرين. وبني يلولة، ومديونة مواطنهم من فقيق إلى تفلالت إلى ملوية وكانت بين بني وَ نَانُو و بنى إلُومىَ حروب عظيمة قتل فيها ماخوخ المشهور بالخيمة التي آثارها الآن ببلد أولاد على وبنو مرين إخوة بني إلومى فكانوا يمدونهم بالجيوش ومن إخوة بني مرين أيضا بنو راشد وتجين وعبد الواد يجتمعون في زجيك بن واسين ويقال له بادين أيضا ومن قرابة بني مرين بنو وطاس بعضهم بغدامس وعند بعضهم أنهم من نسل علي بن يوسف بن تاشفين منهم ملوك المغرب في القرن العاشر وأشهرهم ابن الوزير كما يأتي، ومن ملوك بني مرين، يوسف بن يعقوب المذكور وهو الذي حاصر تلمسان في أيام ملكها عثمان بن يغمراسن ودام حصاره لها سبع سنين وقيل خمس. ومات عثمان مدة الحصار. وانتهت عساكر يوسف إلى إفريقية واشتد البلاء بتلمسان بحصاره حتى بيع صاع القمح في الحين ثمانية دنانير.. ولما قتله أحد خدعة وهو نائم مع إحدى جواريه، أفرغت عساكر بني مرين عنها فبيع القمح في الحين ثمانية أصوع بدينار وهو ممّا يتعجب منه، و فتك أبو الحسن بها وإبنه أبو عنان مشهور لا نطيل فيه،و قد قال موسى بن صالح المشهور بالكهانة أن تلمسان تحرث وكأن -كما قال- حرثها غلام أسود على ثور أسود. كان ذلك.

سنة 760، لما خربها أبو عنان وكان هذا الكاهن يسكن وسط برابرة غمرة وأرضهم من المشتنل إلى الزاب وقال ابن خلدون: فبعض الناس كان يقول هو كاهن وبعضهم يقول ولي ولا صحة بخبره. والسلطان أبو الحسن هو الذي بنى المنصورة غربي تلمسان في مدة حصاره إياها. قال ابن الخطيب في مدحه:

ثم بنى المنصورة المشهورة ∴ الفذة الجامعة الكبيرة

وقولي تمت بيعة طرابلس وسبب ذلك أن السلطان أبا بكر الأصغر الحفصي لما مات سنة 747 واشتد القتال بين بنيه: أبي حفص وأبي العباس وأبي فارس عزوز

---

* الكراع : يقصد بها الخيل

** « HENRI »

وأضرمت إفريقية نار الفتنة، هرب حاجب السلطان محمد بن تافركين إلى المغرب لسعاية بلغته به فلحق بابي الحسن المريني فصار يرغبه في ملك تونس وسهل عليه أمرها. وكان لما فتح تلمسان سنة 740، كان يحدّث نفسه بإفريقية ويتربص بالسلطان أبي بكر فقويت حينئذ عزائمه كما قال العباس بن مرداس رضي الله عنه في عمر بن صعد كرب الزبيدي:

إذا مات عمرو غزونا ∴ وقلت للخيل اوطئ زبيد

ثم أخبر بمهلك ولدي أبي بكر: العباس وعزوز فارتحل من مراكش وجد السير إلى أن نزل بتلمسان، فوافته الحشود من كل جهة ثم ارتحل في أول صفر ثاني شهور سنة 748 يجر الدنيا بما حملت فنزل بوهران فاختط البرجين كما مر. فوفد عليه بها أولاد حمزة والكعوب وسائر أمراء العرب بإفريقية وبعث ابن مكي أمير قابس وفده بالطاعة وابن ملول صاحب توزر وابن عابد صاحب قفصة و صاحب الحامة و صاحب نفطة كلهم بايعوه بوهران رغبة ورهبة وأدّوا بيعة ابن ثابت سلطان طرابلس لبعد داره. ثم قدم على إثرهم يوسف بن منصور صاحب الزاب ومعه كبير الذواودة يعقوب بن علي وأوسع الكل كرمه وجوائزه وعين القهارمة* للبرجين المذكورين والعملة والآلة ثم رحل بجيش الأمم قاصدا إفريقية إلى أن دخل تونس في يوم مشهود يقل مثله بعده في الوجود. وقد وافق ذلك موت الحاجب أمير فنون العلم وجامع أشتات النثر والنظم وإمام المصنفين بحكم أقرانه العلامة ابن هارون أحد شراح ابن الحاجب وشيخ ابن عرفة وزوجته في ليلة واحدة.

فقدّم السلطان لما حضر جنازتهما للصلوات عليهما أبا عبد الله السبطى صاحب الفتوى بمجلس أولاد السبطى الآن بفاس مشهورون و كان هذا السلطان، لما فتح تلمسان شيد بناء جامع الإمام الشهير أبي مدين بن شعيب الأندلسي ثم الإشبيلي رضي الله عنه وقد كان أشخصه المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن من بجاية إلى حاضرة ملكه مراكش. فلما وصل حوز تلمسان مات رحمه الله ودفن بالعباد سنة 594 وهو أحد كراماته. وبني أيضا جامع الولي الصالح سيدي الحلوي إلى غير ذلك من آثاره الحميدة وصنائعه المجيدة. توفي هذا السلطان سنة 752 بسلا.

حكاية لطيفة: وفد على أبي سالم بن أبي الحسن ثلاثة، واحد من مكة المشرفة وواحد من المدينة المنورة والثالث من القدس. فقال القدسي: يا أمير المؤمنين قد علمت أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لا تشدّوا الرحال إلا لثلاث ألخ.... وأنك

* القهارمة : الحراس

يا أمير المؤمنين بفضل الله عليك، أهل الثلاثة المواضع الشريفة شدوا إليك الرحال فهذا مكي وهذا مدني وأنا قدسي. فأعجبه كلامه وأجازهم إجازة فخمة. وقد وفد عليه بعض أهل السودان بزارفة وفيل فأجازهم وقبل الرازقة ورد الفيل وقال: أرجو إلا أكون من أصحاب الفيل.

وبنو مرين هؤلاء قوم شديد بأسهم مرهوب جانبهم ولولا يغمراسن ألْهَى يعقوب بن عبد الحق بشن الغارات لاستردّ كثيرا من أرض الأندلس، فكان مانعا من الموانع ليعقوب عن تدويخ الكفرة. فكان يعقوب إذا غزا الأندلس خلفه يغمراسن بشن الغارات في بسائط المغرب وكان بينهم زحوف تزيد على الخمسين زحفا في كلها الظهور لبني مرين إلا نادرا لبني عبد الواد. وامتدّ ملك بني مرين بالمغرب إلى أن انقطع سنة 875 بقيام الشريف محمد بن علي بن عمران الإدريسي الجوطي على آخر ملوكهم عبد الحق بن سعيد المريني. فابتدأ ملكهم بعبد الحق كما أن بني مروان بدمشق أولهم مروان وآخرهم مروان بن محمد وآل سفيان أولهم معاوية رضي الله عنه وآخرهم معاوية بن يزيد كما أن آل العباس أول ملوكهم محمد السفاح المنسوبة له الدراهم المحمودية وآخرهم محمد المعتصم الذي استشهد في واقعة التنار يوم السبت في ربيع الثاني سنة 556 وهو آخر ملوكهم ببغداد ولم يملك واحد من بعده إلى الآن. ومر تاريخ بغداد. ثم قام على السيد محمد الجوطي الشريف المذكور السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ أبو الوزير ابن أبي زكرياء يحي بن زيان الوطاسي فأخذ ملك المغرب من يده سنة 876 واتصل بيده إلى أن مات في آخر رمضان سنة عشرة من القرن العاشر. فمدّة ملكه 34 سنة، ثم ملك بعده ابنه أبو محمد عبد الله الغالب، ثم أخوه أحمد المنصور إلخ... وبني وطاس هؤلاء جعلهم الشيخ العالم الفقيه النحرير الورع النزيه العلامة المسناوي من بني مرين. فمدة ملك بني مرين من عبد الحق بن محيو إلى عبد الحق بن أبي سعيد: 208 سنة، و 56 سنة قبل استيلائهم على كرسي مراكش. وطرابلس مدينتان واحدة بشواطئ الشام والأخرى قاعدة أوطان برقة ومدنها الكبيرة: زويلة، درنة، ابن غازي، مسراتة، وزُبَارة الخوارج وغير ذلك. قال ابن خلدون: ويقال أن طرابلس الشام بألف في أولها. ومن طرابلس الشام ابن مرين الملقب مهذب الملك المدفون بجبل شوجن لمامات بحلب سنة 548 هو القائل رحمه الله:

وإذا الكريم رأي الخمول نزيله ∴ في منزل فالحزم أن يرتحلا
كالبدر ولما أن تضاءل جدّ في ∴ طلب الكمال فجزاه منتقلا
ولا تحسبن ذهاب نفسك ميتة ∴ ما الموت إلا أن يعيش مُذَللاً

وطرابلس المذكورة في النظم مرادنا بها الغربية لأنه يبعد أن ملك بني مرين وصل إلى الشام. وهذه المدينة ثغر عظيم من أول الدول القديمة، فغزاها عمرو بن العاص بأمر من عمر بن الخطاب ففتح من أعمالها صيرة وهي باكورة فتح المسلمين في أرض المغرب وهي الآن خراب ثم فتحوا فزان وودان والواحات وذلك قبل طرابلس ولما مهدت جيوشهم رضي الله عنهم طرابلس وأعمالها، زحفوا في عودتهم إلى النوبة غربي الحبشة بين النيل وبرقة. ففقأوا من المسلمين 150 عينا وتفرقوا في الجبال فارين، لم يقبض منهم عمرو لا دينارا ولا درهما. قاله ابن جرير، وبقيت بأيدي المسلمين مستمرة وبعث إليها هارون الرشيد هريمة بن أعين سنة 179 أميرا عليها فبنى سورها الموجود الآن وبني المدينة البيضاء وتداولتها عمال المسلمين إلى أن أخذها ميخائيل الأنطاكي صاحب أساطيل رُجَار الصقلي لعنهما الله. واستمرت بأيدي الكفرة إلى أن أخذها منهم ابن مطروح ودخلت في طاعة الموحدين على أن استبد بها ابن ثابت وابنه بعده عام 750. وبعد استقلال ابن ثابت بها خمس سنين، أتى الجينوز[128] فرقة من الكفرة في مراكب وأرسوا ليلا وخرجوا إليها وكان تجارهم قبل ذلك اطلعوا على عوراتها، فصعدوا السور واستباحوها بما فيها وأقاموا بها ثم داخلهم ابن مكي صاحب قابس في فدائها فاتفقوا علي 50.000 دينار فبعث للسلطان أبي عنان بمراكش ليؤديها وينفرد بثوابها. ثم تعجلوا عليه لما خافوا من أبى عنان يغزوهم فجمع ما عنده وآستوهب الباقي من أهل قابس و الحامة و الجريد فجمعوها له رغبة في الأجر، فمكنه النصارى من طرابلس فملكها وازال منها نجس الكفرة. ثم بعث له السلطان بالمال وأن يرد للمسلمين ما أعطوه وينفرد بثوابها وذكرها فامتنعوا إلا قليلا منهم وأخبارها كثيرة وفيما ذكرنا كفاية.

ولما مر بها موسى بن نصير في وجهته لإفريقية أميرا من قبل الوليد بن عبد الملك، غزا سقيوما قبلتها مغربا قليلا فغنم وسبى وكتب إلى الوليد بالشام أنه صار لك من سبي سقيوما مائة ألف رأس من السبي فكتب له الوليد: ويحك إني أظنها من بعض كذباتك وإن كنت صادقا فهذا محشر الأمة، نقله ابن الرقيق.

خامس عشر من عاشر أناخ بها ∴ الإسبانيون أهل الشرك والرجس

قولي أناخ: فيه استعارة مكنية و تخييلية وهي قسم من الاستعارة الخفيفة. فالكناية هي التشبيه المضمر في النفس فلا يُصَرّح في شئ من أركانه الأربعة سوى اسم المشبه ويدل على ذلك التشبيه بأن يثبت للمشبه شئ من لوازم المشبه به

[128] الجنونيون نسبة إلى جنوة بإيطاليا

فيسمى ذلك التشبيه المضمر في النفس استعارة بالكناية وإثبات ذلك اللازم المختص بالمشبه به للمشبه وسمي استعارة تخييلية أما تسميتها بالكناية فلإنه لم يصرح به، إنما دل عليه بذكر خواصه ولوازمه. وأما التخييلية فإنه قد استعير للمشبه لذلك اللازم الذي يختص بالمشبه به، فيتخيل أن المشبه من جنس المشبه به كناية فأناخ حقيقة في الإبل ومجازا في الجيوش فتشبه الجيوش بالإبل تشبيها مضمرا في النفس و هذا كناية. وذكرك أناخ الذي هو من لوازم المشبه به تخييل. ومثال التحقيقية الثابتة حسا كقوله عندي أسد يقرأ هنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر متحقق حسا وعقلا كقوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم" أي الدين الحق وهو ملة الإسلام. وهذا أمر متحقق حسا وعقلا وما مر لنا في المكنية إنما هو مذهب القزويني وهو مخالف لمذهب القوم وذلك مخالف لطريق السكاكي، انظر ذلك في محله والله الموفق.

والرجس القذر قال القرافي في قوله تعالى: "يجعل الرجس على اللذين لا يعقلون" هو العقاب والغضب. والإسبانيون نسبة إلى إسبَانيا مدينة قديمة كانت قاعدة ملكهم وأما الآن قاعدتهم مدريل باللام مدينة الطاغية كما أن الفرنج قاعدتهم الأولى فرنسة ثم تلاشت و بقي النسب إليها. يقال فرنجة وفرنسة لكن في ابن خلدون أن التسمية الثانية من وضع العامة: والاسبانيون هؤلاء من اللطينيين وهم اللكتيم* وكانوا من أعم ملوك العالم وكان لهم استيلاء على جانب بحر الروم من الأندلس إلى رومة إلى القسطنطينية والمغرب وكانت لهم حروب مع جميع أجناس العالم يطول بيانها. كانوا أولا من المجوسية إلى أن ظهر الحواريون وبثّوا على دين المسيح بأرضهم وتسلطوا عليهم مرة بعد أخرى ثم أخذوا بدينهم وأول من أخذ بدينهم قسطنطين بن لوثيوش[129] وأمه هلان بنت مخشمليان وسموا نَصَارى نسبة إلى ناصرة القرية التي كان فيها مسكن عيسى عليه السلام، لما رجع من مصر مع أمه. ونصران من أسماء المبالغة ومعناه هذا الدين في غير عصبة، صاحبه يهودي من ينصره من اتباعه لأن نبي الله عيسى عليه السلام إنما هو من بني اسرائيل من سبط يهود بن عمران عليه السلام. لأن عمران أبا مريم عليها السلام من ولد ماتان بن يوحنا بن يوشا السادس عشر من ملوك بني سليمان.

لطيفة: دخل يحي بن يعمر العدواني على الحجاج بن يوسف يوما فقال له: أنت الذي تقول الحسين من ذرية الرسول عليه الصلاة والسلام"، قال، نعم، قال له: آتني بالمخرج وإلا طرحت أكثر شعرك بالأرض". قال يحي: وأن أتيت بالمخرج فأنا آمن." قال: نعم، قال له: اقرأ أيها الأمير" وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على

---

* (Lacitum)

129 HELENE fille de Maximilien et Constantin fils de d'Aulitus

قومه" فقرأها الحجاج ولما ذكر عيسى اعترف بالحق وقال له: خلّف أبوك عالما فذا كأني ما قرأتها أبدا" وولاه قضاء أرضه إلى أن مات. وجه الجواب أن عيسى من ولد بنت إبراهيم عليهما السلام. وروي أن يحي لما رجع إلى الحجاج قال له: جعل الله عيسى من ذرية إبراهيم عليهما السلام من بعد ما بينهما. وهذا الحسين ما بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم إلا فاطمة رضي الله عنها.

ونسب هؤلاء الروم إلى روماش[130] باني رومة من ولد علجان بن يافت بن نوح عليه السلام ولذا يقال لهم العلوج وبعض المؤرخين وتبعهم بعض ضعفة المفسرين وأكثر الفقهاء في مبحث الجهاد يزعمون أنهم من ولد ينسوس بن عطاس بن عيصو بن إسحاق وقد أنكر ذلك المحققون وأبوه، لأن ابن حزم ذكر أن بني عيصو بن إسحاق بادوا جملة وخطأ من قال إن الروم منهم. وقال إنما وقع الغلط لأن موضعهم يقال له أروم. وفي التوراة أن عيصوا اسمه أروم فلذا يقال لهم بني الروم ومعناه بالعبرانية الجبل الذي لانبات فيه. فهذا سبب الغلط. قال ابن خلدون "إن ظن ظان أن قول النبي صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس في غزوة تبوك: " هل لك في جلاّد ابن الأصفر..." العلم يدل على أن الروم من بني الأصفر وهو عيصو[131] فليس كما ظن لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عني بني عيصو على الحقيقة لا الروم لأن مغزاه كان لناحية السرات مسكن بني عيصو.

وذهبت هيلانة لبيت المقدس للزيارة وسألت عن موضع الصليب فأخبرت أن اليهود ملؤه (كذا) زبلا. فلزمتهم طرحه على الصخرة الشريفة فاستخرجت ثلاثة خشب وسألت أيتها فقال الأسقف: علامتها تحيي الميت إذا مسته" فصدق ذلك بالتجربة واتخذ النصارى ذلك اليوم عيدا وبنيت ثم[132] الكنيسة المعروفة بالغمامة.

وكان تنصر الروم 328 من مولد المسيح عليه السلام. وكان قسطنطين حمل اليهود على النصرانية ويقتل كل من امتنع من أكل الخنزير ثم أمر ببناء بيزنطة وسماها باسمه. وسبب إسلامه مع شدته على دين نبي الله عيسى عليه السلام؛ قبله أنه كان به الجذام بدعوة بطرك عليه فقيل له شفاؤك في دماء الأطفال تغسل به، فجمع منهم عددا ثم رقي لهم فاطلقهم، فرأى في منامه يحض على التحلل من البطرك فاحسن له ورده من نفيه فبرأه، فحينئذ تنصر.

---

[130] روماش : Romulus

[131] عيصو : ESAU

[132] ثم : في الموقع

وأكثر النصارى على هذا البحر، الإفرنج وهم بني يافث بن نوح عليه السلام بالاتفاق، وهم في بسائط على عدوة البحر الرومي من شماله و جزيرة الأندلس غربهم تفصل بينهم وبينها جبال متوعرة ذات مسالك ضيقة يسمونها البرة* وسكانها الجلالقة من شعوب الإفرنج واستولوا من الجزائر على صقلية وقرطيش وجنوة واستولوا على قطعة من الأندلس إلى برشلونة ومن الإفرنج البنادقة وبلدهم يحافي خليجا يخرج من بحر الروم متضايقا إلى الناحية الشمالية ومغربا بعض الشئ على سبعمائة ميل من البحر مقابل لخليج القسطنطينية وعلى ثمان مراحل غربه من بلد جنوة الخ..

فائدة، أول من تنصّر من الروم قسطنطين كما مرّ و أول ملوك حمير تهود، أبو كرف أسعد بن صيفي وأول من وضع الستار على الكعبة الشريفة تبع بن وردع على ما في اللباب. مستهل السنة الألف من وفاة هذا الرجل الصالح، أوحي الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وأول ملوك المشرق حارب في المغرب، ياسر بن عمر بن يافور المشهور بياسر الناعم ولده "شامِر كهند" هو الذي بني سمرقند قبلة بغداد، على مسافة ستة أشهر وأول من وضع على رأسه تاجا ذهبيا حمير بن سبأ قاله ظاهر مؤرخ الفرس. وأول من استعمل الخمر ملوك بابل السريانية وقال هرشيوش** مؤرخ الروم كان سور بابل في دوره ثمانون ميلا وارتفاعه مائتا ذرع وعرضه خمسون، ومادة تشييده من الآجر والرصاص يتخلّله مائتا باب من النحاس في علوّه مسكن الحرس وعلى جانبيه العساكر وحوله خندق عميق تملأه مياه الفرات. و كان قيرش ملك الفرس لما غلب على بابل هدمه.

و بنو ميم أهل العراق أول من بنى الدور وسقفها خشب. منهم نسب الفرس. وأول ملوك اليمن غزا الروم عقلمة بن مرثد وهو أول من لبس اللثام. وأول من ملك الأرض من ذرية نوح كنعان بن كوش بن حام. وأول من تكلم العبرانية عامر بن زمخشد، في مدة ملكه بادت اللغة السريانية. وأول من زاد يوما على السنة الملك "عازية" من نفر داود من بني إسرائيل.و أمر ذلك في أربع سنوات بزيادة يوم بالسنة الأخيرة. وسببها أن الشمس في دورانها تتراجع بربع يوم في كل سنة. وأخذت اليهود بالسنة الشمسية.

ومعنى هذا البيت أن كفرة الاسبانيين أذلهم الله أخذوا منا مدينة وهران سنة خمس عشرة من القرن العاشر غذرا بمداخلة يهودي ونكبوا أهلها بين قتل وأسر. وأما برج المرسى فأخذوه قبل ذلك سنة إحدى عشرة. والرجس من رجس كفرح وكرم، والرجاسة: عمل عملا قبيحا انظر القاموس.

* البرة: (Pyrénées)– الجلالقة: (Galiciens) –قرطيش: (Crête) –البنادقة: (Vénitiens)
** (Paul Orose)

جحا فل الكفر قد حموا جوانبها ∴ وعن دفاعهم عجز أبو قلـمس

الجحفل بتقديم الجيم الجيش وفي القاموس جحفل الجيش الكبير. قال عنترة مخاطبا لزوجته عبلة

سلي فزارة عن فعلي وقد قربوا ∴ إلَيْ في جحفل كالعارض الهطـل

تهزا سمر القنا حقـدا عـلي إذا ∴ رَأت لهيب حاسمي زائد الشغل

و قولي حموا منعوا و لم سمي حما لأنه ممنوع من غير محمية و أول من حمى كليب بن ربيعة التغلبي و كثر في الجاهلية فلما جاء الإسلام قال رسول الله صلع لاحما إلا لله و رسوله و قولي جوانبها أي جهاتها. و لَمّا وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال لعمر بن الأهتم: أخبرني عن الزَبْرقَان، قال مطاع في إجابته "حامي لما وراء ظهره، قال الزبرقان: لقد علم لي أكثَر من هذا و لكنه حسدني، فقال عمر: و الله يا رسول الله إنه لأحمق الولد لئيم الخال ما كذبت في الأولى و لقد صدقت في الأخرى قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن من البيان لسحر قول.

و عن دفاعهم عجز أبو قَلْمَس.

وحمايتهم لها جوانبها بالأبراج والمدافع والجيوش التي لا تدافع، وكان ذلك أيام آخر ملوك تلمسان من بني زيان وهو السلطان أبو قلمس الزياني. قال الشيخ عبد الرحمن الجامعي فيه وهو ممن لم يهنأ له بالملك قرار ولا استقرت به في المملكة عمارة ولا دار ولم يكن للمسلمين دفاع ولم يبق لهم فيه طمع باجتماع وزاده على ذلك الأمر، أمر آخر أدهى وأمرّ و هو توجه الرعايا إلى خير الدين لما استقر بالجزائر في جند من الأتراك، بل أفضى ذلك إلى أخذ تلمسان من يده وءال أمره إلى الاستصراخ بالنصارى فلم ينفعه ماسوَّل له الشيطان المارد بل كان ذلك كضرب في حديد بارد.

و عاث دك ببطحتيها مجتلبا ∴ علينا لم يبل بنا مكثر الدفس

عاث أفسد و العتو الفساد و دكّ كان رئيس نصارى وهران و البطحاء فضاء متسع وأصل البطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحصى و المراد ببطحتيها سيرات وما اتصل بها من ملاتة و القاعة أرض سويد و كثيرا ما يعبر أهل التارخ عن أرض سويد بالبطحاء و قولي مجتلبا أي يجلب الجيوش من الكفرة وانضم إليهم من قبائل أهل الإسلام كحميان و قيزة و شافع و نحوهم من جفاة الإعراب، علينا أي معشر المسلمين و قولي لم يبل لم يكثرت بالمسلمين وأصل لم يبل لم يبالي حذفت ياؤه للجزم فصار يبال فلما كثر استعماله صار بمنزلة مالم يحذف منه شيء فقدروا تكوين الجازم

عليه مرّة أخرى. حذفت حركة اللام للجزم فسكت اللام و قبلها ساكن و هو الألف فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار "لم يبل" حينئذ. قال أبو العلاء المعري:

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبل ∴ ولو نظرت شررا إليك القبائل

تقتد على اكتاف أبطالـها القـنا ∴ و هابتك في إغماد هن المناصل

كل شاهد لم يبل في الصدر الأول من البيت الأولى و كأنّ البيتين قيلتا في عدو الله دُك، فهذا من غريب الاتفاق و المراد بالسعادة النصر و مثل هذا في الاتفاق أن المأمون لما زفت له بدران بنت الحسن بن سهل أمر أبوها بأن يفرش لها بساطا من ذهب كان هيأه لها و ينشر عليه الدرّ، فلما دخل عليها المأمون في بيت البناء رأى ما أخجله ثم رحم الله أبا نواس كأنه حيّ ينظر لهذا حيث يقول في وصف الخمر حين تصب في الكأس:

كل صغرى و كبرى من فقاقهما ∴ حصباء در على أرض من الذهب

وقولنا مكثر الدفس أي أكثر التوغل في بلاد الإسلام بشنّ الغارات و بعث البعوث. يقال دفس في البلاد دفوسا أو غل فيها و الوتر في الأرض مضى و جَمَلٌ مدفس كَمَنْبَر، شديد. دفوس و دفيوس ملك إتخذ مسجدا على أصحاب الكهف ودفيانوس ملك هربوا منه و كان أبعد الناس في الجاهلية غارة شراحيل الأصهب من بنى سعد العشيرة بطن من مدحج كان يغزو من حضرموت في اليمن إلى البلقاء في الشام في مائة فارس من بنى أبيه. يقول نابغة بني جعدة لما قتلوه:

أرحنا من مقراس شراحيل بعدما ∴ أراها مع الصبح الكواكب مـظهـرا

و عــقلمـة الحراب أدرك أرضـنا ∴ بذي الريث إذ صام النهار واهجرا

و من المتواتر في أهل بلدنا أن الكفرة مرّة غزوا على قوم أبي مهدي الشيخ سيدي عيسي بن موسى التيجاني* في وسط المائة العاشرة و هو حينئذ نازل شرقي نهر الطاغية فَأَتت قنبرة أمامه و صارت تذرى التراب و تصوت فأمر بالرحيل من حينه وكان عارفا بزجر الطير فعبروا النهر و دخلوا في غيطة**عظيمة يقال لها دار الهناء فلم يكن الإيسيرا و إذا بالجند واقف في حافة الواد الشرقية من الكفرة و بنى عامر فلما لم يروا أحدا رجعوا ولم يعبروا النهر. و من ذلك أنهم غزوا فروحة أرض الشيخ محمد بن يحي مقرئ الجن فلقوا خيلا من بنى عباد أحد بطون الحشم فتحاربوا فاستشهد منهم العروصي قبلة كدية عطية وأخذوا رأسه و فرسه وانقلبوا إلى وهــران

* دفين وادي التاغية : من علماء القرن العاشر. له قصيدة غوثية شهيرة شرحها أبو راس

** غيطة : غابة

وافتكوا بقرية "الطرك" غير مرّة حتى استأصلوا ساكنها وهرب الجلّ الباقي و هم سبب خرابها إلى غير ذلك مما لا يحصى.

وأما هبرة أهل سيرات*** فاتصلت وقائعهم بهم حتى تلاشوا وقل شعبهم لهذا العهد و كان وافق ذلك خروج المسلمين من "الحمراء" أحد معاقل غرناطة لما ضايقتهم عساكر الكفرة ولم يجدوا مغيثا فأمنهم الكفرة على أنفسهم وأذنوا لهم في الخروج فصاروا يخرجون إلى مرسى رزيو و هبرة يرصدونهم فكل من فارق البحر سلبوا ماله، سمع بذلك ولى الله سيدي محمد قدار[133] زحف إلى قبائل هبرة بجنود سويد فكانت بينهم حروب و بعوث الكفرة تغزوهم أيضا مرّة بعد مرّة حتى كان نساؤهم يجتمعن ليلا في أواسط الحلل و يَقُلْنَ "جينا بين النار و النار، بين نصارى دُكّ و نصارى قدّار، دبّر يارب علينا". بهذه الألفاظ يرفعن أصواتهن و يسمونه التبراش و المراد بنصارى قدّار عندهم سويد. ومرّ لنا أن نسب هبرة و سويد واحد. و ممن خرج من هذا المرسى الولي الأكبر و العلامة الأشهر سيدي أحمد بن عاشير و ذلك في شوال سنة ثمانية عشر وألف وانظر هذا مع قول العالم الأجل الذي صار سير المثل.وضربت له أباط الإبل سيدي محمد المسناوي الفاسي أن غرناطة دخلها النصارى سنة 897 وهي آخر ما فتحوا من أرض أندلس.

ورجّ أرجاءها لما أحاط بها فغادر الشم من أعلامها طمس

يقال رجّه، يرجّه رجّا، زلزله وفي الحديث: من ركب البحر حين ترتج فلا ذمامة له[134]، يعني اضطربت أمواجه وأرجاءه جوانبه والرجاء الجانب من البئر والحائط ونحوه وغادر ترك قال ابن دريد: كم قد هوى في جثة غوادرها من بعد ما كانت خسا فهي زكا: أي تركها زكا أي شفعا من بعد ما كانت خسا أي و ترا و الغدير اسم السيف ورجل وواد بديار مضر والشم بضم الشين المعجمة جمع أشم وهو العالي. قال همام بن غالب الملقب الفرزدق في مدح زين العابدين رضي الله عنه

بكفه حيزران ريحها عبق ∴ من كف أورع في عرنينة شمم.

وقال حسان رضي الله عنه في مدح ملوك بني جفنة من غسان

بيض الوجوه شريفة أحسابهم ∴ شم الأنوف من الطراز الأول.

*** هبرة : تقع بين شيق و المحمدية. و سيرات تقع شرقي مستنقعات المقطع شمال المحمدية (باريقو سابقا)

[133] : سيدي محمد قدّار دفين أرض مينة المتوفي سنة 1065 هـ، حرض الشيخ حميدة العبد لغزو هبرة لما فعلوا بالأندلسيين النازحين من غرناطة إلى مرسى رزيو "حتى أنهم كانوا يبرقرون بطونهم" أبوراس.

[134] نسخة أ: من ركب البحر وقت إرتجاجه بلالي

وقولي من أعلامها جمع علم وأصله الجبل الشامخ العالي. قالت الخنساء في مرثية أخيها صَخْر بن عمرو من بني الرشيد بطن من سليم:

وإن صَخْر التماتم الهداة به ∴ كأنه علم في رأسه نار

وأصل هذا أن العرب كانت من فرط جودها، يأمر الرجل عبده يوقد نارا في رأس جبل ويمكث عندها ليهدي لها الضيفان. قال الشاعر:

إذا ضل عنهم ضيفهم نشروا له ∴ من النار في الظلماء ألوية حمراء.

ومرادنا بالشم من أعلامها هنا أعالي بنيان وهران ومعنى طمس أي درس ومحي وذلك فيما يقتضي هدمه عندهم كمنار آذاننا وتشييد مساجدنا. ولما دخل النصارى طليطلة سنة 577 فأول ما بدأوا هدمهم فور دخولهم منار الجامع الأعظم ومحرابه وكان الشيخ المقامي المذكور في "مورد الضمآن" جالسا عند سارية من سواري المسجد ينظر لفعلهم وأخفاه الله عن أعينهم ولم يخرج منه حتى صلى ثلاثين ركعة. وطمس بكسر السين لضرورة القافية لأن روي هذا النظم سين مكسورة وهذا كثير شائع في كلامهم ومن ذلك قول أبي تمام في مرثية محمد بن نهشل:

تردي ثياب الموت حمرا فما أتى ∴ لها الليل إلا أمست من سندس خضر

خضر بضم الراء للضرورة لأن هذه القصيدة رويها راء مضمومة و قبل هذا البيت.

وقد كانت البيض القواصف في الوغى ∴ بواتر هي الآن من بعده بتر.

وقال الأسود بن يعقوب رحمه الله:

ماذا آمل بعد آل محرق ∴ تركوا منارا لهم وبعد إياد

أرض الخوانق والسرير وبارق ∴ والقصر ذو الشرفات من سنداد

جرت الرياح على محل ديارهم ∴ كأنما كانوا على ميعاد

ولقد كانوا فيها بأنعم عيشة ∴ في ظل ملك ثابت الأوتاد

وقال بعض الشعراء في أشير التي بناها زيري بن مناد بسفح جبل تيطري لما خربها أبو تاشفين أحد ملوك بني عبد الواد بتلمسان، بعد ذلك:

أشير حمزة ذهبت معالمها ∴ والدهر من شأنه الخربا.

وخالط الخمر والإشراك يا عجبا ∴ مواطن العلم والإيمان ذا تـوس

كم تليت بها من ءاية محكمة ∴ فبعد طهرها قد ملئت بالنجس

كأنها ما حوت شمسا ولا قمرا ∴ لم يدرّ في الناس والعالي من الندس.

يعني خالط الخمر والتلثيث مواطن الإيمان والتوس بفتحتين الطبيعة والأصل يقال فلان من توس صدق وفي القاموس التوس بالضم الطبيعة وهو من توس صدق والمراد هنا أنها أصل في الإسلام لأنها أسست على الإيمان والإسلام وتليت قرئت. قال الخفاجي في شرح الشفاء: لفظ التلاوة خاص بالقرآن والحكمة هي التي سلمت من التشابه والنسخ والندس قال في القاموس الرجل السريع الإسماع للصوت الخفي والفهم ورجل ندس أي فهم ومضارعه يندس بالضم والمنداس المرأة الخفيفة والندس الطعن أيضا. قال جرير:

ندسنا أبا مندوسة العين بالقنا ∴ وصار الدم من جريبته نازح

و باقي البيت ظاهر ثم نضم له شملها بعد الشتات ووصل حَبْلها بعد البناة بتشهير أميرنا أبي الفتوحات إلى حزبها فجدد لأهل الإسلام عرسها و عرفت ألفها و إنسها ودام لها السرورو الحبور و قالت الحمد الله الذي أذهب عنها الحزب أن ربنا لغفور و شكور والمعنى أن وهران لما غيرت بالكفر فصار الناس كأنهم لا دراية بأنها كانت مدين المكارب ومنيع العجائب وموضع قاصرات الطرف اللاتي هن كشمس الظهيرة والغلمان الذين هم كهالة البدر المنيرة ولا حوت الغالي الجيد من غير ذلك لتبدل حالها وتغير محالها.

قلت فيه :

فقد سد ثلما كان يخشى اتساعه ∴ و رقع خرقا ما عليه مزيد
و أصلح ما قد أفسدته صروفه ∴ وأزاح مآثر فخاب حسود
و قَوَّم معوجًا من الثغر فاستوي ∴ و بلغه ما كان منه يريد
نفى عنه خبث الشرك و الرجس و الأذى ∴ و كم من رميم عاد و هو جديد
و جل كروبا عمّ في الخلق و قعها ∴ و هَمَّ له وسط الفؤاد ركود
وأشرق أنوار الهدى بعد حجبها ∴ أنارَ لها دانٍ و ضاء بعيد
و أطلع في أفق السعادة أنجما ∴ لهن ترف في العلا و صعود
و عَمَّ و فود العالمين بنيله ∴ فذكر له بين الأنام مشيد
مواس لأهل العلم في كل بلدة ∴ و إن لم تكُنْ منهم إليه ورود
جدير بأن يدعى و حيد زمانه ∴ و تفخر أبناء به وجدود
فكم رسم مجد كان قبله باليا ∴ و كم من رميم عاد و هو جديد
فجمع خصال الكمال منيفة ∴ فهو بها عن الملوك فريد

مَدَّ اللّه أميرنا النعمة و أسعد بطول عمره الأمة و كمل به الكرامة و أصحبه النظر و السلامة و متع به الخاصّة و العامّة و جعله اللّه عصمة للدين و حصنا للمسلمين وأعانه اللّه على ما قلّدهُ و حفظه على ما أستعمله.

نـظير مـا فعـل نـفل بـملطية ∴ عـفى بالذل والصّقار والوكس

نفل هو قيصر، نفيل بالتصغير ملك الروم بالقسطنطينية وملطية مدينة عظيمة من مدن أرض الجزيرة مما يلي بلاد الروم بينها وبين الرقة خمسون فرسخا، خربها الروم في صدر الإسلام وبناها المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وجعل عليها سورا ونقل إليها عدة قبائل من العرب وبقيت بيد المسلمين إلى أن غزاها نفيل هذا سنة ثلاث وعشرين ومائتين، فقتل وسبى وغنم فنادت امرأة من أساري المسلمين "وامعتصماه" فبلغه ذلك وهو بكرسي ملكه ببغداد، فخرج ورقي القصر وقال: لبيك ثلاثا ثم جمع الجنود من فوره وسار بجنود لا يحصرها عدّ فيها بضعة وعشرون ألفا من ممالكيه الأتراك واستوزر اثنين منهم وهما إسناس والافشين، فجعل الأول على الميمنة والثاني على الميسرة وهو على القلب. فهزم الروم وقتل منهم ثلاثين ألفا وسبى مثلها وخربها وفي منقلبه: قتل العباس ابن أخيه المأمون، فوكل به الافشين وأمره أن يمنعه من الماء فمات عطشا لأنه توهم منه الثورة عليه وإسم المعتصم محمد بن هارون الرشيد وكنيته أبو إسحاق ولقب بالمثمن.

خـلا له الـجو فامـتدت يـداه إلـى ∴ أدراك ما لم تنل رجلاه مختلس

الضمائر عائدة لدكّ. يقال أخلست الشيء واختلسته إذا أسلبته والتخالس التسالب والاسم الخلسة بالضم وخلس النبات إذا اختلط رطبه بيابسه، كذا للجوهري ونحوه في القاموس وقال غيرهما المختلس هو الذي يأتي بسمة حتى يؤمنك ثم يخطف الشيء ويهرب جهارا والمراد هنا الناهب للأموال وغيرها، أي أن دكّا امتدت يداه إلى مالم يكن يطمع فيه قبل ولا أحد تحدثه به نفسه حتى صار يغير على البعيد من مصره ويأتي بالأموال والأساري إلى قصره حتى أَذعَنَتْ الناس لنهيه وأمره وصار يشرد[135] منه الأَبْعَدُ الذي على مسافة العدوى أو أزيد وقعد لأهل الإيمان كل مقعد وأرصدهم كل مرصد وأتمم وأنجد. قال الشيخ عبد الرحمن الجامعي في شرحه: كنت وفدت عَقِبةَ الفتح بقليل على الراوية النقاد: سراج التحقيق الوقاد منهل العلوم الأصفى: أبي عبد اللّه محمد المصطفى الرماصي[*]، فوجدته يسكن بأهله

---

[135] يشرد = يهرب

[*] الشيخ محمد المصطفى الرماصي : فقيه و عالم له حاشية على مختصر خليل معتمدة في مدارس المغرب و فتاوى يدل على شجاعته الأدبية : توفى سنة 1137 هـ برماصة قرب قلعة بني راشد

بيوت الشعر قرب غابة في رأس جبل يأويه ليلا ويظل نهارا في داره ومسجده يطالع كتبه ويقرئ طلبته، فسألته عن ذلك فقال: كنا على هذه الحالة على عهد النصارى خوفا منهم لأنّا لا نؤمن في الدور إن يصكّونا ليلا، فخرجنا لبيوت الشعر فيسهل علينا الفرار لغابة الجبل. فانظر إلى أين بلغ بالمسلمين خوف أولئك الطواغيت المفسدين ولا يعرف حلاوة الأمان إلا من ذاق مرارة الخوف.

وأخبرني أيضا المرابط الخير أبو يحي السيد علي بن حسون العبدلي أنهم كانوا لا يهنأ لهم في بلادهم نوم إلا إذا جعلوا من يحرسهم ومهما نام أحدهم يهدّئ باغارة النصارى عليهم ويصرخ في نومه من شدة خوفهم منهم وغزوا وطن تَاسَالَةَ فأسروا الولي الصالح السيد أبلاحة** وبناته الثلاث فبقوا بوهران سنة ثم فَدَاهُ وفدى إحدى بناته أبو عزة بن حميدة شيخ أولاد سليمان وفدى الأخرى الشحط شيخ أولاد علي والد دموش فزوجها له وبقيت الثالثة، فكثر بكاء أمها عليها، فخرج أبوها لساحة بيته فتوضأ ودعا اللّه وإذا بها مقبلة فقال لأمه: أخرجي لبنتك. فسئلت فقالت إني أمشط رأسي فنقر في طَّير أبيض فتبعته حتى أوصلني.

الجو هو مسافة مابين السماء و الأرض و قيل ما يلي الأرض و خلا الجو كالمأخوذ من قول كليب بن ربيعة التغلبي:

فيالك من قنبرة بمعمر ∴ خلالك الجو فبيضى و أصفري

وانظر ما شئت أن تنظر و ذلك أنه حَميَ حَمَاهُ و باضت فيه هذه القنبرة فكان يقول لها ذلك فدخلت الحمى ذات يوم ناقة الباسوس و هي ضيفة عند إبن أختها جساس بن مرّة الشيباني فوطيت ذلك البيض فافسدته فلما أخبر كليب بذلك ذهب إلى الناقة ورماها بنبل لضرعها فقتلها فلما علم بذلك جساس رمي كليبا بنبل فقتله و ذلك قول الشاعر

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا ∴ وأيسر دنبه منك ضرج بالدم

رمى ضرع ناب فاستمد بطعنة ∴ كماشية البرد اليماني المسهم

أي المخطط و في المثل أغرّ من كليب و هو أحد الثلاثة الذين سادوا على قبائل ربيعة و قبائل مضر فبسبب قتله دارت الحرب بين تغلب و عميدها أخو كليب مهلهل و بين بني شيبان أربعين سنة و من شيبان الحارث بن عباد صاحب النعامة و هي فرس له مشهورة عند الحرب و في التنسي أن الحارث بن عباد هذا قبض على مهلهل في إحدى الوقائع ولم يعرفه فقال له أيها الأسير :"إن دللتني على مهلهل

** سيدي بلاحة المهاجي ولي مشهور بالقعدة من علماء القرن 11 هـ.

سرحتك "فقال له" أنا مهلهل" فسرحه و من شعر الشيخ أبي على الحسين بن أبي الشَّحْنَا العسقلاني المشهور

حجاب و أعجاب و فرط تصنف ∴ و مديد إلى العلا يتكلف

و لو كان هذا من وراه كفاية ∴ عذرنا و لكن من وراه تخلف

قتل بخزانة الجنود و هي سجن بمصر سنة إثنين وأربعمائة رحمه الله و كان قوم ذكروا أن معاوية يوما، فلما سمعهم عمر قال لهم دعونا من ذم فتى قريشى لا ينال ما فوق رأسه إلى ما تحت قدمه و قال العلامة اللغوى، الأديب النحوى الذي طلعت دواوينه في المشارق و المغارب، طلوع الشمس في الغياهب. وتأليفه أبهر مواضع وأشرف مطالع سيدى الشريف الغرناطى في شرح مقصورة حازم: أن الطاغية بعث إلى يعقوب المنصور إني سمعت بك تنهي الغزو مرّة بعد أخرى و أنك تقدم رجلا و تؤخر أخرى وأنتم تقولون أن المائة منكم تغلب من النصاري مائتين، هذا في الزمان المار وأما الأن فبالعكس: أع و بخ !

فلما سمع المنصور كلامه و فهم خطابه كتب له الجواب: ما تَرى ما لا تَسْمَع. فذلك سبب وقعة الأرك ومما ينبغي أن يدرج هنا أن رجلا جبانا قيل له في بعض الوقائع تقدم فأنشأ يقول:

و قالوا تقدم قلت لست بفاعل ∴ أخاف على فخارتى أن تحطما

فلو كان لي رأسان جدت بواحد ∴ و لكنه رأس إذا مات أعْقَمَا

و لو كان مبتعا لدى السُوق مثله ∴ فعلت و لم أجعل بأن أتقدما

وأوتم أولاد وأرمل نسوة ∴ فكيف على هذا ترون التقدما

و لم يقل كعنترة.

ولا نفر إذا وقعت معمعة ∴ فما يزيد فرار المرئ في الأجل

وسار سيرته فينا من أعقبته ∴ و كلهم مقتف أرجوا و مردنس

في أخذهم بلنسية و قرطبة ∴ مرية معتصم بها و بطليس

أي سار سيرة دكّ فينا معشر المسلمين من أعقبه من عمال الكفرة بثغر في شنهم الغارات وأخذ الخرَاجات و السبي و الأسر و خسف الذل و القهر و كلهم متفق، أَرْجُوا أن و مردنس إلخ. وكان ذلك سنة ثلاث وثلاثين و ستمائة فزحف الكفرة بسبع محلات لحصار المسلمين إثنان منها على بلنسية وشقرة و شاطبة و محلة بجيان و محلة بصيرة و محلة بمرسية و محلة بِلُبْةَ وأهل جنوة من الفرانصيص و من

وراء ذلك على سبتة ثم ملك طاغية فشتالة مدينة قرطبة في آخر سنة ثلاث و ثلاثين وستمائة و ظفر طاغية أراغون بالكثير في حصون بلنسية و جزيرة شقرة و بنى حصن أنوشة لحصار بلنسية و أنزل به عسكره وأنصرف فزحف زيان بن مردنيش من الموحدين ومعه أهل شاطبة و شقرة إلى الكفرة فانهزم المسلمون وأصيب أكثرهم و استشهد أبو الربيع بن سالم شيخ المحدثين بالأندلس و كان يوما عظيما أمرًّا و عُنْوَانًا على أخد بلنسبية ظاهرًا ثم زحف طاغية أراغون سنة خمس و ثلاثين فاستمكن من نكايتها و فشل ريح عبد المؤمن فبايع أهلها الأمير أبى زكرياء وأوفد عليه إبن مردنيش كاتبه عبد الله بن الأبار القضاعي و أدّى بيعتهم في يوم مشهود بالحضرة واستصرخه بقصيدة التي أولها:

أدرك بخليك خيل الله أندلسا ∴ إن السبيل إلى منجاتها درسا.

فاجاب الأمير داعيتهم و بعث إليهم أسطولا مشحونا بالطعام و الأسلحة و المال وكانت قيمة ذلك مائة ألف دينار فجاءهم الأسطول بالمدد و هم في هولة الحصار فنزل بمرسى دانية واستفرغ المدد بها و رجع بالمال[136] إذ لم يجد له طريقا و كثر الهلاك من الجوع فسلمت للطاغية صلحا سنة ستّ و ثلاثين و ستمائة.وخرج منها إبن مردنيش إلى جزيرة شقرة في سنته و ذهب إبن مردنيش إلى دانية التي منها أبو عمر الداني صاحب القراءات و في سنة أربع و أربعين أخذ الطاغية "رُذْرِيك" برشلون ومرسية التي ينتسب إليها القطب أبو العباس المرسي بضم الياء نفعَنا الله به و ضريحه بالأسكندرية مشهور وخرج عنها إبن هود و البقاء الله سبحانه.

و من العجب أن إبن الأحمر الأنصاري ثم الخزرجي من ذرية سيدنا سعد بن عبادة رضى الله عنه، و كان إذ ذاك ملك غرناطة قد أعان الطاغية على بلنسية بمدده و ميرته* ولا حول ولا قوة إلا بالله. و في خلال ذلك أخذت شريس وطريف وأخذت مالقة سنة ثمان وأربعين و ستمائة و سرقسطة قبلها سنة ست و ستمائة وأخذت ميورقة سنة سبع و عشرين و ستمائة من يد أبي يحي التمللي وأنما فتح السلطان أبو الحسن تلمسان وآستولى على ملك بني زيان، أوقع في البحر باساطيل الروم الوقعة الشهيرة يوم السبت سادس شوال عام أربعين ثم جاز البحر إلى الأندلس فنزل طريف و زحف إليه سلطان برتقال ثالث محرم فكانت للروم على المسلمين هزيمة شنيعة حصدت فيها شوكة المسلمين. إنَّا الله و إنا إليه راجعون.

---

[136] نسخة أ: فبعث معه أسطولافيه مائة ألف مائة دينار و شحنه بالأبطال فحالت أساطيل الطاغية بينه و بين البلد فلم يفد شيئا.

* الميرة : الأغذية و الحبُوب

ثم أجاز البحر إلى سبتة.

وقولي مرية معتصم، المرية بفتح الميم وكسر الراء من قواعد الأندلس المشهورة و كانت في الإسلام لبني شمادة وهو الذي مدحه شاعر من أهل بلده فحلف أن يمشي على الدنانير منثورة في طريقه إلى داره وأخذت المرية في تاريخ إثنين وأربعين و خمسمائة.

حكاية طريفة و مسألة من العلم شريفة. و قطع سلطان المغرب يوسف بن تاشفين حين عبر إلى الأندلس بقصد غزو الإفرنج وأوقع بهم الهزيمة المشهورة و طلب من أهل البلاد المعونة على ما هو بصدده ووصل كتابه مدينة المرية في ذلك، يذكر فيه أن جماعة قد أفتوه بذلك إقتداء بعمر بن الخطاب فقال أهل المرية لقاضيهم أبي عبد الله بن البراء و كان من أهل الدين و الورع: لا بدّ أن تكتب له جواباً. فكتب إليه أما بعد، ما ذكره أمير المؤمنين في المعونة وأن أبا الوليد الباجي و جميع القضاة بالعدوة و الأندلس أفتوه بأن عمر رضى اله عنه إقتضاها ولا شك في عدله، فليس أمير المؤمنين ممن يشك في عدله، فإن كان الفقهاء أنزلوك منزلته في العدل فاللّه سائلهم عما تقلدوه فيك و ما إقتضاها عمر حتى حلف في المسجد ليس عنده درهم واحد في بيت المال فادخل أنت المسجد وآحلف بحضرة أهل العلم و حينئذ تستوجب". نقله البناني في المصارف و قوله أمير المؤمنين، هذا اللقب لم يتسم به يوسف ولا غيره من قبله من ملوك المغرب وإنما أول من تسمى به يوسف بن عبد المؤمن كما مرّ وهو معلوم عند من مارس و ذلك بعد موت يوسف بن تاشفين بثلاث و ستين سنة.

ومما يتعجب منه أن السلطان أبا زكرياء الحفصي جفت ريح الخلافة في أيامه ولم يبق مدعما إلا في أَوانه لا في بغداد و لا في مراكش و أخذت أكثر الأندلس في أيامه وزمن إبنه محمد ممدوح حازم حتى أن أهل الحرمين الشريفين كانوا قائمين بالدعوة العباسية منذ حولها لهم يوسف بن أيوب الكردي فلما إستولى التتار على بغداد كما مرّ، أرسل شريف الحرمين من ولد الحسن بن على بالبيعة للسلطان محمد المنتصر بن أبى زكرياء و كتبها الفقيه عبد الحق بن سبعين و هي طويلة عجيبة و لما وصلت هذه البيعة استحضر السلطان العامة و الخاصة و قرأها عليهم القاضي أبو البراء وأظهر رفعة السلطان و دولته بطاعة أهل البيت و الحرم. و في سنة اثنين و خمسين و خمسمائة قدمت بيعة أهل فاس وأقامها يعقوب بن عبد الحق بمراكش لما إستولى عليها و بايعه صاحب برنو من السودان ومواطنه قبلة طرابلس وأهدى إليه هدية عظيمة ضخمة من جُمْلَتِهَا الزرافة وبرز إليها جميع الخلق حتى ضاق بها الفضاء. وهذا السلطان هو الذي أحدث فلوس النحاس المسمى بالناصري تسهيلا على

الناس و هو الذي بنى قصبة تونس و إليه تنسب المدرسة التي يدرس فيها شيخنا الشيخ صالح الكواش و في سنة تسع و خمسين من أيامه غزا الفرنج تونس و رجعوا على غير طائل. إن زيان بن عبد القوى من أهل بلدنا و فد على السلطان غازيا الكفرة في بعة آلاف و تلك الغزوة سبب هدم قرطاجنة.

و قولي : بطليس * هي أحد أمصار الأندلس و أقرب موضع إليها الزلاقة التي كانت بها الوقعة المشهورة. و كانت مدّة ملك الطوائف في قسم بنى الأفطس هي وطريف و ما قاربها. و كان هذا الملك ماهرا في العلم و لا سيما الأدب و النوادر وأيام العرب و كان ألف كتابا في الأدب سماه "التذكرة" في خمسين مجلدًا و نسبه توجين بطنا من كندة ثم راجع بعض بنيه ملك ما ذكر إلى أن أخذ ذلك منه "إبن درميل [137] الطاغية و إلى ذلك أشرت بقولي :

طريفة درميل الردى تملكها ∴ فلم تدم لابن أفطس و لا أفطس

أول مدينة أخذها النصارى من الأندلس طليطلة و كانت وسط جزيزة الأندلس. فلما رأى ذلك ابن الحسن، قال

حثوا مطاياكم عن أرض أندلس ∴ فصار المقام بها إلاَّ من الغلط

فالثوب ينشق من أطرافه وارى ∴ ثوب الجزيرة أنشق من الوسط

من جاور الشر لا يأمن نوائبه ∴ كيف الحياة مع الحيات في سقط

و رحل إلى فاس وكان أَخْذُهَا سنة سبع و سبعين و أربعمائة و قيل ست وسبعين. وحكي الغزال[138] في رحلته إلى الأندلس سنة 1179 قال : "شاهدنا من حاكم مدينة الخيزرات و هي المعروفة عندنا بالخضراء و قاصيها و غيرهم من الميل إلى الإسلام ما لم نَرَهُمْ لغيرهم و دخلنا مدينة طريفة على شاطئ البحر و سورها طويل من بناء المسلمين. و لما وصلنا قصبتها وجدناها باقية عل ما تركها المسلمون، بها 18 برجًا وقدر ارتفاع السور و الأبراج عشر قامات[139] و بناء القصبة من حجر منحوت شبيه بالرخام و بأعلى بابها رخامة مكتوب عليها بخط كوفي "بسم اللّه الرحمن الرحيم وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله و صحبه و سلم" بأمر من عبد اللّه بن عبد الرحمن الداخل أمير المؤمنين" : و قال : و لما دخلنا اشبيلية، شاهدنا من

* بطليس : BAJADOS

[137] Don RAMIREZ

[138] سفير السلطان محمد الثالث العلوي إلى إسبانيا : يسمى أحمد بن المهدي الغزال و رحلته "نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد" ألفها سنة 1179 هـ.

[139] حوالي 19 مترا

عظيم بنائها وارتفاع جدارها وتعدد الصوامع بها ما ذكرنا بمصر في طولها وامتدادها وجرى النهر بنواحيها ممتلئ بها لا حصر له من الأجفان و اسمه لك[140]. و في اليوم الثالث من دخولنا للجامع الأعظم الذي كان للمسلمين رحمهم الله و قد تهيأ الملاء وآتينا القاضي وكثير من الفرايلية (الرهبان)، فصعدنا إلى المسجد بعشر درجات لارتفاعه على الأرض و هو في غاية الإتقان و السور والسواري من الحجر المنحوت و لا تميز اتصال الحجر بالذي يليه فوقا وتحتا وله 17 بابًا[141] و قد حمل المسجد على 120 سارية كل سارية على 24 شطرا: عرضها 64 شبرا وطولها 15 قامة و بين السارية و التي تقابلها 48 قدمًا و أتخذ الكفرة فيها اليواقيت ومصابيح الذهب و موضع مصلاهم و كراسي الذهب للقراءة، دمرهم الله. وله خمسة و عشرون ناقوسا وأكبرهم فيه 185 قنطارا. قيل أنه يسمع صوته مسيرة يوم."

قال: "ودخلنا مدينة قرطبة و هي مدينة عظيمة هائلة مشيدة على شفير الوادى الكبير الجامع لأودية الأندلس و بشرقها جبل غير شاهق وهو معمور ببساتين لا يأتي عليها حصر، وكذا الديار التي به. وهذا الجبل قريب من المدينة اسمه سيرا مرين* ولما أشرفنا على المدينة من ربوة، رأينا من تشييد ديارها وصعود مآذينها وتميز جامعها الأعظم لعلوه على جميع المباني واستدارة السور الإسلامي بها، وَجَدنا في نفوسنا من الأسف عليها ما ضاقت أرواحنا من أجله و كيف وقد تذكرنا من كان بها من المسلمين رحمهم الله. فلله الأمر من قبل و من بعد. و مسجدها أعظم مساجد الإسلام طوله ستمائة قدم و قدمان (602) وَعرضه 345 قدمًا و فيه لوحتان متصلتان بالأرض مكتوب على كل منهما البسملة و الصلاة ثم تاريخ بناء الملوك و من زاد فيه واحد بعد واحد. قال: فصرت أُنَحّى عنهما غبار الأقدام بلحيتي ونزعتهما وجعلتهما بأعلى السور بعد ملاطفة كثيرة. وأقواس المسجد منعقدة فوقها أقواس أخرى لطول سمكه، ولما انتهينا إلى المحراب الإسلامي، فإذا هو باقي على حاله لم يحدث فيه شيء غير أن النصارى حجروه بشباك من النحاس بحيث لا يدخله أحد، و لم أَدْرِ ما السر في ذلك إلى أن فتح الله بفهم موجبه حسبما يسلم به كل مؤمن. و ذلك أنَ المحراب اشتملت قوائمه و بناءاته على آيات قرآنية نزهها الله من لمس الكفرة ولا مرية أن أسلافهم تشاءموا به لأمر حدث بسبب دخولهم إيّاه، فحجروهُ بسبب ذلك. ولم يفتحوا لنا بابه إلا بعد مراودة كثيرة. ففتحوا من قبة متصلة به خارجة عنه وهو

[140] نهر لك: Guadulette

[141] نسخة أ: 10 أبواب

* Sierra Morena

في قبة و شكله في البنيان مثمن بألواح رخام طولها عشرة أشبار وعرضها سبعة و بأعلى الرخامة خط كوفي في غاية الإتقان مفتتح بالبسملة، ثم "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" و قوموا له قانتين، ثم بعده أمر الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكم، أمير المؤمنين أصلحه الله بتشييد هذا المحراب رغبة في جزيل الثواب وكريم المثاب. فتمَّ هذا في شهر ذى الحجة الحرام سنة 354 ثم يتلوه ما كان تتميما لدائرة المحراب قوله تعالى: "ومن يسلم وَجْهَهُ لله وهو محسن أستمسك بالعروة الوثقى و إلى الله عاقبة الأمور" ثم دائرة ثانية فوق الأولى "يا أيها الذين آمنوا أركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون" إلى آخر السورة وبخارج المحراب يمينا و شمالا البسملة "الحمد الله الذي هدينا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هَدَانا الله" "لقد جاءت رسل ربنا بالحق" يتلوه أمر الإمام المنتصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين مثلما تقدم ذكره حرفا بحرف. و في وسط القبة الخارجة عن المحراب المتصلة به ثلاثة قبور في صناديق من رخام لم أول جهدا في البحث عنها ولم أقف على أثرها و قد غلب الظن أنها للمسلمين ولو كانت للكفار لاعتنوا بالرقم عليها و التمويه و الكتابة حسبما هي عادتهم في مقابر أعيانهم. و قد أخذ الكفار بوسط الجامع تربيعة في غاية الوسع بين أسوار أربعة عقدوا عليها قبة صاعدة في الهواء بعد أن هدموا عدّة من سوارى المسجد الرخامية جعلوا موضعها سوارى بالبنيان، إستدارة الواحدة منها أربعة و ستون شبرا و قد إستداربا لسَّوَارِى شباك من نحاس مذهب إتخذوا هذه المواضع لمصلاهم و جعلوا به صلبانهم مع تِصاوير عديدة بعضها من الذهب و بعضها من اللوح و الحجارة و بقرب الجامع قصبة ملك المسلمين يسكنها الأن قاضى البلاد. و قولي طريفة بالتاء كما في رحلة الغزال و بغير تاء كما لابن خلدون.

<u>عدّة أعوام و الإسلام في شخص</u> ∴ <u>لذا تعدوا ملوك الصفر أندلس</u>

قد مرّ لنا أن ملك بنى أمية أنقرض من الأندلس في حدود سنة ثلاثين و أربعمائة، فافترق حينئذ أمر الأندلس وآختلَّ عقد نظامه لتعدد حكامه وأمرائه، تجد أهل بيوت الملك قد أخذوا برأي الأحداث و الزعانف*، فلذا تعددت فيه ملوك الطوائف و فسدت آراؤهم واختلفت أغراضهم وافترقت كلماتهم، مدّة تنيف عن مائة عام. فطمع العدو في ملكهم و شمّر لحربهم و هم مع ذلك في فتن متصلة وآراء مضمحلة ولم يجتمعوا على ملك بأمرهم يقوم إلى أن كان ما هو مشهور معلوم. وهذا معنى قولي عدّة أيام إلخ... واشخص بشين معجمة وآخره سين مهملة الاضطراب والاختلاف كما في الجواهرى و القاموس فلأجل ذلك تعدوا (كذا) ملوك الكفرة. و

* الزعانف : كل ما ليس فيه خير

قولي الصفر هم الروم و في البخاري "أنه ليخافه ملك بنى الأصفر" و قد مرّ لنا تمييز أرض الفرنج في تلك العدوة وأصل الكلام أن تعدوا ملوك الأندلس الصفر فالصفر نعت لملوك أندلس ففصلنا بين المضاف و المضاف إليه بالنعت وهو جائز في حالة الضرورة و قولي تعدوا هذا على لغة أكلوني البراغيث ولا يَصُحّ تجريد الفعل المستند لفاعله للمثنى و الجمع كما قال ابن مالك.

و جـرّد الفعل إذا ما أسندا ∴ لاثنين أو جمع كفاز الشـهداء

و خرج بعض أهل المعاني و البيان على اللغة الأخرى قوله تعالى: "و أسروا النجوى الذين ظلموا "و قولي أعوام هو جمع قلة استعمل هنا لما فوق المائة عملا بقول الخلاصة

و بعض ذي بكثرة و صفائفي ∴ كأرجل و العكس جاء كالصفي

و مرّ لنا نسب الروم و تاريخ تنصرهم وإنما سموا بني الأصفر لأن قيصر يوليوس الأول منهم قبل تنصرهم بكثير يدعي بالأصفر و من قال أن الأصفر هو عيصو بن إسحاق فقد علمت مماَّ مَرَّ أن ابن حزم و المحققون أنكروه.

تتمة: أبين فيها ملوك الطوائف الثوار بالأندلس بعد ذهاب ملك بنى أمية. فاول ثائر منهم أبو الحزم جهور تغلب على قرطبة وورثها منه بنوه إلى أن تغلب عليها العبادون سنة اثنين و ستين وأربعمائة أصلهم من آل المنذر ملوك الحيرة من بطون لخم. أولهم القاضى محمد بن عباد ثم ابنه المعتضد أشد ثوار الأندلس بأسًا و أبعدهم صيتا جمع خزانة مملوءة من رؤوس الثائرين بسيفه ثم و لده المعتمد المعلوم و قاعدة ملكهم أشبيلية و تقبض عليه يوسف بن تاشفين بأغمات إلى أن مات. و أغمات بلدة قديمة قبلة مراكش و هو الذي تقول فيه بنته "اللّه صيرنا إلى هنا" و هذا من بديع الجناس. و ثار بَسَر قُسْطَة منذر بن يحي بن حسين بن هود الجذامي و من بنيه محمد بن يوسف الذي قام بدعوة العباسيين و عليه كان قيام بنى نصر ملوك غرناطة و ثار العلامة ابن الأفطس ببطليوس و ثار باديس بن أماكسن بن زيري بغرناطة نسبه صنهاجي ثم رحل إلى إفريقية سنة عشرين وأربعمائة واستخلف حابوس بن أخيه و تداولوها إلى أن انقطع ملكهم على يد لمتونة و ثار بطليطلة إبن ذي النون إسماعيل بن عبد الرحمن و تداولوها إلى أن أخذها "إذفونس " لعنه اللّه من آخرهم يحي الظاهر وثار بالمرية بنو صمادح وثار بمرسية أبو عبد اللّه بن طاهر و ثار إبن رزين بالسهلة وثار فتيان المنصور مظفر على دانية و مبارك على بلنسية وأما

مولاهم المنصور بن أبي عامر المشهور صاحب الفتوحات العظام فكان قبل ملوك الطوائف لأنه هو الذي حجب هشام المؤيد و فيه يقول ابن الخطيب.

حجبه منصور آل عامر ∴ فليس بالناهي ولا بالآمر.

و هشام هذا من أواخر ملوك بني أمية و هو الذي عهد بالملك لعلي بن حمود الإدريسي لكن لم أعلم أن قاعدة من قواعد الأندلس التي ذكرنا أخذها العدو مدّة ملك الطوائف سوى طليطلة، فكان "إذفونس بن فر ديناد" أخذها قبل غزو يوسف بن تاشفين الزلاقة بسنة أو بستين و بقوا فيها إلى الآن. ولكن لما كانت هي القاعدة الكبرى و توسطت الأندلس كثر ضرر المسلمين بسببها لما دخل الهرم ملك بنى عبد المؤمن فكان أخذها عنوانا على أخذ جميع الأندلس بعد ذلك كما هو الواقع.

لا مانع لما أعطاه الله، ولا معطى مما منع الله. هذا الذي يجب علينا أن نعتقده. و لو شاء ربك ما فعلوه، و في سنة تسع و عشرين و ستمائة، استولى على غرناطة من بنى نصر محمد بن يوسف إبن أحمد بن أحمد بن خميس بن نصر الأنصاري الخزرجى من ولد سعد بن عبادة رضى الله عنه، أستقرّ سلفهم أول الفتح بقرية تعرف بقرية الخَزْرَج، و من ملوكهم السلطان الشهير و الملك الكبير إسماعيل الذي أوقع بالروم الوقعة الشهيرة و قتل ملكين منهم واستولى على كثير من البلاد فحصد شوكة الروم عام تسعة عشر و سبعمائة وآمتد ملكهم بها إلى أن أخذها النصراني من أيديهم عام سبعة و تسعين وثلاثمائة ومحمد بن نصر منهم هو مخدوم ابن الخطيب السلماني الـملقب لسان الدين شيخ ابن زرمك و من الغزوات العظام غزوة منصور حاجب هشام لِسَمُّورَة أحد مدن الكفار بالأندلس أنصرف منها بتسعة عشر ألف رأس من السبي و ذكر المقري في نفح الطيب في كلامه على إبن الخطيب، إن قصّة غرناطة مكتوبة برأسها هذه القصيدة و هي التي أنشدها إبن الخطيب للسلطان محمد بن نصر بن وندة لما أنصرف من عند أبي سالم ملك المغرب إلى غرناطة دار ملكه و قد هرب منها الثائر عليه. وأولها:

الحق يعلو و الأباطل تسفــل ∴ و الله عن أحكامه لا يسأل

وإذا تبدلت حالة أو تغـيرت ∴ فـالله عــز و جــلّ لا يتبدل

و اليسر بعد العسر موعود به ∴ كـفاك شاهدا قيدوا و توكلوا

و هي طويلة ولم تضمحل كتابتها إلى الآن.

كأنما ما تقضت بالعذيب لنا ∴ بمعسول اللما رَاقٍ شفى اللعس

العذيب ماء لبنى تميم و عاذب مكان أبي عمر و الأعذبان الطعام و النكاح أو الريق و الخمر، و العذاب النكال و عذاب ككتاب فرس البر بن قيس و عيذاب كميدان بلد و العذابة محركة فرس زيد بن سبيع و يوم العذبات من أيامهم و اللّما يقال لما به اشتمل عليه و تَلَمَأَتْ الأرض به و عليه اشتملت. وألمأ عليه ذهب به خفية و التمأ بماء الجفنة أستأثر راق أي معجب و منه قول الشاعر صريع غوان، راقهن وراقه و اللعس لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلا و ذلك يستملح. يقال شفة لعسا و فتية و نسوة لعس و هذا تغزل متضمن تذكر ما طاب من قضاء اللذات، و لطيف المفاكهات و طيب العيش وأرغده و ترفه وأنظره، وإمتداد سرادق الأمن و الأمان للمسلمين بثغر وهران، فكان ذلك الثغر للإسلام روض غض أزهر، بنسيم أزهر ثم حالت صفاته فانقلب و تبدل. و صار بالحلي إلى سوانا يتجمل، قال مسلم بن الوليد صريع الغواني.

جعلنا علامات المودة بيننا ∴ مصائد لحظهن أخفى من السحر

فاعرف فيها الوصل في يمن طرفها ∴ واعرف منها الهجر في النظر الشرر

قال عمر بن فتح في غلام :

فنونائه من حاجبيه استعارها ∴ ولاماته من صدغيه المتعاطف

و من لحظه الموذى اسوداد مداده ∴ و من وصله المحى إبيضاض الصحائف

و قال ابن الرقعان:

إذا جرت يده في الطرس كاتبة ∴ تبلج الطرس عن در و مرجان

وأن تكلم جاءته براعته ∴ بكل ما شاء من فهم و تبيان

ومن لطائف الكمال بن أبي شريف محشى المحلي على إبن السبكي في و سيم إسمه بدر

يا بدر دين الله صل دنفا ∴ صيره حبك مثل الخيال

لا تخشى من عيب إذ زرته ∴ فما يعاب البدر عند الكمال.

فارسل إلى ذلك الوسيم بعض المعاصرين للكمال بقوله

يَا بَدْر لا تصْغى لقول الكمال ∴ فكلما تشترق زور محال

البَدْرُ لا يخشى نقص في زيادته ∴ و إنما يخسف عند الكمال

و لبعضهم في التضمين الذي هو أحد أقسام البديع من علم البيان[142]

و معــتدل القـوام حوى جمالا ∴ صــفاه جســم و أورثنــى اعتــلالا
تغــمـد فــي ثـياب من حرير ∴ فــلــولا الـغــمـد يـمسكه لسـالا

و لبعضهم في وسيم أسمه الشرقي.

يقولون لي أكثرت في سمة الصبا ∴ و أعرضت عن ذكر المعاهد و البرق
بعيشــك إخــبرنا ولا تك كآثـما ∴ نسـيم الصـبا ما أقفلت هو الشرف

و لخاتمة البلغاء و الخطباء و حامل راية الشعراء و الأدباء أبي الحسن على الغراب الصفاقسى رحمه الله في وسيم مريض.

قــالــوا قـد إعـتـلّ ولـم يعـلـموا ∴ بـــعـلــة الســقــم ولا حكـمـه
بـــل إنـــما يـــهوى للظن لحظة ∴ فــدب للأعــضــاء مــن سقمه
مـــارضــــى الســقم له منــزلا ∴ باللــحــظ حتى دب في جسمه

وله في شاب اسمه سعد مضمنا قول القائل قاتل بسعد و إلاَّ فَدَعْ

لســعد بقلبي مــن الشـوق ما ∴ مــن الحسن في وجهه قد جمع
ألا قــل لمــن رمــي قتل العدا ∴ قــاتــل بســعـــد و إلاَّ فـدَعْ

قالت جماعة الأدباء بيوت الشعر أربعة: بحر و مدح و هجاء و تشبيب، وألطف شيء قيل في التشبيب قول جرير:

أن العيون التي بطـرفها مــرض ∴ قــتلــتنــا ثم لم يحينا قتلانـا
يَصْرعْنَ ذا اللب حتى لاحَرَاك به ∴ و من أضعف خلـق الله أركــانا

تلبية: قال الشهاب الخفاجي في شرحه على الشفا: لا يقال في الرجل أديب حتى يعرف الشعر و النحو، انتهى

ولا قضـينا عــلى أطراف كاظمة ∴ بــوصل سلمى زمنا غير منعبس

كاظمة طريق تذهب إلى مكة و منعبس أي كربها و قوله تعالى : يوما عبوسا أي تعبس منه الوجوه و العبس بالتحريك ما تعلق بأذناب الإبل من أبوالها و أبعارها يجف عليها، و عبس قبيلة و عمر بن عبسة صحابي و معنى البيت فيه قضينا بوصل سلمى على أطراف كاظمة في زمن غير عن كربه و من شعر بشار في الغزل و هو أغزل بيت:

---
[142] نسخة أ: سقطت هذه الفقرة.

أنـا و اللّه أشـتهى سحر عينيك ∴ و حــشـــر مــصــارع العـشــاق

و من شعره :

يا قوم أذنى لبعض الحي عاشـقـة ∴ و الأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا أَمَنْ لا ترى تَهْوَى فقلت لهم ∴ الأذن كالعين توافي القلب مكانا

ومن بديع ما قال أبو الحسن على الغراب رحمه اللّه

و ســــقــانـــي شــبـــــه أمــــــاق ∴ وحمـرة خـدّيه و جمـرة أشــواق

سقاني و شهب الليل منهن قد غدا ∴ له ذنبك السرحان كأنـس أفــاق

و شــاد علــى عود لـنا راق لحنه ∴ يجاوبه شــاد علــى عــود أوراق

و قد طاب بالعودين مجلس انســنا ∴ فعــود لتحريك و عــود لاحــراق

متى يشدو في الحان داوود يوسـف ∴ غدا صوت ابراهيم سهما و إسحاق

تخاف طلوع الشمس و هي بكأسنـا ∴ و من خَدّ ساقيها لها فضل اشــراق

غدت شهوب الكاسَات تشرق بيننا ∴ و تغرب في أفق الحشــا بعـد إشراق

و لا سفحنا على واد ابن الخير دما ∴ من منحر الدن اذ يحيــي و يرتمس

سفح كمنع أراق و سفح الدم أرسله سفحا و سفوحا و سفحانا وواد ابن الخير هو نهر وهران الذي عليه بساتينها و سائر منافعها و ابن الخير هو محمد بن الخير بن خزر أحد ملوكها كما مرّ، و جدّه الخزر هو الذي اختطها و المراد بالدم هنا المدام أي الخمر و الدَّنُ واحد الدنان و منحره حلقه و فيه استعارة بالكناية و قولي يرتمس أي يقبر و يدفن لأن الرمس القبر و الدفن كالرمس و الراموس.

فائدة: ذكر الأبي في حواشيه على شروح مسلم أشياء على وزن فاعول و هي راموس للقبر و كابوس للفتور الذي يأتي قبل النوم و هو السنة عند الأكثر لأنها بدء النعاس و ليس يفقد معها كل الذهن.

و بابوس للرضيع و قاموس للبحر و نافوس دابة يتشاءم بها و ناموس هو صاحب سر الخير و الجاسوس هو رسول الشر و جاموس أحد نوعي البقر إلخ... و يحيي و يرتمس على طريق المبالغة، و قد قال عبد الملك للأخطل: أسلم و تمنى عليّ ما شئت ولو نصف ملكي "فقال له" أن أسلمت، نفارق الخمر" قال نعم، قال له: تلك القتلة التي لا تبقى لذة معها و كان منصور بن ريان الغطفاني قبل إسلامه متزوجا بمليكة زوجة أبيه و كان شريبا فلما أسلم حِيلَ بينه و بين زوجته مليكة و حيل بينه و بين الخمر فجعل يقول:

خليلى لا قتل التي لك الخير ∴ و قد حجبت مني مليكة و الخمر.

وفد ولد أبي مُحجن على معاوية فخطب فاحسن فأراد بعض أهل المجلس أن يوقعه فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله :

إذا مــت إدفنوني في ظـل كرمـة ∴ تروي عـظامي في المـمات عروقــها

ولا تدفنوني في الفـضـاء فانــنى ∴ أخــاف إذا مـت أن لا أذوقــــها

فقال : بل الذي أنا أقول

لا تسأل الناس مامالي و كثرتــه ∴ وسائل الناس ماجودى و ما خُلُقي

وأطعن الطعنة في عارض و حشـا ∴ وأكــتــم الســر فيـه ضـربة العنق

و قال حرقوص النمرى :

ألا فاسقياني قبل جيش أبي بكر ∴ لعل منــايانا قريـب و ما نــدري

ألا عـلــلاني بالــزمـان و كــررا ∴ عـلـى كمـيت اللون صافية تجرى

ألا فافرغاها وأرضيا جاها هديتها ∴ بــماء سحاب زل من جبل و عر

و رؤيــا هــامــني مـن قبل رقدة ∴ أكـون بـها طول الليالي في القبر

و هــات سلاحِي يـا إمام فإنني ∴ أخاف يبات القوم بالأسل السمر

أظن جيوش المسلمـين و خالــدا ∴ سيطر قكم بالليل في واضح الفجر

فـهــل لكم يا قوم قبل صباحــه ∴ و قبل خروج الغانيات من الخدر

أرى الموت خيرا من حياة طويلة ∴ أَرْدَي بــها يـوما إلى أرذل العمــر

فهجم عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه و قصد رجلٌ من الجيش حرقوص المذكور و قد سمع شعره المار فقتله و جز رأسه و جعله في جُفنة خمر و جدها بين يديه.

و من لطائف أبى الحسن علي الغراب في تشبيه دن وضع في حلقه نارنجة*

و نارنجة في حَلْقِ دَنٍ و قد بدت ∴ لــها منــظر قــد راق كــل لبـيب

فشبهتها إذ راقنى حسن و صْفَها ∴ بـد ينــار إبــريز بــثغــر حبيـب

و قال صاحب الأشعار الراقية و التشبيهات الفائقة عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسى :

* نَارَنجة : بُرْتَقَالة

سقى المطيرة ذات الظل و الشجر ∴ ودير عبدون هطال من المطر
فطال ما نبهتنى للصبوح بها ∴ في غرة الفجر و العصفور لم يطر
أصوات رهبان دير في صلاتهم ∴ سود المدارع نقارير في السحر
مَسْتُورِين[143] على الأوساط قد جعلوا ∴ على الرؤوس أكاليلا من الشعر
فجاءني في قميص الليل مستترا ∴ يستعجل الخطو من خوف و من حذر
فقمت أفرش خدّي في الطريق له ∴ ذلا واسحب أذيالي على الأثر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا ∴ مثل القلامة قد قدت من الظفر
و كان ما كان مما لست أذكره ∴ فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر.

و من ضريف شعره و بديع مأخذه و متخيره

و مهفهف عقد الشراب لسانه ∴ فحدثته بالزمن و الأياما
حركته بيدي و قلت له ∴ إنتبه يافرحة الخلطا و الندما
فاجابني و السكر يخفض صوته ∴ بتلجلج كتلجلج الفاما
أنا لا أفهم ما تقول و إنما ∴ غلبت عليّ سلافة الصهبا.

تولى عبد الله بن المعتز الخلافة يوما و ليلة لما خلع المقتدر ثم أن أصحاب المقتدر تحزبوا و حاربوا أعوانه و شتتوهم و أعادوا المقتدر و استخفى إبن المعتز في دار ابن الجصاص التاجر فأخذه المقتدر و قتله سنة ست و تسعين و مائتين وأخذ من ابن الجصاص مقدار ألفى دينار و ردّ له بعد ذلك منها مقدار سبع مائة ألف دينار و كان إبن المعتز حنفى المذهب. وأنشد حماد بن سابور الراوية لعدي بن زيد العبادي.

"و دعوا بالصبوح يوما فجاءت ∴ قينة بيدها إبريق."

و كان حماد هذا أحفظ الخلق للأشعار، أنشد الوليد بن عبد الملك يوما حتى زجره ثم و كل به من يصدقه عنه و يستوفى عليه محفوظاته فأنشده ألفين و تسعمائة قصيدة للجاهلية فقط.

فاخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم، و مرّ لنا أول من اتخذ الخمر و من أسمائها المدام و الصهباء و الكميت و السلافة و العقار و الخندريس مشتق من الخدرسة و قولي ولا سفحنا إلخ... قال دبيس الأمير الأسدي.

شربنا وأرهقت على الأرض كأسنا ∴ و للأرض من كأس الكرام نصيب.

[143] نسخة أ: سقطت مستورين

و مرّ لنا أن الدن واحد الدنان، زاد الجوهرى الدندنة أن تسمع من الرجل نغمة ولا تدري ما يقول و في الحديث حولها لدندن.

يــا حسرة لمعــالم الأيمان بــهــا ∴ فــكـــانت مدّته كسـنة الكبــس

النداء بالحسرة فيه تنبيه على تعظيم الأمر و تشنيعه و الحسرة التلهف و المعلم في الأصل هو الذي يستدل به على الطريق و جمعه معالم و المراد بالمعالم هنا أركان الإيمان و شعائره كالدعائم الخمس و الآذان و نحو ذلك و الضمير في بها لوهران و الضمير في مدته يعود للإيمان و الكبس هو الذي يأتيك قبل النوم، و الكبس قال في القاموس كبس البئر و النهر يكبسها أطمها بالتراب ورأسه في ثوبه أخفاه، أدخله فيه ثم قال بعد نحو سطرين و الغراب الذكر الضخم و العظيم الرأس و من يكبس رأسه في ثيابه و ينام أي فكانت مدّته أي الإيمان بذلك الثغر في القصر كالسنة التي تأخذ من أدخل رأسه في ثوبه لينام ثم أستيقظ و نشط.

– يحكى أن نبي الله عيسى عليه السلام لقي سيدنا نوحا عليه السلام مَنَامًا أو يقظة كما قيل، فقال له: "كيف رأيت الدنيا" فقال "كقصرله بابان دخلت من واحد و خرجت من آخر ومازال عنك من ملاذ الدنيا فهو متاع قليل وأن صحبك قبل زواله زمن طويل، ولذا تجد المؤرخين يقولون وقع ذلك أيام فلان عبَارَةً عن مدّة مديدة، بقي فيها بسنين عديدة، فيالها من مدّة لو لم تشب ببعاد أو كان وصلها ماله من نفاد فلم يدم ذلك الوصل عن حاله و قد جذع أنف كماله، وأسرع فألجَّ في النفار، وولت أجناده الأدبار فارتحلت الأحبة على الديار كأن لم يلبثوا الأساعة من نهار، فراحت الروح على آثارهم و ناح الغراب على أوكارهم و كلما لمت الزمان بسبب التقصير و جذع أنف موته بمدينة المسير، وقال كيف لا أجذع أنفى على خلو الثغر من الإسلام و تقصير، قال الشاعر.

و ما الدهر و الأيام الأكما ترى ∴ رزيـــة مـــال أو فـــراق حبـيب

آخر ما بعده الزناكي حاصرها ∴ فامتنعت و شمست أيما شمس

الضمير في بعده يعود على القرن العاشر و الذي بعده القرن الحادي عشر أي في آخر الحادي عشر، حاصر الفقيه الهمام و البطل الضرغام، الملك العلام الذي بأعباء الولاية قائم، حاصد شوكة أهل الكفر و الطغيان، الزناكي سيدي الباي شعبان، الكفرة بثغر و هران و ضايقهم بالآلة و الجنود وأرهبهم بكثرة العساكر و الحشود، فهو الحامل للواء الإسلام و بنده، المباشر لوطيس رَحَى الحرب بنفسه وطرفه. و شهرته تغنى عن الأطناب في وصفه و المفاعلة في حاصرها ليست على بابها،

وقولي شمست صعبت بحيث لاتنقاد لأحد، مأخوذ من شمس الفرس شموسا و شماسا منع ظهره فهو شامس. و أما الشموس فهي أمرآة من جديس العرب العاربة البائدة بنت غفار أخت حنظلة الغسيل رضي الله عنه و بنت عمر بن حزام و بنت مالك بن قيس و بنت النعمان صحابيات و أيضا علم لِفَرَس الأسود بن شريك، وقولي أيما شمس أي امتنعت غاية الامتناع أو امتنعت امتناعا أي امتناع و أيُّمَا بفتح الياء التحتية المشددة نعت لمصدر محذوف وما زائدة فتكون حينئذ مضافة النكرة لأن أي الموصوف بها و الواقعة حالا لا يضافان إلا للنكرة وإنما وجب إضافتها إلى النكرة فيهما لأن نعت النكرة و الحال يجب أن يكونا نكرتين.

وأول من غزا وهران من ملوك الترك بالجزائر إبراهيم باشا. كان قبل الولاية يقال له إبراهيم خوجة وَ طَوَيَها بثقله وأناخ عليها بكَلْكَله فرماها مدّة من "المايدة "قنة جبل هيدور بالمدافع و اَلبونبة، فَلَم يَفِدْ شيئا. و سعى في هلاكها بجميع الحيل و المكائد و هو في كل ذلك كضارب حديد بارد. فلما أيقن أنها ممتنعة عليه، إنقلب راجعا إلى دار ملكه، و لما قلّد الأتراك بالجزائر إيالة مازونة و ما ينضم إليها من البسائط و البلدان لسيدي الباي شعبان في حدود نيف و سبعين ومائة وألف، صرف همته للجهاد ومكافحة أهل البغي و الإلحاد، فكرر الغزو إليها و التدويخ، و قد استعانوا علينا من تلك العدوة بالصريخ مع ما أنضم إليهم من ضعفة الدين من المسلمين، فاشتد عضدهم وأطمأن الكفر بالثغر قرير العين، فكثير الآن يقع القتال و في كل ذلك الحرب بينهم سجال إلا أنه قبض أيديهم عن بسائطها وأكثر المرات يكتسح مسارحها و ضيق عليهم أشد التضييق ولم يكن لهم في الفرج سبيل و لا طريق وأرصد عليهم الجواسيس و العيون حتى أنهم لا مجال لهم إلا يمين المدينة و برج العيون و إلى ذلك أشَرْتُ بقولي:

و طَني الفيلق الجرار لآراضيهم ∴ به همت دمعهم من زكا وخس

دارت حروب عظام بينهم قد أتي ∴ آخر أمرها با ستشهاد النفس

الفيلق كصقيل و الجرار من السماء، الجيش كالخميس و الجند و نحو ذلك و همت من الهميان و هو الأنحدار و السيلان وزكا للشفع و خسا للوتر، قال إبن دريد:

كم قد هوى في جثة عاذرها ∴ من بعد ما كانت خسا فهي زكا.

و قولي باستشهاد النفس و خبر ذلك اليوم أن الباي شعبان رحمه الله زحف إلى وهران في نحو أربعة ألاف فيهم نحو ثلاثة ألاف فارس وزحف الكفرة إليه من وهران

مع مردة العرب من بنى عامر وكيزة وغمرة و نحوهم من أزيد من ثمانية ألاف فيهم ألف خيل و الباقي رجالة فكان مصاف القتال بكدية الخيار وصبر الفريقان ثم أنفضت الكفرة واختل مصافهم و قد ربط بعضهم أنفسهم بالحبال و بعضهم طرحوا أنفسهم في الأكبال فجعلهم الله غنيمة للمسلمين و فيئا للموحدين فقتل في تلك الهزيمة أكثر من أحدى عشر مائة و دامت عليهم الهزيمة حتى أنتهى المسلمون إلى باب وهران، فحمي الوطيس عنده و في تلك المعركة قتل الباي رحمه الله وأمده برضوانه وأسكنه فسيح جنانه و من الفردوس ميطانه، فبقيت جثته بأيديهم فجزوا رأسه و علقوه على الباب، فرأى بعض الكفرة بالليل نورا يسطع عليه فبعثوا للمسلمين فجعلوه في خزنة مع جسمه و ذلك سنة ثمان و تسعين وألف. إن الذي قتله من المسلمين الذين معهم المسمون بالمغاطيس و يقال إن اسم هذا القاتل له: أبو نصابية و ذلك سبب غزو السلطان إسماعيل لها كما يأتي قريبا، ولما استشهد أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي الأندلسي الحافظ قاضى بلنسية سنة ثلاث وأربع مائة، بقي بلا دفن ثلاثة أيام ثم دفن في الرابع متغيرا رحمه الله، وروى عنه أنه قال تعلقت باستار الكعبة وسألت الله الشهادة ثم فكرت في هول القتل فهممت أن أرجع فاستقيل إليه من ذلك فاستحييت، وكان رضي الله عنه في تلك الوقعة جرح و بقي بين القتلى فسمع هاتفا بصوت ضعيف يقول لا يكلم أحد في سبيل الله الأجاء يوم القيامة و جرحه يبعث دما اللون لَونَ دم و الريح[144] مسك كأنه يعيد على نفسه الحديث ثم قضى و هذا الحديث أخرجه مسلم ولَنَا في الوليد هذا، أشعار حسان منها قوله:

أسـير الخـطـايـا عند بابـك واقــف ∴ عَلَى وَجَلٍ مما أنـت بــه عـــارف
يخاف ذُنُوبـًا لـم يغـب عنك عيبهـا ∴ ويرجوكً فيها فهو راج و خـائــف
و من ذا الذي يرجي سواك و يتقى به ∴ و مالـك في فصْل القضاء مُـخـالـف
فــيا سيـدي لا تـخزني في صحيفـتي ∴ إذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكــن مــؤنسى في ظلـمة القـبر عندما ∴ يصـد ذوو القـربى و يخف الموالف
لَيـْسَ ضاق عـنى عفوك الواسع الـذي ∴ أرجــو لإسـرافي فـإني لـتالــف

ومن قولي: دارت حروب، فائدة: الحرب رحى ثقالها الصبر و قطبها المكر و مدارها الإجتهاد و ثقافها الأناءة و زمامها الحذر ولكل شيء من هذه ثمرة فثمرة المكر الظفر، و ثمرة الصبر التأكيد، و ثمرة الإجتهاد التوفيق، و ثمرة الأناءة اليمن و ثمرة

[144] نسخة: أ: تبعث دما اللون و الريح مسك...

الحذر السلامة. و لكل مقام مقال، ولكل زمان رجال، و الحرب بين الناس سجال، و الرأى ابلغ من القتال، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمر بن معدى كرب الزبيدي "صف لنا الحرب" فقال مرّة المذاق إن كشفت عن ساق من صبر فيها عرف، ومن كلّ عنها تلف ثم أنشأ يقول:

الـحرب أول مـا تـكـون فتنة ∴ تَـسـْعَى بـزينـتها لكل جهول

حتى إذا حميت واشتد ضرامها ∴ صارت عجوزا غير ذات خليل

شمطا، جزت رأسها و شكرت ∴ مـكـروهـة للـشـم و التقبيل

وقيل لعنترة الفوارس: صف لنا الحرب فقال، أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى: وجمع الله تدبير الحرب في آيتين من كتابه فقال "يأيها الذين آمنوا إذا لقيتكم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" و"أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم وأصبروا إن الله مع الصابرين" وقالت العرب: الشجاعة و قاية و الجبن مقتلة ومن يقتل مُدْبَرًا أكثر من الذي يقتل مقبلا ولذا قال الصديق لخالد رضى الله عنهما: "أحرص على الموت توهب لك الحياة" و العرب تقول الشجاع مُوّقَى و الجبان ملقى، و كان خالد بن الوليد يسير بين الصفوف و يقول : إن الصبر عز و الفشل عجز و قالت الحكماء استقبال الموت خَيْرٌ من استدباره.

قال العلوى:

محرمة اكفال خيْلي على القنا ∴ ودامـيـة لـباتـها ونـحورها

حرام على أرماحنا طعن مدبر ∴ و تَشُقُّ منها في الصدور صدورها.

وكانوا يتمادحون بالقتل ويتسابون بالموت على الفراش ويقولون مات فلان حتف أنفه وأول من قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال عبد الله بن الزبير لما سمع بقتل أخيه: مصعب "إنا والله لا نموت جيفا جيفة الحصير [145] كبنى مروان ولكن نموت بأطارق الرماح و قطع السيوف و قال السَمَوْءَل:

وما مات منا سيد في فـراشه ∴ ولا طـلّ منـا حـيث كان قتيل

يقال طل دمه أي هَدَرَ و الأفصح أنه لا يستعمل إلا مبنى على المجهول كما قال العلامة بحرق في كبيره قال في مفيد العلوم: أعرف الناس في القتل عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوام، عمارة مَاتَ بقديد * وحمزة قتله الخوارج و مصعب

[145] نسخة أ جيفة الحمير

* القديد : السيف

قتله عبيد الله بن ضبيان وسيدنا الزبير يوم الجمل وأبوه العوام قتله هوازن في حرب الفجار المشهورة.

تنبيه: لا شك أن قولي في الرحى مجاز لُغَوي على الأصح في الحرب. فالحرب مستعار له و الرحى مستعار منه و القاعدة أن الإستعارة التي قرنت بما يلائم المستعار منه تسمى مرشحة ونظيره قوله تعالى: "أولئك الذين إشتروا الضلالة بالهدى فما رَبِحَتُ تجارتهم" وأما المجردة فهي التي فرضت بما يلائم المستعار له كقول كثير عزة.

غمر الردى إذا تبسم ضاحكا ∴ علمت لضحكته رقاب المال

غمر الردى أي كثير العطاء، إستعار الردى للعطاء ثم وصفه بالغمر الذي يلائم العطاء دون الردى، وأما المطلقة فهي التي لم تقترن بصفة و لا بما يلائم واحد منها نحو عندي أسد و المراد بالصفة هنا عند البيانيين المعنوية التي هي معنى قائم بالغير، لا للنعت الذي هو أحد التوابع لتدخل الحالية و الخبرية و نحو هما و قد تجتمع المرشحة و المجردة معا كما في قول الشاعر.

لدى أسد شاكي السلاح مقذف ∴ لــه لـبـد أظـفاره لــم تقلم

فذكر السلاح تجريد و ذكر الأظفار التي لم تقلم و اللبد ترشيح و معنى شاكي تامها و مقدف، قذف به كثيرا إلى الوقائع و لبد الأسد ما تلبد على منكبيه من شعره و التقليم مبالغة و القلم القطع...

أول عام من قرن ثاني عشر ∴ جمع إسماعيل لها أقاصي سس.

هو السلطان إسماعيل المشهور ابن على السجلماسي الشريف الحسنى من نسل سيدنا موسى الجون* بن عبد الله الكامل بن الحسن بن على بن أبى طالب أصل سلفه من ينبوع النخل و مدشرهم فيه مشهور يقال له مد شر بنى إبراهيم. و لما جح أهل سجلماسة و مرّوا في أيامهم بينبوع، أتى معهم الولي الأمجد و الطالع الأسعد سيدي على المعروف بالشريف فاستوطن بأرضهم ووقفوا عليه أوقافا عظيمة و ذلك في حدود سنة خمس و سبعين و ستمائة أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، فكثر أولاده بسجلماسة ولما فشل ريح بنى وطاس و بني سعد وثب السلطان رشيد على المغرب فاستولى على ملكه واستعان عليه بمال أبي مشعل الذمّي وإلى هذا السلطان تنتسب الموزونة الرشيدية ولما مات بويع بالملك أخوه السلطان إسماعيل المشهور و بقي الملك في عقبه إلى أن توفي رحمه الله سنة ست وثلاثين ومائة وألف

* و هو خطأ حسب النسابين : يعود نسبه إلى محمد النفس الزكية

وملك ثلاثا و ستين سنة وقيل غير ذلك وكان صحيح البخاري يختم على ظهره رحمه الله و هو الذي فتح طنجة و المدينة البيضاء و غيرهما فبسببه ضعف أمر الكفر بِسَواحل المغرب، قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفا : طنجة بفتح الطاء، لفظ بربرى فتحت في الإسلام ثم إستولى عليها النصارى سنة سبعين و ثمانمائة بعد قتال عظيم و لما رأى المسلمون أن لا مغيث لهم سلموها لهم "إنَّا لله و إنا إليه راجعون" ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا أكثر البلاد فعاد الإسلام غريبا كما بدا. انتهى.

و قد كان هذا السلطان محاصرًا لسبتة مدّة أيامه فيه تقلص ملك الكفرة من المغرب وانقبضت أيديهم عن بسائطه. و سجلماسة مدينة من قواعد المغرب و هي بكسر السين و الجيم وأهلها يسمون الكلاب و يأكلونها و مرّ تاريخ بنائها. قلت وأهل بسكرة وما ولاهم مثل هؤلاء في أكل الكلاب و سيدنا موسى الجون هو الذي مات في سجن أبي جعفر المنصور العباسي رحمه الله، قال التنسي ثم أن الله جعل البركة في عقبه فملك منهم ثلاثة طوائف بنو الأخيضر ملوك اليمامة و الهواشم و بنو أبي عزيز ملوك مكة إلى الآن وكتب الشيخ القصّار الفاسي على كلام التنسي هذا ما نصه: و البركة الكاملة و النعمة الشاملة سيدي عبد القادر الجيلالي صاحب خلافة القطبانية و هو محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحي الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على و فاطمة رضى الله عنهم أجمعين بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد عشر أبا وقد أتفق المؤرخون على أن هذا النسب كما ذكرناه و طبقا لما سطرناه كالذهبي في تاريخه وسبط بن الجوزى في مرآة الزمان و الشَنْطُوفِي في بهجته و ابن حجر في غبطته وغيرهم من الأئمة الأعيان المرجوع إليهم في هذا الشأن و عبد الله أبو الكرام هو الـذي أراد المأمون أن يوليه مقام إبن عمه على بن موسى المعروف بالرضى الحسني لما مات علي وقد كان المأمون عهد إليه بالخلافة فأبي عبد الله قاله الأزورقائي و نقله المسناوي و أمه أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين ولقب موسى الجون لأنه كان أدم اللون وأمه هند من ذرية أبي عبيدة أحد العشرة و هي أم أخويه محمد المبايع له بالمدينة وإبراهيم المبايع له بالبصرة وواسط.

وروى الإمام مالك عن عبد الله الكامل و المثنى وصف للحسن بن الحسن لقبه به النسابون لقصد التمييز ولم يعرف به في حياته و كذا المثلث كما في بحر الأنساب،

ولد الشيخ بجيلان سنة سبعين وأربعمائة و جيلان إقليم بأرض العجم مغرب كيلان وراء طبرستان ولد بقرية منه يقال لها نيف و منها رحل إلى بغداد لطلب العلم سنة ثمان و ثمانين وكان يناظر في ثلاثة عشر فنا و يفتى على مذهب الشافعي وأحمد و أخذ علم الحقيقة عن ابن الخير حماد بن مسلم الدباس و جماعة و سلمت له الفتوى بالعراق و قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني قلت لشيخي على الخواص كيف يصح تقليد الشيخ للإمام أحمد و تقليد سيدى محمد الحنفى لأبي حنيفة مع إشتهار هما بالقطبانية، و صاحب هذا المقام لا يقلد إلا الشرع و حده، قال قد يكون منهما ذلك قبل بلوغهما مقام الكمال ثم لما بلغا إستصحب الناس ذلك في حقهما مع خروجهما عن التقليد و الحنفى هذا مدفون بمصر وله مشهد عظيم و كنيته أبو محمد وله خوارق غريبة. توفي الشيخ عبد القادر ليلة السبت الثامن من شهر ربيع الأخير سنة إحدى و ستين و خمسمائة و صلى عليه إبنه عبد الوهاب و تخرج عنه في علم الظاهر و الباطن جماعة وافرة من الأعلام و المشايخ العظام و منهم بنوه العشرة و قد ألف فيه كتب منها أنوار الناظر لعبد الله بن نصر البكري الصديقي و نزهة الناظر لعبد اللطيف إبن هبة الله الهاشمي و بهجة الأسرار لأبي الحسن على بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي، و شطنوفة قرية من قرى مصر، قرأ على المراغي الحنبلى و المراغي قرأ على الموفق المعروف بابن قرامة و هو عن الشيخ عبد القادر الجيلاني و فيه ثلاثة أسفار، قال الشيخ أبو محمد صالح المدفون برباط أسفى: سمعت شيخنا أبا مدين يقول لقيت الخُضْرَ فسألته عن المشايخ في كل قطر فقال الشيخ عبد القادر إمام الصديقين و حجة العارفين، و قال طأطأ الشيخ أبو مدين رأسه و قال اللهم إني أشهدك و ملائكتك إني سمعت للشيخ عبد القادر وأطعت و نزلت بالعراق مسألة في رجل حلف إنه يعبد الله ولا يشركه في ذلك الوقت أحد، فعجز عنها فحول العلماء فقال الشيخ يطوف حيث المطاف خاليا.

و بنوه عشرة الشيخ عيسى صاحب لطائف الأنوار في التصوف قدم مصر و حدث بها وسمع بالأسكندريه من أبى طاهر السلفي توفي سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة و قبره بالقرافة مشهور ومقصود للزيارة، و الشيخ عبد الله أسمى أولاده توفي ببغداد سنة تسع و ثمانين و خمسمائة و الشيخ إبراهيم و عقبه بفاس موجود إلى الآن و بالشام توفي في واسط سنة اثنين و تسعين و خمسمائة، وواسط هذه إختطها الحجاج سنة ثلاث و ثمانين من الهجرة بين البصرة و الكوفة و العالم الشهير الشيخ عبد الوهاب توفي سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة ببغداد و الشيخ يحي هو أصغر أولاده توفي ببغداد سنة ستمائة و دفن عند الشيخ عبد الوهاب أخيه و الشيخ محمد توفي

سنة ستمائة و دفن بمقبرة الحلية ببغداد و الولي الجليل الشيخ عبد الرزاق و هو الذي حج مع أبيه لما لقي أبا مدين دفين تلمسان بعرفات و لم يحج الشيخ عبد القادر بعدها توفي سنة ثلاث و ستمائة و دفن بروضة أبيه و الشيخ موسى توفي بدمشق سنة ثمان عشرة و ستمائة و هو آخر بنيه موتا و دفن بسفح جبل قاسيون و قد روى عنه إبن سيدي الناس و غيره. و الشيخ عبد العزيز و الشيخ عبد الجبار[146] و ذكر بعض أن له من الأولاد أربعون غير أن التعريف إنما كان للعلماء منهم و هم العشرة المذكورون و لهم أعقاب بعضهم بالشام و القادريون الموجودون بمصر الآن من عقب الشيخ عبد العزيز و سكن بعضهم الأندلس و لما أخذت غرناطة أنتقلوا إلى فاس و ذكر بعض أن الشيخ عبد الجبار فكيك من نسله ومن الحسينين المشهورين و الشرفاء المعروفين الشيخ أبو محمد عبد السلام بن مشيش بالميم و يقال بالباء و يقال بشد الشين وهو ثابت الشرف بلا شك. و لما ثار بكتامة محمد بن محمد بن أبي الطواجن سنة خمس و عشرين وستمائة وأدعى صنعة الكيمياء و تبعته الغوغاء، ثم إدعى النبوة وشرع الشرائع وأظهر أنواعا من الشعوذة، فكثر تابعوه فَوَثَبَ عدو الله على الشيخ عبد الاسلام فقتله فلما أطلعوا على جثته نبذوه و قتله بعض البربر غيلة. و قتل الشيخ عبد السلام هو سبب رحلة تلميذه أبي الحسن الشاذلي للمشرق رضي الله عنهما. و للشاذلي بتونس مشهد عظيم و لما دخل مصر وجد بها الشيخ العظيم المنذرى و العز بن عبد السلام الشافعي أيام السلطان الظاهر أبي الفتوحات بيبرس و كان العز يقول كنت أعيب على هؤلاء الطائفة حتى اجتمعت بأبي الحسن فعلمت أنهم على الحق و قبر أبي الحسن بالصعيد في موضع موحش رحمه الله ومن أجلّ تلامذته أبي العباس المرسي ومن الأولياء الحسينيين أبو العينين الشيخ إبراهيم الدسوقي على شاطئ النيل بين رشيد و مصر (القاهرة) و من الأولياء الحسينيين أبو فراج الشيخ أحمد البدوى رضى الله عنهم و قبره بطنطا مشهور لا يخفى على أحد، انتهى.

و قولى أقاصى سوس إسقطنا واوه لضرورة الوزن وهو جائز؛ أي أن إسماعيل لما زحف إلى وهران جمع لها أقصى سوس مثل أهل تارودانت و أسفى و تمنطيط و غير ذلك و فيه إشارة إلى أن سوس قسمان الأدنى و الأقصى و هو كذلك، فالأدنى مراكش و جبال درن و الأقصى ما وراء ذلك، وسوس أيضا بلدة بأرض الروم و السوس مدينة بكور الأهواز بالعراق و بها قبر دنيال النبي عليه السلام، و قال ابن جرير إنه في وسط نهرها في تابوت من رصاص وسورها و سور تستر أول سور بني على وجه

[146] نسخة أ: سقطت الفقرة: و قد روى إلى عبد الجبار

الأرض بعد الطوفان، بناهما السوس بن سام بن نوح، و بتستر قبر البراء بن مالك الصحابي رضي اللّه عنه و يقال إن بها أيضا قبري عدي ومحمد أخوي عبد اللّه بن جعفر رضى اللّه عنهم، و أول مدينة بنيت على جه الأرض ثمانين بجبل الجودي و ذلك أن أهل السفينة مع نوح عليه السلام ثمانون فكل واحد بنى دار فلذلك سميت ثمانين فهي أول مدينة بنيت بعد الطوفان خرج منها جماعة من العلماء و الشعراء.

فحط كلكله حولها معتـزما ∴ على النزال فلم يجد محل بوس

الحط الوضع كالأحتطاط و الحدر من العلو إلى الأسفل والحطيطة ما يحط من الثمن و قولي حطه أي حطَّ عنّا ذنوبنا و مسألتنا حطة أي أن تحط عنا ذنوبنا و هي أيضا اسم رمضان في الأنجيل، و حط كلكله أي ثقله، قال أمرؤ القيس

فقلت له لما تمطى بـجــوزه ∴ واردف إعجازا و نـاء بكــلكــل

قال بعض من شرحه وناء أي نهض بكلكل أي يثقل و الكلكال الجماعات و النزال بالكسر الحرب وأصل النزال عند العرب أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا، قال عنترة العبسي مخاطبا للملك الأسود أخى النعمان المنذر

أبشر بيوم يظهر لك زعازعـها ∴ يوم النزال و قد يبدو لك العجب

و قولي: لم يجد محل بوس، قال الجوهري الأبوس جمع بؤس من قولهم يوم بؤس و يوم نعم و الأبوس أيضا الداهية ومنهم عسى الغوير أبؤس، قال الكميت.

قالوا أساء بنو كرز فقلت لهم ∴ عــسى الغــويـر بآبــاس وأوغــار

و البوس الثقيل و هو فارسي معرب و قد باسه يبوسه انتهى، و في القاموس البأس العذاب و الشدّة في الحرب: أي أن السلطان إسماعيل ضرب حول و هران فساطيطه و خيم أخبيته و رتب عساكره و أصلح آلته يريد من الكفرة النزال و مجاهدة الأبطال و جالت كتائبه حولهم فدخلوا كنائسهم فلم يجد محلا منه بؤسهم ولا فرجة بسببها يدوسهم فحينئذ قابل المسلمون شدة وبالها بالصبر حتى فتح اللّه بعد ذلك بالنصر و مواهب الظفر فكان عاقبة أمرها خسر و قد قال الشاعر:

إن الأمــور إذا إشتـدت مســالــكـها ∴ فالصبر يفتح مثل كل ما ارتتجـا

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ∴ ومد من القرع للأبواب أن يلجـأ

لا تــيئــسنَّ و إن طالــت مطالــبــة ∴ إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

قــام بـــهـيــدور أيــامـا يحتال لها ∴ قـد استعان بما حولها في مخس

قام أي إسماعيل و هيدور جبل هران كما في إبن خلدون و يحتال لها أي يتحيل عليها فاللام في لها بمعنى على، قال في القاموس الأحيال و التحول و التحيل الحذق و جودة النظر، انتهى.

و قولي قد إستعان بما الخ أي طلب منهم المعونة لأنهم أدرى بعوراتها ووسائل آفاتها، لأنه إستعان بهم لقلة جنده و فراغ و فده، و قولي في مخيس على حذف المضاف أي في أرض مخيس و إلا فمخيس أنفسهم قد تلاشوا قبل ذلك و دثروا فلم يبق بينهم حلة تنجع و لا قبيل يذكر و لا علاقة تحمل ولا عصابة لصريخ. قد عفت منهم أوطانهم و عمر غيرهم مكانهم و مخيس هؤلاء بطن من نبي زغبة من بني هلال و مخيس أخ سويد لأنه من أبناء عمار بن مالك و سويد بن عمار بن مالك وزغبة بفتح الزاي و أما قبيلة زغب التي بضواحي طرابلس اخوة ذياب أحد بطون بنى سليم فبضم الزاي و هو زغب بن ناصرة بن جفان بن إمرئ القيس بن بهث بن سليم و قيل بكسر الزاي و في قبيلة زغب و إخواتها يقول عنان بن جابر وزير أبي زكرياء لما فرّ منه.

و لما رأيت الود قد بان وانقضى ∴ و ثارت لي نار الشوق تغدو غوائر

رأيــت رجــالا من رياح و مالك ∴ و زغب و ذيـاب وعوف و ماجر

آستوطن بنو مخيس هذه الأرض في وسط المائة السابعة و بقيت منهم الآن أوزاع مغمرون في المدن و القبائل و قد مرّ لنا طرف من هذا، و سليم وهلال يجتمعان في قيس بن غيلان بن مضر ومن أراد الوقوف على قبائل العرب من بنى ربيعة و بني مضر و بني حمير و بني هلال فليطالع كتاب نوادر الكبير لأبي عمر بن إسحاق بن مدار الشيباني، فإنه جمع أشعارها ودون قبائلها فكانت نيفا و ثمانين قبيلة وكان هذا السيد الهمام من العلماء العظام، روى عنه الكبار كابن حنبل و القاسم بن سلام و يعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق و الذي قصّر به عند العامة أنه كان يشرب النبيذ عاش مائة و ثمان عشرة سنة. و يكتب بيده إلى أن مات سنة ثلاث عشرة ومائتين ومما ينبغي إنخراطه في هذا السلك وإدراجه في هذا السبك أن عياض بن غنم الفهدي رضي الله عنه ولاّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حرب أهل الجزيرة ففتح سائر مدنها مثل الرقة يحكى أنه مكتوب ببابها ما يحدث في الزمان إلى قيام الساعة بخط قل من يعرفه و مدينة حران ومدينة رأس العين و شميشاط و الخابور ثم نازل نصبين فحاصرها سنة كاملة فلم يفد منها شيئا و لما عضل داؤها وشد خطبها و كثر الإستشارة في شأنها، أشير عليه بأن يرميها بالعقارب فكتب إلى أبى موسى الأشعري و هو حينئذ بشهرزور من أرض العراق و عقاربه يضرب بها

المثل في شدّة إلاذاية بأن يبعث إليه قدورا مملوءة عقارب فبعث إليه كثيرا من ذلك فكان يجعل التراب في القدر إلى نصفه ثم يجعل العقارب لتقتات بالتراب، فرمى عياض القدور بالمجانيق ليلا، فلم تقع القدر في المدينة إلا مكسورة فدب العقارب لأهلها فلم يصبح الصباح حتى قتلت منهم كثيرا و لما أحسوا بها فتحوا الباب وخرجوا فلقيتهم جنود المسلمين فأثخنوا فيهم و غنموا و سبوا ووقع الفتح هذا على ما رأيته في سيرة إبن جرير رضى الله عنه و في ذلك يقول رجل من الصحابة.

و سرنا إلى أرض الجزيرة نغتني ∴ قرى الروم ضربا بالقنا والقواضب

ألحنا على باب نصبين خيلنا ∴ كتائب صدق يا لها من كتائب

أقمنا بها يا صاح حولا محرما ∴ نقارع بها كل ليث مشاغب

فلما أراد الله ذو الطول فتحها ∴ وذو الطول و النعماء ليس بغائب

رمينا لهم بالحتف موسم ساعة ∴ على كل خوار القينا عقارب

فاعطوا بأيديهم فرشلوا و قتلوا ∴ و أبنا باسلاب لهم و رغائب

وجرد عتاق من جياد خيولهم ∴ وادم ضباه من حسان الكواعب

فلم أر فتحا مثل ذاك و لا أرى ∴ على الأرض فتحا مثل فتح العقارب

و فتح نصبين في الكلاعي و قع على غير هذا الوجه و الله أعلم

و أعيته حيلتها حزما ومنعتها ∴ عقاب جو قد أرتقى على الردس

فقال هي حية تحت صخرتها ∴ تضرّ لا الضرّ يأتي لها من أنس

الضمير المنصوب عائد على السلطان إسماعيل و حيلتها فاعل بأعيت و الهاء فيه في محل جرّ بالإضافة و أخّر الفاعل هنا لأن المفعول ضمير متصل و قولي حزما، الحزم ضبط الأمر و الأخذ فيه بالثقة و حزم ككرم فهو حازم و حزيم و منعتها أي آمتناعها بالتحصن بما تحتاجه و العقاب هو أحد جبابرة الطيور و الجوّ في القاموس الهواء و ما أنخفض من الأرض و فسرناه فيما مرّ بغير هذا، أرتقى علا و الردس الرمى و ردسته رميته،و قولي فقال إسماعيل هي – أي وهران – حيّة، الحيّة مَعْرُوفة، تحت صخرتها المراد بالصخرة هنا الجناس الصادق بغير واحدة و صخرتها برج العيون و برج اليهودي و مرجاجو و الأحمر و غيرها فيه لوهران أيضا، و من لطائف الماهر في فنون البلاغة و لطيف الأداب أبي الحسن على الغراب

ينكر فضلي الأغبياء وربما ∴ لأمكنة التعظيم جاء منكر

وهم أضمروا ذكري ليجهله الورى ∴ وأعرف أنواع المعارف مضمر

و قولي و منعتها عقاب جو إلى آخره هو تلميح وهو أحد أصناف البديع و صورته أن يشير إلى قصة أو إلى شعر و إلى مثل بغير ذكره و هو بتقديم اللام على الميم مصدر.

لح المضعّف من لمحه إذا أبصره ومنه لح البصر و يقال في هذا البيت تلميح إلى قول لح فلان أي نظر وإشارة إليه. وأما التمليح بتقديم الميم فهو مصدر، لح الشاعر شعره إذا أتى فيه بشيء مليح و مبحثه في باب التشبيه من أبواب البيان و نحن أشرنا إلى قصّة الزباء لما قتلت جذيمة الأبرش و قد ملك بعده ابن أخته عمر بن عدي فقيل له: هلا أخذت بثأرك من الزباء فقال: و كيف لي بذلك و هي أمنع من عقاب الجو. قال ابن دريد في مقصورته.

و قـــد ســـما عـمر إلى أوتـاره ∴ فاحتط منها كل عالي المسمى

فاستنزل الزباء قسرا و هي من ∴ عقاب لوح الجو أعلى منـتـما

و القسر المراد به القهر و من لطيف ما يناسب و يليق بهذا المعنى أن أبا أيوب سليمان الخوزى وزير أبي جعفر المنصور لما فسدت نية المنصور فيه كان يظن أن يوقع به وما من دخول يدخل عنده إلا في شدّة الخوف ثم يخرج سالما فقيل له كان معه شيء من الدهن قد عمل فيه السحر فكان يدهن حاجبيه إذا دخل على المنصور ومن مليح أمثاله أن خالدا الأرقط قال: بينما أبو أيوب جالس في أمره و نهيه أتى رسول المنصور فتغير لونه فلما رجع تعجبنا من حاله فقال و كيف لا يخاف من سلم نفسه إلى حيّة فارغة فاها ثم ضرب لنا مثلا و قال لنا: زعموا أن الصقر قال للديك ما في الأرض حيوانا أقل منك و فاء، قال و كيف؟ قال أخذك أهلك بيضة و حضنوك وأطعموك و نشأت بينهم حتى إذا كبرت صرت لا تأنس في أحد و أخذت أنا مسنا من الجبال فعلموني الصيد فاغتنمه ثم أرجع به إلى صاحبي، فقال له الديك: لو رأيت من البزاة و الصقور في السفافيد مثل الذي رأيت أنا من الديوك لكنت أنفر مني و لكنكم أنتم لو تعلمون ما أعلم من خوفي لم تعجبوا ثم أنه أوقع به سنة ثلاث و خمسين و عذبه و أخذ أمواله ومات سنة أربع و خمسين ومائة، ثم إن السلطان إسماعيل لما تحقق أن وهران ممتنعة عليه أفرج عنها وانقلب إلى حضرته بعد ما دوّخ الإعراب الموالين للكفرة من بنى عامر و غيرهم و كان جلّهم دخل مع النصارى في الحصون بالأهل و المال، و بعضهم أعانهم بالسلاح و الرجال و زحفوا بين الحصون أمام الكفرة يقاتلون و في شراك شركهم يتخبطون فكان إسماعيل لما إنقلب أحق بالمثل بيت عمر بن معدى كرب: و هي:

إذا لم تستطع شيئا فدعه ∴ و جاوزه إلى ما تستطيع

و سبب إنشاده هذا البيت أن العباس بن مرداس هزمه يوما وأسر أخته ريحانة، حكي الخليل بن أحمد قال: كان عندي رجل يتعلم العروض فلم يفهم واتعبنى بلاطائل فقلت له يوما قطع إذا لم تستطع شيئا، فدعه و جاوزه إلى ما تستطيع فشرع يقطعه على قدر معرفته ثم نهض و لم يرجع عندي بعد فتعجبت من فطنته لما قصدته في البيت بعد فهمه، و كان للخليل ابن فوجده يوما يقطع بيتا من الشعر بأوزان العروض فخرج للناس فقال إن أبي قد جن فدخلوا عليه و أخبروه بما قال ابنه فقال مخاطبا له:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ∴ أو كنت أعلم ما تقول عذلتك

لكـن جهـلت مقالتي فعذلتني ∴ و علمت أنك جاهل فعذرتك

لما أراد الله عود الإيـمان بـها ∴ أقـام بـالجزائر مذهب الغلس

الغلس بتحريك اللام ظلمة آخر الليل و أغلسوا دخلوا فيها و غلسوا ساروا بغلس و غليس كأمير من أسماء الخمر و جبارة بن المغلس كوفي محدث و الجزائر علم على مدينة عظيمة على شاطئ البحر بنتها ملوك صنهاجة و مرّ لنا تاريخ بنائها واسم بانيها و غير ذلك فانظره إن شئت في شرح قولي، حتى أزالهم عنه يوسف بن تاشفين إلخ ... ولم تزل في طاعة بنى بلكين من صنهاجة ملوك أشير و القيروان إلى أن تغلب إبن عمهم حماد على جبل كتامة و بنى به القلعة المارّة الذكر و كثرت جنوده و خفقت بنوده واستولى على باجة و بجاية و دلس و نحوها فكانت الجزائر من جملة أعماله ثم زحف إليه باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد فهزمه من مجانة إلى واد أشلف ونزع إليه عامّة عسكره ثم رجع جادّ السير إلى قلعته و باديس في أثره و حاصره إلى أن هلك، و بويع إبن باديس و هو المعز ابن ثمان سنين فاتسعت عن حمّاد و عاد ملك الجزائر، ولما هلك و لي إبنه القائد فزحف إليه ابن زيري بن عطية المغراوي فصالحه ثم زحف إليه المعز بن باديس فصالحه القايد أيضا و بقي على ملكه بالقلعة و المدية و الجزائر إلى تخوم مغراوة تحت حكمه و على أمره إلى أن هلك سنة ست و أربعين وأربعمائة وولي مكانه إبنه محسن ثم قام فيهم الناصر بن علناس بن حماد فبنى قصر اللؤلؤة ببجاية من أعظم قصور الدنيا في حدود سبعين و أربعمائة و قد قال إبن خلدون في بعض كلامه على المغرب الأوسط بجاية إختطها الناصر بن علناس ثم لما مات الناصر و لى إبنه المنصور و لما استولى يوسف بن تاشفين على تلمسان و غلب عليها أولاد يعلى الإفرينى سنة أربع و سبعين وانزلها محمد بن تينعمر المُوسَوي و نازل بلاد صنهاجة و ثغورها كالجزائر و نحوها زحف إليه المنصور وخرب ثغوره و حصون مَا خُوخ و ضيق عليه فصالحه يوسف فانقبضت

يد المرابطين عن بلاد صنهاجة، و المنصور هذا هو الذي خرب "الجعبات" و"أمرات" ووقعت حروب بينه و بين ماخوخ انجلت عن قتل ماخوخ و لحق إبنه بتلمسان مُسْتَصْرِخًا بابن تينعمر فرجعا إلى الجزائر فحاصروها يومين فمات ابن تينعمر وولى يوسفَ بن تاشفين مكانه أخاه تاشفين بن تينعمر فافتتح أشير و الجزائر و رجع إلى تلمسان ثم أن المنصور زحف من بجاية بأمم المشرق إلى تلمسان و نزل واد الصفصيف فلقيه تاشفين بجنوده فانهزم تاشفين ولجأ إلى جبل الصخرة و عاثت عساكر المنصور بتلمسان فخرجت إليه حواء زوجة تاشفين أميرهم متوسلة له بوسائم القرابة الصنهاجية التي بينهم فاكرم مثواها و رجع إلى القلعة و قدم على المنصور معز الدولة صمادح من المرية لمّا ملك الأندلس يوسف بن تاشفين فاقطعه دلس و أنزله بها و لما هلك سنة ثمان و تسعين وأربعمائة و لي ابنه باديس وكان عظيم البطش شديد البأس ثم ولي أخوه العزيز و تزوج بنت ماخوخ و طال أمد ملكه و كان العلماء يتناظرون في مجلسه و نزلت جربة على حكمه و تونس و سكنت العرب في أيامه القلعة و في أيامه و صل المهدي بن تومرت إلى بجاية قادما من المشرق إثنتي عشرة و خمسمائة و غيرّ المنكر بها فسعى به عند العزيز فخرج إلى بني ورياكل و قام بهم يدرس العلم وطلبه العزيز فمنعوه و قاتلوا دونه إلى أن رحل إلى المغرب و هلك العزيز سنة خمس عشرة و خمسمائة فولى بعده ابنه يحي و هو الذي اتخذ السكة ملوكهم و كان ديناره مكتوب فيه ثلاثة أسطار و دائرة في كل وجه، فدائرة الوجه الواحد "واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله" "ثم توفى كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون" و سطور "لااله الا الله" "محمد رسول الله" ثم يعتصم بحبل الله يحي بن العزيز بالله الأمير المنصور، ودائرة الوجه الآخر بعد البسملة ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة و في سطوره: الأمام المقتفى لأمر الله أبو عبد الله أمير المؤمنين العباسي. و كان مشتغلا باللهو و الصيد و النساء لما أدْبَرَت الأيام عن قبائل صنهاجة و كان عامله على الجزائر أخوه القايد بن العزيز بن المنصور و لما فشل ريح بنى عمه أولاد باديس بافريقية وضايقهم جرجين بن منحايل أحد رؤساء الكفرة، بعث يحي بالأساطيل في البحر وأتى بالحسن آخر ملوك إفريقية من بنى عمه و أنزله بالجزائر مع أخيه القايد.

و سبب غزو الكفرة لثغره: أن عليًّا بن يوسف بن تاشفين أغزى محمد بن ميمون صقلية و فتح قرية منها و سبى أهلها فلم يشك طاغيتهم "رجار" أن ذلك باملاء الحسن فجهز ثلاثمائة مركب و أمر عليها جرجس المذكور و فيهم عدد كثير من النصرانية فيهم ألف فارس فملكوا قصر الذهاس ثم رجعوا إلى صقلية بعد أن إستمر

القتل فيهم و لما زحف الموحدون إلى الجزائر، فرّ منها القايد أخو يحي فقدم أهل الجزائر الحسن المذكور على أنفسهم و لقي عبد المؤمن فأمنهم وصبح ببجاية من الغذ، فزحف إليه يحي فانهزم وملك عبد المؤمن بجاية و ذهب يحي إلى أخيه الحارث يمونه لما لم يجد السبيل إلى بغداد ثم ذهب إلى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن فخلا له الأمر ثم بايع يحي عبد المؤمن سنة سبع وأربعين و نقله إلى مراكش فسكنها ثم إنتقل إلى سلا فسكن قصر بنى عشرة إلى أن مات و هو آخر ملوك صنهاجة بالقلعة و بجاية و الجزائر وانقطع ملكهم إلى الأن بل عفى رسمهم و خمل ذكرهم وأغمروا في الناس فلا يعرفون و كذا بنو عمهم ملوك إفريقية.

غريبة: ولم سمى هذا القصر بسلا قصر بنى العشرة، أن امرأة و ضعت عشرة أولاد ببطن واحد فجعلهم أبوهم على مائدة و ذهب بهم إلى الأمير فاعطاهم ألف دينار فبنى لهم أبوهم عشرة دور أنظر بعض شروح الفرائض، ولما كان زمن السلطان الباني لهم الدور فيه تناقض مع زمن سكنى يحي بها لم نذكره و الله أعلم، ثم انتظمت الجزائر في ملك الموحدين كغيرها من المغربين بل و المغرب الأدنى أيضا لأنهم ملكوا طرابلس مرّات و تونس أكثر أيامهم وأول خلفائهم ثم لما ركد ريحهم ودخل الهرم دولتهم سنة الله التي قد خلت من قبل أستقل أبو زكرياء الحفصى من الموحدين بولاية إفريقية لما بلغه أن المأمون أحد ملوك بنى عبد المؤمن غير معالم شيخهم المهدي و غير ضرب الدرهم المربع الذي يعرف عندنا بدرهم المؤمن الذي مكتوب فيه كما هو شاهد إلى الآن "الله ربنا و محمد نبيًّنا و المهدي إمامنا" و قطع إسمهم من الخطبة و أثبت ذكره بعد ذكر المهدي بن تومرت مقتصرا على لفظ الأمير فقط ورفع إليه بعض شعرائه بيتا و هي:

صل أميرا بالمؤمنينا ∴ فأنت أحق بها في العالمين

فأتى عن ذلك إلى آخر دولته و دخلت الجزائر في ملكه و تلمسان و الزاب و غيرها و داولها بنوه إلى أن ضعضع شوكتهم الرَّاعي إبن أبي عمارة و بسببه إفترقت كلمتهم كما هو شأن الدنيا، طمع في الجزائر بنو عبد الواد فغزاها السلطان أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن من أعياص ملوكهم لما خلاله الجو بفتنة محمد بن أبي عصيدة سلطان تونس وأبي زكرياء الأوسط سلطان بجاية فأخذها منه سنة أحد عشرة و سبعمائة على يد قائد حروبه إبن عمّه محمد بن يوسف بن يغمراسن و كان ذلك أي أخذها أيام السلطان أبو اللحياني من ملوك تونس و لما حاصر يوسف بن يعقوب المريني تلمسان أوائل القرن الثامن كان أبو زكرياء صاحب بجاية مظاهرا لعثمان بن يغمراسن و السلطان محمد بن أبي عصيدة سلطان تونس تلميذ و محضون الولى

الصالح أبي محمد المرجاني مظاهر ليوسف المريني فكان أبو زكرياء يمدّ عثمان بالعساكر فيسمع بهم يوسف في حصاره لتلمسان فيبعث لهم كتائب بنى مرين فتوقع بهم و تهزمهم ثم أن أبا عصيدة صاحب تونس بعث إلى يوسف يغريه بغزو بجاية فسرح يوسف العساكر لنظر أخيه أبي يحي فضايقوا بجاية و عاثوا في تلك الجهات ثم انقلبوا إلى يوسف وهو معسكر على تلمسان و في سنة ثلاث وسبعمائة أرسل محمد ابن أبي عصيدة هدية ضخمة إلى يوسف أغرب ما فيها سرج و سيف ومهاميز مرصعة بالياقوت و الجوهر مع رئيس الموحدين أبى عبد الله بن أكمارين و رجع بهدية ضخمة من عند يوسف بن يعقوب كان من جملتها ثلاثمائة بَغْل و في أيام إبن أبي عصيدة سنة خمس قتل علماء تونس هداج من الكعوب بسبب إهانته المسجد، فإنه دخله بأخفافه فقيل له في ذلك فقال هكذا و الله دخلت بها على السلاطين فقتل في بعض زقاق تونس بأمر إبن أبي عصيدة و قد ذكره الوَنْشَريسى في كتابه المعيار، قلت وهداج هو إبن عبيد بن أحمد بن كعب من بطون سليم و قومه يقال لهم الكعوب مشهورون بأرض إفريقية و هو إذ ذاك سيدهم واستمرت الجزائر في طاعة بني عبد الواد ملوك تلمسان من سنة إحدى عشرة إلى أن استولى أبو الحسن عليها و على إفريقية وطرابلس سنة ثمان وأربعين و سبعمائة وكان دوخّ تلمسان قبل ذلك فكانت لدولته أذل و لأمره أطوع و لما جرت بابي الحسن الوقعة المشهورة بالقيروان واستقل إبنه أبو عنان فارس بملك المغرب، راجع بنو عبد الواد ملكهم واستقامت قدمهم بعد عثار و قد دخل أبو الحسن الجزائر من البحر و جمع جموعا و زحف لتلمسان فكان مصاف القتال بتاسالة فكانت على أبي الحسن و قتل إبنه الناصر و خلصه وانز مار السويدي إلى جبال المصامدة بازاء مراكش و تزاحف مع إبنه أبي عنان حتى مرض و مات سنة إثنين و خمسين وسبعمائة في جبل عبد العزيز بن محمد الهنتاتي الذي أجاره و نصره و قاتل معه ولده و كان عنده في غاية الرفعة و تحفظ به في مرضه و قام بمئونته و جعله فوق أعواد نعشه وبعث إلى السلطان أبي عنان إبنه فلقي النعش باكيا راجلا عافيا مكتئبا من مصيبته و هو يقبل الأرض بين يدي جنازته و عفى عن عبد العزيز و أحسن إليه فكان له بعد ذلك يد عليه ثم أن أبا عنان لما استقام له المغرب زحف إلى تلمسان ففتك بهم واستلحمهم حتى كاد أن يستأصلهم و ذلك في سنة ثلاث و خمسين من القرن الثامن واستولى على المغرب الأوسط فكانت الجزائر له، طوّع البدو وولى عليها عاملا و بعث إلى أبى عبد الله الذي ملك بجاية من الحفصيين يقيم الرصد على إبل بني عبد الواد، فبعث العيون فعثروا على محمد بن سلطانهم أبي سعيد بن عثمان بن عبد الرحمن و على أبي

ثابت أخيه و على وزير هما يحي بن داوود فاوثقهم ثم بعث بهم إلى أبي عنان فسألوا عن أبي ثابت بعد قتل أبى سعيد ليميزوّه من يحي بن داوود لعدم معرفتهم له. فقال الوزير: أنا أبو ثابت و هذا يحي، فقتلوا الوزير و خلوا عن أبي ثابت، فجاد يحي بنفسه لنجاة الأمير و هذا أمر غريب لم أطلع على مثله إلا في قضية كعب بن إمامة لما آثر بالماء غيره و مات عطشا و بقيت تلمسان خرابا مدّة سنين و كان رجل يقال له موسى بن صالح مشهور بالكهانة عنده علم من الحدثان يقول إن تلمسان يحرثها غلام أسود على ثور أسود، فحرث على هذه الصفة بسبب هذه الوقعة سنة ستين أو إحدى ستين. و كانت هذه تلمسان الجديدة يقال لها تكرارت ومعناها المعسكر لأن عسكر يوسف بن تاشفين نزل هناك و قد بنى لهم موضعا مشهورا — أبو حمو- المشهور إلى الآن فصار أهل المدينة ينتقلون حتى دثرت القديمة بسبب إنشاء الجديدة و لما مات أبو عنان عادت دولة بنى زيان بمجرد ملكهم وواسطة عقدهم السلطان أبو ثابت المتقدم وراجع ملكه ومن جملته الجزائر.

– و الحاصل أن الجزائر كان ملوك تلمسان و ملوك إفريقية يتداولونها فتكون لمن غلب عليها، و مرّة يتغلب عليها بعض مشايخها إلى أن دخلها ملوك الأتراك سنة خمس عشرة و تسعمائة و أول من ملك بها منهم مشهور السيادة وواسطة القلادة، منتقل الأحوال، مسعد المنال أمير المسلمين السلطان حسن خير الدين فهو سبب سعادتهم وانتشار صيتهم فكان وجهه للصباحة و لسانه للفصاحة و يده للسماحة و عقله للرجاحة، كان قبل حلوله بالجزائر، طبّق أرض الكفرة بالغزوات وكثر لديه الفتوحات وامتدت له سعادة الحياة، وكان من خبره أن **السلطان أبا يزيد** بن السلطان محمد الفاتح بن مراد من ملوك بنى عثمان التركماني الأكبر الذي ينتسب إليه الخلفاء العظام، زادهم الله النصر و الإكرام و العز و القبول الساكنين الآن بمدينة اسلامبول، فتح مدينة في بعض جزر البحر يقال لها مدلي وأنزل فيها حامية من الأتراك[147]، فبعثوا إلى السلطان يأذن لهم في تزويج بنات أهل الذمة من كفرة جزيرة مدلّي، فأذن لهم فتزوج أبو السيد حسن خير الدين المذكور امرأة منهم فولدت له عروج المشهور برايس و خير الدين وإسحاق و عروج أكبرهم فشبوا في إكمل خصال الرجولية و غاية الشجاعة و الفحولية، واشتغلوا بالتجارة ثم بعدها عملوا أجفانا للجهاد في البحر، فأذاقوا الكفرة شرا و قهروهم قهرا حتى أن عروج قطعت يده في بعض الحروب قرب بجاية و كانت بجاية إذ ذاك عامرة بالكفرة لأنهم لم تؤخذمنهم إلا في سنة أحدى و ستين و تسعمائة و دخلوها وقت تلاشي أمر آل أبي حفص

[147] نسخة أ: سقطت كلمة حامية

وافتراق كلمتهم و تعداد أمرائهم فكان هؤلاء الثلاثة الإتراك يأتون بالغنائم و يرسون على مدائن الإسلام الساحلية ليبيعوا ما عندهم و يقضون حوائجهم فكان خير الدين في بعض المرّات أرسى أسطوله بمرسى الجزائر فقضى حوائجه على عادته فرغبوه في المبايعة و الملك عليهم لعدم إستقامة دولة أهل تلمسان وأهل تونس وألحوا عليه فاجابهم ثم كان بينهم كلام فغضب عليهم و ذهب من مدينتهم فلم يروه إلا بعد حول فرغبوه في المكوث عندهم و الملك عليهم و السمع و الطاعة فقبل على شرط قتل المفسدين و عينوا منهم جماعة أرادوا قتلهم فقال لا تقتلوا الآمن عظم شره و كثر فساده فخصصوا فيهم و حصروا أمر الفتنه في نفر منهم فقال لهم تحرّوا في أهل الفساد و لا تزروا زرة وزر أخرى وذلك كله إحتياطا منه رحمه الله و من سفك الدماء من غير وجه شرعي، يقال أنه مازال يأمرهم بالتخصيص لأهل الفتن و التحري حتى إتفق أمرهم على ثلاث فصلبوا على السور، فهم أول من حكم فيهم بالقتل في ملكهم بالجزائر، و كان كثيرا يرى رسول الله عليه الصلاة و السلام، و كان بالغاية القصوى في الزهد و الورع و التقوى و الإناءة ولم يقبل الملك حتى قيل له أنه واجب عليك متيقن. وكان بعض أراد إغتياله بمداخلة غلام له فكوشف له عن ذلك رضى الله و حسم ما خشى. فلما إنتظمت له الجزائر واستحكم أمرها وأكثر جندها وأصلح خللها داخل الفقيه الأعظم العلامة الإكرم سيدى أحمد بن القاضي* أحد أبناء "صاحب المغارسة"، ملوك الزيانيين بتلمسان في شأنه واشار إليهم بحربه ومناجزته و كان هذا العالم من أهل بجاية و قد ذكره صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة في نوازل النكاح و ما يتعلق به و بنوه وإخوته و قومه هم الذين آووا الشيخ على أبهلول الوطاسي وأخذوا عنه العلم الظاهر و الباطن ووقفوا عليه الأوقاف، و بعد موته رضى الله عنه خلفه أبناه الشيخ محمد بن على و الشيخ أبو على فكان الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر صاحب المغارسة أحد تلامذتهما نفعنا الله بهم أجمعين، فكان الشيخ أحمد من أكابر رؤساء تلك الأرض وأكثر، أغزاه بنى زيان بخير الدين فلم ينجح له شيء لأن أمر بني زيان حينئذ قد ولى الإدبار و ضعف ملكهم و تقلص ظلهم لا سيما و قد أخذت من أعمالهم وهران يومئذ و كان بذلك العصر في تلك الأرض علماء أعلام و فقهاء عظام منهم من ذكرنا و غيرهم كالإمام المغيلي المدفون بتلمسان و الو نشريسى صاحب المعيار المدفون بفاس وأبو عبد الله المغراوي و قد بنى له بحافة شلف قبتان و قبلهم من أهل التاسع سيدى أحمد المريض مستوطن أحد مَدَاشر و نشريس و كان

* أحمد بن قاضى: تولى قضاء بجاية في عهد الحفصيين وأتصل بعروج و خير الدين وكاتبهما صحبة إبن التومي الثعالبي أمير الجزائر و سهل عليهما إحتلال الجزائر. أسس إمارة بالقبائل الكبرى كانت قاعدتها جبل كوكو. قتل في إحدى المعارك.

معاصرا لابن عرفة و قبله من أهل السابع أبو العباس أحمد الملياني كان صاحب فقه ورواية و قد ذكره في المعيار و كذا ذكره صاحب الدرر وقد إنتهت إليه في عصره رئاسة الشورى بالمغرب الأوسط و كان إبنه أبو علي خُلْوًا من ذلك منهمكا في الرياسة فلما رأى فتن مغراوة مع يغمراسن إستولى على مليانة و بويع له بها فجهز إليه المنتصر سلطان تونس جيشا لنظر أخيه الأمير أبي حفص ففتح مليانة عنوة و فرّ أبو على للعطاف و عقد لبني منديل على مليانة و قد كان قبلهم بنو وَرْيبين منهم مسكنهم البادية و الإمام المازري المذكور هو الذي جعل كتابا في نسب قبائل أهل المغرب الأوسط و قد ذكر فيه أن الأمحال أهل البطحاء من بني هلال كما قال إبن خلدون و أن الذين يقال لهم المضارب كبني دقيش و بني حميدة العبد* وبني عراج من بنى مخزوم من ذرية صَعْصَعَة بن الحارث بن حارثة من ذرية هشام بن إسماعيل المخزومي و قد أجمل إبن خلدون و المشاهد الآن من أقر الأمحال للمضارب بالسيادة و التعظيم و التسليم لهم، يشهد للمازوني و قد كان قبل تلاشى أمرهم وركود ريحهم، لا يزوجون بناتهم الأمحال مع أن الأمحال لا يتوهمون ذلك و لا يطمعون فيه تعظيما لهم، قد أخذوا ذلك عن آبائهم و من المضارب نفر بقبيلة الشكالة و نفر بأولاد فارس و نفر بواد أسلي و كلهم درس ذكرهم و عفت مراسمهم و قد يقال إن الولي الصالح سيدى الناصر بن عبد الرحمن المدفون بالصحراء بالواد المشهور من بني مخزوم و الله أعلم بذلك.

و لنرجع إلى ما خرجت منه، ثم أن خير الدين نافسه أيضا محمد بن على من رؤساء عرب إفريقية و سعى به إلى آل حفص بتونس و كانت بينهم حروب يقال إن محمد بن علي هلك فيها ثم أن أهل المغرب الأوسط و فدوا على خير الدين و أَتَوْابه إلى أرضهم فاستعمل في طريقه على قلعة بنى راشد أخاه إسحاق و لما دخل تلمسان آستعمل عليها أخاه عروج ثم بعد منصرفه تعصب المسعود من ملوك تلمسان بجيش عظيم و خطب على منبر الجامع الإعظم و ذكر شأن ملك الجزائر و رغب الناس في ملك آل عبد الواد و هجموا على عروج، فاخروجه عنها ثم زحف إليهم بمن معه و كان شديد البأس فدخل تلمسان عنوة و قتل سبعة من المترشحين للملك من بني زيان و نحو الستين من بنى عمهم أولاد عبد الواد وأكثر من ألف من أهل البلد و عاث في تلمسان ثم سكنت الفتنة و لما رأى المسعود إستقامة عروج بتلمسان، دخل و هران فزحف بالنصارى إلى إسحاق بالقلعة ورموا عليها من البراق** فلما علم أهلها قوّة

* حميدة العبد: من قادة قبيلة سويد المعروفة بالأمحال: مواطنها بين مستغانم و الشلف

** هضبة تقع بجوار القلعة

العدو و ضعفهم صالحوهم على تسليم البلد ثم لما خرجوا غدروا بهم و قتل إسحاق و قال العلامة الصباغ: و كان أبي ممن قتل يومئذ، ثم زحف بالنصارى لتلمسان لحصار عروج فلما طال أمر الحصار عليه خرج بمن معه من الجيش و البطانة راضيا من الغنيمة بالسلامة فلحقوه بجبل بنى موسى* و قتلوه و من معه يوم عيد الفطر سنة خمس وثلاثين وتسعمائة بعدما ملكوها نحو السنة وقيل إن عروج لما دخل تلمسان وعاث بها ثاروا به (كذا) أهل البلد وأخرجوه منها وخافوا من عودته ففزعوا إلى ولي الله ابن ملوكة فدعا عليه فهلك بجبل ورنيد والله أعلم ورأيت في بعض فتوح الجزائر أن خير الدين دخل تلمسان مرّتين مرّة (لَمَّا)استعمل عليها أخاه ومرّة بعد موته. وقد عمل بها حانبة من الأتراك في المرّة الثانية فهي باقية إلى الآن، فأذهب فتنتها وحسم داءها فلم يعد. ثم إن خير الدين شمّر للمدافعة عن الجزائر في البرّ و البحر وقد كانت المرسى آنذاك للأسبانيين من أمم الكفرة وكان لهم بها حصن هو الذي فيه الفنار إلى الآن وكانوا مدّتهم مع المسلمين بين نفرة واستقامة و صلح و غدر وكان حصنهم يدور به الماء من البحر وأما الطريق التي به الآن فإنها علمتها ملوك الأتراك ويذكر أن بني مزغنة قبل بناء بلكين بن زيري، الجزائر كانوا يؤدون الخراج لأهل البرج و كذا أكثر أهل متيجة فلما بناها بلكين الصنهاجي وحصنها بالأسوار وأنزل بها الجيوش أقصرت النصارى عن عادتهم ورضوا بدل الخراج بالبيع والشراء معهم، فلم يزل خير الدين يحاصره ويقاتله ويصالحه إلى أن فتحه سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وقطع طمع بني زيان من تلمسان سنة ست وخمسين. وقد رأيت في بعض فتوحات الجزائر في سيرة خير الدين المرّة الأولى سنة خمسة عشر من العاشر وبنى لها السور سنة أربع وعشرين منه وآنظر قوله بنى السور مع مَامَرَّ لنا أن يحيى بن غانية صلب منديل بن عبد الرحمن على سور الجزائر أول القرن السادس ولعله السور الثاني أو أن خير الدين رمّ الأول والله أعلم.

هذا وقد كانت النصارى من كل جنس يغزونها قديما والحرب بيننا عليها مستديما وأول غزو النصارى لها بعد استيلاء الأتراك عليها سنة خمس وعشرين وتسعمائة في ثلاثمائة وعشرين جفنا فهزمهم الله بعدما قتل منهم خلقا كثيرا يزيد على عشرة آلاف وغزوها مرّة أخرى أيام خير الدين أيضا فهزمهم الله وأسر المسلمون منهم نحو الثلاثة ألاف ثم غزاها الطاغية بنفسه** لما استولى المسلمون على برج

* بناحية بنى يزناسن على الحدود مع المغرب الأقصى

** الطاغية: الملك شارل الخامس

المرسى وذلك سنة ثمان وأربعين كما مرّ في زهاء سبعمائة سفينة فبعث اللّه ِريحاً فكسرت أكثر مراكبهم ومن خرج منهم للبرّ قتل حتى أن الطاغية رجع في إثنى عشر مركبا وكل هذا أيام خير الدين رحمه اللّه[148]. وله لقبان الأول باشا كما هو معروف في نواب العثماني على الأقطار والثاني دولاتلي. ونظير هذه الغزوات غزوة قسطنطين بن هرقل لما أخذت الإسكندرية واستولى المسلمون على كنيستها العظمى وقد كان المسلمون أخذوها قبل ذلك في خلافة عمر ثم رجع لها النصارى بعد ذلك أول خلافة عثمان فأخرجوا منها أيضا وخلف عمرو بن العاص ليتركها كبيت الزانية تؤتى من كل جهة فلما سمع قسطنطين بهدم حصونها غزاها في ألف مركب في الشتاء ففرقهم الريح كلهم إلاّ مركبه نجا لصقلية فادخلوه الحمام ووثبوا عليه فقتلوه جزاء له على فعلته، وغزوه في ذلك الفصل.

وغزا الجزائر أيضا الأنكليز في أيام رمضان باشا في ثلاثة وعشرين مركبا عظاما فرموها بالبونبة فلم يفد شيئا وذلك سنة احدى وسبعين وألف وغزاها الفرنسيس سنة ثلاث وتسعين وألف في خمسة وعشرين مركبا في ولاية حسن باشا ورموها بالبونبة فهدموا أكثر دورها وبعض مساجدها وكذا رموا على شرشال واقتنص المسلمون مركبا لهم فيه جملة من أكابرهم ففرحوا بذلك فرحا شديدا ورجع الكفرة بلا نايل ولم يحصلوا منها على طائل. ثم غزاها أيضا الفرنسيس في العام الذي بعده في أيام الباشا المذكور في زهاء ثمانين مركبا ورموا بالبونبة في ثالث الأيام من قدومهم فأتت قدرة بونبة بدار الامارة فضاقت مذاهبه وصالحهم من ساعته على أن تسرح لهم الاسرى بلا مشورة أحد من أهل دولته وعلى أن يبذل لهم ما صرفوه في تلك الغزوات ورجع أعداء اللّه مسرورين وبعد ذلك بيسير قتله الأتراك وولوا حسن باشا و كان قبل ذلك[149] يعرف بحسن رايس فبعث إلى اللعين من ساعته "إبعث أسارى المسلمين إن شئت تمام الصلح على أن لا شيء لك"، فلما سمع اللعين، غزاها من عامه فهدم منها نحو الثلاثمائة دار واستشهد فيها نحو الألفين، ثم رجع عدو اللّه من غير طائل ثم غزاها الإسبانيون سنة تسع وثمانين ومائة وألف في ولاية محمد باشا وخرجوا إزاء الحَرَّاش في البر وجعلوا أتراسا من حطب ولوح وغير ذلك وأوقدوا نار الحرب وباتوا ليلتهم في موضعهم فلما كان قبيل الفجر صبيحة يوم الأحد هزمهم اللّه ومات منهم ما لا يحصى عددهم إلا اللّه ورجعوا خائبين لم ينالوا خيرا واستشهد من المسلمين نحو أربعمائة جعلت لهم مقبرة بازاء عين الربط. وقد أتوا في هذه الغزوة في خمسمائة

[148] و هو خطأ، إذ و قعت حملة شارل كانت في ولاية حسن أغا خليفة خير الدين
[149] نسخة أ: قبل الإمارة

مركب وبقيت عظامهم ماثلة في رمال الحراش أعْصُرًا وقد حضر هذه الوقعة المنصور بالله أبو الفتوحات سيدي محمد بن عثمان باي معسكر فظهر من إقدامه واعتنائه مقامات تعد من مفاخر دولته وذكر له آخر الأيام. ثم غزاها الاسبانيون أيضا سنة سبع وتسعين فهدموا بالبونبة أزيد من مائتي دار وطلبوا الصلح فلم يجابوا ورجعوا خائبين ثم غزوها أيضا السنة التي بعدها فزحف لهم المسلمون في البحر ورَدّوهم على أعقابهم فرجعوا بلا طائل ثم جاءوا سنة تسعين من هذا القرن طالبين الصلح في الحال باذلين القناطير من الأموال بدخولها للتجارة لما آيسوا من الظفر وقدموا في ذلك عجلة* من بيوتاتهم على عادتهم الذميمة لعنهم الله فانبرم الصلح بينهم وبين المسلمين كل ذلك أيام محمد دولاتي مات رحمه الله سنة خمس ومائتين وألف أيام السلطان سليم بن السلطان مصطفى العثماني.

تتمة: إعلم ان السلطان الاكبر جد الملوك العثمانيين اهل كرسي إسلامبول الخاقانين أهل الخلافة العظمى والسلطنة الكبرى والرتبة العليا أصله من التراكمة. تولي بلاد الروم شرقي الخليج بعد انقضاء دولته الطرطر (التتار) منه سنة ست وسبعين و ستمائة وهو آرطفل بن سليمان شاه وقيل من ذريته أنوشروان وللسخاوي أنه من نسل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان جده سليمان ملك بلاد ماهان قرب بَلَخ من إقليم خراسان فلما ظهر الملك جنكزخان قرب بلاد بلخ فخرج سليمان شاه بخمسة آلاف بيت من التركمان عنها الى أرض الروم فمات بالفرات في طريقه وتفرق التركمان هناك. وقدم عثمان على علاء الدين السلجوقي فأذن له بالإقامة بأرض قروام والجهاد ثم تملك في التاريخ المتقدم لما ضعف علاء الدين ودخلت جنوده تحت إمره عثمان مات سنة ست وعشرين وسبعمائة. انتهى.

وخاقان علم على كل من ملك الترك كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وتبع لملك اليمن وحضرموت والشجر والخنشوان لملك الهياطلة والنجاشي لملك الحبش وعابة لملك الزنج والسميدة لملك العمالقة وفرعون والعزيز لملك القبط وجرجيس لملك البربر وجالوت لملك فلسطين وأمير المؤمنين لخليفة المسلمين وأول من تسمى به عمر بن الخطاب وقد قال الشاعر في بعض ما ذكر:

الــــدار داران أيــوان وغــمـــدان ∴ والـــملـــك ســاســان وقـحـطان
والارض فـــارس والإقلـيم بـابــل ∴ والإســـلام مـكـة والدنيا خراسان
قـــد رتـب الناس كلا في مراتبهــم ∴ مــرزبــان وبــطــريـق وطرخان

* هكذا في النسختين و لعله تصفيح لجعلة

ففي الفرس كسرى وفي الروم قيصر ∴ والحبش النجاشي والأتراك خاقان

وقال آخر:

ألـــم يــكـن ملك الله طرا ∴ لاربعة في الارض متميزينا

تبع خاقان مع ابن كسرى ∴ وقـيصـر ودع الـمتميزينا

تتمة أخرى : كانت اسطنبول في بدء أمرها قرية يقال لها بزنطة فلما ملك قسطنطين ودخل في دين نبي الله عيسى هو وأمه هيلانة كما مر، بناها ومدّنها، فكانت أعظم مدن العالم قبل الهجرة النبوية بنحو ثلاثمائة سنة و دامت للروم[150] إلى أن أخذها منهم الفرنج في خبر يطول آخر المائة السادسة ثم أخذها منهم كشكري الرومي وهو الذي عقد معه الصلح المنصور قلاوون ملك مصر والشام على يد رسوله ابن الضايع النحوي وأن كشكري أراه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملفوف في خرقة ذهب واستمر ملك بني كشكري* بعده إلى الفتح الإسلامي في وسط القرن التاسع والله أعلم.

وأن رومة قاعدة الروم بنيت لأربعة ألاف وخمسمائة من مبدأ الخليقة وبناها من ملوكهم ملك اسمه روماش ابن برقاش طولها من الشمال إلى الجنوب عشرين ميلا في عرض اثنا عشر ميلا و ارتفاع سورها ثمانية و أربعون ذراعا في عرض عشرة أذرع واليها تنسب أمم الروم و كانت الهجرة النبوية لألف و مائة من بنائها و أن اليونانيين إخوة الروم انقرض ملكهم بأميرتهم "كلا بضرة**" الحكيمة وقال الطبري مدّة ما بين تخريب يختنصر القدس وبين الهجرة ألف سنة ونيف ومن ملك الأسكندر إلى الهجرة تسعمائة ونيف وعشرين سنة وعمر النبي عيسى عليه السلام إلى رفعه اثنان وثلاثون سنة ومن رفعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة. انتهى.

<u>محمد بكداش هو باشتها</u> ∴ <u>قد فاق الأكفاء في الدهاء والرغس</u>

يقال فاق أصحابه فوقا وفواقا علاهم بالشرف والفائق الخيار من كل شيء والفيقة ما يجتمع به ضرع الناقة وذو الفوق سيف معروف وفوق ملك من الروم نسبت إليه الدنانير الفوقية والفواق كالغراب الذي يأخذ عند النزع والريح التي تشخص من الصدر وما بين الحلبتين من الوقت أو ما بين يدك وقبضها على الضرع وقولي الاكفاء

---

[150] نسخة أ: سقطت: و دامت

* بنو كشكري يقال لهم Lascaris

** كلا بضرة : كيلوبترا Cléopâtre

أي المماثلين والكفؤ المماثل والتكافؤ الاستواء والدهاء المكر وجودة الرأي والجمع دهاة ودهوت كرضى دهيًا ودهاءٍ والداهية الأمر العظيم ودهى كغني العاقل والداهي الأحسن وقولي والرغس، الرغس النعمة والخير والبركة والنماء والجمع أرغاس والمرغوس المبارك والرجل الكثير الخير وبهاء المرأة الولود وأرغسه الله مالاً أي أكثر وبارك فيه والمرغس كمحسن الذي ينفع نفسه والعيش الواسع وقد اجتمعت خصال الخير في محمد بكداش دولاتي وقد أتحف بالنعم والسعادة والرضوان وأي نعمة أعظم من فتحه لثغر وهران الذي فقدوه وعظم داؤه و منع فناؤه وحمت أرجاءه والدهاء اشتهر به رجال عظام في الجاهلية والإسلام. فالذي ضرب به المثل في الدهاء في الجاهلية قيس بن زهير العبسي، وفي ثقيف كثيرٌ كعروة بن مسعود و غيره و لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حنين كان معه الأقرع بن حابس التميمي و عيينة بن حصن الفزاري قيل لهما لم غزوتما وأنتما لم تسلما لأنهما كانا حينئذ من المؤلفة فقالا: لعلنا نصيب من سبي ثقيف جواري يلدن لنا أولاد دهاة وأما في الاسلام فيضرب المثل بإيَّاس بن معاوية قاضي البصرة ونظائره وقد قالت العرب: أسخى من حاتم وأشجع من ربيعة بن مكرم هو من بنى فراس كإبن غنم بن مالك بن كنانة قتله نبيشة بن حبيب الأسدي وأخباره مشهورة وأغرّ من كليب وائل ومرّ لنا ذكره وأوفى من السموءل بن عاديد اليهودي وخبره مشهور وأذكى من إياس بن ربيعة وأسود من قيس بن عاصم المنقري بطن من تميم ولما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه وقال هذا سيد الوبَرَ ولما مات قال فيه الشاعر

عليك سلام الله قيس بن عاصم ∴ ورحمته ما شاء أن يترحما

وما هلك قيس كأن هلك واحـد ∴ ولكــنه بنيان قـوم تهدما

وأمنع من الحارث بن ظالم وأبلغ من سحبان بن وائل وأحلم من أحنف بن قيس وأصدق من أبي ذرّ وأكذب من مُسَيْلَمة وأعيى من باقل وأنعم من حريم الناعم يقال أَشْكَمُ من الباسوس وأحمق من ذرعة وأمنع من أم قرفة كانت تعلق في بيتها خمسين سيفا وأرتى من ظلمة وأبصر من زرقاء اليمامة الباسوس جارة جُسَاسَ بن مرّة الشيباني ولها الناقة التي قتل بها كليب وائل وبها ثارت فتنة بكر و تغلب التي يقال لها حرب الباسوس وأم قرفة امرأة مالك بن حذيفة العِداري وكان يعلق في بيتها خمسون سيفا لمحارمها وكانت امرأة من بني عجل وزرقاء معلومة وظلمة امرأة من هذيل زنت أربعين سنة فلما عجزت عن الزنا قادت فلما عجزت اتخذت تيسا وعنزا فكانت تزني التيس على العنز فقيل لها في ذلك فقالت حتى اسمع أنفاس الجماع. ومما ضرب به المثل قولهم قوس حاجب وقرط مارية وحجام ساباط وشقاق النعمان

وندامة الكسيّ وحديث خرافة. هو رجل من بني عذرة سبته الجنّ وكان معهم فإذا استرقوا السمع، أخبروه فيخبر به أهل الأرض فيجدونه كما قال. هكذا أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أمنا عائشة وقال لها أصدق الحديث حديث خرافة ومن أمثالهم القول ما قالت حذام ومواعد عرقوب هو رجل من العماليق وقولهم يوم حليمة ليس بسرّ وقولهم لتسمع بالمعيد خير من أن تراه وهو تصغير معد رجل منسوب إلى معدومن الأمثال قولهم فلان ما تقرع له العصا وأول من قرعت له العصا سعد بن مالك الكَتَاني ثم قرعت لعامر بن الضرب ومن أمثالهم وضع الشيء في غير موضعه ومنه كمستبضع التمر إلى هاجر. قال الشاعر:

فانا ومن يهدى القصايد نحونا ∴ كمستبضع تمر إلى أهل خيبرا

ومنه ما تبض قطرة والبض أقل السيلان وقولهم الاجتماع داعية إلى الفراق ومنه

وكل أخ مفارقه أخوه ∴ لعمر أبيك إلا الفرقدان*

<u>فجهز جندا من الأبطال حاصرها</u> ∴ <u>أضحى لذلك حزب الكفر منبئس</u>

يقال جهز الميت والعروس والمسافر أعطاهم ما يحتاجون إليه وقد جهزه تجهيزا فتجهز والجمع أجهزة والجند بالضم العسكر ويقال للأعوان أيضا وصنف من الخلق على حدة. وفي المثل أن لله جنودا منها العسل والأبطال مفرده بطل بالتحريك أي شجاع تبطل جراحته فلا يكترث لها أو تبطل عنده دماء الاقران والجمع أبطال والحصر التضييق ومنه محاصرة العدو وأضحى بمعنى صار وحزب يقال للورد والطائفة والسلاح وجماعة الناس وجند الرجل وأصباحه و الذين على رأيه وأمر حازب وحزيب أي شديد والحيزاب الديك والبأس العذاب والشدة ومنبئس بمعنى معذب ضاقت عليه أحواله وأدبر إقباله قال الشاعر في عمر بن هند:

له يوم بؤسا فيه للناس أَبْأَسَا ∴ ويوم نعيم فيه للناس انعم

فينبع يوم الجود من كفه الندا ∴ ويقطر يوم البؤس من سيفه الدم

وفي حاشية السيد عند قول السعد في المطول هل عرفت الدار بالغريين، الغريان قبرا مالك وعقيل نديمي جذيمة الابرش سُمِيَا غريَيْن لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذ خرج في يوم بؤسه كذا في الصحاح وقيل كان ينادمه رجلان من العرب خَالد بن الفضل وعمر بن مسعود الاسديان فشرب معهما ليلة فتراجعوا الكلام فغضب وأمر أن يجعلا في تابوتين ويدفنا بظهر الكوفة فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بصنيعه فندم وركب حتى وقف عليهما وأمر ببنائهما وجعل لنفسه في كل

* وهما نجمتان

سنة يوم نعيم ويوم بؤس فكان يضع سريره بينهما فإذا كان يوم نعيمه فأول من يطلع عليه يعطيه مائة من الإبل وإذا كان يوم بؤس فأول من يطلع عليه يعطيه رأس ضربان وهو دُوَيْبَة منتنة الريح ويؤمر به فيقتل ويغري بدمه الغريان. انتهى.

وقال الشيخ الحسن اليوسي في كتابه "الزهر الاكم في الامثال والحكم "وكان عبيد ابن الابرص الشاعر المشهور طلع على النعمان في يوم بؤسه فلما أحس بالقتل قال أتيتك بحائن رجلاه والحائن الهلاك يقال حان الرجل يحين كباع يبيع بيعا إذا هلك فهو حائن وأحانه الله أهلكه وهذا المثل يضرب فيمن سعى إلى مضرته فلما رآه النعمان قال ألا كان الذبح لغيرك فأنشد عبيد:

لا غرور مــن عيشة نافـذة ∴ وهل غيرها ميتة واحدة

فأبلغ بـــني وأعــمامهــم ∴ بأن المنايا هي الراصـدة

فلا تجزعوا من حمام دنيا ∴ فللموت مــا تلد الوالدة

فقال الملك لا بد من الموت ولو لقيني أبي في هذا اليوم لذبحته، فاختر إما من الأكحل أو الأفجر أو الوريد فقال عبيد ثلاث خصال مقادها شر مقاد وحاديها شر محاد ولا خير فيها لمرتاد ثم قال:

وخيرني ذو بؤس في يوم بؤسه ∴ ثلاثا أرى في كلها الموت قد بـرق

كما خيرت عاد من الدهر مرة ∴ سحائب ما فيها لذي خبرة أنسق

سحائب ريح لم توكل ببلــدة ∴ فتــتركها إلا كمــا ليلة الطـلـق

فأمر به فذبح. ولما دخل ابن زياد الكوفة فسمع به عقيل تحول إلى دار هاني ابن عروة المرادي فدلّ عليه محمد الأشعث بن قيس فلما نظر ابن زياد قال عقيل اتيتك بحائن رجلاه.

فكان حين أزن حسن يزاولها ∴ وفائق مصطفى ذو الحزم والفرس

يزاولها يعالجها ويحاربها كما قال الشاعر وقال وأيديهم أرسوا نزاولها وفائق بمعنى عظيم السبال ومصطفى هو باي الأيالتين كانتا قبله لأميرين مستقلين: مازونة و تلمسان و أزن بمعنى طويل وحسن هو صهر الباشا المذكور ووزيره وكان شهما شجاعا عارفا بمكايد الحرب ودسائسها طالبا لمعالي الأمور مغتنما لنفائسها والسبال بكسر السين هو طول شعر الشارب ولم يسمع عند العرب استعمال هذا اللفظ فيه يعني لفظ فائق نعم. قال في القاموس فياق ككتاب وغراب الطويل وإنما الذي سمع فيه هو السبال فقد قال في القاموس السبلة الدائرة في وسط الشفة العليا أو على

الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين إلى أن قال والجمع سبال انتهى. والحزم هو ضبط الأمور والأخذ فيه بالثقة والفرس بكسر الفاء مفردة فراسة بالكسر أيضا وهي إصابة الظن وجودة الذهن وحسن التفطن وأما الفراسة بالفتح فهي ثبوت على الخيل قال في القاموس الفراسة بالكسر اسم من التفريس بالفتح الحذق بركوب الخيل والذي يضرب به المثل في الفراسة بالكسر اياس بن ربيعة وفي الفراسة بالفتح ربيعة ابن مكرم مع زيادة كونه أشجع أهل زمانه. ومن لطائف الفراسة أن أبا نايلة رضي الله عنه لما ذهب ليلا مع نفر لقتل كعب بن الأشرف المشهور بالأذى للمسلمين فناداه فسمعت الصوت امرأته فقالت له لا تخرج هذا صوت يقطر منه دم فقال لها هو صوت أخي أَبِي نَايلة، إني رضعت معه أمّه، لو وجدني نائما ما أيقظني فقالت سترى فخرج له فوجده مع جماعة من الأنصار معهم السيوف فقال ما هذا؟ قالوا نرهنها لك في الزرع والثّمر ثم تنحوا به إلى موضع وكان آنذاك عروسا وأكثروا شَمّه وهم يقولون له ما أعطرك فاحتضن أحدهم رأسه لظنه أنه يشمه فضربه آخر فقلته ثم جَزُّوا رأسه وذهبوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت صلاة الصبح فلما رآهم صلى الله عليه وسلم قال أفلحت الوجوه ومن الفراسة الصائبة أن عمرا بن الخطاب رضي الله عنه وجد امرأة في سوق المدينة تبيع اللبن وبجنبها عجوز بلبنها تبيعه أيضا فقال للشابة هل فيه غش فقالت لا وقال للعجوز فقالت لا فقالت الشابة بل مذقنة ونهيتها يا أمير المؤمنين البارحة عن ذلك وحذرتها منك فأبت فأهرق لبن العجوز ثم ذهب إلى ابنه عاصم فقال اذهب إلى تلك المرأة التي تبيع اللبن ان كانت لازوج لها، تزوجها فلعلّ الله يرزقك منها ذرية صالحة فسألها عاصم فاخبرت بأنها لا زوج لها فتزوجها فولدت له أم عاصم فزوجها لعبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز. ومن الفراسة أن شيخا كبيرا زعم أنه رأى هلال رمضان وفي القوم أصغر سنا منه فلم يروه فانزله إياس بن ربيعة القاضي ونظر في وجهه فرأى شعرة من حاجبيه بيضاء انحدرت على صورة الهلال على عينه فجعل على أصبعه بللا ولبدها مع شعر الحاجب ولم يفهم الشيخ ذلك ولا أعلمه بصنعه له ثم قال له أرني الهلال فلم ير شيئا وحلف أنه كان قد رآه يقينا فلما أخبره اياس بالقصّة رجع عن قوله وعلم أنه خيّل له.

وكان بكداش دولاتي لما جهز العساكر لحرب وهران عقد عليهم لصهره ووزيره أزن حسن فكان تدبير أمر الجيوش و تدبير الحرب انما يصدر عنه و عن الباي محي الدين مصطفى بن يوسف رحمهما الله وأنجح سعيهما ونما ربحهما.

تنبيه: كانت العرب لا تعرف الوزير وكذا غيرها من الأمم وإنما المعروف عند ملوك التبابعة تسميته بالقيل وهو الذي أراد الحلفاوي رحمه الله حيث قال في الباي مصطفى وهو من الاقيال فائق مصطفى والمعروف عند أهل المغرب تسميته بالقايد و أما غير العرب من ملوك العجم فبعضهم يعبر عنه بالمزربان و بعضهم بطرخان و بعضهم بالأسوار وبالبطريق إلى غير ذلك وأول من تسمى بالوزير أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني وزير السفاح ولم يكن هذا الاسم قبل ذلك في دولة بني أمية ولا غيرها. وكان السفاح يأنس به كثيرا لأنه كان ذا مفاكهة حسنة صاحب سياسة وتدبير وكان ذا يسار أبذر أموالا كثيرة في إقامة دولة بني العباس وأبو مسلم يومئذ تبع له وقد بعث أبو مسلم من خراسان إلى السفاح يعرفه بفسادنيّة أبي سلمة وميله إلى العلويين وحرضه على قتله فبعث السفاح لأبي مسلم يقول له هذا رجل بذل ماله في خدمتنا وفصحنا وقد صدرت منه هذه الزلّة فنحن نغتفرها له فلما رأى أبو مسلم ذلك فدس له من قتله لأربعة أشهر من ولاية السفاح وكان يقول وزير آل محمد والوزير المعين القائم بوزر الأمور وهو ثقلها لأنها مشتقة من الوزر، وهو الحمل لأن الوزير حمل من السُّلْطان الثقل هكذا قال ابن قتيبة وقال الزجاج أنها مشتقة من الوزر وهو الحبل الذي يعتصم به لينجو من الهلاك لأن الوزير يعتصم السلطان برأيه ويقف عند قوله.

ومن لطائف الأمراء ودقة تفرس الوزراء أن عليا بن منقد الملقب شديد الملك كان توزر صاحب حلب وهو تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى بينهما أمر، خاف شديد الملك بسبب ذلك على نفسه من الملك محمود، فخرج إلى طرابلس الشام وصاحبها جلال الملك فقام عنده فقال محمود بن صالح يوما إلى كاتبه أبي نصر: اكتب إلى شديد الملك كتابا استعطفه واستدعيه وأمنه ففهم الكاتب غرضه، إنه قصد مكرا وكان الكاتب صديق شديد الملك فكتب كما أمر إلى أن بلغ إن شاء الله تعالى فشد النون وفتحها فلما وصل عرضه على صاحب طرابلس ومن معه فأعجبهم تعطفه عليه فقال أنى أرى في الكتاب ما لا ترون ثم أجاب عن الكتاب كما اقتضاه وزاد أنا الخادم المقر بالأنعَام و كسر الهمزة من أنا وشدّ النون فلما وصل الكتاب إلى محمود وقف الكاتب عليه و سُرَّ بما فيه وقال لأصدقائه قد علمت أن الذي كتبته لا يخفى عليه وقد أجاب بما طيب نفسي وكان الكاتب قصد قوله تعالى "إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك" وأجابه بقوله تعالى " إنا لا ندخلها أبدا ما داموا فيها" فالعجب منهما. ولما ولى عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان على الشام موضع أخيه يزيد بن أبي سفيان رحمهم الله قال "لما أردت السفر أوصاني أبي ثم دخلت على أمي فأوصتني

أيضا فعجبت من اختلاف لفظهما واتفاق معناه" ومن اللطائف أن أبا عمر جميل بن عبد الله بن معمر بن صباح العذري قال لراوي شعره كثير عزة يوما من أين أقبلت؟ قال من عند محبوبتك بثينة. قال وأين تمضي؟ قال لعزة قال لا بد أن ترجع تأخذ لي موعدا من بثينة. فقلت استحي أن أرجع عن قريب فقال لا بد من ذلك؟ قلت متى عهدك؟ قال من أول الصيف وجدتها جالسة عند جاريتها وهي تغسل لها ثوبا أسفل وادي الدوم قال فرجعت إليها فقال لي أبوها ما ردّك يا ابن أخي فقال قلت أبياتا عرضت فأحببت أن أعرضها فقال هاتها فأنشدت وبثينة تسمع:

فقلت لها يا عزة أرسل صاحبي ∴ إليك رسولا ولا الرسول موكل

بأن تجعلي بيني وبينك موعدا ∴ وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل

وآخر عهدي منك يوم لقيتني ∴ بأسفل واد الدوم والثوب يغسل

قال فضربت جانب خدها وقالت: يأتينا أخشى، أخشى. فقال لها أبوها: "ممن يابثينة". قالت: كلبا يأتينا إذا نام الناس من وراء الرابية * ثم قالت للجارية: إيتنا من واد الدوم حطبا لندبح لكثير شاة و نشويها له. فقال كثير: أنا أعجل من ذلك و راح إلى جميل فأخبره فقال له: الموعد واد الدوم و خرجت بثينة إليه و جاء جميل إليها فما برحا حتى برق الصبح فقال كثير: ما رأيت مجلسا أحسن من ذلك المجلس ولا رأيت أفهم منهما. وكان منزل جميل واد القرى وروى جميل عن الهدبة بن خرشم و هدبة عن الحطيئة عن زهير و ابنه كعب و من شعر جميل:

وخبرتماني ان يتمادى منزل ∴ لبُثن إذا ما الصيف القى المراسيا

فهذه شهور الصيف عناق انقطعت ∴ فما للنوى يرمي ببثن المراسيا

ومازلتم يا بثن حتى لو أنني ∴ من الشوق استبكي الحمام بكاليا

مازادني الواشون الاصبابة ∴ ولا كثرة الناهين الا التماديا

ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني ∴ أضل إذا لم ألق وجهك صاديا

لقد خفت أن ألقى المنية بغتة ∴ وفي النفس حاجة إليك كما هيا

<u>ففتحت عنوة في تسع عاشره</u> ∴ <u>من بعد سكني ره والدين في وكس</u>

الفتح في الأصل ضد الغلق ثم استعمل للماء الجاري وللنصر ولافتتاح دار الحرب و العنوة القهر وقولي في تسع عاشره أي القرن الثاني عشر لأننا بصدده وناسجين في

* الرابية = الربوة

درجه من غزوة الملك إسماعيل إلى هنا وقولي[151] (من بعد سكناهم) أن الكفرة فتحت مدينتهم وهران عنوة وأذهبهم اللّه منها من بعد سكناهم بها لفظ الراء وهو مائتا سنة ولفظ الهاء خمس سنين و قولي والدين في وكس أي الدين في نقص من ذلك الثغر لأن الوكس هو النقص وفي الحديث لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط أي لا نقص ولا زيادة. ووكست فلانا نقصته وبريت الشجة على وكس إذا بقي في جوفها شيء وفي القاموس الوكس النقصان والتنقيص لازم متعد الخ ... ويقال أن السلطان سيدي محمد بكداش مات إثر فتحها بقليل لقد كان رحمه اللّه نادرة الزمان وقبلة الإحسان من المحبّين للجهاد الحاصدين لشوكة أهل البغي والعناد. لقد وفر بهذا الفتح أجرا، اتخذه عند اللّه دخرا. وكان أول ما فتح من حصونها برج العيون وأما برج المرسى فلم يفتح إلا بعد فتحها وفتح سائر حصونها

تنبيه: اختلف في أرض المغرب فقيل أفتتحت عنوة و قيل صلحا و قيل الفرق بين جبالها ووهادها.

فالأول صلح والثاني عنوة. قال بعضهم وظاهر كلام ابن أبي زَيْد أَنَّ بَعْضَها عنوة وبعضها صلحا وهذا التفصيل هو المختار و قال بعض الشيوخ أرض العنوة كل ما صار للمسلمين بقهرهم الكفار و غلبتهم إياهم سواء دخل عليهم المسلمون إليها أو هربوا منها و تركوها قال و أرض الصلح هي التي حاصر المسلمون أهلها حتى صالحوا على أنفسهم بشيء أعطوه أو جزية التزموها على أن أرضهم تبقى بأيديهم و إما أن أعطوا على تأمينهم من القتل أو على أنهم لا يخرجون من ارضهم فليس تلك البلاد بلاد صلح يريد كأنها في هذين القسمين داخلة في العنوة. ومن الأرض التي أسلم عنها أهلها بلاد المصامدة و هي جبال درن* وما حولها و مراكش و ما حولها و أغمات و ما حولها و الحكم فيها: فما كان منها معروف بشخص معين فهو له يتصرف كيف شاء و ما كان بخلاف ذلك فالإمام يتولاه و يقطعه لمن يراه أهلا له و بلاد البربر و السواحل و افريقية جهل الناس أمرها فتوقفوا حينئذ في حكمها و أن الأمام هو المتولى لأمرها أيضا و روى عن الأمام مالك إن المغرب فتح عنوة و من أكل منه شيئا و لم يؤد للسلطان فقد أكل الحرام

<u>أضحت مراتع للآنام و قد</u> ∴ <u>كانت بها طيبات الأنس في دنس.</u>

أضحت أي صارت و مراتع موضع الرتع من رتع كمنع رتوعا و رتعا و رتاعا بالكسر، أكل و شرب ما شاء في خصب وسعة أو هو الأكل و الشرب رغدا و جمل

[151] نسخة أ: سقطت هذه الجملة

* جبال درن: الأطلس الكبر بالمغرب الأقصى

راتع من إبل رتاع و رتع كركع و رتع بضمتين و رتوع و قد أرتع فلان إبله و قولي نرتع و نلعب أي نرتع نحن دوابنا و نلعب هو قولي بالعكس أي يرتع هو دوابنا و نلعب جميعا و قولي بالنون فيهما و الأمن ضد الخوف و الأنام كسحاب و أمير الخلق أو الجن و الإنس و جميع ما على وجه الأرض و المراد بالآنام هنا المسلمون بدليل السياق و الأنس البشر الواحد إنسان و الإنس بالضم و بالتحريك و الإنس محركة ضد الوحشة و الونس محركة ضد الوسخ و كفرح للثوب و العرض بكسر العين و الخلق و لا يخفى ما في إضافة مرتاع للأمن من المجاز و فيه استعارة بالكناية مع التخيلية و ليس هو من المجاز المرسل لأن العلاقة هنا المتشابهة لأنا شبهنا في أنفسنا الأمر بشخص يأكل و يشرب ما شاء و أثبتنا الرتع الذي هو من لوازم المشبه به تأمل. و هذا على قول من الأقوال الثلاثة المعلومة هنا و مما ينبغي إدراجه هنا في هذا الطرس و ينخرط في جملة طيبات الأنس، إن الوزير الحسن بن هارون المهبلي كان ينادمه أربعة من قضاة الامصار من العلماء الكبار أهل الحديث و الأدب و الكرم و الحسب أولهم القاضي محمد ابن أبي الفهم التنوخي قاضي البصرة و الأهواز و القاضي أبو بكر بن قريعة و ابن معروف و آخرهم لم أقف على إسمه، كانوا يجتمعون عند هذا الوزير في كل أسبوع ليلتين على البساط الفائق و الفراش الرائق و ما منهم إلا أبيض اللحية طويلها فإذا تكامل أُنْسِهم و طاب مجلسهم و هبوا ثَوَابٍ الوقار للعقار و تقلبوا بين أصناف العيش و الخفة و الطيش وقد وضع في يد كل واحد منهم طاس من ذهب فيه ألف مثقال مملوءًا شرابا قطر بليا و كل واحد يغمس لحيته فيه و يرش بعضهم بعضا و يرقصون و قد لبسوا المصبغات فإذا أصبحوا عادوا لهيئة القضاة و زي العلماء و قد كان التنوخي منهم و قد عزل مرة عن قضاء بغداد لما وليه بعد قضائه في البصرة و الأهواز فوفد على سيف الدولة ابن حمدان فاكرم مثواه و أحسن قراه و كتب في ما معناه: إلى حضرة بغداد حتى أعيد إلى عمله و زيد في رتبته و رزقه. قال الشاعر:

أجد طبعك الموصوف بالجدّ راحة ∴ عليه وعوده بشيء من المزح
و لكن إذا أعطيته المزح فليكن ∴ على قدرها يعطى الطعام من الملح

و من بديع شعر أبي الحسن على الغراب رحمه الله:

و قد واعدتني الكأس تمليك وصله ∴ وواعدتها تمليك عقلي بميثاق
فمازال كأس الراح ينفق كنزه ∴ و تنفق كنز العقل أوسع إنفاق
إلى أن غدا كل من المنفقين من ∴ فراغ كلا الكنزين في حال إملاق

و حين دانت تلك الوعود و أورقت ∴ غصون الوفاء من وعدنا إلـى أوراق
و ملكت للصهباء عقلي و ملـكـت ∴ يميني يَدًا الصهباء من ذاك اتسـاق
خلعت[152] ثياب الخز عنه و طوقت ∴ به جيده و ألتفت الساق بـالــساق

و ما سمعت في صيغة الدنيا و الميل إلى طيباتها و محبوبات انسهما أبلغ من قول القائل،

نراع بذكر الموت في حين ذكره ∴ و نفترض الدنيا قبلهما و نلعـب
و نحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها ∴ و ما كنت منه فهو شيء محبب

فذكر أن الإنسان إبن الدنيا و ما كان منه فهو محبب و كان المأمون يقول: "لو وصفت الدنيا بنفسها لما وصفت بمثل قول أبى نواس:

ألا كـل حي هالـك وآبـن هالك ∴ و ذو نـسـب في الـهالكين غريق
إذا إمتحن الدنيا لبيب تكشفت ∴ لـه عـن عـدو فـي ثـياب صديق

و ما أحسن ظنه بربه حيث قال:

تكثر ما استطعت من الخطايا ∴ فـإنــك بــالــغ ربـًّا غــفــورا
ستبصر إن وردت عليه عفـوا ∴ و تــلقــى ســيــدا مـلـكا كبيرا
تــعــض نـدامة كفيــك مــما ∴ تــركـت مــخافة الزمهــريــرا

و كان بعض الأولياء لما حضرته الموت حلف بالله الذي لا إله إلاّ هو: "يا مولاي حتى تغفرلي لأنك تجد من تعذبه غيري و لا أجد من يرحمني سواك".

قدمــه بعد عـشر إستقل بها ∴ بغـايــة حــادث كالعدو و للفرس

العدو معروف و فيه إستعارة مكنية و عثر كضرب و نصر و علم و كرم، عثرا و عثيرا و عثارا و تعثرا كبَّ هكذا في القاموس و قال في خلاصة الحكم عثر يعثر عثرا و عثارا و معثرا كبّ و زاد عثر الرجل يعثر عثورا وعثر الفرس عثارا و عثرت على الأمر أطلعت عليه و أما العثير بكسر العين و بياء فهو الغبار و منه قول أبي الطيب المتنبي:

عقدت سباكبها عليها عثـيرا ∴ لو تبتغي عنــقا عليه لأمــكـنا.

و من لطائف العلامة في شرح المفتاح العثير الغبار و لا تفتح فيه الغين و بيان لطافته أنه لفظ مشترك بين الجارحة و الفتحة التي هي ضدّ الكسرة و نهاك عن كل

[152] نسخة: أ سقطت صفحة من المخطوط

منهما واحدة لإصلاح بَدَنك و الأخرى لإصلاح دينك لسانك. و إستقل أي إستبد بها و تميز و آطمأن و الغاية ضد المبدإ و العدو جري الفرس و أما العدا بالكسر ففي الصحاح أنه المولات بين الصيدين يصرح أحدهما على إثر الأخر، قال أمرؤ القيس.

و يَعْدُ و أَعْدَاءً بين ثور و نعجة ∴ دراكًا و لم ينصح بماء فيغسـل.

و الفرس للذكر و الأنثى و الجمع أفراس و فروس وراكبه فارس أي صاحب فرس و هما كفرسي رهان يضرب إلى إثنين يستبقان إلى غاية يستويان و هو التشبيه في الإبتداء لأن النهاية تجلى عن السابق لا محالة. و في كتاب العقد لابن عبد ربه أن نبي الله سليمان بن داوود عليه السلام و فد عليه للقدس أمها أصْهَارُه الأرد فلما أرادوا الرجوع قالوا له "يانبي الله إننا بيننا و بين أهلنا مهامة و مفاوز فلا بدَّ لنا من زاد فاعطاهم فرسا كان يسميه أعوج و قال لهم إن احتجتم لغذاء يركب عليه أحدكم فإنه ما من صيد يراه إلا اقتنصه ففعلوا ذلك حتى أتوا أهلهم و نسلوا من ذلك الفرس كثيرا حتى قيل إن خَيْلَ العرب كلها من نسله ولذلك قال الفرزدق في عمر بن هيبرة الفزاري عامل العراق لما حبسه خالد بن عبد الله القسري في سرب تحت الأرض و هرب منه من العراق إلى دمشق في يوم و ليلة.

و لما رأيت الأرض قد سدّ ظهرها ∴ ولم يبق إلاّ بطـنها لـك مخـرجـًا

ناديت الذي ناداه يونس بعـدما ∴ ثوى في ثلاث مظلمـات فـفرجـا

فسرت من العراق للـشام ليـلـة ∴ ولم يسر سار مثلها حـين أدْلَجا

نجوت و لم تمنن عليك طلاقـة ∴ سوى حثك التقريب من آل أعوجا

و يقال إن داحس من نسله و قصتها مشهورة عند العرب و ذلك أن صاحبها قيس بن زهير العبسي تراهن مع صاحب الغبراء خذيفة بن بَدْر الذبياني على عشرين بعيرا و جعلا الغاية مائة غلو و المضمار أربعين ليلة فاجرى قيس داحسا و حذيفة الغبراء فوضعت فزارة رهط حذيفة كمينًا في الطريق فردوا الغبراء و لطموها و كانت سابقة فهاج الحرب بسبب ذلك بين عبس و ذبيان أربعين سنة و من أيامهم المشهورة في تلك الحروب يوم هباب قتل فيه حذيفة و أخوة حمل، و في ذلك يقول القيس بن زهير قاتلهما في مرثيته لهما.

شفيت غليلي من حمل ابن بـدر ∴ و سيفي من حذيفة قد شفاني

قتلـت بـاخوتي سـادات قومي ∴ و قـد كـانـوا حـُلَي الزمان

فـإن شفـيت بـهم غـليـلـي ∴ فـلـم أقـطـع بهم إلا بناني

و كان سبب الصلح بينهم أن الحارث بن عوف المري قال لخارجة بن سنان إن خطبت أحدا من العرب تراه يردني فقال نعم. قال يا ويلك من يردني و انا سيد قيس بلا مدافع. قال خارجة بن أوس بن حارثة الطائي. قال له: و هل له بنات قال نعم قال له ثلاثة قال الحارث إذهب بنا إليه فسارا له في أرضه فوجداه في ساحة أهله فسلم عليهما و رحب بهما و قال ما حاجتكما. قالا له أردنا مصاهرتك فأبى فذهبا من عنده. فقال خارجة فكنت أكثر الالتفات إلى جهته و الحارث لم يرفع رأسه كأن عليه الطير و هو في غيض ثم أن أوس دخل إلى بيته فقالت له زوجته: من النفر الذين وقفوا عندك و انصرفوا؟ فاخبرها فقالت له: ألك إرادة في نكاح بناتنا، قال لا بدّ من ذلك. قالت و أي رجل يكافيك مثل سيد العرب الذي رددته اليوم لا بدّ أن تمضي إليه قال و كيف و قد سبق مني. قالت أسبقه في الطريق و أعتذر له بأن غضبك كان لأمر سبقه فلحقه. قال خارجة فالتفت فإذا بالفارس راكضا نحونا حتى نزل بين أيدينا و اعتذر للحارث و ردّه فزوجه أصغر بناته فلما أراد بها أهلها مدّة إقامتها عند أبيها فقالت له عند أبي و أمي ثم زف بها و أرادها في الطريق فقالت أكون مثل الأمة المجلوبة بأيدي التجار فلما وصلوا بها إلى بيته أرادها في بيت البناء قالت: كذب من يقول أنك سيد العرب قال و لِمَ، قالت تشتغل بالنساء و العرب في الحرب الشديد و الهول المزيد. فحينئذ قال لخارجة بن سنان: اذهب بنا لعبس و ذبيان لنصلح بينهما فتحمل بديّات الفريقين و كانت ثلاثين ألف بعير ووقع الصلح بينهما فمن ثم قيل له صاحب الحمالة و لما وفد على رسول الله بعد ذلك ضاعف في إعطائه فوق العادة التي كانت مع الوفود. و أوس هذا هو الذي ملكه كسرى على العرب بعد النعمان بن المنذر و صاحب غزوة ذي قار. قال الشاعر في صلح الحارث المذكور

سعى ساعي غيض ابن مرّة بعدما ∴ تنزل مـا بـين العـشيرتـين دم

فاقسم بالبيت الذي طاف حولـه ∴ و جال بنوه من قريش و جُرهـم

يمينا لنعم السيدان و جدتـهـما ∴ على كل حال من سجيل و مبرم

تداركتما عبسا و ذبـيان بعـدما ∴ ذاق بـيـنـهـمـا عـطـر مـنشم

السيدان الحارث بن عوف و خارجة بن سنان و عطرا منشم مثل للملامح العظام. و أصله أن امرأة يقال لها منشم خزاعية تعمل قصعة طيباء في حربهم مع جارهم جُرْهم، تضمح به من يفرّ. كما قالت الشموس بنت غفار الجريسية لقومها.

و دونكم عطر العروس تضمحوا ∴ فـانـتـم نسـاء للتعطر و الكحل

حكـم الإلـه كما ترى قـدره ∴ لـو شـاء مـا ملكوها عشر النفس

يقال شرب فلان الماء من غير النفس أي من غير أن يبينه* عن فيه و شرب بثلاثة أنفاس فأبانه عن فيه في كل نفس و في شمائل الترمذي: كان صلى الله عليه و سلم يتنفس في الإناء مرتين وفي طريق أخرى ثلاثا أي بعد أن يبينّه عن فيه بِدَليل ما في البخاري: أنه صلى الله عليه و سلم نهى عن التنفيس في الإناء و يقال نفس أو نفسين أي لو شاء الله ما ملك النصارى وهران عشر نفس و قَدْرَوَى ما من ساعة و نفس يمرّ على الإنسان و لم يكن فيه ذاكرا و متفكرا إلاّ كان عليه ترة يوم القيامة. قال السيوطي و معنى ترة حَسْرة. لطيفة: بعث ملك الروم و اسمه لاون بن طبالوس إلى عبد الملك بن مروان أن يبعث له عالما من علماء المسلمين ففكر في ذلك فقال مالها إلا الشعبي فبعثه إليه فاكرمه ملك الروم ثم جالسه يوما و قال له أتدري لم بعثت لكم. قال الله أعلم. قال: لأجل أن أسألك على ثلاثة أشياء قال: سلْ عما بدا لك. قال بلغني أن أهل الجنة يأكلون و يشربون و لا يتغوطون و لا يبولون. قال الشعبي نعم. قال الملك: أرني مثالا لذلك ظاهرا حتى لا يبقى عندي شك. قال الشعبي: أرأيت الجنين في بطن أمه يأكل و يشرب و لا يتغوط و لا يبول فلو لم يأكل مات و لو تغوط قتل أمه ثم قال له: بلغني أن خزائن الله تنتفع بها الخلائق كلهم و لا ينقص منها شيء. قال الشعبي: هو كذلك. قال الملك أرني مثال ذلك قال له أرأيت الشمعة يوقد منها أكثر من أن يحصى و لا ينقص من نورها شيء. و كذلك الشمس ثم قال له بلغني أن الملائكة يسبحون الليل و النهار و لا يفترون أبدا قال الشعبي نعم قال أرني مثال ذلك قال الشعبي مثل نفس الإنسان يصعد في جسده و يهبط لا يفتر في نومه و أكله و غير ذلك فأستحسن أجوبته و أجازه إجازة سنية فلما أذن له في الرجوع كتب له كتابا للخليفة فلما قرأه عبد الملك وجد فيه عجبا لقوم فيهم مثل هذا الشعبي و يولون غيره أمرهم. قال له: يا شعبي كتابهم حرضوني فيه على قتلك فقال: يا أمير المؤمنين انما ذلك لعدم حضورك عندهم و لو رأوك ما عظموني ثم قال له الشعبي: كم عطائك فقال له ألفين ففطن لها عبد الملك و علم أنه لحن ثم قال له: كم عطاؤك فقال الشعبي ألفان. قال له عبد الملك لم قلت أولا ألفين و قلت ثانيا ألفان قال له: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لي أن أعرب و تلحن أنت، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

تعـلـم فلـيس الـمرء يولد عالما ∴ و ليس أحق علم كمن كان جـاهل

* يبينه عن فيه: أي يبعده عن فمه

فان صغير القوم ان كان عــالـما ∴ كبــير أذا الــتفت عليه الـمحافل

و إن كبير القوم و ان كان جاهلا ∴ صغــير إذا ردت إلــيه المـــسائل

و مرّ الشعبي يوما بجماعة يقذفونه فقال متمثلا ببيت كثير عزة.

هنيئـا بَريئـا غــير داء مـخامر ∴ لعزّة من أعــراضـنا مـا استحلت.

من بعد عشر و عشر ثم أربــعـة ∴ عادوا إليـها قرة أعــين التعــس

فــملــكوها بلا كبير ملحـــمــة ∴ لــكـــن في الأولـى بخـــدمة منــخيــس

يعني الكفرة أهلكهم الله عادوا إلى وهران سنة أربعة و أربعين و مائة و ألف بعد خروجهم منها سنة تسع عشرة و هو معنى قولي من بعد الخ.. و سنة خروجهم منها خارجة عن العدد المذكور تأمل. و التعس الهلاك. يقال رجل تعس و تاعس و الجمع تعس و أصل التعس الكؤب و هو ضد الانتعاش. و الملحمة القتال. و قال سعد بن عبادة رضي الله عنه اليوم يوم الملحمة و ذلك في غزوة فتح مكة و كان من خبر دخولهم لها هذه المرّة الثانية أهلكهم الله أنهم زحفوا لها في مراكب كثيرة و أرسوا بمرسى الحريشة* غربي وهران ثم خرجوا للبرخيلا و رجالا في عدّة و عدد و قوة و مدد. و قد زحف إليهم مصطفى بن يوسف باي المتقدم الذكر في نحو أربعة ألاف فلم يكن له بهم طاقة و لقد أخبرنا شيخنا الأكمل و أستاذنا الأمثل خاتمة اهل التحقيق و أعمدة أهل التوفيق الشيخ سيدي عبد القادر بن عبد الله المشرفي شرف الله في الجنان مكانه و أحله من الفردوس ميطانه و كان حاضرا لتلك الوقعة أن الكفرة لما تكامل عسكرهم في البرّ و بقي جل مدد هم في البحر: لم يعملوا صفا للقتال و لم يطلبوا مجادلة الرجال و إنما زحفوا للبلد بجميع الرجالة و الفرسان و هم كهيئة الرحى في الدوران، بارودهم كرعد متصل و رصاصهم كمطر منهطل لا يستطيع أحد قربهم و لا يكر شجاع نحوهم و المسلمون يجعلون أمامهم و ما حمل عليهم من المسلمين إلا قليل. و مع ذلك لم يرجع منهم إلا القليل و أن الباي مصطفى سقط ذلك اليوم عن فرسه لشدّة تحريضه على الجهاد و كثرة عدوه و كتائب بني عامر واقفون و للمسلمين خاذلون فلم يصلوا المدينة حتى خلاجوها و هرب ساكنها و هذا معنى قولي بلا كبير ملحمة و أخبرني الشيخ المذكور أنهم لما ظهروا أولا نحو الحريشة° و اجتمع المسلمون على ذلك الساحل فصاروا يرمونهم بالكور حتى كشفوهم عن شاطئ البحر و قال : و أول كورة أتت من أعداء الله نزلت منى في الأرض بقدر ذراع أو باع و قولنا لكن في الأولى الخ: أي أن أخذهم لوهران المرّة الأولى في أول العاشر كما مرّ،

* الجريشة : شاطئ يقع بين رأس فالكون و المرسى الكبير حسب المصادر الإسبانية و ليس ميناء.

إنما كان بخداع و مكر و احتيال لا بحرب و قتال و ذلك أن برج المرسى أخذوه بمكر يهودي و المدينة بعد ذلك بسنين إنما دخلوها بمكر و غدر و نقض ميثاق بين المسلمين و بينهم كما وقع ذلك لأهل مالقة قبلهم. يحكى أن أهل مالقة وقعت المهادنة بينهم و بين الكفرة على ثمانية عشر شرطا فكلها نقضوها و من ورائهم نبدوها و المنخيس الغادر. يقال خاس به يخيس إذا غدر به و فلان خاس بعهد فلان أي نكث و خيسة تخييلا أي ذلك و منه المَنْخِيس و هو اسم سجن بالعراق أي موضع التذلل و معلوم عند العرب ان الغدر أوله عار و عاقبته بوار.

و لما أضمرت قبيلة جريس الغدر بإخوانهم طسم لجور الملك عَمْلوق الطمسي عليهم و عزموا على الفتك بهم حذرتهم الشموش بنت غفار الجريسية و قالت لأخيها الأسود لا تفعل. فابي فاستأصلوا طسم بالقتل و السبي و قد نجا منهم رجل يقال له رفاع و هو أخ رزقاء اليمامة المشهور فاستصرخ بحسان بن تبع أحد ملوك اليمن فزحف إلى جريس فأبادهم إلى آخر الدهر. و لما بعث رسول الله عليه و سلم أهل بئر معونة إلى بني سليم يعلمونهم القرآن فلما علم بذلك عامر بن الطفيل حشر لهم رعل من قبائل سليم و ذكوان و بني لحيان و بني عصية فقتلوا أهل بئر معونة كلهم فلما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم دعا عليهم فدثروا و تلاشوا و خمل ذكرهم و انقطع دابرهم بسبب دعوة رسول الله صلى الله عليه و سلم و دعا بعد ذلك على عامر فأخذته غدّة كمامرّ.

و قولنا قرة أعين الخ.. فإنهم أحبوها و أحبتهم و من أقاصي الأبْحُرِ جلبتهم أدامها الله الآن للإسلام و قطع رجاءهم منها على الدوام. قال في العقد وفدَ مصعب بن الزبير بوجوه أهل العراق على أخيه سيدنا عبد الله بن الزبير فلما أستقرَّبهم المجلس قال مصعب: يا أمير المؤمنين هؤلاء رؤوس العراق أتيت بهم إليك تواسيهم من مال الله. قال جئتني بعبيد العراق لأعطيهم من مال الله. و الله لا فقلت ورَدَدْتُ. و الله إنَّ لِي بهم من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم. قال عبيد الله بن ضبيان: أتدري ما مثلنا و ما مثلك فيما ذكرت قال و مَا ذلك مثلنا و مثلك و مثل أهل الشام كما قال أعشى بكر بن وائل.

علقتها صرفا و علقت رجلا ∴ غيري و علق أخرى ذلك الرجل

أحببناك نحن و أحببت أنت أهل الشام و أهل الشام أحبوا عبد الملك بن مروان ثم انصرفوا من عنده خائبين، فكاتبوا عبد الملك بن مروان و غدروا بمصعب بن الزبير رضي الله عنهما. و من لطائف الاشعار في المحبة قول ابي المطاع ذي القرنين حمدان بن ناصر الدولة التغلبي.

إني لأحسد لا في أسطر المصحف ∴ إذا رأيت اعتناق اللام و الألف
و ما أظنهما طال اعتناقهما ∴ إلا لما لقيا من شدة الشغف
دخل الشبلي يوما على شيخه الجنيد رضي الله عنهما فوقف و انشد
عودوني الوصال و الوصل عذب ∴ و رموني بالصّد و الصّد صعب
لا و حق الخضوع عند التلاقي ∴ ما جزاء من يحب إلا يحب
فأجابه الجنيد بقوله
و تمنيت أن أراك فلما رأيتك ∴ غلبت دهشة السرور فلم أملك ألبكا

مات الشبلي رحمه الله سنة أربع و ثلاثين و ثلاثمائة ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من القعدة ببغداد و دفن بمقبرة الخيزران عن ثمانين سنة و الشبلي بكسر الشين و سكون الباء كما في ابن خلكان نسبة إلى شبلة قرية من قرى أسرو شلّة بلدة عظيمة وراء سمرقند من وراء النهر

فمرتين ابتاعوها غير غالية ∴ كيف يباع ثغر وهران بالبخس

ابتاعوها أشتروها و البخس النقص و بخسه يبخسه بخسا إذا نقصه و في المثل يحسبها حمقاء و هي باخس.

قال ثعلب و إن شئت قلت باخسة و البخس أيضا أرض تنبت بغير سقي و البخس أيضا[153] الظلم و الأبَاخِس الأصابع و تباخسوا تغابنوا.

أخبار لطيفة شريفة و نبذ طريفة: و هي أن رَيْ فرانس و معناه ملك فرانسا استصرخ النصارى و من جملتهم البابة خليفة المسيح بزعمهم و أطلق يده في أموال الكنائس فأجابه ملك الأنكلتار و ملك سَكُوستا و ملك توركا[*] و ملك برشلونة و حشد إلى تونس سنة ثمان و ستين و ستمائة فتوافدت أساطيلهم بقرطاجنة بعد أن ملئ الساحل بالمرابطين و المطوعة زهاء أربعة آلاف و نزل النصارى بالساحل في زهاء ستة الاف فارس و ثلاثين ألف رجالة و فيهم سبعة ملوك و معهم العلجة زوجة الطاغية و تسمى الربّية قاموا بقرطاجنة بعدما حَصّنوها باللوح و كانت ماثلة ستة أشهر و أداروا خندقا على السور بعيد المهوى و تزاحفوا للقتال منتصف المحرم أول سنة تسع و ستين فمات من الفريقين خلق و هجموا على العسكر بعد العِشَاء و تَرَامى المسلمون عنده. غلب الكفرة المسلمين بعد أن قتل النصارى زهاء خمسمائة و ابتلى

[153] نسخة أ : سقطت هذه الفقرة
[*] ملك سكوستا و ملك توركا: أي ملك سكتلندا و ملك لكسنبورغ

المسلمون و ظنوا الظنون و همّ السلطان ممدوح حازم بالتحول من تونس إلى القيروان ثم أن الله أهلك ملكهم فأصبح ميتا بسهم أصابه فبايع الكفرة ابنه دمياط سمي بذلك لميلاده به وقت محاصرتهم عمالة مصر و كان أمر النصارى على عادتهم الذميمة راجعا إلى العلجة فراسلت المستنصر أن يَبْدِل لها ما خسروه في حركتهم فتولى عقد الصلح القاضي ابن زيتون لخمسة عشر عاما و صلح صاحب صقلية على جزيرته و أقلع الكفرة أول الشتاء فهلك الكثير منهم بالريح. يقال أنه أعطاها عشرة أحمال من المال و ترك النصارى بقرطاجنة تسعين منجنيقا وبث الرسل في الأقطار بما وقع.

غريبة: و لما بعث معد المعروف بالمعز جوهر على مصر بالعساكر فكان من جملة حمولته ألف حمل من المال و أمّا الخرثي** و غيرها من الآلات و مئونة العساكر لا يحصيها إلا الله تعالى و ذلك سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة و في آخر السنة، فتح مصر و أخذها من يد وزيرها و رئيسها العلامة ابن الفرات المعروف بابن خَنْزَابَة كان وزير بني الإخشيد ملوك مصر ثم توزر كافور الخصي مولاهم لما استقل بملك مصر و كان يملي الحديث و هو وزير و كان يقصده الأفاضل من البلدان. و لما مات كافور استقلّ بتدبير المملكة و قبض على كثير من أرباب الدولة و صَادَر يعقوب بن كلس فاخذ منه أربعة آلاف دينار و خمسمائة و قد قصده الحافظ الدار قطني المشهور من العراق، فلم يزل عنده حتى فرغ من أسانيد تأليفه و له تأليف في أسماء الرجال و الأنساب و غير ذلك. و لما مدح كافور هَجَاهُمَا المتنبي بقصيدته المقصورة و هي

و ماذا بمصر من المضحكات ∴ و لكنه ضحك كالبكاء

بها نبطي من أهل السواد ∴ يدرس أنساب أهل الفلاء

و أسود مُشْفَرّة نصفه ∴ يقول له أنت بدر الدجا

أراد بالنبطي أبو الفضل و الأسود كافور غلام الإخشيد و هذا القدر ما غض منه* و مازالت الأشراف تهجى و تمدح. مات سنة إحدى و تسعين و ثلاثمائة و خنزابة هي أم أبيه و أورد ابن عساكر من شعره:

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها ∴ فليس ترمي سِوَى العالي من الشجر

و كان كثير الإحسان لأهل الحرمين و اشترى دارا قرب مسجد النبي صلى الله عليه و سلم، ليس بينها و بين الضريح النبوي سوى جدار واحد و أوصى أن يدفن

** الخرثي: الأثاث
* غَضَّ منه: أساء لَهُ

فيها و لما مات حمل تابوته إلى الحرمين و خرجت الإشراف للقائه وفاء له بما أحسن إليهم فحجوا به و طافوا ووقفوا ثم ردوه إلى المدينة فدفنوه بالدار المذكورة.

خَلاَلَهَا الجو صرفا و اطمأنو بها ∴ و قد تجلت للكفر جلوة العرس

الجو مرّ الكلام عليه و صرفا أي خالصا و حقيقته مأخوذ من الصريف و هو الفضة الخالصة التي لا يشوبها غشّا و قال ابن مالك في الخلاصة. و الثاني كَبَانى أنت حقا صرفا أي سكنت قلوبهم من أرجاف الخوف. قال أبن دريد:

كثلت ريعت لليث فانزوت ∴ حتى إذا غاب اطمأنت إذا مضى.

الثلت بمثلثة و لام و تاء قطعة من الضأن أو معها المعز لا معز فقط. و التجلي هو الظهور، أي ظهرت للكفر و العرس يستوفي فيه الرجل و المرأة ما دام في أعراسهما و هم عرس و هن عرائس و حصن باليمن. و قولهم لا عطر بعد عروس مثل اول من قاله أسماء بنت عبد الله العذرية و كان اسم زوجها عروس و مات عنها فتزوجها رجل أعسر أبخر ذميم.انتهى. و الجلوة الظهور ضد الخلوة و ممّا ينخرط في هذا المظان و يرسم في هذا الموطن أن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي و لمّا مرض عاده الوزير فلمّا انصرف كتب إليه.

شكرت نعمة العلّة عليّ إذ ∴ كانت إلي رؤيتك مودية

فاني كالأعرابي الذي جزي يوم البين فقال

جزى الله يوم البين خيرا فانه ∴ أرانا على امتناعها أم ثابت

أرانا رابيات الخدور و لم نكن ∴ نُراهن إلا بانتعاث النواعت

و قال عقلمة بن عبيدة التميمي:

طحا بك قلب في الحسان طروب ∴ بعيد الشباب عَصْر حان مشيب

يكلفني ليلى و قد شط وَ يْلها ∴ و عادت عواد بيننا و خطوب

ممنعة لا يستطاع كلامها ∴ على بابها من أن تزار رقيب

إذا غاب عنها البعل لم تفش سرّه ∴ و ترضى إياب البعل حين يئَوبُ

فلا تعدلي بيني و بين مُخمر ∴ سقتك روايا المزن حيث تصوب

سقاك يمان ذو حبي و عارض ∴ يروح به جنح العشى جنوب

لطيفة: روى أن عمر بن أبي ربيعة المخزومي و فد على الوليد بن عبد الملك بدمشق فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال الوليد لا سلمت و لا قربت. قال

عمر: و ما ذاك يا أمير المؤمنين قال له: ضاقت عنك العرب و قلت عنك نساؤها فتعمد إلى بنات عبد مناف تتشبب بهن حيث تقول:

نظرت إليها بالمحصب من منى ∴ أشَمْسٌ، أبَدْرٌ ثان أم أنت حالم

تَرَاءَى خلف السحب إمّا لنوفل ∴ أبوهم و إمّا عبد شمس و هاشم

فقال: يا أمير المؤمنين: إن كنت قلت هذا فقد قلت بعده

طلبن الهوى حتى إذا ما وَجَدْنَهُ ∴ صددن وهن المسلمات الكرائم

فسرّ الوليد و ضحك و أحسن جائزته وردّه لأهله مكرما و مثلها ما روى أن عبد الله النمري الثقفي وفد على الحجاج فلما رآه قطب وجهه و نظر فيه شزرا و هم أن يبطش به فقال النمري: ما هذا أيها الأمير: سألتك بالرحم و القرابة، قال الحجاج لا قرّبك الله، فضحتنا، تعمد إلى أختي زينب و تتشبب بها حيث تقول:

تضوع مسكا بطن النعمان إن مشت ∴ بـه زيـنب فـي نسوة خـدرات

دعــت نسـوة شَم العـرانين بدنــا ∴ نواعم لا شعثــا و لا غـــبرات

فـَلَـَمْ تـَرَعَـيْنِي مثـل سـرب رايته ∴ خرجن من التنعيم مُـعْتَمـِرَات

قال النمري: إن كنت قلت هذا، فقد قلت بعده

يـوارين أطراف البـنـان من التقى ∴ و يخرجن وسط الليل معتمرات

قال له الحجاج: ألست أنت القائل:

فــلما رأونــي صرن يَسْدِلْنَ دونها ∴ ستر وراء من القسى و الحبرات

قال النمري: إني كنت قلت:

و لما رأت ركب النمري أعرضت ∴ و كــن مـن أن يلـقينه خدرات

فقال الحجاج: ما كفاك ان تراها بنفسك، فلقيتها بركب. فقال النمري إنَّمَا ركبي رفيقي و حماري أعرج فضحك الحجاج و أجازه و لما أنشدت هذه القصيدة بين يدي سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال على البديهة:

و ليست كأخرى واسع جيب ذرعها ∴ و أبدت بنان الكف للجمرات

و قــامــت تــراه بين قوم فأفتــنـت ∴ بــرؤيتــها من راح هو عرفات

يــا لـه مـن ثغـر أضحى أهله جزرا ∴ للنائبات و أمسى للعدا خبس

يا له من صيغ التعجب مع التحسّر و أضحى صار و جزائر و جزر و جزرات جمع جزر و هو القِطَع و ما يذبح من الشات و نحوها و اجزره أعطاه شاتا يذبحها

أو بَعِيرًا و الجزار أو الجزير كسكيت من ينحره. و الجزارة بالكسر و المجزر موضعه و الجزارة بالضم اليدان و الرجلان و العنق و لم يقال جزيرة البحر لقطعها من البرّ بالماء من سائر جهاتها كجزيرة مالطة و صقلية و نحوهما أو من غالب جهاتها كجزيرة العرب و جزيرة الأندلس و جزيرة قور ذات المدن الكبار بين دجلة و الفرات و النائبات نزول الأمر و الدواهي و المصائب. قال عنترة بن شداد العبسي:

إن لم أخلصهم من كل نائبة ∴ فلا سلمت و لا أَخطأني النوب

المفرد: نوب و الجمع نائبات و بالضم جبل من السودان بجنوب الصعيد و أرض واسعة بالسودان و منها سيدنا بلال رضي الله عنه و نوبة صحابية و بيت نوبي كطوبي بلدة بفلسطين و العدا جمع عدو و الخبس بالخاء المعجمة و الباء الموحدة و السين المهملة: الأخذ و الغنيمة. يقال خبست الشيء أخذته و غنمته و رجل خباس غنام و أخبسته أخذته مغالبة و أسد بن خبوس و الخباسة بالضم المغنم و في القاموس خبس الشيء بكفه أخذه و فلانا حقّه ظلمه و غشه و الخبوس المظلوم و خباس كغراب فرس قبيح من جرير و اختبسه أخذه مغالبة و المختبس الأسد و مما يناسب هذا قول الحكماء: الدنيا كلها حزن و ما كان منها سرور فهو ربح و قول الحريري

يا خاطب الدنيا انها ∴ شرك الردى و قرارة الأكدار

دار إذا ما اضحكت في يومها ∴ أبكت غدا تبا لها من دار

و قول أبي محمد الحازن في مرثية

هي الدنيا تقول بملء فيها ∴ حذار حذار من بطشي و فتكي.

لا يغرنك منها ابتسامي ∴ فقولي مضحك و الفعل مبكي

و من أحسن الأشعار في مآل الأمور قول لبيد:

بلينا ما تبلى النجوم الطوالع ∴ و تبقى الجبال بعدنا و المصانع

فلا تجزع ان فرق الدهر بيننا ∴ فكل أمرئ يوما له الدهر فاجع

و ما الناس إلا كالديار و أهلها ∴ بها يوما حُلوها و تغدو بلا قع

و يمضون أرسلا و تخلف بعدهم ∴ كما ضم إحدى الراحتين الأصابع

وما المرء إلا كالشهاب و ضوئه ∴ يصير رمادا بعد أن كان ساطع

و ماله الا ما أَعَدّهُ من التقى ∴ و ما المال إلا عربان ودائع

أليس ورائي أن تراخت منيتي ∴ لزوم عصا تحنى عليها الأصابع

أخبر أخبار القرون التي مضت ∴ أَدُبٌّ كأني كلما قمت راكع

فاصبحت مثل السيف أَخْلُو جفنه ∴ تـقـادم عـهـد الغين و النصل قاطع
فـلا تبعـدن أن المنـيـّة مـوعـد ∴ عـليـنا فـدان للـطلـوع و طالـع
أعـاذل مـا يـدريك إلا تصيبنا ∴ إذا رحـل الـفتـيان مـن هو راجع
أتـجزع مما أحدث الدهر بالفتـى ∴ و أي كـريـم لـم تـصبـه القوارع
لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ∴ و لا زاجرات الطيرتاَ للّهِ صَانِـع

قال صاحب الأغاني فيا عجبًا من حسن ألفاظه و صحة إنشاده و جودة اختياره و لما أنشدت بين يدي المعتصم بن هارون الرشيد العباسي بكى حتى سالت دموعه على لحيته. كان عثمان بن مضعون في جوار الوليد بن المغيرة ثم قال: و اللّه ما ينبغي لي أن أكون في جوار كافر و رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خائف فجاء إلى الوليد فقال له تبرأ من جواري فقال له: لعلك رابك ريب و لكن أحب أن تفعل فتبرأ منه في أندية قريش و لبيد بن ربيعة العامري ينشد قوله:

ألا كل شيء ما خلا اللّه باطل، قال له عثمان بن مضعون صدقت ثم قال لبيد

و كل نعيم لا محالة زائل. قال له: كذبت لأن نعيم الجنة لا يزول فقام أي أبي بن خليفة، فلطم وجهه فقيل له: قد كنت في منعة من هذا فقال ما أحوج عيني هذه الصحيحة إلى أن يصيبها ما أصاب الأخرى في اللّه، ثم أسلم لبيد و حسن إسلامه و طلبه عمر لانشاد الشعر الذي قاله في مدّة إسلامه فكتب سورة البقرة و أتى بها إليه: عوضني اللّه هذا به. فزاد في إعطائه خمس مائة دينار و عاش لبيد مائة و خمسة و أربعون سنة تسعون في الجاهلية و الباقي في الإسلام. و هو القائل

و كل أناس سوف يدخل بينهم ∴ دويهية تصفر منها الأنامل
و كل أمرئ يوما سيعرف سعيه ∴ إذا حصلت لـه الحـصائل

تنبيه: أفتى العبدوسي ببطلان الصلاة خلف إمام مقوس الظهر مستدلا بقول لبيد المار: أليس ورائي إن تراخت منيتي، البيتين. و أفتى البرزلي بالكراهة. قال ابن غازي في "تكميل التقييد و حل التعقيد" قد نقل أن العبدوسي عضه الزمن بشيء من هذا و لقي بمكناسة شيخنا الأديب أبا زيد عبد الرحمن بن ثابت فنظر إليه و قد انحنى ظهره فقال له يستدعني منه بديهة: لا تنحى يا شيخ لا تنحي فأنشده ارتجالا.

يا سليل الكرام نفسي فداك ∴ قلت لا تنحي و أنت كذلـك
حفظ الدهر فاعل الدهر عنا ∴ مع حال عدمت منها انفكاك

ختــم الله للـجميع بخـير ∴ إنـــه قــادر علـــى فـعل ذاك

و قد كان مرّة دُعِي لطعام و كان الخطيب ابن مرزوق حاضرا في ذلك الصنيع فلما دنا من باب البيت قال ابن مرزوق لعبد الله العبدوسي:

تقدم لصدر البيت يا أيها الصدر، فقال بديهة

بل أنت الإمام و الإمام له صدر. رحمهم الله و نفعنا بهم. آمين.

و كل شارقة الإلمام بارقة ∴ مأتمها عاد للعداء كالعرس.

شارقة جميلة مأخوذ من الشريق و هو الجمال و مشريق موضع القعود في الشمس بالشتاء و باب للتوبة في السماء. و قد ورد حتى ما بقى إلا شرقة والشرقية محلة بمصر و بغداد و بواسط و محلة ينيسَا بُور منها أبو حامد محمد بن الحسن و شارقة حصن بالأندلس و أشرق دخل في شرق الشمس والثوب في الصبغ بلغ و الإلمام أصله الجمع و ألم شعثه قارب ما بين شتيت أموره. قال نصيب بزينب الهم قبل أن يرحل الركب. وبارقة من برَقَت المرأة برقا تحسنت وتزينت كبرقت والبرق فرس ابن العرفة وواحد بروق السحاب أو ضرب من السحاب وتحريكه أياه لينساق والبراق بلدة بخوارزم وجرجان "وبرق نحره" لقب رجل وذو البرقة علي رضي الله عنه لقبه به العباس رضي الله عنه يوم حنين و البرقة الدهشة وبلدة قبالة واسط وجعفر بن برقان محدث. والبراق مركوب الرسول صلى الله عنه وسلم، ليلة الاسراء وبلدة بحلب "وبرق ديار العرب تنيف على مائة. انتهى. والمأتم الحزن وسببه أن شخصا من العرب عمل صنيعا فاجتمع فيه الناس فمات وَلَدَهُ قبل اتمامه فقيل مأْتَم" وفي توضيح الشيخ خليل علي ابن الحاجب بسكون الهمزة وبمثنات فوق الزبيدي هو الجماعة من النساء والرجال في حزن وعند الجوهري النساء يجتمعن في الخير والشر.

تنبيه: المأتم ليس الطعام الذي يعمل فيه الأطعمة الثمانية إن كانت عادة يجعل الطعام فيه كما جرت بذلك في أرضنا، يجعل الطعام للنساء اللاتي يجتمعن في دار الميت والحكم في هذا أنه من قبيل الصدقات والله أعلم أنظره وقد نظمت الولائم الثمانية فقلت:

أعذار مختتان نفيـعة قادم ∴ وخرس نفاس للبناء و كيدة.

مأدوبة دعوة وحذقة قرآن ∴ وليمة عرس للمولود العقيقة.

المأدوبة هي طعام يجعل ويدعى إليه الأصدقاء والجيران للمودة فقط وعلى مراد من قال هي طعام الدعوة وهي بفتح الدال و قول تطرب بضمها غلطوه فيه وفي القاموس وتُضَمْ وقال بعضهم الدعوة بالفتح الرجل يناديك وبالكسرة الذي يدعى إلى

قوم وبالضم الدعاء إلى طعام ومثل الولائم قال الشيخ بهرام في الشامل يكره الإتيان لهذه الولائم ما عدا الوليمة فيجب والمأدوبة كغيرها وهو خلاف ما في المقدمات من نذب الإتيان للمأدوبة وإباحة ما عداه. إن المكروه ما يقصد به الفخر والخرس بضم الخاء وسكون الراء ولم أر من تكلم على طعام المآتم وهو الاجتماع لأجل حزن والعداء جمع عدو والعرس جمع عروس ورجال عرس بضمتين وامرأة عروس ونساء عرائس والعرس بالكسرة زوجة الرجل ولبؤة الأسد.

تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم ∴ شم المعاقل مع موضع الدرس.

الروم تقدم الكلام عليهم وقولي لا نالت الخ أي لا ثبتها الله لهم ولا أمكنهم من التمتع بها والنوال والنال والنائل في الأصل العطاء والنوال جمعه أنوال وبالضم جبل من السودان والنازلة ما حول الحرم وساحة مكة وأبَال بالله حلف النوال. النصيب والكرم قال مروان بن أبي حفصة في مرثيته لمعن بن زيادة الشيباني:

ذهب الحياء بموت معن ∴ وذهب النوال فلا نوالا

الشم الطويل والمعاقل واحدها معقل وهو الحصن ويقال له أيضا صيصة والجمع صياصي. قال تعالى: " وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم" ويقال أيضا لقرون البقر الصياصي والدرس واحده درس وتجمع المدرسة على مدارس. فميم المدرسة زائدة وتلحق الجمع هنا وأصل درس عفا ودرسته الريح لازم ومتعد والمرأة درسا حاضت والكتاب يدرسه ويدرسه درسا ودراسة قرأه وإدريس النبي صلى الله عليه وسلم، ليس من الدراسة كما توهمه كثيرون لأنه أعجمي واسمه خنوح وللمدرس كمنبر الكتاب والمدراس المواضع يقرأ فيه القرآن ومنه مدارس اليهود و الدرواس، بالكسر عَلَم كلب والمدرس الكثير الدرس واندرس، انطمس.

تنبيه: المدرسة المتعارفة عندنا الآن وهي التي تبني لدراسة العلم أي لتعليمه وتعلمه كالمدرسة البوعنانية بفاس ومدرسة إبني الإمام بتلمسان والمدرسة المستنصرية والباشية بتونس والقشاشية في الجزائر والمحمدية بأم عسكر نسبة إلى بانيها أبي الفتوحات المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان فاتح وهران والمؤلف في مسيرة فتحه لها هذا الكتاب ونحوها من المدارس لم تكن في أول الإسلام فضلا عن معرفة العرب لها بهذا الاسم وإنما كانت دراسة القرآن وسائر العلوم بالمساجد فقط، أو بمواضع لا يطلقون عليها اسم المدرسة حتى أن هذا الاسم يصرف لها وموضوع عليها وإنما كانت ابتداء بناء المدارس آخر القرن الرابع وأول من بني المدارس واقتدى الناس به في ذلك أبو علي الحسن بن علي ابن إسحاق الملقب نظام الملك وقوام الدين. اللوَادكأتي

نسبته "لودكات" قرية قرب طوس وهو من أبناء الدهاقين اشتغل أول أمره بالحديث والفقه ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان ببلخة ثم قصد داوود بن مكيال بن سلجوق والد السلطان البارسلان فلما ظهر له منه النصح سلمه إلى وَلَدِه البارسلان وقال له: لا تخالفه فيما يشير به فلما ملك البارسلان دبر أمره فأحسن التدبير ثم دبر ملك ابنه ملكشاه لما تقلده بعد موت أبيه الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان إلا اللهو والصيد ودخل نظام الملك هذا على الإمام المقتدى بالله الخليفة فأذن له في الجلوس بين يديه فقيل له يا حسن رضي الله عنك برضى أمير المؤمنين عنك وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والصوفية وكان كثير الأنعام على الصوفية، فسئل عن سبب ذلك فقال: أتاني صوفي وأنا في خدمة بعض الأمراء فوعظني وقال اخدم من تتفقد خدمته ولا تخدم من يأكله الكلاب غدا. فما أعلم معنى قوله فَشَربَ ذلك الأمير وكانت له الكلاب كالسباع تفترس من القرباء في الليل فَغَلَبَهُ السكَر فخرج وحده فلم تعرفه الكلاب فمزقته فعلمت أن الرجل كوشِفَ بذلك. فأنا أخدم الصوفية لعلي أظفر بمثل ذلك وكان إذا سمع الآذان مسك عن جميع ما هو فيه وكان إذا قدم إليه إمام الحرمين والقشيري بالغ في إكرامهما وأجلسهما مجلسه وأول مدرسة بناها المدرسة المشهورة بالنظامية ببغداد وقدم للدرس بها العلامة الشيرازي فامتنع ثم صار يدرس بها وإذا حضرت الصلاة خرج وصلى في بعض المساجد وكان يقول: " بلغني أن أكثر آلتها غصب" وكان هذا الوزير يسمع الحديث و يسمع عنه. مات رحمه الله سنة ثمان وأربعمائة بسجلة* قرية قرب نهاوند "فيها قبور جملة من الصحابة. يقال إن السلطان ملكشاه دس عليه من قتله لما سئم طول حياته واستكثر ما بيديه. لقد كان من حسنات الدهر ومن أعظم ولاة الأمر. ورثاه زوج ابنته: ابو الهيجاء مقاتل بن عطية البكري بقوله:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة ∴ نفيسة صاغها الرحمن من شرف

فلما لم تعرف الأيام قيمتها ∴ فردهـا غـيرة مـنه إلى الصدف

و إنما أطنبنا فيه البيان لبديه بهذا الإحسان و موضع الدرس بوهران مساجدها مع ما كان فيها من المدارس التي درسها الكفرة و عفوا رسمها.

<u>كانت حدائق الأحداق مونقة</u> ∴ <u>فأبدلت بنوعي الجفس والحدس.</u>

الحدائق هي البساتين عليها حلق وحضائر وجدران وفي القاموس الحديقة الروضة ذات الشجر والجمع حدائق أو كلما أحاط به البناء أو القطعة من النخيل وبلدة من أعراض المدينة وحديقة الرحمن بستان شجر كان لـمُسَيْلمة الكذاب فلما قتل عندها

سميت حديقة الموت وكجهينة موضع لبني بربوع والحدقة محركة سواد العين كالحندوقة والحنديقة والجمع حدق وحداق وأحداق والحدق محركة الباذنجان ومونقة معجبة والجفس بجيم وفاء وسين مهملة من جفس كفرح، اللئيم والحدس بدال مهملة وحاء وسين مهملتين ايضا الفساد. يقال دحست بين القوم أفسدت وقال الحجاج في مدح الخلفاء ويقتلون من خاض في الدحس والدحس إدخال اليد في الشاة للسلخ و داحس اسم فرس قيس بن زهير العبسي كما مرّ والدحاس كرمان دويبة صفراء تشدها الصّبيان في الفخاخ أي وهران كانت كأنها حدائق بساتين مختلفة الأطعمة والرياحين فابدلت من ذلك بالكفرة اللئام أهل الفساد والآثام وأي لوم أقبح من الكفر وأي فساد أشد منه في البر والبحر ولما وفد الماَجشون على المهدي الخليفة بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال له ما قلت يا ماجشون لما فارقت المدينة، قال قلت

لله بـــاك علـى أوطانـه جـزعـا ∴ قـد كنت أحذر هذا قبل أن يقعـا

مازال والله ضيم الدهر يرهفــــني ∴ حـتـى تجرعني من بعدها جرعـــا

فليضع الدهر في ما جاء مجتهـدا ∴ فلا زيـــادة فـوق شيء مــا صنعا

فأعطاه ألف دينار وقال بعضهم سمعنا مجنون في دير هرقل يقول:

لما أناخوا قبيل الصبـح عيـسهـم ∴ وحملوهــا وسارت بالدبــي الابــل.

وقبلت بحلــل السحــف ناظرهـم ∴ ترخوا إلّي ودمــع العين ينــهـمـل

وودعــت ببـنــان عقـده عــتـم ∴ ناديت لا حملت رجلاك يــا حـمل

يا حادي العيس عرج كيْ نودعهم ∴ يا حادي العيس في تـرحـالك الأجل

إني على العهـد لم انـفض مودتهم ∴ ياليت شعري لطول العهد مــا فعلـوا

وقال آخر:

لــمـا علمت بان القوم قـد رحلــوا ∴ و راهــب الديــر بــالـنـاقـوس مشتغل.

شبكت شعري على رأسي وقلت له ∴ يــا راهـب الـدير هَـلْ مـرت بك الإبل

فــحن لـي وبـكـى ورق لـي ووَجَا ∴ وقــال لـــي يــا فتـى ضاقت بك الحيل

إن الخيام التي قــد جئت تطلبها ∴ بــالأمــس كــانـوا هنا و اليوم قد رحلوا

محـــي محـــاسنـها طاغ أتيح لها ∴ مُــكتــحل الســهــر لــها مكثر الحوس

محاه يمحوه ويمحاه أذهب أثره وانمحى كادعى و امتحى قليلة والمحو السواد في القمر و الماحي النبي صلى الله عليه وسلم يمحو الله به الكفر والمحاسن جمع حسن

بالضم على غير قياس والحسن الجمال وأما حسن ككرم ونصر فجمعه حسان وحسانون وتاح له الشيء يتوح تهيأ وتحتم من مكانه تحرك والمتيح كمنير من تعرض فيما لا يعنيه أو يقع في البلايا والمتياح الكثير الحركة وأبو التياح يزيد الضيفي تابعي وطاغ من طغى يطغى طغوا أو طغيانا فهو طاغ وطاغوت وهو اللات والعزة والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب والجمع طواغيت وطواغ وَ الطاغوت كعب بن الأشرف وأمثاله وسهر كفرح لم ينم لَيْلاً ورجل ساهر وسهار وسهران والساهرة أرض لم توطى وأرض يجردها الله تعالى يوم القيامة وجبل بالقدس. قال الشاعر "بالسهر مكتحل بالليل مشتمل" والحوس طلب الشيء بالاستقصاء والتردد خلال الدور والبيوت بالغارات والطواف فيها كالجوسان والاجتياس والجواس ككتان الأسد وجواس بن قطبة شاعر وجوشية بلدة بالشام قرب حماة منها أبو عثمان الجوشي المحدث وقولي لها متعلق بمكثر أي مكثر التردد لها فلم يرض الطاغية بأخذه الأندلس بل تخطى لهذه العدوة وأكثر الفساد والجوس.

قال أحمد النيسابوري صاحب الواحد المفسر:

تنفس شيب الصبح في ليل عارض ∴ فقــلــت عساه يكـتفي بعذار.

فــلمــا فــشــا عــاتبتـه فأجابني ∴ ألا هل ترى صبحا بغير نهار.

هنا تم الجزء الأول بحمد الله والصلاة على نبيه عليه الصلاة والسلام. أعلم أنا تكلمنا في هذا الجزء الأول على إنشاء وهران وما تداولتها من الدول وما داهمها من الأمور الطوام والنوائب العظام ومدة الكفرة وأهل الإسلام.

قائمة المصادر و المراجع:

1 - المصادر

1.1- أبوراس (محمد بن أحمد)

- عجائب الأسفار و لطائف الأخبار – مخطوط رقم 1633 – المكتبة الوطنية. الجزائر.
- الخبر المعرب عن الأمر المغرب و الحال بالأندلس و ثغور المغرب – مخطوط (ملكي)
- فتح الأله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: تحقيق محمد بن عبد الكريم المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1990.

1.2– أحمد بن سحنون الراشدى:

- الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني – تحقيق المهدى البو عبدلي– مطبعة البعث: قسنطينة 1973

1.3– أحمد بن يوسف الزياني:

- دليل الحيران و أنيس السهران – تحقيق المهدى البو عبدلي الجزائر 1979

1.4– الحسين الورثلاني:

- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار – مخطوط رقم 579 مكتبة الوطنية– الجزائر.

1.5– مصطفى بن عبد الله الدحماوي

- الرحلة القمرية في السيرة المحمدية مخطوط رقم 3322 – المكتبة الوطنية – الجزائر.

1.6– مسلم بن عبد القادر

- أنيس الغريب و المسافر في طرائف الحكايات و النوادر – تحقيق رابح بونار المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر 1974

1.7 – عبد القادر المشرفي:

- بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين بوهران من الإعراب كبني عامر – تحقيق محمد بن عبد الكريم – مكتبة الحياة – بيروت (د.ت)

2 - المراجع:

2.1– إبن سودة المري: عبد السلام
– دليل مؤرخي المغرب الأقصى – دار الفكر – الرباط 1997
2.2– سعد الله: أبو القاسم
– تاريخ الجزائر الثقافي – 2ج – الجزائر 1980
– أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر – ط2 – الجزائر 1981
2.3- سعيدوني (ناصر الدين)
– دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر – العهد العثماني– الجزائر 1972
2.4- غالم محمد
– التاريخ و المؤرخون في الجزائر– ضمن المجلة التاريخية المغاربية عدد 91-92– تونس 1998.
2.5- السبتي عبد الواحد
– مستويات النص التاريخي التقليدي: ضمن النهضة و التراكم – الدار البيضاء–1986
2.6- كيريطو: عبد الفتاح
– الرحلة: تساؤلات منهجية: ضمن مجلة الجدل– عدد 6 الرباط 1987.
2.7- بلبروات بن عتو: د
– محمد الكبير و مشروعه الحضارى– رسالة ماجستير– دائرة التاريخ– و هران 2002
2.8- حمدادو: بن عمر
– أبوراس الناصر وكتاباته التاريخية – رسالة ماجستير– كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية– وهران 2003

1- Arnaud
« Voyages extraordinaires et nouvelles agréables » in revue Africaine – Alger (1878 – 1884)

2- Guin (L).
Le Collier précieux – traduction d'El Todjini- in revue Africaine Alger – Année 1891.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ي)

فهرس القبائل والأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ر)

(ز)

(س)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

فهرس الموضوعات

* العناوين من وضع المحقق

عجائب الأسفار
ولطائف الأخبار

لمحمد بن أحمد أبي راس الناصر

- الجزء الثاني -

تقديم و تحقيق المخطوط :

محمد غالم

منشورات CRASC

عجائب الأسفار

و لطائف الأخبار

لمحمد بن أحمد أبي راس الناصر

- الجزء الثاني -

تقديم و تحقيق المخطوط من طرف

محمد غالم

منشورات CRASC

مدخل

لتحقيق الجزء الثاني من عجائب الأسفار، لجأنا إلى نسخة ثالثة رمزنا لها بحرف "ج"، كتبها السيد محمد الزياني و عدد صفحاتها 105 صفحة. قياس الصفحة 215 x 160 مم و خطها مغربي يقل وضوحًا عن خط النسختين "أ" و "ب" و لونه أسود، عليها تعليقات على الهامش، أما صفحتها الأخيرة فمبتورة جزئيا، لذا لم نتمكن من تحديد تاريخ نسخها كاملا (30 ربيع الأول...)

استعملناها في التحقيق لأننا لاَحظنا اضطرابا في ترتيب أبيات القصيدة السينية في النسخة –أ– فأردنا أن نتبين صحة ترتيب أبيات النسخة "ب" بمقابلتها بالنسخة "ج".

تحمل النسخة الثالثة عنوانا مغايرًا "عجائب الاخبار ولطائف الأسفار فيما جرى بوهران و الأندلس للمسلمين مع الكفار" وعدد أبياتها 201 بيتا تتناول في بعضها وقائع سقوط المدن الأندلسية بأيدي الاسبان. إنها تختلف عنوانا و مضمونا عن النسختين السابقتين و قد راعينا هذا الاختلاف في التحقيق فوظفناها فقط، عند تحقيق بعض أسماء الاعلام و الاماكن و التواريخ...

تناولنا في المقدمة تحليل عدد من المباحث التاريخية التي عالجها أبوراس في الجزء الثاني من كتابه لإبراز قيمته العلمية و توضيح مقاصده، و تركنا المباحث الأدبية لذوي الاختصاص.

قد يعتبر بعض الباحثين أنَّ المادة التاريخية في الجزء الثاني هزيلة و ناقصة، خاصة إذا قارنناهَا بالمادة الثرية التي يتضمنها كتاب "الثغر الجماني لابتسام الثغر الوهراني" لأبي سحنون الراشدي معاصر أبي راس. لكن مؤلفنا لم يكن ملازما للباي محمد الكبير فتتوفر لديه الوثائق الضرورية لمتابعة أخبار فتح وهران بالدقة المطلوبة.

في الملاحق، وضعنا قصيدة "نفسية الجمان في فتح ثغر وهران" لا كما وردت في النسختين بل أضفنا إليها أبياتًا سقطت دون شرحها و أبياتًا سقطت بشرحها و تتعلق بالحملة الأولى التي قادها حسن أغا ضد القاعدتين الاسبانيتين : وهران و المرسى الكبير.

و على غير عادة المحققين، أضفنا ملحق "المصادر التاريخية و الأدبية و الفقهية" التي اعتمد عليها أبوراس لابراز ثقافته الموسوعية و غزارة مادته العلمية. تكمن قيمة "عجائب الاسفار" في أنه معلم يحيل إلى واقع الثقافة الجزائرية في لحظة تاريخية: القرن الثامن عشر.

و أخيرا نتوجه بالشكر لابننا محمد رفيق الذي قدم لنا مساعدة كبيرة في جمع مادة هذا التحقيق وتصحيحها.

مقدمة

عرض الموضوعات التاريخية

1. بلاد المغرب : المجال و الحدود

تشغل مسألة المجال و الحدود أهتمام المؤرخين لأنها ذات علاقة بتكوين الدولة الحديثة. فالدولة الحديثة خلافا للدولة التقليدية، لا يمكن تصورها دون إقليم ملتحم واضح المعالم الإجتماعية و الإقتصادية و ذي حدود سياسية ثابتة.

كيف يتعامل أبوراس مع مفاهيم الحدود و المجال؟ كيف يتصور آليات التحييز و هو يعيش في كنف نظام سياسي كان يسعى إلى اكتساب ملامح الدولة الحديثة في تعامله مع المجال و الحدود؟

يتحدث أبوراس في عجائب الأسفار عن المغرب و دوله لكنه ينطلق من مفاهيم تحيل إلى الحقبة التاريخية الممتدة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العهد الزياني.. والواقع أنه لا يهتم كثيرا بالواقع السياسي – الجغرافي الذي تشكل في سياق النموذج العثماني : تلك السلطة السياسية الجديدة التي برزت في مطلع القرن السادس عشر، فحررت الموانئ من الوجود الإسباني، وخاضت حملات عسكرية لتصفية "الحكم الزياني والحفصى، و عملت على تصفية السلطات المحلية و توسعت في الجنوب و قادت حروبا ضد الأيالة التونسية و سلطة الأشراف السعديين و العلويين، كان محورها رسم الحدود الفاصلة بينها[1].

كأنه لم يساير عمليات الترميز المجالي و لم ينتبه إلى استراتيجية مراقبة المجال التي بدأت مع مطلع القرن السابع عشر وآمتدت إلى القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر. فمقياس التحييز الذي يُعَوّلَ عليه هو القبيلة و موطنها، أما المقاييس الأخرى (إشعاع السلطة المركزية، آليات النفوذ كالبيعة و غيرها) فيهملها و لا يكاد يتحدث عنها.

1.1 بلاد المغرب

عند الحديث عن بلاد المغرب، يستند أبوراس على الرحالة القدامي من بطليوس اليوناني إلى الرحالة العرب و على أقوال ابن خلدون و الحاصل "أن المغرب من

---

[1] تَمَّ رسم الحدود الشرقية بموجب إتفاقيتي سنة 1614 و سنة 1628 و الحدود الغربية بموجب اتفاقية سنة 1699 و تنص على "أن الخط المار من الرأس الأشقر مرورا بوادي سراط إلى وادي ملاق جنوبا هو الحد الفاصل بين الجزائر و تونس" و " أن الخط المار على مسافة 25 كلم غربي الغزوات مرورا بمدينة وجدة إلى واحة فكيك جنوبا" هو الحد الفاصل بين الجزائر و المغرب الأقصى...

البحر المحيط المسمي بالبحر الأخضر. و أذهب مشرقا إلى سويس و بحر قلزوم (البحر الأحمر حاليا) فتدخل فيه مصر. و في الخفاجي على شرح الشفا للقاضي عياض أن ابتداؤه المدينة المنورة إلى وجدة من الجهة الشمالية و البحر الرومي المتفرع من هذا البحر المحيط. و من جهة الجنوب الرمال الحاجزة بين بلاد السودان و البربر"[2]

"أما العرف الجاري أنه من طرابلس لأنه الذي كان في القديم ديار البربر ومساكنهم..."

عموما يتفق مع جمهور الرحالة و ابن خلدون على أن حدود المغرب الكبير برقة شرقا و المحيط غربا و البحر المتوسط شمالا والصحراء جنوبًا. أما آليات الترميز: السكان (ديار البربر) و الطبيعة (البحر و الصحراء)، و الآلية الثالثة غير واضحة أهي المذهب الفقهي : المالكية التي إنتشرت في المدينة و المغرب؟

2.1. المغرب الأدنى

إن التسمية بذاتها تعود إلى العصور الوسطى فهي لا تعكس الواقع الجغرافي السياسي الذي عاش في ظله أبوراس، أما حدوده فتحيل إلى مجال الدولة الحفصية لا مجال تونس و مجال طرابلس اللتين كانتا قائمتين منذ القرن السادس عشر. أضف أن بجاية و قسنطينة كانتا ضمن الايالة الجزائرية.

فالمغرب الأدنى هو "أرض افريقيا الشاملة قسنطينة إلى بجاية غربا و طرابلس و برقة شرقا...برقة معالمها اختفت وأمصارها خربت... كانت سابقا ديار لواتة و هوارة و غيرهما فأصبحت الآن مجالا لقبائل بدوية... ومن إفريقيا إلى طرابلس ديار نفوسة و نفزاوة و غيرهما وهي الآن مجالات لعرب بنى سليم وكذلك الجريد.. أما الجبال ففيها بقايا نفزاوة و كتامة و هوارة و عجيسة" و قاعدة المغرب الأدنى "تونس و طرابلس"، يمر به "النهر الأعظم المعروف بواد مجردة يجتمع فيه سائر أودية إفريقية و يصب في البحر الرومي على مرحلة غربي تونس بموضع يعرف ببنزرت"[3].

[2] نسخة "ج"
[3] عجائب الأسفار – الجزء الثاني

3.1. المغرب الأوسط

في نظر أبي راس تكتسي التسمية نفسها دلالتين جغرافيتين مختلفتين :مجال الدولة الزيانية "فأبتداؤه من بجاية إلى وجدة" لماذا وجدة؟ أوَ ليس نهر الملوية كما تؤكده بعض المصادر؟ يقول "ولما أكثر المولي اسماعيل ملك المغرب الأقصى من الأجلاب على المغرب الأوسط و شنَّ فيه الغارات و تخطي مرّة هو بنفسه إلى البطحاء و أناخ بها فزحفت إليه الاتراك فكان بينهم حرب عظيم على نهر جديوية ثم اختل مصاف أهل المغرب الأقصى فأنهزموا...ثم ذهب أمير حرب الاتراك وراءه فعلموا التخوم بينهم وجدة وما سامتها من الجوف إلى القبلة (واحة فكيك).

و يعني كذلك "لكن حيث أطلق المغرب الأوسط عند أهل التواريخ و غيرهم فالمراد به الايالة التي في حكم أميرنا المنصور بالله أبي الفتوحات محمد باي": أي بايليك الغرب الذي كان يمتد من خميس مليانة شرقا إلى وجدة غربًا.

أما سكان المغرب الأوسط "فهم في الغالب زناتة من مغراوة و بني يفرن و مديونة و مغيلة و كيومة و مطغرة و مطماطة" و كذلك شرقا" ديار صنهاجة..."

و قاعدة المغرب الأوسط : تلمسان و الجزائر... و يمرُّ به واد الشلف النهر العظيم منبعه من جبل راشد و يدخل إلى التل[4] من بلاد حصين و يجتمع فيه سائر أودية المغرب الأوسط مثل مينا و غيرها إلى أن يصب في البحر الرومي بين كلميتو و مستغانم.. و ينبع من فوهته نهر آخر مشرقا إلى أن يصب في سبخة بين توزر و نفزاوة من أرض الجزائر"[5].

4.1. المغرب الأقصى

"حدوده" : من وجدة إلى أسفي حاضرة البحر المحيط "يمرّ فيه "النهر الكبير المعروف بأم الربيع ينتهي مَدَدُه في البحر المحيط إلى سبعين ميلا عند أزمور و منبعه من جبال درن (الأطلس الكبير).. وينبع منها نهر آخر يمر ببلاد درعة (وادى درعة) إلى أن يغوص في الرمال قبلة بلاد السوس.. و ينبع منها نهر كبير ينحدر شرقا

---

[4] يسمى في أوله الوادي الطويل... لا يذكر كل الأودية مثل السيبوس و الصومام و غيرهما.
[5] يسمى حاليا وادي جدّي.

ذاهبا إلى القبلة و يقطع العرق إلى دبدة.. إلى أن يصب في البحر... أما نهر الملوية فمنبعه من جبال قبالة تازى..."

فجبال درن هي ديار المصامدة و بطيوة ممايلي عساسة و معهم قليل من صنهاجة و على ضفاف الملوية تسكن أمم من زناتة..و بين ساحل البحر إلى السوس أرض يعمرها من حاحة خلق كثير في حمر الشعر – و أرض السوس الكزولية و لمطة مما يلي الرمل و لما تغلب المعقل عليها (أي تافيلالت) من عرب اليمن اقتسموها فالشبانات مما يلي دون لمطة.."و قاعدة المغرب الأقصى فاس و قبلته بلاد بودة و تمنطيط.

5.1. *ما وراء الصحراء*

إذا كانت الحدود السياسية في الشمال واضحة و ثابتة لأنها رسمت على إثر حروب تلتها معاهدات، فإن الحدود الجنوبية بقيت غامضة بحكم طبيعة الصحراء. عموما، يعترف أبو راس "أن قبلة المغرب الأقصى بلاد بودة و تمنطيط".. أما قبلة المغرب الأوسط تيكورارين.. وقبلة تونس غدامس و قبلة طرابلس فزان و ودان.."

نفهم من مصطلح القبلة التخوم و هي عموما مناطق تختلف جغرافيا و إثنيًا و إجتماعيا عن بلدان المغرب.

"ثم إن صنهاجة أهل اللثام المعروفون عندنا بالتوارك مساكنهم بين السودان و الرمال و هي تخوم بلاد البربر متصلون بالبحر المحيط لهذا العهد في المغرب إلى ساحل النيل في المشرق و هم الآن على اختلاف الكلمة و اختلاف السنين على عهدهم الأول.. بعضهم يعطون الطاعة لملك السودان و يغيرون في عساكره، ولهم شرف بأرضهم و تمرّ عليهم القفول إلى السودان و أحب شيء عندهم الدخان.. و بيوتهم من الجلد و بازائهم رهط يقال لهم كنتة".

هكذا تنتهي حدود المغرب مع بداية أرض التوارق : قوم من صنهاجة مثلهم مثل قسم هام من البربر غير أنهم يخضعون تارة لملوك السودان وتارة يخرجون عن طاعتهم، يستقلون في مجال فسيح يمتد من نهر السنغال إلى نهر النيل...

2. الصراع بين بني غانية و الموحدين

يؤرخ أبو راس في الجزء الثاني للصراع بين بقايا المرابطين و الدولة الموحدية، فمحور هذا الصراع السيطرة على المغرب الأوسط (بجاية، الجزائر، القلعة و مليانة). دامت الحروب بينهما خمسين سنة لم يشهد فيها القطر الجزائري سوى الخراب

و الدمار: تخريب المدن مثل تاهرت و غيرها و نهب البوادي و تعطل التجارة و تراجع الزراعة...

تمكن عبد المؤمن من القضاء على المرابطين بالمغرب، فانتقل الى الأندلس و استولى عليها. حينئذ فرّ إسحاق بن غانية أحد الولاة المرابطين الى جزر الباليار فوفدت إليه فلول اللمتونيين و أجمعوا على محاربة الموحدين. توفي إسحاق دون أن يحقق أمنيته لكنه ترك أولادا، فتزعم أكبرهم سنا: علي بن غانية الحركة و تراسل مع الحماديين في بجاية فاتفقوا على جمع الكملة.

عندئذ انتقل علي بجيشه الى بجاية فأخذها و أسر عددا من الموحدين بها (سنة 580هـ). حاول عامل القلعة استعادتها دون جدوى فأخذ على بن غانية يتوسع نحو الغرب، فأستولى على جزائر بني مزغنة و أتخدها قاعدة بحرية لربط الصلة بقواعده في جزر الباليار، ثم أخذ مليانة و مازونة و القلعة.

جهز المنصور الموحدي جيشا قوامه عشرون ألف مقاتل لمواجهة المرابطين و انطلق من تلمسان، فحرر مليانة و انتقل الأسطول الموحدي من سبتة متوجها الى الجزائر، فثار سكانها على المايورقيين و ألقوا القبض على عاملها يحيى بن طلحة، ثم كان الهجوم على بجاية برا و بحرا فانهزم المرابطون و فرّ يحيى بن غانية الى قسنطينة حيث كان يقيم علي بن غانية.

قصد الجيش الموحدي قسنطينة فهرب على و يحيى الى الجريد، فلقيهما المنصور بالجامة و هزمهما، فمات عليٌّ مثخنا بجراحه سنة 584هـ و بقي يحيى يتحين الفرص. أما بقايا الحماديين فنفاهم المنصور الى مدينة سلا بالمغرب الأقصى.

عاد المنصور الى قاعدته مراكش دون أن يقطع دابر الثورة في المغرب الأوسط، إذ بقي يحيى و أخوه عبد الله حاملين راية المرابطين، فلم يلبثا أن بسطا نفوذهما على سائر إفريقيا و الزاب و لم تنج منهما سوى بجاية. حينئذ صمم الخليفة الموحدي الناصر على محاربتهما فغادر مراكش بجيشه سنة 601هـ ووصل تونس، فتراجع اللمتونيون الى الجنوب و اتصلوا بالعرب فانضموا إليهم. و وقعت حروب دامية انتهت بمحق قوات بني غانية، و لم ينفعهم سوى التراجع الى الصحراء على عادتهم لتنظيم صفوفهم و تدعيم قوتهم.

رجع الناصر الى مراكش سنة 603هـ و ترك على رأس ولاية إفريقيا أبا الحفص الهنتاتي، فأخذ المرابطون يتأهبون للقتال و تحالفوا مع زناتة و قصدوا سجلماسة

و هاجموها و منها ساروا الى الشمال لتهديد تلمسان: قاعدة الموحدين في المغرب الأوسط. استولى بنو غانية على أرشقول بعد أن هزموا عاملها ثم توجهوا الى تاهرت، فنهبوها سنة 605هـ و عاثوا فسادا في المدن و البوادي فلم تنج منهم سوى تلمسان التي تحصن أهلها بالأسوار.

تحرك جيش الموحدين، عندئذ، فغادر يحيى بن غانية تاهرت نحو الجنوب، ثم توجه بجيوشه نحو شلف فلقيه الموحدون و هزموه شر هزيمة. فمات بها و دفن بالقرب من مليانة سنة 631هـ

يقول ابن خلدون: "فأنفض بمهلكه أمر اللمتونيين من مسوفة و لمتونة من جميع بلد المغرب و إفريقيا و الأندلس و ذهب ملك صنهاجة من الأرض بذهاب ملكه و أنقطاع أمره"[6].

3. قبائل ذات شوكة و عصبية

1.3. الثعالبة في متيجة

تحدث أبوراس عن هذه القبيلة العربية التي تنتمي إلى المعقل في الجزء الأول و يواصل الحديث عنها في الجزء الثاني. و ملخصه أن الثعالبة كانوا مستضعفين عاجزين عن الترحال فاستقروا بالتل فتغلبت عليهم توجين حين كانوا بالتيطري: موطنهم الأول ثم ولاة الجزائر لما انتقلوا الى متيجة أواخر القرن السابع.

كان رئيس الثعالبة سباع بن ثعلب و مرّ به ابن تومرت فاكرمه و أحسن وفادته و أخذ عنه العقائد الأشعرية. فكان سباع إذا وفد على الخلفاء الموحدين، أحسنوا استقباله "ووضعوا على عمامته دينارا عظيما"[7] إكراما له. انتصر الثعالبة للموحدين فكلفهم عبد المؤمن بادارة مقاطعتهم.

استمرت الرئاسة في بني سباع خلال العهد الموحدي ولما ملك أبو الحسن المريني تلمسان وَلِى عليهم ابن عابد بن ثابت بن محمد بن سباع و حين توفي بالطاعون سنة 749هـ خلفه ابنه ابراهيم بن نصر فمات أيام أبي عنان المريني فخلفه ابنه سالم.

---

[6] ابن خلدون، ع، كتاب العبر، ج 6، ص. 179.

[7] مخطوط : عجائب الأسفار .. النسخة ب

عادت تلمسان الى الزياني: أبي حمو، فاستقرت المدية و متيجة في يد أبي زيان 767 و 776 لأن سالم بن براهيم حالفه. و حين تغلب أبو حمو، أمن شيوخ الجزائر فبقوا في طاعته و استمرت الجزائر و متيجة في رئاسة الثعالبة.

غير أنهم ثاروا عليه[8] فتقبض أبو حمو على سالم و قتله و تتبع إخوانه و قبيلته بالسبي و القتل حتى اندثروا و ذهبت شوكتهم فأصبحوا من القبائل الغارمة.

ثم قتل الأتراك منهم لأول استيلائهم على الجزائر مقتلة عظيمة أفنت عددا هاما منهم. و من علمائهم عبد الرحمان الثعالبي: دفين الجزائر و أبو المهدي عيسى عالم القرن الحادي عشر.

2.3. توجين: القبيلة الزناتية

أصل توجين من زناتة مثلهم مثل بني زيان و إخوتهم مصاب و بني زروال و يادين. انتصروا للموحدين. كانت مواطنهم فيما بين المدية شرقا إلى سعيدة غير أن أبا راس يؤكد "أنها امتدت الى قصر سعيد في المغرب الأقصى خلال فتنة بني غانية". "بدو يبلغون في رحلة الشتاء إقليم ميزاب: جنودهم 3 آلاف فارس و بطونهم بنو تيغرين و بنو عزيز و الرئاسة فيهم لبني عطية الذين ناصروا الموحدين ثم الحفصيين.

بمواطنهم جبل ونشريس و السرسو و منداس و وزينة و قلاعهم تاوزغوت و تاقدمت و تافر يقينت و المدية. في أيام الزيانيين، غلبتهم زغبة التي انتقلت من الصحراء إلى التل، فانقبضوا الى جبل ونشريس و نواحيه.

أخذت توجين بالدعوة الحفصية في عهد شيخها عبد القوي و ابنه أبي زيان، فولى هذا الأخير على المدية حسن بن يعقوب و على ونشريس أخاه شريطا و على تاوغزوت سلامة بن علي...

و افترقت توجين في عهد ابنه سيد الناس، فتقاتل بنو عبد القوي و استقلت المدية و السرسو. حاربهم الزيانيون لأنهم كانوا يناصرون الحفصيين تارة و المرينيين تارة أخرى. استولى عثمان بن يغمراسن على أراضيهم و انتقم منهم أبو حمو

[8] لأنهم انتصروا للأمير الحفصي: أبي زكرياء حاكم بجاية آنذاك

و أخضعهم فابتنى "حصن موسى" سنة 711 هـ (عمي موسى حاليا) لمراقبة تحركاتهم. في عهده ملك العرب السرسو و أزاحو توجين منه.

لم تتمكن توجين من استعادة قوتها بسبب تفرق كلمة رؤسائها، فأصبحت من القبائل الغارمة. و لتوجين علماء و أولياء في الماضي و الحاضر، و قد امتلأت الراشدية بصلحائهم و كثرة علمائهم و منهم أبو عيسى التيجني صاحب العقد النفيس.

3.3. بنو يفرن و امارتهم

بنو يفرن: أمة قديمة من البربر، اختطت مدينة تلمسان و أسست إمارة بها الى أن فتحها عقبة بن نافع. أسلمت و مالت الى الطاعة متى كانت السلطة القائمة بالقيروان عادلة، لكنها رفضت جور بعض الولاة و تعسفهم، فاعتنقت المذهب الصفرى و بايعت رجلا شجاعا: أبا قرة اليفريني. و قد جمع هذا الأخير الصفرية في المغربين الأوسط و الأقصى و نظم صفوفها و اتخذ أقادير (تلمسان القديمة) قاعدة له، فألف جيشا حارب به ولاة العباسيين حتى بلغ إقليم الزاب.

و حين تولى عمر بن حفص ولاية القيروان سنة 150هـ، أمر جيشه بالتوجه إلى طبنة، فاتخذها قاعدة لغاراته على الخوارج في المغربين الأوسط و الاقصى.. فأحتشدت جموع البربر الساخطين على العباسيين من كل جهة فقدم أبو قرة في أربعين ألف مقاتل و عبد الرحمان بن رستم في خمسة عشر ألفا و غيرهما من قادة البربر.

و لم يكن لعمر بن حفص من الجيش سوى خمسة عشر ألفا و نيِّف فهاله ما رأى من حشود البربر، فعدل عن مواجهة العدو و اعتمد سياسة الاغراء و كسب بعض قادة البربر لأن القحط كان قد عم في المغرب و كثرت المجاعات و عانى الناس من الفقر و البؤس. أنصرف جل جند أبي قرّة عنه، فآثر الانسحاب و انتظار الفرصة السانحة.

و حين علم بخروج عمر بن حفص من طبنة، حاصرها و اشتبك مع حاميتها لكنه فشل في إفتكاكها، لهذا قرر العودة الى أقادير. و تجمعت حشود البربر مرّة أخرى فحاصرت القيروان و كان أبو قرّة حاضرا بجيشه، مات عمر بن حفص أثناء الحصار فخلفه "ابن قبيصة" الذي تمكن من فك الحصار و تشتيت حشود الخوارج، حينئذ تراجع أبو قرة نحو أقادير. بتجربة أبي قرة بدأت شوكة بني يفرن تتقهقر في

تلمسان و آلت سمعتهم الى الزوال بالمغرب الأقصى و الأوسط. و حين استقام الامر لإدريس الاول في المغرب الأقصى، خرج سنة 173هـ لغزو بنى يفرن في أقادير و محاربة الخوارج الصفرية.

لم تقع الحرب بين الطرفين لأن غالبية بني يفرن بايعت إدريس الأول لشرف نسبه كما يؤكده أبوراس. عندئذ تولى سليمان بن عبد الله ولاية تلمسان من أخيه و لما مات سليمان خلفه ابنه محمد. غير أن الطائفة الصفرية ثارت عليه و لم يتمكن من إخماد نار ثورتهم فقام إدريس الثاني لإنقاذه فاستولى على تلمسان و ظل بها ثلاث سنوات طهر خلالها المغرب الأوسط من العقائد الخارجية.

في مطلع القرن الرابع الهجري، ظهر الفاطميون، فقضوا على الأغالبة بافريقية و على الرستميين بتاهرت و بني مدرار بسجلماسة و بلغ نفوذهم نواحي سبتة بالمغرب الأقصى، فأخذوا يهددون دولة الأمويين بالأندلس. أعدّ الخليفة عبد الرحمان الناصر العدّة لإحباط مساعي الشيعة ودفع خطرهم و اتصل بزناتة، فلباه محمد بن خزر المغراوي الذي ملك تنس و وهران و طارد الشيعة في إقليم الزاب، و بث دعوة الأمويين سنة 333هـ في أعمال المغرب الأوسط. كان الفاطميون منشغلين وقتئذ بإخماد ثورة أبي يزيد الخارجي و لما صفا لهم الجو، وَلُّوا وجوههم نحو الغرب، فخرج المنصور بنفسه سنة 336 هـ و زحف على تاهرت فأبعد عاملها و عقد عليها ليعلى بن محمد اليفريني.

و في سنة 314هـ، انتشرت دعوة الامويين من جديد بالمغرب الأوسط، فعقد الناصر الأموي ليعلى بن محمد اليفريني على المغرب و أعماله، فراجع محمد بن خزر المغراوي طاعة الشيعة بسبب تربع قريعه يعلى بن محمد. فتجهز جوهر الصقلي قائد المعز الفاطمي و خرج لقتال دعاة الأمويين سنة 347هـ فاعترضه الأمير اليفريني بجيوش كثيفة على مقربة من تاهرت فكانت مقتلة شديدة من الطرفين لكن جوهر الصقلي مال الى المكيدة فاغتال يعلي و اختفى ولده يدو (أو يدّ حسب أبي راس) فأخفقت بنو يفرن إخفاقا ذريعا. وأنتشرت الشيعة بالمغرب الأوسط. و في سنة 326هـ، حمل بلقين بن زيري على زناتة و نقل رؤساءَهَا و حشودا من بني يفرن إلى عاصمته أشير. و لم يبق بايفكان و تلمسان إلا المستضعفين. فَر يدو إلى سبتة يستنجد الأمويين ثم عاد إلى الظهور و أراد استعادة إمارة تلمسان و حدثت بينه و بين زيري بن عطية المغراوي الذي أراد أن ينفرد بالمغرب الأوسط، حروب طوال إنتهت بفشل

يدو اليفريني فاختفى في الصحراء حيث مات سنة 338هـ فخلا الجو لمغراوة في المغرب.

و في مطلع القرن الخامس الهجري، أعاد بنو يفرن ملكهم على تلمسان و أعمالها إلى أن دخل بنو هلال المغرب فاستعان الحماديون بزغبة الإثبج في محاربة بني يفرن، فكانت بينهم وقائع برز فيها الأمير بختى من ولد يعلى اليفريني. فاستمرت إمارة بني يفرن بين مدّ و جزر إلى أن استولى يوسف بن تاشفين على المغرب الأوسط فأنهى إمارة مغراوة بوهران و إمارة بني يفرن بتلمسان.

كانت مواطن بني يفرن بجوار إخوتهم مغراوة :"فانتشروا في الغمار و أكلتهم البوادي و القفار.."أي من تلمسان و أعمالها إلى غريس و نواحيها. هم الذين أسسوا أقادير (تلمسان القديمة) و إيفكان : قاعدة يعلى بن محمد اليفريني.. غير أن الحروب و عواقبها أفضت إلى تشتيت شملهم.. ففي الغرب الجزائري، حلت قبائل بني راشد التي كانت تقطن جبل العمور محلهم في غريس و في أعمال تلمسان بقيت منهم "الآن جماعة قليلة متفرقة في القبائل لا يكادون يعرفون بحيث لم يبق لهم تنجع ولاعاقلة تعمل و لا عصابة لصريخ – سنة الله في عباده.."[9] كما توجد "نبذة منهم بشلف ومازونة".

أما غالبية بطونهم فانتقلت إلى عمالة قسنطينة حول سطيف و في إقليم الزاب : مثل بسكرة و ورقلة، و خاصة إلى شمال المغرب الأقصى" منهم غياثة حذو تازي و أهل تادلا..

كانت بنو يفرن قبيلة عظيمة ذات شوكة وملك "فاذاقهم ملوك الزمان (خاصة صنهاجة) وبال القهر و خطة الخسف و الذل.."

4.3. مغراة و امارة مازونة

إن جل حديث أبي راس عن مغراوة يوجد في الجزء الأول، أما الجزء الثاني فيتناول الحديث عن إمارة مازونة التي امتد نفوذها شمال جبال ونشريس ووادي شلف إلى البحر،و ينتهي شرقا إلى وادي السبت قرب متيجة و غربًا إلى البطحاء.

---

[9] مخطوط : عجائب الأسفار.. النسخة ج.

و تشتمل على جبال شاهقة و سهول خصبة ومدن عامرة منها مليانة و واجر و مازونة (قاعدة الملك) و برشك و شرشال.

غلبت على ونشريس و المدية أيام مؤسسها منديل بن عبد الرحمن واختطت قصبة سيرات، ثم ظهرت توجين بونشريس و مليكش و الثعالبة بمتيجة فانقبضت إلى مجالها الأصلي.

كانت مغراوة على الدعوة الموحدية، حتى وطئ أرضها أبوزكرياء الحفصى سنة 632 هـ فبايعته و خالفت سياسة عبد الواد، فنهض إليها يغمراسن، فعجزت عن مقاومته و استنقذت الحفصيين و سهلت لهم أمر الإستيلاء على تلمسان سنة 640 هـ. فعقد أبو زكرياء الحفصى لأميرها العباس إدارة إمارته و منحه الإستقلال الداخلي "أمره أن يأخذ زى الملوك من بنود و بطون و نجائب و غير ذلك"[10] غير أن يغمراسن أجلب عليها حتى إستقامت على ولائه. لكنها استصرخت الحفصيين مرّة ثانية فلم يلبُّوا فتوجهت للمرينيين فلم تنفعها هذه السياسة. فجاء الأمير الزياني عثمان بن يغمراسن فاثخن في مغراوة و استولى على عاصمتها : مازونة سنة 686هـ و على تنس سنة 688هـ

و أعان ثابت بن منديل المرينيين على إحتلال تلمسان سنة 689هـ فانتقم منه عثمان الزياني ففر ثابت الى فاس حيث توفي. و ملك إبنه محمد بن ثابت مازونة سنة 700 هـ و قاوم تارة الزيانيين و تارة المرينيين إلى أن التحق بالحفصيين سنة 708 هـ. تحالفت مغراوة مع عبد الواد في عهد أميرها على بن راشد (749–772هـ) فأخرجت عمال بني مرين من مدنها غير أن أميرها تقاعس على مناصرتهم فنهض إليه أبو ثابث الزياني و هزمهم بوادي رهيو فلجأ إلى تنس وانتحر. و حين أعاد المرينيون احتلال تلمسان، وَلَّوا حليفهم المغراوي على بن هارون بن ثابت إدارة الإمارة المغراوية فكان عدوا لعبد الواد فبادر أبو حمو موسى الزياني لحربه حتى أجلاه لجبال صنهاجة ثم لحق بفاس. فنامت مغراوة نومها الأخير سنة 776هـ.

تعتبر مغراوة من أعظم قبائل زناتة و قد انتشرت بطونها في كامل تراب المغرب من أعمال طرابلس شرقا إلى أعمال فاس غربا و من سجلماسة و الزاب و الجريد جنوبًا إلى البحر المتوسط شمالا، غير أن موطنها الأصلى هو إقليم وادي الشلف،

[10] مخطوط : عجائب الأسفار.. النسخة ب.

يقول أبوراس "كانت أكثر قبائل المغرب عددا و أقوى ملكا و جندًا و أعز نفرا و أرفع شأنا..قوى تصرفها في أراضي المغرب من طرابلس إلى المغرب الأقصى".

قبل الإسلام، كانت تستوطن طرابلس ثم تصرفت في الإقليم الغربي من إفريقية. و تفرقت إلى عدة بطون منها بنو خزرون ملكوا طرابلس و بنو صقلاب ملكوا بطائح إفريقية وسنجاس بالزاب وجبل راشد و بنو ورسيفان بمليانة و نواحيها. و منهم بنو منديل ملكوا مازونة و تنس و بنو خزر أصحاب المغرب الأوسط و بنو بختي ملكوا تلمسان و ضواحيها[11] ومنهم بنو عطية ملكوا فاس و أحوازها. و في منتصف الرابع الهجري، ظهر خزرون بن فلفول بسجلماسة فازاح منها بني مدرار و حكمها بنوه إلى أن قضى عليهم المرابطون سنة 455هـ.

أسست مغراوة عدة إمارات كانت لها حروب و وقائع مع الزيريين و الحماديين و المرابطين. و منها بالمغرب الأقصى إمارة فاس و إمارة سجلماسة و إمارة أغمات و بالمغرب الأوسط إمارة وادي الشلف و إمارة وهران و إمارة تلمسان و إمارة إقليم الزاب وإمارة مازونة و بليبيا إمارة طرابلس. أفضت هذه الحروب إلى زوال ملكها و إلى إنقباضها في مواطنها الأصلية : وادي شلف غير أن فلولها كانت منتشرة في الزاب (سنجاس، و ريغة و الأغواط) و الشمال القسنطيني بين بجاية و عنابة و كذلك بوادي ملوية بالمغرب الأقصى..

كانت مغراوة قبل الإسلام تدين بالمجوسية حسب رأي أبي راس، غير أن إبن خلدون يقول إن الرومان أجبروهم على اعتناق المسيحية. و عند الفتح، قاومت مغراوة الفاتحين العرب لكنها أنهزمت على أيديهم، فأسلم قائدها و نزمار بن صقلاب حين وفد على الخليفة عثمان بن عفان فاكرمه هذا الأخير و عقد له على قومه ووطنه. فأسلم قومه عند رجوعه من المدينة المنورة.

أستقرت العقائد السنية في أغلب بطون مغراوة و فرقها إلا أن قلة منها في إقليم الزاب كانت على المذهب الإباضي حسب المصادر الاباضية.

---

[11] بنو بختي : تارة يلحقهم أبوراس ببني يفرن و تارة بمغراوة و الأصل حسب المصادر العربية أنهم ينتمون إلى مغراوة.

5.3. سويد و بنو عامر

يتناولهما بالدراسة في الجزئين. تنتمي إلى زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال. كانت مواطنهم الأولى بجبل غزوان عند الطائف و أخوتهم بنو سعد..

فبنو عامر "هؤلاء الذين بالمغرب بطون ثلاثة"، "بنو يعقوب استقروا بأرض اليعقوبية جنوب معسكر و بنو حميد منهم الحجز و جحوش و المحاجزة و بنو شافع" كانوا جند النصارى بوهران.

أما سويد فهم بنو سويد بن عامر بن مالك بن زغبة و منهم العطاف أرضهم غرب مليانة و الديالم أرضهم جنوب ونشريس، و فليتة (سهل مينا) و مجاهر (سهل مستغانم) و الحساسنة و مالفة (ضواحي عين تموشنت) وأولاد مقدار ومخيس (ضواحي وهران) و هبرة (سهل المحمدية) وصبيح (جبل دراك) و عريب (نواحي شلف).

ثم طلحة و الأحلاف. فطلحة من عرب المعقل من بطونهم ذّوي عبد الله و ذوي منصور و ذوي حسان : مواطنهم غربي تلمسان إلى الملوية (أرض أنقاد) كانت لهم الجباية على وجدة و ندرومة و مديونة و بني زناسن في عهد الزيانيين. أما حميان من بني يزيد بن عيسى بن زغبة كانت لهم الأتاوة قبل الزيانيين على أرض حمزة (بويرة الحالية) و الدهوس (بجوار بجاية).

نقل يغمراسن بني عامر من الصحراء إلى جنوب تلمسان إزاء المعقل الذين كثر عيثهم. و تبعت حميان بني عامر و صارت في عدادهم. وكانت الحروب بين الزيانيين و المرينيين فخاضت زغبة غمارها توسلا إلى دخول التل. ولما تمكن الضعف من بني زيان أيام أبي حمو الثاني، تغلبت بنو عامر على التلال فنزلت سهول بلعباس واتصلت مجالاتها بجبل هيدور فكانت حصّة حميان أرض الحفرة و ماوالاها (أو حفرة الأندلسيات)[12] و من حميان الذين انتقلوا إلى وهران المحاميد و بنو كرز و بني موسى و المرابعة و الخشنة...

[12] الحفرة : وادي الأندلسيات : طوله 14 كلم و عرضه 4 كلم : يمتد بين رأس فالكون إلى جبل المرجاجو.

كان سويد موالين لعبد الواد قبل تملكهم لتلمسان ورئاستهم في أولاد عيسى بن عبد القوي، ثم كان الخلاف بينهم و بين يغمراسن فنزلوا خلف مواطن توجين و حالفوهم على حرب الزيانيين.

أما بنو عامر فرئاستهم في بني يعقوب و يرادفهم بنو حميد. أبعد السلطان عثمان بن يغمراسن بني يعقوب وأستمال بني حميد فاستشاط بنو يعقوب فوصلوا أيديهم ببني مرين و حالفوا سويد. عظم شأن بني حميد لكنهم لم يسلموا من الخلاف مع عبد الواد، فتحالفوا تارة مع المرينيين و تارة مع بني حفص.

خلال العهد العثماني، تحالفت سويد – و كانت تسمى بالأمحال مع الإسبان في عهد رئيسهما حميد العبد، فأباد الاتراك عددا هاما منهم كانوا نزلوا في المالح و سيق و مستغانم و تنس و إقليم شلف. فلم يبق منهم سوى "مجاهر" بناحية مستغانم و فليتة بناحية مينا. و كذلك كان حال بني عامر التي آزرت الإسبان فقد أنقبضت مجالاتها وانحصرت مواطنها باقليم ملاتة وحلت محلها قبائل المخزن (دواير وزمالة) فملكت ملاتة و ساحل وهران ونزلت "غرابة" باقليم سيق.

6.3. القبائل الأخرى : مغيلة و مديونة و منداس

كانت مغيلة أمة بربرية من أبناء مادغس و إخوتهم لماية و مديونة و سماتة و ولهاصة...من أمرائها العظام أبو الحاتم كان على مذهب الخوارج، هزم عامل الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور فأستولى على طرابلس و حكم مدّة أربعين سنة و منها أبو الحسن الثائر أول الإسلام، و أبو قرّة الشهير. انتقلت غالبيتهم إلى المغرب الأقصى فناصروا المولى إدريس الحسنى واستقروا بين فاس و صفرو ثم ناصروا عبد الرحمان الداخل وأجازوه إلى الأندلس فانتقل عدد منهم إليها، و بقي منهم بالمغرب الأوسط، جيْلٌ بناحية واريزان قرب مازونة.

كانت مغيلة دار علم و ملك و ولاية من علمائها إبن عبد الكريم الشهير و المازوني صاحب الدرر..

أما مديونة، فكانت ديارها بجوار تلمسان، كانت في الجاهلية على الديانة اليهودية. و في الاسلام، أجاز كثير منها إلى الأندلس و بقي بالمغرب الأوسط أوزاع مندجمة في القبائل.. ومنداس نسبة إلى جدّهم، جلهم بجوار جبل ونسريش.

4. مدن و قواعد

يؤرخ أبوراس في الجزء الثاني خاصة، لعدد من المدن التونسية و الجزائرية، نفهم أنه يكتب عن مدن تونسية مثل سوسة و تونس و المهدية.. لأنه صاغ كتابه في شكل رحلة و قد كان بتونس حين سمع خبر حصار وهران و نفهم أنه يتحدث عن تلمسان و الجزائر و تنس و دلس في معرض التأريخ للجزائر لكن ما نستغربه أنه أعرض عن تناول وقائع معسكر و هي عاصمة البايليك و مقر سكناه.

أيعود ذلك لغياب المصادر لديه؟ أم لسبب آخر. نذهب إلى أن المضايقات التي كان يشكو منها دفعته إلى ذلك الإحجام. ينحدر أبوراس من وسط ريفي و لم يتمكن رغم مكانته العلمية من الإندماج في الارستقراطية الحضرية التي كانت تستخف بأهل الريف. يقول في هذا الصدد، وهو يشعر بهذا التمييز "الناس من داء عضال.. سهامهم مسمومة .. لا يملّون من الإنتقاد و الخلاف، يسقون من أفواههم العسل و في قلوبهم السم.."[13].

1.4. الجزائر المحروسة

نهتم بالمدن الجزائرية و نترك المدن التونسية لعدم إتصالها بتاريخ المغرب الأوسط.. و نبدأ بمدينة الجزائر. أسسها بلكين في أيام أبيه زيري بن مناد. و سميت بجزائر بني مزغنة نسبة لقبيلة صنهاجية كانت تقطن بجوارها ولوجود جزر صغيرة على مسافة من الموقع الذي بنيت فيه. بلغت في القرن الخامس الهجري نوعا من الإزدهار إذ يقول عنها البكري" مرسى مأمون يقصده أهل السفن من إفريقيا و الأندلس و غيرهما".

كانت فيما بعد جزءا من مملكة بني حماد ثم استولى عليها المرابطون و دانت من بعدهم للموحدين. و لما حاول بنو غانية استعادة ملك أجدادهم، استولى عليٌّ بن غانية عليها لكنه لم يحتفظ بها طويلا فقد ثار سكانها في وجهه و أعلنوا ولاءهم للمنصور الموحدي. إلا أن يحيى بن غانية استطاع أن يحتلها سنة 623هـ. وخضعت لنفوذ الحفصيين سنة 632 هـ لكن أهلها أبعدوا العامل الحفصي منها سنة 664هـ و أقاموا إمارة مستقلة بها عاشت إلى 672هـ قضى عليها أمير بجاية الحفصي.

---

[13] عجائب الأسفار: الجزء الثاني.

خضعت للحفصيين ثم خرجت عن طاعتهم إلى أن افتكها السلطان الزياني أبو حمو موسى سنة 712 هـ. و خضعت للمرنيين مرارا أثناء حروبهم مع الزيانيين و استولى عليها أبو حمو الأصغر مرتين لكنه لم ينجح في الحفاظ عليها.

حينئذ، استفاد الثعالبة من الإضطرابات التي حلّت بها فأخذوها و ضموها لسطانهم، غير أن أمير الثعالبة سالم بن إبراهيم كان يعلن الولاء تارة للمرينيين و تارة للزيانيين، فقتلهُ أبو حمو الأصغر و ألحق الجزائر بمملكته. و تجددت الإضطرابات بين الأمراء الزيانيين فأخذها أبوزيان محمد من أخيه أبى حمو الأصغر واتخذها قاعدة لدولته التي امتدت إلى متيجة و المدية و مليانة و تنس، غير أن أهلها تمكنوا من اغتياله لسوء معاملته لهم. فظلت منذ ذلك الوقت إلى وصول الأتراك في حماية الثعالبة..

كان لميناء الجزائر شأن إذ كانت السفن الإيطالية ترسو به للتجارة. و اشتهرت المدينة بمساجدها أهمها المسجد الكبير الذي بناه المرابطون و أضاف إليه الزيانيون منارة جميلة. و من علمائها الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الذي اشتهر بتفسيره "الجواهر الحسان".

تعرضت السواحل الجزائرية إلى الهجوم الإسباني في مطلع القرن العاشر الهجري، فخضعت الجزائر لتبعية الملك الإسباني الذي أمر ببناء "قلعة الصخرة" لمراقبتها. فضاقت سبل العيش بأهلها فحاولوا التخلص من الحماية الإسبانية و اتصلوا بالاخوة بربروس و عرضوا عليهم أمر قيادتهم "لعدم إستقامة دولة أهل تلمسان". دخلها خير الدين سنة 915 هـ (1516 م) و استقبله أهلها استقبال الأبطال. وحين أراد توطيد نفوذه بها، تآمر أعيانها عليه فنكل بهم. و عبثا حاول الإسبان انتزاعها منه ففشلت الحملتان الإسبانيتان عامي 1516 و 1519.

و حين قضى خير الدين على خصومه في الداخل "شمر للمدافعة عن الجزائر برًّا و بحرًّا، فحاصر القلعة الإسبانية إلى أن استولى عليها ثم هدمها و أخذ أنقاضها لبناء ميناء الجزائر الجديد (سنة 948 هـ) كما جدد تحصيناتها فأصبحت أمنع من عقاب الجو لا تخشى هجمات الدول المسيحية.

و في سنة 1541 م كانت الحملة العظيمة التي قادها الملك الإسباني شارل الخامس بنفسه على الجزائر يسعى إلى إنهاء الوجود العثماني بالمغرب. "قدم إليها الطاغية في زهاء سبعمائة سفينة"[14]. و نزل بجيشه عند مصب نهر الحراش، و لقيه حسن أغا بجيشه فهزمه في وقت "بعث الله ريحا عاصفة كسّرت أكثر مراكبه". فانسحب الإسبان يجرّون أذيال الهزيمة و غنّم حسن آغا غنائم كثيرة.

و لم تفلح الحملتان الانكليزيتان (عامي 1622 و 1655) في إخضاع المدينة " فرموها بالبونبة و لم يفد شيئًا." و ضربت و حدات الأسطول الفرنسي الجزائر بغير طائل سنتي 1661 و 1655 م "فهدموا أكثر دورها و بعض مساجدها" و عاد الإنكليز مرتين سنتى 1682–1683 فدكوا المدينة بمدافعهم. "فصالحهم حسن باشا بلا مشورة أحد من أهل دولته "فقتله قادة الجيش و نقضوا صلحه فعاد الأسطول "يهدد المدينة سنة 1073 هـ، فهدم نحو 300 دار" دون أن يخضعها.

وحاولت القوات الإسبانية سنة 1775م أن تستولى على المدينة، فكانت الحملة التي قادها "أورللي" فنزلت إلى البرّ "وجعلوا أتراسا من الخشب" لكن الجيش العثماني حاصرها و قتل عددا هاما من جنودها "ورجعوا خائبين... حتى حضر هذه الوقعة المنصور بالله سيد محمد بن عثمان.. فظهر من إقدامه و إعتنائه مقامات تعد من مفاخر دولته"[15] و لم تعوّض الحملة الإسبانية التي قادها "برسيلو" سنة 1783 (1197 هـ) خسائرهم "فعادوا خائبين بعد أن هدموا أزيد من 200 دار".

لم يتعرض أبوراس إلى الحملة الإنكليزية التي قادها الأميرال اللورد اكسموث سنة 1815 رغم أهميتها. عموما يتضح من هذه الحملات المتكررة أن الجزائر كانت بالقوة التي تمكنها من التصدى للأساطيل الأوربية مهما كانت قوتها. إنها الجزائر المحروسة".

2.4. تلمسان : مدينة الجدار؟

يعتقد أبوارس أنها مدينة قديمة أسسها بنو يفرن لكنه لا يذكر تاريخ بنائها و لا من بناها. في لغة زناتة تعنى "تلم سان" تجمع التل و الصحراء. و يعني إسمها القديم "أقادير" في نفس الوقت: "جدار قديم و مدينة محصنة" أي مدينة الجدار..

---

[14] عجائب الأسفار : الجزء الأول.

[15] الجمل بين علامتي التنصيص من عجائب الأسفار – الجزء الأول.

يذكر أنها كانت ملتقى موسى بالخضر عليهما السلام وفق القصة التي رواها القرآن الكريم في سورة الكهف، لكن ابن خلدون ينفى ذلك لأن مملكة بني إسرائيل كانت بالمشرق و لم تمتد إلى المغرب.

إرتبط إسم تلمسان في المصادر العربية أولا بحركة الفتح العربي. بجوارها وقعت المعركة التي وَاجَه فيها الجيش العربي بقيادة أبي المهاجر دينار حشود أوربة بقيادة القائد البربري كسيلة. انتصر الفاتحون و أسروا كسيلة غير أن القائد العربي أحسن معاملته فأسلم هذا الأخير و قومه. ولما تولي يزيد بن معاوية الخلافة، عزل أبا المهاجر وردّ عقبة بن نافع إلى ولاية إفريقية و المغرب. خرج هذا الأخير بجيشه إلى المغرب فاحتل باغاية و نزل تلمسان، فلقيته حشود البربر و الروم فانتصر عليهم ثم سار حتى نزل طنجة ثم عرّج إلى السوس بالجنوب و أقفل راجعًا إلى قاعدته القيروان. فلما وصل طبنة وصلته أنباء مقلقة عن إفريقية، فأرسل معظم جيشه إلى القيروان و أبقى نحو 300 فارس عرج بهم إلى تهوذة في أحواز الزاب.

كان عقبة بن نافع قد استصحب كسيلة في حملته و كان يهينه، فَأَمَرَهُ – مرة بسلخ شاة بين يديه، فأضمر كسيلة الغدر و عزم على الفرار من معسكر العرب، فانسحب هو و قومه و كون جيشا و تحالف مع الروم لمقاتلة العرب، فترصد لعقبة و قصده في جيش عظيم فدارت الحرب بينهما وانتهت بمقتل السرية العربية سنة 64 هـ. كان أبو المهاجر قد نهى عقبة عن إهانة رؤساء البربر لكنه لم يسمع. شجع مقتل عقبة كسيلة الذي زحف على القيروان فانقلبت إفريقية نارا و عظم البلاءُ على المسلمين.

كانت تلمسان خلال القرن الثاني الهجري قاعدة إمارة الخوارج الصفرية بقيادة أبى قرّة اليفريني، الاَّ أن إدريس الأول انتقل من وليلي لغزو أقادير سنة 173 هـ و محاربة بني يفرن. لكن سكانها بايعوه لشرف نسبه، فمكث بها سبعة أشهر و بنى بها مسجدًا : (المسجد الأعظم و منبرهُ).

توفي إدريس الأول، فلحق أخوه سليمان بأقادير و طلب الأمر لنفسه، فأذعنت له زناتة. و في عهد إبنه محمد زحف إدريس الثاني على أقادير لاخماد نار الثورة الصفرية بها. فطهَّر تلمسان و ماجاورها من العقائد الخارجية واستقر بها الإسلام على مذهب أهل السنة.

و أنشأ يوسف بن تاشفين "تاقرارت" في العقود الأخيرة من الخامس الهجري بجوار المدينة القديمة "القرية المسكونة الآن بمكان محلته." و استعمل عليها محمد

بن تينعمر. و بعد ذلك غزاها المنصور بن الناصر بن علناس الأمير الحمادي، فصالحه يوسف. إلا أن المرابطين أعادوا غزوهم للجزائر بقيادة عاملهم محمد بن تينعمر فردهم عنها عبد الله بن المنصور الحمادي و كانت الوقائع شديدة فحاصر المرابطون المدينة يومين لكنها لم تسقط بأديهم فهلك محمد بن تينعمر و حل محله أخوهُ تاشفين، فغزا أشير و افتتحها و خربها و كان لبنى "ومانو" و بنى يلومي "أثر في مظاهرته و إمداده مع أنهم كانوا من جهة بني حماد، فأحقد عليهم المنصور الحمادي و غزاهم ثم نهض إلى تلمسان فلقيه جيش المرابطين بتسالة فانهزم المرابطون و دخل المنصور تلمسان و عاثت عساكره بها و عظمت المحنة على أهلها فخرجت "حواء" زوجة تاشفين بن تينعمر "متوسلة إليه بوشائج الصنهاجية فأكرم متواها و أفرج عنهم في يومه و بقيت أقادير بيد لمتونة إلى أن أخذها منهم عبد المؤمن سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة."[16]

كانت تلمسان في عهد المرابطين مركزا للدراسات الفقهية و الكلامية واشتهر فيها نفر من العلماء البارزين منهم أحمد بن نصر الداودي الذي قدم إلى أقادير و أقام بها حتى مات سنة 402 هـ. ألّف "النصيحة" في شرح صحيح البخاري و "كتاب النامي" في شرح موطأ مالك و "كتاب الواعي" في الفقه و "الايضاح" في الردّ على القدرية و المعتزلة.

بقيت تلمسان تحت نفوذ المرابطين 75 سنة، و حين استولى عبد المؤمن الموحدي على وهران، بادرت جماعة من أعيان تلمسان إلى لقائه يلتمسون منه الآمان فلقيهم أحد قادته في وادي تافنة و قتلهم عن آخرهم. فطار الخبر إلى المدينة و سرى في سكانها الخوف وساءت بها الفوضى، و بعد حصارها، دخل عبد المؤمن تلمسان و عاث عساكره في أنحائها يقتلون و ينهبون..

و تعاقب على إدراتها عمال ساهموا في إعادة بنائها و تشييد أسوارها و إرجاع الرخاء لها. في عهد الموحدين انتشر التصوف بالمغرب فكان من مشاهيره "أبو مدين" دفين العباد..

---

[16] وردت هذه الرواية في النسخة ج وَحْدَها.

خلال النصف الأول من القرن السابع ضعفت دولة الموحدين فتعرضت لضربات القبائل الزناتية البدوية : بني عبد الواد و بني مرين في حين انفصلت إفريقية بقيادة الحفصيين.

أسس بنو زيان دولتهم على أراضي المغرب الأوسط اتخذوا تلمسان عاصمة لهم. غير أن الدولة الزيانية تعرضت خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين لغزوات مستمرة شنها الحفصيون بتونس و المرينيون بفاس و كان النصرُ حليف الغزاة في غالب الأحيان. و مع ذلك و جد أمراء تلمسان و قتا يزينون فيه عاصمتهم بمختلف المباني وانصرفوا إلى تشجيع العلوم ففتحوا المدارس للطلبة منها مدرسة العباد التي درس فيها ابن خلدون و المدرسة التي بناها أبو حمو و أشرف على التدريس بها الإمام و إبناه.

كان لتلمسان الزيانية شأن هام في علاقاتها التجارية بالصحراء و السودان من ناحية و بالاندلس و المشرق من ناحية، فكان ميناؤها حنين يستقطب مبادلاتها مع المدن الأندلسية و الإيطالية .. و لم تكن مركزا تجاريا وسوقا لمنتجات الإقليم بل إنها تنتج منتجات صناعية مطلوبة في المشرق والمغرب.

و في القرن العاشر، استفادت المدينة و أحوازها من هجرة الأندلسيين، فكانوا سببا في ترقية إقتصادها و إرشاد سياستها ونهضة علومها و فنونها.

استقر نفوذ الاخوة "بربروس" بالجزائر العاصمة فدانت لهم البليدة و مليانة و المدية بالطاعة. فقرر "عروج" إنقاذ تنس من يدي أميرها الزياني "الثابثي" المتحالف مع الإسبان، فدخلها في جانفي 1517 و جاءه وفد من أعيان تلمسان يشكو له اضطراب الأحوال السياسية في مدينتهم بسبب تنازع الأمراء الزيانيين. فلبّى الدعوة و توجه إلى تلمسان فلقيه جيش أبي حمو الثالث فهزمه و دخل تلمسان وأعاد أميرها الشرعي أبا زيان إلى عرشه. وكان هذا الأخير قد اعترف بتبعيته للسلطة الجديدة. غير أن أفراد الأسرة الزيانية، استغلوا خروج عروج إلى الناحية الغربية فنبذوا الطاعة و أعلنوا العصيان فامر عروج الذي كان يتسم بالحزم و الشدة بقتل أبى زيان وأنصاره. يقول أبوراس "ثم زحف إليهم بمن معه و كان شديد البأس فدخل تلمسان عنوة و قتل سبعة من المترشحين للملك من بني زيان و نحو الستين من بني عمهم أولاد عبد الواد وأكثر من ألف من أهل البلد وعاث في تلمسان".

كان الأمير أبو حمو الثالث قد فرَّ إلى وهران يستنجد الإسبان، فتحرك الجيش الاسباني ومعه أبي حمو إلى تلمسان فحاصرها ثم دخلها فاضطر عروج وأتباعه إلى الخروج منها فلاحقه الجيش الاسباني و قتلوه ومن معه بجبال بني زناسن.

يذكر أبوراس رواية أخرى أقرب إلى الاسطورة دون أن ينفى صحتها. و مفادها "لما عثا عروج و أساء السيرة و أفحش في القتل و السبي فثاربه أهل تلمسان ثم أوقع بهم و خرج إلى جبل بني زناسن فأشفق أهل تلمسان على أنفسهم وخافوا من رجوعه إليهم فلجأوا إلى الشيخ أحمد بن ملوكه – و كان وليا صالحا – و شكوا إليه مانالهم منه و ما تخوفوه، فانقبض الشيخ انقباضًا عظيما ثم ضرب الأرض بيده و قال "لارجع إلى تلمسان أبدًا اعتمادا على الله تعالى". فكان كما قال و قتل عروج التركماني ومن كان معه من الأعلاج و التركمان"[17].

أجلس الاسبان على عرش تلمسان صنيعهم "أبا حمو" سنة 924 هـ (1518 م) فأبعد هذا الأخير أخاه مسعود عن الحكم فلجأ إلى خير الدين يستصرخه على أن يعترف بالنفوذ العثماني فأمدّه بالمال و الجيش فأخرج أخاه إلى وهران و ملك مسعود تلمسان ... إلى هذا التاريخ تنتهي رواية أبى راس لكن الصراع على تلمسان و تصفية الحكم الزياني استمرا إلى سنة 962 هـ (1554 م) حيث أعلن البايلرباي صالح رايس انضمام تلمسان إلى الدولة الجديدة.

في العهد العثماني، تراجعت التجارة و تعطلت نسبيا الحياة الاقتصادية و حين هاجر عدد من علمائها مثل الونشريسى و المنداسي و المقري الجزائر لاضطراب الأحوال السياسية، انحصرت الحياة العلمية بتلمسان، دليلنا في ذلك شهادة أبي راس الذي زار تلمسان خلال رحلته إلى المغرب الاقصى "ولما رجعت من فاس، دخلت تلمسان فسألت عن علمائها... أما علماؤها فأولاد بن زاغو من مغراوة و العقابنة من الأندلس و المزارقة من عجيسة.. و المقارة من مقرة قرية بالزاب و أولاد الامام و الشرفاء الأدراسة : أبو عبد و أولاده و الشيخ أحمد بالحاج و بنوه.. و أما الآن فهي كالأمس الدابر و الميت القابر فقد استولى على أكثرها الخراب و ناح على

[17] الرواية مقتبسة من كتاب "نشر المثاني" لا يفصلها أبوراس لكنه يشير إلى دعاء آبن ملوكة. وإبن ملوكة توفي في العقد الربع من القرن العاشر – ضريحهُ مزار شهير بتلمسان.

خاوى عروشها الغراب.. فأصبحت خامدة الحسّ ضيقة النفس كأن لم تكن بالأمس"[18]

3.4. تاهرت الاباضية

كانت تاهرت (أو تيهرت حسب بعض المصادر) عاصمة الائمة الاباضية من بيت عبد الرحمن بن رستم "من ولد رستم أمير الفرس أيام القادسية"، و هي غير تيارت الحالية التي بناها الفرنسيون على أنقاض المدينة القديمة التي أسست قبل الاسلام.

اختط عبد الرحمن بن رستم عاصمته "بسفح جبل كزول على رأس تلول منداس شرقي نهر مينا"[19] سنة 144 هـ (761 م) لا سنة 218 هـ كما يذكره أبوراس. وكان قد فرّ من القيروان و التجأ إلى حُلفائه من قبيلة لماية بالمغرب الأوسط عند زحف الجيوش العربية بقيادة إبن الاشعث ثم اتسع عمرانها و تقاطر عليها الناس من كل إقليم بدافع التجارة و المذهب. تبعد عن المدينة القديمة بنحو خمسة أميال و هي محاذية لتاقدمت الشهيرة.

دام ملك الاسرة الرستمية بتاهرت إلى سنة 298 هـ حين أستولى عليها الشيعة بعد مقتل آخر ملوكها اليقظان على يد قائد العبيديين عروبة بن يوسف الكتامي سنة 296 هـ "بعد حروب طوال غلبهم في آخرها وانقرض أمرهم بها".

ولما أراد عروبة الكتامي الرحيل عنها، عقد عليها لأبي حمير دواس بن صولات.. فاتصلت حروبه مع لماية شيعة بني رستم.. "و كانت لماية مستوطنة أرض السرسو و يبلغ عدد خيولها 30 ألفا أو يزيد على ذلك فاثخن فيهم دواس و فرقهم "فبعضهم انتقل إلى جبل مصاب (ميزاب) و بعضهم إلى جبل بني راشد".[20]

بعد سقوط الرستميين، أصبحت تاهرت نقطة عراك بين الشيعة ومغراوة "فتغلب عليها محمد بن الخير أحد ملوك وهران.. و نزلت عساكر بني أمية بها أيام المنصور بن عامر.." غير أنها بقيت بأيدي الشيعة إلى أن استولى عليها المرابطون ثم الموحدون..

---

[18] فتح الاله ص 108.

[19] عجائب الاسفار : الجزء الاول

[20] عجائب الاسفار : الجزء الاول

عندئذ، أخذ عمرانها في التراجع وأحرقت النيران أسواقها.

ثم كانت فتنة بني غانية، فكانوا يشنون الغارات عليها و يكررون اقتحامها المرة بعد المرّة إلى "أن اختل ساكنها و خلا جوها و أعفى رسمها سنة 685 هـ و ذلك آخر العهد بعمارتها"[21] لأنهم احتملوا أهلها فتفرقوا في البلاد و ذلك سنة 620 هـ (و ليس 685 هـ كما يذكره أبوراس.)

وبجوار تاهرت، تقع "الأجدار" و هي "آثار من بناء الأقدمين : قصور على الجبال الثلاثة المبنية بالحجر المنحوتة، تبدو للناظر على البعد و كأنها أصْنمة : أي قبور.. وقد رأى إبن الرقيق كتابة في حجر منها فُسِّرَ له "أنا سليمان السردحاوس خالف أهل البلد على الملك فبعثنى الله إليهم وفتح علّي و بنيت هذا البناء للذكر به"[22]

4.4. تنس : القرية الاندلسية

"قرية على ساحل البحر الرومي "بناها أندلسيون في القرن الثالث الهجري على مسافة ميلين من البحر. يعود بناؤها حسب البكري إلى سنة 262هـ (876 م)، سكنها أول مرّة أهل مرية و مرسية ثم أنضم إليهم بعض الأهالي من سوق إبراهيم "ينسب إلى بني إبراهيم" و الذي هو غربي العروسي حيث مصب وادي إيسلي في وادى الشلف"

حكمت مدينة تنس أسرة إبراهيم التي تنتمي إلى الاشراف السليمانين دانت لسلطان الأمويين في الأندلس. ثم تناوب على حكمها منذ القرن الرابع الهجري عدّة دول كانت تتنازع حكم المغرب الأوسط و هي العبيديون و مغراوة و صنهاجة والمرابطيون و الموحدون. "أخذها – أول مرّة– العبيديون على يد عروبة الكتامي ومصالة المكناسي.. و لما إنتقل المعز إلى مصر، أستولى عليها بلكين بن زيري من صنهاجة و ملكها كغيرها من أمصار المغرب الأوسط."[23]

---

[21] عجائب الاسفار : الجزء الاول
[22] عجائب الاسفار : الجزء الاول
[23] عجائب الاسفار : الجزء الاول

ثم ملكها المرابطون فالموحدون إلى أن أستخلصها بنو منديل "أمراء مازونة" فانضمت إليهم في القرن السابع الهجري. ولما قام الحكم الزياني بتلمسان، استولى عليها السلطان عثمان الذي "استلحم مغراوة و عفا رسمهم و قطع ملكهم..."

و في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، استقلت عن السلطة المركزية بسبب النزاع بين أفراد الأسرة الزيانية فخضعت لفرع منها بادىء الأمر ثم ملكها شيوخ من أهلها إلى أن أستولى عليها عروج في مطلع سنة 1517 م. و في سياق جهوده لتصفية الحكم الزياني، أعاد خير الدين أحتلالها فعين عليها قائدا و نصب حامية بقصبتها.

خلال القرنين العاشر و الحادي عشر الهجريين، أزدهرت مدينة تنس بفضل خصوبة أحوازها التي كانت تنتج الحبوب و الفواكه فيصدر جزء منها إلى أروبا، غير أن تجارتها أنقطعت في مستهل القرن الثاني عشر فأسرع الخراب إليها.

إلى مدينة تنس، يرجع نسب الحافظ التنسي صاحب الدرو العقيان في شرف بني زيان".

5. أبوراس و فتح وهران

في مقدمته لكتاب "الثغر الجماني" يؤاخذ الشيخ المهدي البوعبدلي أباراس على هزالة مادته التاريخية و يتهمه بالاستطراد في المسائل البعيدة عن الموضوع. أي تاريخ فتح وهران.

يجب أن نكف عن اعتبار تأليف "عجائب الأسفار" ذخيرة" أو مستودع للمعطيات التاريخية. إن هذه الرؤية التي تنظر إلى المصادر القديمة نظرة ضيقة، تقلل من قيمتها. لم يكن غرض أبي راس تأليف كتاب أخبار حتى نطالبه بتدوين جميع المعطيات المتعلقة بالفتح بل كان قصده شرح قصيدته "نفيسة الجمان"التي قرأها على مسامع الباي محمد الكبير فدعاه هذا الأخير إلى توضيح معانيها و ألفاظها.. و كان من الطبيعي أن يتناول هذا العمل مباحث متنوعة تتصل باللغة و الأدب ثم التاريخ و النسب.

لا يجب أن ننسى أن سعي أبي راس يدخل في سياق مشروعه المتمثل في إحياء فنون الأدب بما فيها التاريخ "إني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم و معاهده و دست مصادره و موارده و قلبت دياره و مراسمه... واستوطن فحولها زوايا الخمول" لهذا

جاء تأليف "العجائب" أقرب إلى الرحلة حيث تتقاطع المباحث الأدبية بالمباحث التاريخية. إنه محطة ثقافية ترصد واقع العلوم و فنونها في لحظة زمنية معينة.

ثمة عامل آخر ينفي تهمة التزهيد في المادة التاريخية عن أبي راس. فلم يكن مؤلفنا كاتبا لدى الباي محمد الكبير حتى يكلفه بكتابة وقائع الفتح كما لم يكن ملازما لقصره مثل ابن سحنون حتى تتوفر لديه الوثائق و الرسائل الضرورية لمعالجة أخبار الفتح بالدقة المطلوبة.

يقترح علينا أبوراس نصًّا لا يخلو من قيمة علمية إذ يتناول قضايا الحصار و الرباطات و المفاوضات و الجلاء بطريقة مغايرة، تركز على التصورات و التمثلات أكثر مما تهتم بالأحداث.

1.5. صدى حصار وهران

في نظر أبي راس، لم يكن الحصار الذي فرضه الباي محمد الكبير على وهران حدثا عاديا لأنه ترك صدى عميقا في المخيلة المغاربية. لقد سمع به في إقليم تونس — مدن و بوادي — حين كان راجعًا من رحلة الحج... "لما خرجنا من البحر في شهر شعبان سنة 1205 هـ. وجدنا خبر محاصرة المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان لوهران بسوسة و المنستير و صفاقس.. ووجدنا خبر جهاد وهران عند أهل جربة و أيضا أهل تونس سمعوا...[24]

وحين استعجل السفر و رام العودة إلى ديار الوطن بسرعة كان "خبر الجهاد قد انتشر في الأيالة القسنطينية : مدنها و أريافها.

يؤكد لنا مؤلفنا أن الجهاد — أي حماية دار الاسلام و تأمينها — واجب الدولة و الأمة معًا، بفضله تلتحم السلطة بالجماعة.

لهذا يستعرض جهاد المدن التونسية ضد التحرشات المسيحية منذ بدء الغزو المسيحي للثغور. فالثغر "هو الذي يكون على سيف البحر.. أي ساحله يقع الخوف من العدو فيه.. و الثغر محل رباط "إذا ارتفع الخوف عن الثغر لقوة الاسلام به أو بعده عن العدو زال حكم الرباط.."[25]

---

[24] عجائب الأسفار : الجزء 2

[25] نفس المصدر.

فسوسة من أعظم مدن الساحل التونسي، استولى عليها طاغية صقلية سنة 543 هـ ثم دخل المهدية و استولى على صفاقس و طرابلس و المنستير وفرض عليها الجزية إلى أن استردها عبد المؤمن سنة 555 هـ.

و المهدية : قاعدة الفاطميين، لم تنج هي كذلك من العداون المسيحي، "فقد غزاها الكفار ثلاثة مرات..." ثم تحررت بالجهاد.. وجربة "جزيرة أحاط بها البحر يدخلها الناس على متن المراكب و سكانها على مذهب الخوارج" هي كذلك تعرضت للغزو. "فقد استولى عليها النصارى سنة 529 هـ ثم حررها أهلها سنة 548 هـ غير أنها بقيت مترددة بين النصارى و المسلمين إلى أن استولى عليها عبد المؤمن" ثم عاد إليها نصارى صقلية في عهد الحفصيين سنة 688 هـ و بقيت بأيدهم إلى أن فتحت سنة 738 هـ. اشتهرت بجهادها ضد النورمان و فرسان مالطة.

ولم يتوقف الجهاد في الثغور ضد الجنويين و برشلونة و البندقية منذ القرن الثامن الهجري "و بقي مستمرا ضد أمم نصرانية أخرى إلى غاية الآن"[26].

إذن، لا يتحدث أبوراس عن الحصار و أطواره و إن شهد بطوله إذ يخبرنا بأن محمد الكبير أمر به سنة بعد توليته إمارة الغرب الجزائري. فقد كان تحرير وهران والمرسى الكبير شغله الشاغل : انفق من ماله الخاص لشراء المدافع و الذخيرة من جبل طارق و المغرب الأقصى، تكفل بتموين الطلبة المرابطين بجبل المائدة و قرية إيفري لمضايقة الاسبان بالسلاح و الغذاء و المال، جمع المتطوعة من كل جهة و أعدَّ الجيش للقتال وراسل الداي محمد بن عثمان و من بعده حسن باشا بهدف توحيد الموقف و إنجاح المفاوضات عن طريق الضغط على الاسبان في وهران[27].

---

[26] عجائب الاسفار : الجزء الثاني

[27] نعرف أطوار الحصار بفضل المصادر العربية و الاسبانية. كلها تشهد أن التضييق الذي مارسه محمد الكبير على الاسبان المقيمين بوهران كان عاملا حاسما في دفع الحكومة الاسبانية إلى التنازل عن القاعدتين (وهران و المرسى الكبير). إمتد زمن الحصار عشرية كاملة (1780-1791) مع تفاوت في حدته. في البداية، أقام الرباطات لمنع الاسبان من تجاوز أسوار المدينة في انتظار نتيجة المفاوضات بين الداي و الحكومة الاسبانية. و حين تم التوقيع على الصلح سنة 1786 دون تسوية مسألة وهران، شرع في التضييق على اسبان وهران و أعوانهم المغاطيس.

و في الواقع، بدأ الحصار الحقيقي بعد الزلزال الذي أصاب المدينة في أكتوبر 1790، لكنه فشل نتيجة وصول الامدادات من إسبانيا و خلل في خطة الحصار (ضعف فعالية المقاتلين) غير أن محمد الكبير أعاد تنظيم الرباطات وجدد العتاد سنة 1791 فنجح في إحكام الحصار إلى أن قبل الاسبان بالجلاء.

يعتبر أبوراس تجربة الموانئ التونسية في الجهاد عبرة و يعتبر الباي محمد الكبير بطلا من أبطال الجهاد في الاسلام و يقارنه بسيف الدولة. "لقد كان سيف الدولة محبا للجهاد كثير الغزوات و الفتوحات لقد طالت مواقفه مع الكفرة..." و كذلك كان موقف الباي محمد الكبير الذي صرف جُهده من أجل إنهاء الوجود الاسباني بوهران و المرسى الكبير، لا يقلّ عنه أهمية في الجهاد. "فكان إذ ذاك أكثر همته مصروفه لحربها و التضييق عليها وشن الغارات على من يوجد بساحتها نحو إثني عشر سنة إلى أن حاصرها محاصرة الفتح".

2.5. إحياء الرباط

يشيد أبوراس بمؤسسة الرباط و يؤكد أن التجارب التاريخية تؤكد فعاليتها. فمن العلماء الذين اتخذوا الرباطات في الجهاد و عمروها بالطلبة : الشيخ أحمد بن ثابث و المجاهد العياشي و العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي.

فالشيخ أحمد بن ثابث رابط بوادي إيفري مع طلبته خلال الفتح الأول "فكانوا أشد الناس مسارعة لاجابة دعاء السلطان بكداش لهذا الجهاد المبارك". فالطلبة "رهبان بالليل، أسود بالنهار" ينشغلون بتلاوة القرآن الكريم بالليل و يراقبون الكفار بالنهار، فإذا خَرجت طائفة منهم إلى الوادي، هاجموها، فتعذر عليهم الخروج إلى مزارعهم و مغارسهم.. فقد حاصروهم محاصرة شديدة "وكانت بينهم وقائع كثيرة استشهد فيها كثير من الطلبة".

أما العلامة ابن عبد الكريم المغيلي "فهزته الغيرة الاسلامية و حركته أوامر المعروف فجاهد في يهود توات أشد الجهاد و شفي منهم الغليل و حقد الأكباد.."[28]

فالمجاهد العياشي عالم فقيه أقام الرباط بناحية الغرب و جند لها آلاف من المجاهدين فقاوم الاسبان في طنجة و العرائش و المعمورة و غيرها و أثخن فيهم، فأرهقهم بالخسائر المادية و البشرية خلال العهود الأولى من القرن السابع عشر..

وقد أحيى الباي محمد الكبير الرباط، فقد أشرف بنفسه على تسليحه و تنظيمه فعين له رئيسا و مساعديه و أرسل رسله لتجنيد الطلبة و منع التدريس بكامل الايالة إلا في الرباط، و كان يقوم بتموين الطلبة المرابطين بالمال و المؤن

[28] النصوص الواردة مقتبسة النسخ الثلاث و من المصادر المحلية..

ويتدخل في فصل الخصومات التي تحدث بينهم. فاجتمع له نحو 500 طالب كانوا يمنعون الاسبان من الخروج إلى الوادي "فاشتدت شوكتهم على النصاري و عظمت فيهم نكايتهم و تكالبوا على قتالهم".

فقد استشهد عدد هام منهم أثناء الحصار و خلال المعارك، يتقدمهم رئيسهم الشيخ الطاهر بن حواء : قاضي معسكر.. يقول أبوراس عن مآثرهم "وقد ظهر بوهران لهم من الشجاعة أمور غريبة وإقدامات عجيبة و صبر خرج عن المعتاد.. فلا هم من العدو يفرون ولامن صواعق البونبة يتضعضون وهم مع ذلك يهجعون بتلاوة القرآن المجيد، مداومون على ذكره بترتيل و تجويد.. كل ذلك ينم عن فنائهم بواد وهران كل حين لرجة.. فقد أعدّو اللكفرة أقوى عدّة.."

3.5. المفاوضات

يتعرض أبوراس للمفاوضات حول تحرير وهران دون تفصيلها، نفهم ذلك لأنه التحق بمحلّة الباي بعد الحصار و لم يكن يعلم مثل ابن سحنون بمضمون المراسلات بين الداي و الادارة الاسبانية[29].

لا يشرح لنا أطوارها لكنه يعتبرها نتيجة حتمية للحصار. "إن الكفرة أذلهم اللّه.. لما علموا من المنصور باللّه ما هو عليه من كثرة جنوده و شدّة حزبه.. فأصبحوا فرائس له يتوقعون وثبته عليهم، جعلوا للتوسل بالصلح و سائط و ألزموا أنفسهم عدّة أمور و شرائط.. بادلين على ذلك المنا اللهاء و الرشا حتي أنهم توصلوا بسلطان الجزائر محمد بن عثمان باشا و بعد موته طلبوا في ذلك خليفته حسن دولاتي وألحوا عليه في المراسلة و كذلك توسلوا بجميع أهل دولته.."[30]

بدأت المفاوضات بين الحكومتين الاسبانية و الجزائرية في جوان 1785 و كان الهدف منها إبرام معاهدة صلح بين الدولتين و انتهت بعد سنة (جوان 1786) دون تسوية مسألة وهران. تنص اتفاقية الصلح في مادتها العشرين "تبقي مدينة وهران و قاعدة المرسى الكبير على ما كانت عليهما من قبل دون اتصال بالضواحي و أن لا

---

[29] أنظر تفاصيلها في "الثغر الجماني" و "المراسلات الجزائرية – الاسبانية" و مقال : "وهران خلال القرن 18" من مجلة "إنسانيات".

[30] عجائب الاسفار : الجزء الثاني.

يهاجمها داي الجزائر أبدًا و لا يقوم باي معسكر بأية غارة عليها إذا لم يتلق أمرًا من الداي.. غير أن النصارى لا يكونون في مأمن في مكان أبعد من رَمية المدافع".

في سنة 1787، شن محمد الكبير غارات على القاعدتين ودكهما بالمدافع لأن الحامية الاسبانية كانت تغير على ضاحية وهران من حين لآخر، فتنهب و تسبي و تقتل. على إثرها، طلب حاكم وهران هدنة تعهد بموجبها احترام اتفاقية الصلح و الامتناع عن مهاجمة الضواحي.. قبل الزلزال الذي ضرب وهران (اكتوبر 1790)، كان الباي محمد الكبير يعمل على تدعيم الرباطات و توسيعها و الاكثار من السرايا و الكمائن خاصّة ضدّ فرقة المغاطيس المتعاونين مع الاسبان.

فَحَال وقوع الزلزال، اسْتغلَ الباي حادثة إطلاق النار على قواته، فاستأذن الداي محمد بن عثمان في إحكام الحصار على القاعدتين و مناوشة حاميتهما. "فجاءهم في جند عظيم.. شديد البأس، يحتوى على نحو الخمسين ألفا، فظهر بذلك من قوته و بأسه و سطوته ما بهر به الكفار و أدهشهم و ازدادوا منه خوفا" و "قد قسم جنده، فترك معظمه معه و أنزل الباقي مع ابنه الانجب السيد عثمان و بعضه الآخر مع صهره الأجل السيد محمد بن ابراهيم كل منهما في جهة بمحلة عظيمة، مع الأول أهل تلمسان و أحوازها و قبائل من الاعراب كفليته و غيرهم و مع الثاني أهل مازونة و مستغانم و القلعة و أعراب الشرق.."[31].

غير أن الاسبان استغلوا هدنة طلبوها لارسال الامدادات إلى القاعدتين (نوفمبر 1790)، فأفشلوا الحصار رغم أن فرقة بني زروال كانت قد تمكنت من الاستيلاء على قلعة "برج العين" "فكان يوما 13 من صفر 1205 – قعقعت فيه المدافع فزلزلت الجبال..".

عاد محمد الكبير إلى معسكر "ليجمع العدد الذي يقاتل به أمثال أولائك الجهلة.. و لم يزل جادًا في جمع الالات.. و جمع البارود و الرصاص و كور المدافع.. فوجه رسله إلى بلاد الانقليز (جبل طارق) لشراء ذلك،.. و بعث أيضا إلى ناحية زواوة من أتَاهُ بكثير من البارود.. وجمع أرباب الصنائع من النجارين و الخراطين و الحدادين و صناع البارود من كل بلد.. كالجزائر و تلمسان

[31] الثغر الجماني ص 220.

و مستغانم.. و بعث.. إلى ناحية فجيج من يأتيه بحفرة الالغام، فقدم عليه بمائة منهم و ألحقهم بالطلبة.."[32].

و حين أكمل إستعداداته، إنتقل إلى وهران لتجديد الحصار فدعا الناس للجهاد "فجاءته الحشود من كل حدب وصوب" وبعث إلى البلدان البعيدة، فأوتى بجميع أعلام أولايائها الاكابر كسيدي عبد الرحمان و السيد أبي مدين و السيد أحمد بن يوسف و السيد محمد بن عودة ومقامات شيخ الحضرة السيد عبد القادر الجيلي و غيرها ليحضر بها القتال تبركا بها واستعانة بأهلها".

تتحدث المصادر المحلية عن خطة الحرب، و أعداد الجيش (100 فسطاط) و عتاده و الطريق الذي سلكه الباي محمد الكبير من معسكر إلى سيق و من سيق إلى وادي تليلات و منها إلى أغبال ثم تذكر مواقع المحلة كالمبرك و موسولان و مسركين و المائدة ووادي الهايج..

و تجددت العمليات العسكرية حول الأبراج الواقعة في وادي وهران كبرج العيون و البرج الجديد و برج الأمحال. فكان وقعها شديدا على الحامية الاسبانية. حينئذ طالبت الحكومة الاسبانية من قنصلها بالجزائر مباشرة المفاوضات مع الداي محمد بن عثمان فعرضت عليه التنازل عن وهران و الاحتفاظ بقاعدة المرسي فكان الرفض (15 فبراير 1791) و طلبت منه هدنة مدّتها شهرا (20 مارس إلى 20 أفريل) للتفكير فقبل.

انتهت مدّة الهدنة دون أن تقرر الحكومة الاسبانية شيئا فعادت الحرب من جديد (ماي – جوان 1791) و قامت الحكومة الاسبانية بامداد قاعدتها بالجيش و السلاح دون جدوي "فزاد البلاء على الكفار.. واشتد عليهم ضيق البلاد".

و توفي الداي محمد بن عثمان (جوليا 1791) أثناء الحصار و خلفه حسن باشا، واستمرت المفاوضات و تزامنت مع شدة القتال و المعارك إلى أن انتهت بعقد الصلح. فوقعه الداي حسن باشا يوم 12 سبتمبر 1791 و صادق عليه الملك الاسباني شارل الرابع يوم 12 ديسمبر 1791. تنص المعاهدة على:

---

[32] المصدر نفسه : ص 247 - 248.

جلاء الاسبان من القاعدتين : وهران و المرسى الكبير في مدّة أقصاها 4 أشهر بعد التوقيع.

حق الاسبان في إقامة شركة تجارية بوهران مقابل دفع رسوم.

يقول أبوراس "و طلبوا أن يعقدوا بيننا و بينهم الصلح في الحال على أخذ البلد و اعطاء الالافات من المال و كتبوا بذلك للمنصور بالله فوافق على ما أحبه أكثر المسلمين وارتضاه.. و تحمل النصارى من المغارم أثقالها.. حينئذ و ضعت الحرب أوزارها.."

4.5. الباي محمد الكبير يدخل وهران

تصف لنا المصادر دخول الباي إلى وهران في يوم مشهود (5 رجب سنة 1206 حسب أبي راس) و كان من قبل، "ينظر إلى الاسبان وهم يرحلون" من ربوة بقرية كريشتل الساحلية[33].

و"جاء الخبر بذهابهم جميعا.. فبعث بالأعلام الاسلامية فنصبت على شواهق الأبراج" ثم أمر جنود المدفعية بتعمير الأبراج، عندئذ انتقل الجيش بقيادة الباي، يتقدمه طائفة من العلماء يقرأون البردة و يحملون على ظهر بغلة كتاب البخاري.

وعند استقراره بالبرج الأحمر، جاءته الخاصة للتهنئة، ثم كتب الرسائل إلى الأمراء و الملوك و بعث مفاتيح المدينة إلى الداي حسن باشا "و قد حل بها الإسلام أول الربيع و هو الرابع من رجب سنة ست و مائتين و ألف" و في اليوم الثاني، زار محمد الكبير المدينة و تفقد أبراجها "فلم يكونوا قد هدموا.. إلاّ مواضع لا إغاضة للاسلام فيها.. و أما دور السكني فكانت قد تهدمت بالزلزلة..غير أنهم جعلوا خارجها بين الابراج بيوتًا من اللوح رائعة الشكل، بديعة الوضع.."[34] و في اليوم الثالث أذن للناس بتعمير المدينة، فكان ابنه يشرف على توزيع المنازل عليهم و في اليوم الرابع، ركب البحر لتفقد برج المرسي ثم رجع واشتغل بالبناء و التعمير.. على إثر الفتح، كرَّمه الداي حسن باشا وألبسه "الجلنك" أي الرشية الذهبية التي توضع على العمامة.

---

[33] كان يراقب عملية الجلاء بواسطة منظار يسميه ابن سحنون "المرءاة"

[34] الثغر : ص 459 : كان مقررا وفق معاهدة الصلح أن يدمر الاسبان التحصينات التي بنوها بعد سنة 1732.

هذه المعلومات لا نجدها في العجائب، مايهم أبوراس هو عرض معطيات تتصل بالمخيال الاسلامي في الاقليم. يعقد مؤلفنا مقارنة بين معاهدة الجلاء و صلح الحديبية و يعتبر تحرير وهران تعويضا لضياع الاندلس. يعني تحرير وهران عودتها إلى الاسلام : ديانة التوحيد، فقد تطهرت من أوثان التثليث " فلا يسمع بها ناقوس ولا يرى صنم و لا كنيسة ولاراهب"[35] فقد غير الاسلام معالم النصاري "فلا نهي لهم ولا أمر.. فقد دفن الكفر بها.."

أما الباي محمد الكبير، فيعتبره "نموذج الأمير" الذي تحلم به الجماعة الاسلامية. يتميز بالحزم لأنه قاوم الفتن فأخضع القبائل المنشقة عن السلطة و مهّد البلاد، فحقق وحدة الدولة و المجتمع... وجاهد من أجل حماية دار الاسلام و فرض الأمن و الآمان "حتى أصبحت الشاه ترعي مع الذئب" فسياسته قائمة على العدل، يحفظ حقوق العامة دون التفريط في حقوق الخاصّة. يرعي شؤون العلم و العلماء، فبني المساجد و المدارس و جلب الكتب و أجرى الرواتب على الطلبة و شيوخهم.. عمرّ وهران فأحْيى تجارتها وأنعش الحرف و الصنائع "فعظمت على سائر أمصار المغرب"

إن جلّ شعر أبي راس في مدح هذا الباي، يقارنه بالملوك الكبار، رغم أنه باي يخضع لسلطة مركزية و يأتمربها، يبالغ في ذكر مآثره و في وصفها..

فـاق ملـوك الأرض طـرًّا كـأنهم ∴ نجـوم و هـو بيـنهم البَـدْرُ طـالع

فلـم يبلغـوا في الملـك مثـل محمـد ∴ و لا بـــذلوا كبذلـــه المتواســـع

كأنـــه شمـــس و الملــوك كواكــب ∴ إذا ظهـرت لم يبـد منهـا سـاطع

قد نخطئ إذا اعتبرنا أباراس شاعرا من شعراء البلاط، يمدح الامراء من أجل الكسب، ما يحرك قريحته الشعرية عاطفته الاسلامية الجياشة و حلمه بعودة عظمة الاسلام في ظل واقع تميز بتكالب الدول المسيحية وضعف الانظمة القائمة...

يحتوى الجزء الثاني من عجائب الأسفار على مباحث تاريخية كثيرة تفيد بلا شك الباحثين غير أننا اقتصرنا على تقديم أهمها و تركنا المباحث الأدبية لذوي الاختصاص..

[35] العجائب :الجزء 2.

نص

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار

الجزء الثاني

و يتلوه الجزء الثاني بعون الغني الكريم المشتمل على الفتح العظيم و الفخر الجسيم و مدح من منحه هبة فتحها و يسر عليه أمرها و كرمها و أذهب منها أهل التثليث و الأوثان، و خيم بها أهل التوحيد و الإيمان فارتبعوا في رياض الأمن و الأمان : أبا الفتوحات المنصور بالله الباي سيدي محمد بن عثمان، أعْلَى الله مَجْدَه ووصل سعده و تقبل سعيه.

قلت و الله المستعين و ليس الاعليه التكلان[36] بمنه و لطفه وجوده وطوله.

[36] هكذا في المخطوطين ومعناه التوكل

<u>حتـــى تـــداركها اللّــه برأفتـــه</u> ∴ <u>من بعد ما مضى لها مدة العـنس</u>

أي أن وهران لم تزل في أيدي الكفرة المضلين الفجرة حتى تداركها اللّه برحمته و عظيم رأفته التي لا يشوبها ازورار و لا شطط بأن وهب لأميرنا ملك المغرب الوسط فشمر للجهاد و بذل فيه الطريق و التلاد حتى أذهب من ثغر وهران أهل البغي والعناد أدام اللّه ذلك الثغر للإسلام بالنبي و آله عليه الصلاة و السلام فقد طال تضرع المسلمين إلى اللّه في فتحه و تعجيل نفعه و نجحه و توسُلهم إلى ربهم بالأنبياء و الملائكة و الأولياء، لا جَرَمَ أن اللّه أجاب دعاءهم و حقق رجاءهم. <u>تَنْبِيَةٌ</u> : قد جاء الشرع بجواز التوسل بأوليائه و ملائكته و أنبيائه لا سيما أشرف خلقه صلى اللّه عليه و سلم أنظر شرح المقري للشيخ السنوسي و الرأفة أشد الرحمة و العنس من عنس كسمع و ضرب و نصر عنوسًا و عناسًا و عنست تعنس بالضم عنوسًا فهي عانس إذا طال مكثها في بيت أبيها و أما العيس بالياء فهو ماء العجل[37] و لاحَدَّ للعنس عند أهل اللغة و أما الفقهاء فجعلوا له حدًا لكن اختلفوا فيه هل ثلاثون سنة أو ثلاثة و ثلاثون أو أربعون أو خمس و أربعون أو خمسون أو منها إلى الستين أقْوَال فعلى القولين الآخرين العَانِس تتداخل مع العجوز في بعض المدة و اعلم أن النساء اللواتي كن ملوك (كذا) في الجاهلية كالزباء ملكة الحضرة و بلقيس ملكة اليمن و بدران ملكة الفرس ونحوهم (كذا) يزعمن أن التزوج لا يجوزلهن حتى أن الزباء لمَّا راسلت جذيمة الأبرش[38] في أمر التزويج قال لها بعض بطانتها أحق ما تقولين قالت لا و اللّه و إنما بعثت له ذريعة للمكر و أن بلقيس امتنعت من التزويج حتى أسلمت على يد نبي اللّه سليمان صح أمرها به فالأكثر من العلماء أجمعوا على أنه زوجها من نفسه و أمر الجن فبنوا لها سَيْلحِين[39] و غمران بضم الغين و كان يزورها مرة في الشهر يقيم عندها ثلاثة أيام وَ قِصَّةُ التماس الهدهد لطلب الماء إنما كان باليمن و علماء بني إسرائيل ينكرون وصوله لليمن وإنما مَلِك اليمن بمراسلة سبأ و وفدت إليه بهدية مائة وعشرين قنطارًا من الذهب و لؤلؤ و جوهر و أصناف الطيب فأجازها

---

[37] العيس : الإبل البيض يخالط لونها ظلمه خفية

[38] جذيمة الابرش ملك عربي أسطوري أقام مملكته على نهر الفرات الادنى قبل ظهور اللخميين، تروى عنه قصص عجيبة و تشير اليه الأمثال العربية أغرته الزباء و قتلته.

[39] يقال له سلحين: مقام ملوك السبائيين بمأرب في اليمن.

و أحسن إليها و انصرفت و قيل زوجها من ذاتبع ملك همدَان و اسم أبيها شرحبيل بن الهدهاد بن عمر ذي الأذعار و هي بنت أربعين ملكا و أمها جنية و هذا أمر تنكره الملحدة و يقولون الجن لا يأكلون و لا يلدون بل يأكلون و يلدون و نكاحهم مع الإنس جائز عقلا فإن صح نقلا فبِهَا و نعمت و إلاّ بقينا على أصل الجواز العقلي و كان المنكر لم يقف على ماحكى عن مالك أن قومًا من أهل اليمن سألوه عن نكاح الجن فقال لا أرى به بأسًا في الدين انتهى وكان الشعبي[40] ذات يوم جالسًا في حلقته إذ سأله رجل عن اسم زوجة إبليس فقال ذلك نكاح ما شهدناه فاستضرف جوابه الحاضرون

و سيلحين و غمران حِصْنَان من أعاجيب الدنيا باليمن خربهما أرباط ملك الحبش لما استولى على اليمن لسبعين سنة قبل مولد النبي صلى الله عليه و سلم إلى أن أخرجهم منه سيف بن ذي يَزن الحميري و خرب الحبشة أيضا بنيون و في ذلك يقول ذو جدل شاعر اليمن في ذَلك الزمن :

لاَ تهلكن أسفا في أثر من ماتا ∴ هداك ليس يرد الدمع مافات

و بعد سلحين بين الناس أبياتا ∴ أبعدبنيون لاعين و لا أثرا

ومِمَّا ينخرط في سلك العنس و مفاكهة الزمن الألمس أن رجلاً تزوج امرأة على أنها شابة فإذا هي عجوز فلما رغب عنها أخذت تستعطفه عليها بأنواع الزينة و العطر فلما رأى ذلك قال.

عجوزا ترجي أن تكون فتنة ∴ و قد نحل الجنبان واحدودب الظهر

تدس إلى المعطار ميلة أهلها ∴ وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

و ما غرني الأخضاب بكفيها ∴ وكحل بعينها وأثوابها الصفر

وقال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء لما تكلم على ذات الجنب

يا صاح إني تزوجتُ عجوزة ∴ هي داء من الممات أشد

---

[40] الشعبي: أبو عمرو: عامر بن شرحبيل: محدث ولد بالكوفة سنة 19هـ كان ملازما للحجاج بن يوسف فاستقدمهُ الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى دمشق و أقام بها اشتهر بسفارته إلى الامبراطور بالقسطنطينية توفي بالكوفة سنة 110هـ كان معارضا لأهل الرأي في علم الحديث.

قـال ذات الجنـب ابتليـت بهـا ∴ مـالي لـذوذ بهـا و خـصمي ألـد

وكان رجل متزوج بعجوز و هو يزني لما سمعت به قالت له أتزني و لك حلال طيب فقال إما الحلال فنعم و أما الطيب فلا قال الحصين الشاعر في زوجته.

أطـوف مـا أطـوف ثـم أوي ∴ إلى بيـت قعيدتـه لكـاعُ[41]

وَقالَ أيْضًا

لقد كنت محتاجًا إلى موت زوجتي ∴ ولكـن قـرين الـسوء بَـاقٍ معمـر

فياليتهـا سـارت إلى القـبر عـاجلاً ∴ وعَـذْبُهَا فيـه نكـير و منكـر

بتقليـد المغـرب الوسـط لعُمْـدَتنا ∴ أضَاء شمسه بعـد حالـك الـدمس

أما القلادة ما يجعل في العنق و تقلد لبسها و ذُو القلادة الحارث بن ضبيعة و هي بكسر القاف و يقال لها السخاب أيضا كما في حديث الاستسقاء و المقلد كمعظم موضعها و بَنُو مقلد بطن و مقلدات الشعر وقلائده البواقي و تقليد البدنة شيئا يعلم أنه هدي قال البوصيري[42] في بردته.

إذ قلـداني مـا تُخْـشَى عواقبـه ∴ كـأنني بهمـا هـدى مـن الـنعم

وَ المغرب إحدى الأركان الأربعة و أما أغترب فهو إذا تزوج في غير الأقارب و غرب كسكر جبل بالشام و عنقاء مغرب بالضم و بالإضافة طائر معروف الاسم لا الجسم و قوله تعالى : (وغرابيب سود). فالسود بدل لأن توكيد الألوان لا يتقدم و حبلك على غاربك اذهبي حيث شئت و المغربون بكسر الراء المشددة في الحديث الذين تشرك فيه الجن سموًا بِهِمْ لأنه دخل فيهم عُرْفٌ غريب أو لمجيئهم من نسب بعيد و الوسيط بأن كلامه قريبِ و قولي لعمدتنا العمدة بالضَمِّ ما يعتمد عليه و يتكل

---

[41] لكاع : امرأة لئيمة

[42] البوصيري: شرف الدين : محمد بن سعيد: شاعر من صنهاجة ولد بأبي صير سنة 608 هـ (1213م). عاش في بلبيس و حضر دروس أحمد المرسي الصوفي توفي سنة 696هـ (1297م) له عدّة قصائد أشهرها البردة، أو "الكواكب الدرية في مدح خير البرية".

و الشمس معروف مؤنثة و الجمع شموس و ضرب من القلائد و صَنَمٌ قديم وعين ماء أبو بطن و الملكة بالضم و المُلك محركة شدة السواد وحلك كفرح فهو حَالك محلوكًا لك و الدمس يقال دمس الظلام يدمس و بدمس اشتد وليل دامس أي مظلم و دمست الشيء دفنته وأضاء أنار و أَبَان و أظهر. لَطِيَفَّةٌ: كان أبو نواس مدح خالصة جارية هارون الرشيد فلم تجزه فأتى إلى باب دار الخلافة و كتب على جبسه.

لقد ضاع شعري على بابكم ∴ كما ضاع الحلى على خالصة

فسمع بذلك هارون الرشيد فبعث إلى أبي نواس و ذلك قبل أن يرى بيت الشعر فلما أتى أبو نواس صفر حرف العين من ضاع و ضاع ثم دخل على رسله عند الخليفة فقال له ما هذا الهَجْوِ يَا أبا نواس فقال يا أمير المؤمنين ما قلت فيها هجوًا بل مدحًا و هاهو على بابك مكَتوب وعادة كتبة الشرق لا يجعلون صورة الهمزة وإنما يتركون قدرها بياضًا كما هو مشاهد في بعض كتبهم فبعث إليه الرشيد من يَقْرَأه فلم يتوهم فيه هجوًا و إنما تحققه مدحًا لبقاء موضع العينين المحفورتين ثم رجع للرشيد فقال أنشده لي فأنشده بقوله :

لقد ضَاءَ شعري على بابكم ∵ كما ضاء الحلى على خالصة

فاستضرفه الرشيد وأمَرَله بجائز فخرج أبو نواس و هو يقول لله دره من شعر كان لا يبصر فلما قلعت عينه أبصر و كان أبو نواس هذا يراود امة من خدم قصر الرشيد مدة طويلة على نفسها لظنه أنها بكر وهي تمتنع فلما ظفر بها وجدها ثيبًا أنشأ يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر ∴ مرقرقة الخدين ليلية الشعر

كلفت بها دهرًا على حسن وجهها ∴ طويلاً و مَاحب الكواعب من أمري

أراودها شيئا و قالت بغيره ∴ أموت به داء و دمعتها تجري

فلما تفاوضنا توسطت لجة ∴ غَرقت بها يا قوم مِنْ لجج البحر

فلولا صياحي بالغلام وأنه ∴ تداركني بالحبل صرت إلى القعر

وَ اَلْمَغْرِبُ عَلَى ثلاثة أقسام أقصى و أوسط و أدنى أما انتهاؤه فالبحر المحيط و أما ابتداؤه من المشرق فقيل بحر سويس و قيل بَرقة كما مرَّ فَاَلْمَغْرِب الأدنى هي أرض أفريقية الشاملة لقسنطينة إلى بجاية و طرابلس و برقة و قاعدته تونس و طرابلس و يمر به النهر الأعظم المعروف بواد مجردة يجتمع فيه سائر أودية أفريقية و يصب في البحر الرومي على مرحلة غربي تونس بموضع يعرف ببنزرت و أما برقة فقد درست معالمها و خربت أمصارها وعادت مجالات للعَرَب بعد أن كانت ديار اللواتة وهوارة و غيرهم من البربر و كانت بها الأمصار مستبْحِرَة مثل ازويلية ولبدة و برقة و قصر حسان[43] وأمثالها فعادت فيافا و مفاوز و البقاء لله و من أفريقية إلى طرابلس ديار نفوسة و نفزاوة و غيرهم و هي لهذا العهد مجالات للعرب من سليم و قد نسلوا رطانة الأعاجم[44] و تكلموا بلغة الغرب و تخلقوا بمشاعرهم و كذا نفزاوة و كتامة[45] و عجيسة وهوارة وَ أَمَا اَلْمَغْرِبُ اَلأَوْسَطُ فابتداؤه من بجاية إلى وجدة و لذا لما أكثر إسماعيل ملك المغرب الأقصى من الاجلاب على المغرب الأوسط وشنَّ فيه الغارات و تخطى مرة هو بنفسه إلى البطحاء و أناخ بها فزحفت إليه الأتراك فكان بينهم حرب عظيم على نهر اجديوية[46] ثم اختل مصاف أهل المغرب فانهزموا بعدما قتل منصور الرامي وزير ملك المغرب وذلك بعد استباح مازونة و بسناس وقرى أخرى ثم ذهب أمير حرب الأتراك وراءه فعملوا التخوم بينهم وَجْدَة و ماسامتها من الجوف إلى القبلة ولاشك من أنَّ هذا التختم كان معلوما قبل ذلك لاسيما وقد حضر لهذا الصلح علماء أخيار مثل سيدي محمد بن زاغو التلمساني[47] وأولياء كبار مثل سيدي سعيد و غيره و يقال أن أول من عمله زيري بن عطية المغراوي الذي اختط مدينة وجدة كما مر وهو في الغالب ديار زناتة من مغراوة و بني يفرن و مديونة و مغيلة و كيومة[48] و مطغرة و مطماطة ثم كان بعدهم لملوك بني "ومَانو" و بني يلوما ثم صار لبني عبد الواد و توجين من بني يادين قاله ابن خلدون، قوله ثم صار لبني ومانو الخ يقتضي أن مغراوة ذهب ملكهم بظهور ملك ما

[43] أزويلة أو زويلة : عاصمة فزان بليبيا تقع على مفترق الطرق الصحراوية. أهلها من الاباضية ولبدة : مدينة قديمة تقع مكان طرابلس الحالية. أما برقة فمكان بنغازي الحالية. و"قصر حسان بن النعمان" باقليم برقة في الطريق إلى مصر

[44] رطن رطانة الاعجمي : تكلم بلغته

[45] كتامة : آراضيها من القل إلى بجاية : و هي التي ناصرت الدعوة الفاطمية، ثم انتقلت إلى مصر

[46] جديوية : قرية ما بين غليزان و وادي رهي، تقع على مسافة 8 كلم من الأخيرة.

[47] ابن زاغو محمد : كان معاصر للشاعر المنداسي الذي عَاتبه على ميله للحكم العثماني. أما الصلح فحدث سنة 1699.

[48] (ب) كيومة أو كومية

خوخ من بني وَمَانُو و غيره مع أنه لم يذهب بل لم يزالوا مزاحمين لهم و لبني عبد الواد و بين نفرة و استقامة مع يغمراسن و بينه و بين ابن غانية و غيره كما مرَّ. فَعَمَّ عثمان بن يغمراسن قطع ملكهم من مازونة كما قطع ملك توجين تاقدمت[49] و قاعدة المغرب الأوسط لهذا العهد تلمسان و الجزائر مدينة صنهاجة كما مرّ و يمر فيه وادي الشلف لبني وَاطيل النهر الأعظم منبعه من جبل بني راشد و يدخل إلى التل من بلاد حصين و يجتمع فيه سائر أودية المغرب الأوسط مثل مينا و غيرها إلى أن يصب في البحر الرومي بين كلِميتو[50] و مستغانم و ينبع من فوهته نهر آخر مشرقا إلى أن يصب في سبخة ما بين توزر و نفزاوة من أرض الجزائر لكن حيث أطلق المغرب الأوسط عند أهل التواريخ و غيرهم فالمراد به الأيالة التي في حكم ملكنا و أميرنا المنصور بالله أبي الفتوحات سيدي محمد باي يدل لذلك ما في المعيار عن سيدي أحمد المريض[51] و غيره في غارة سويد و بني عامر أُنظر ذلك في نوازل الجامع منه إن شئت وَأمَا المَغَرْبُ الأَقْصَى فمن وجدة إلى أسفي حَاضرة البحر المحيط و قد ذكر ابن خلدون مرة أن حده وجدة كما ذكرنا وذكر مرة أن حدَّة ملوية و الصواب الأول و جبال دَرْنْ هي ديار المصامدة وبطيوة ممايلي عساسة ومعهم قليل من صنهاجة و قاعدة المغرب الأقصى لهذا العهد فاس و يمر فيه النهرِ الكبير المعروف بواد أم الربيع ينتهي مدده في البحر وقت الأمطار إلى سَبْعِين ميلاً عند أزمور و منبعه من جبال دَرْنْ و ينبع منها نهر آخر يمر ببلاد درعة إلى أن يغوص في الرمل قبلة بلاد السوس وَ ديار مكناسة كانت على نهر ملوية قديما و يسكنه هذا العهد أمم من زنانة و منبعه من جبال قبلة تازي و ينبع من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهبا إلى القبلة مشرقا بعض الشيء و يقطع العرق إلى دَبْدَة إلى تمنطيط ثم يمر إلى أن يصب في القفار و يَغُوص في الرمل على موضع مقابل قصور نخل تسمى "ركان" و في شرقه بودة مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحراء و في شرق تسابيت إلى مايلي الجوف قصور تيكورارين تنتهي إلى ثلاثة مائة أو أكثر في واحد واحد وهم من صنهاجة ووراءهم توات التي بها قبر الفقيه العالم سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي[52] معاصر

---

[49] تاقدمت مدينة أثرية قريبة من تيارت الحالية

[50] كلِميتو : قرية من ولاية مستغانم يقال لها السور

[51] أحمد المريض : أحمد بن العباس. عاش في القرن التاسع الهجرى : متكلم له شرح على رسالة الضرير في العقائد

[52] المغيلي الذي أنهى الوجود اليهودي بتوات [884-940]: ولد بتلمسان و درس على الشيخ عبد الرحمن الثعالبي انتقل إلى تمنطيط: عاصمة توات له رسالة في أحكام أهل الذمّة يؤكد فيها نقض الجالية اليهودية في

السيوطي[53] معارضه في تحريم علم المنطق وبين ساحل البحر إلى السوس أَرْضٌ يعمرها مِنْ حَاحَة[54] خلق كثير أكثرهم في حُمْرِ الشَّعْر أيْ منَ الشجر المعروف بأزكان يعتصرون من ثمره زيت شريف طيب الرائحة يأترمون به و يبعثوا (كذا) منه العمال إلى دار الملك هدايا فيستضرفونه و قبله جبال درن وطن كبير في عرض البلاد الجريدية و هو أيضا متصل من البحر المحيط إلى نيل مصر الهابط من وراء خط الاستواء في القبلة إلى الإسكندرية ذو عمارة عظيمة يخترقه واد السوس إلى البحر المحيط و يتخذون منه قصب السكر، و عند مصب هذا الوادِ من الجبَل في البسيط مدينة تاوردانت[55] بين مَصَبِّهِ في البحر و مصبّ واد ماسة مرحلتان و هناك رباط ماسة المعروف بتردد الأولياء و عبادتهم تزعم العامة أن خروج الفاطمي منه و منه أيضا إلى زوايا أولاد ابن نعمان مرحلتان في الجنوب أيضا على ساحل البحر و بعدها على مراحل مصب الساقية الحمراء و هي منتهى مجالات المغال في مشاتلهم و وَادِ نُون يهبط من جبال نكيسة يصب في البحر و على هذا الواد مدينة تاكهاوهت و بها سوق في يوم واحد في السنة يقصده التجار و هو مشهور لهذا العهد بمكانه. قُلْتُ أخبرني الطالب الأجل الناسك الأمثل شقيقي سيدي عبد القادر برد الله ضريحة و أسكنه من الفردوس فسيحه و كان ذا معرفة لتلك البلدان كما مر بها و تخطى إلى السودان إن ذلك السوق مازال يعمر مرة في السنة إلى الآن حسب عادته المتداولة و أيامه المتطاولة و كان إخباره لي بذلك كما سألته سنة أربع و تسعين و مائة و ألف و بلد إيفري بسفح جبال نكيسة و أرض السوس الكزولية و لمطة فلمطة ممايلي الرمل القفار و لما تغلب المعقل عليها، من عرب اليمن اقتسموها فالشبانات مما يلي دون لمطة من أحْلافهم و أكبر دوله من الأحلاف ذوي حسان ثم إن صنهاجة أهل اللثام المعروفين عندنا بالتوارك مساكنهم بين السودان و بين الرمال التي هي تخوم بلاد البربر متصلون بالبحر المحيط لهذا العهد في المغرب إلى ساحل النيل في المشرق وهُمْ الآن على اختلاف الكلمة و اختلاف السنين على عهدهم الأول و بعضهم يعطون الطاعة

الصحراء لعهد الآمان دَعَا إلى محاربتهم رغم معارضة فقهاء الصحراء غير أنه لاقي تأييد التنسي و السنوسي انتقل بين المغرب و السودان الغربي ثم عاد إلى تمنطيط حيث توفي كان فقيها و عالما في التوحيد و علم المنطق.

[53] جلال الدين السيوطي: عالم مصري اشتهر بغزارة إنتاجه الفكري [849 – 911 هـ] (1443 – 1505 م).

[54] حاحة : قبيلة بربرية كبيرة تقطن في أحواز السوس.

[55] تقع تاوردانت و ماسة في اقليم السوس بالمغرب الأقصى، أما رقان و بودة فتقع في الجنوب الغربي من صحراء الجزائر. و تكورارين يقال له "القورارة" قاعدته تيميمون تقع جنوب مدينة بشار بحوالي 500 كلم. و جبال نكيسة يقال لها حاليا الأطلس القديم. إن معظم هذه المعلومات مقتبس من كتاب العبر لابن خلدون.

لملك السودان و يغيرون في عسكره و لهم شرف بإرضهم و تمر عليهم القفول إلى السودان فكان أحب الشيء عندهم الدخان فيواسونه أهل الكبارية و يُغْيرُه على عادتهم و إن أراد أحدهم الأكل و هو في أهل الكبار تَنَحَّى قليلا و نصب درقته بينه و بينهم حذار من أن يروا فمه و إن ظفروا في غزوهم بمال يأخذون منه الإبل و البقر و أما الغنم فيأخذونها لحشمهم يقال لهم المعنادي و بيوتهم من الجلد و إن ذبحوا للضيف جمعوا له كل اللحم فيأكل و الباقي يتزود به و بايزائهم (كذا) رهط يقال لهم كُنْتَة ينتمون إلى بني أمية و الأنصار لم تتغير اللغة العربية عندهم إلى الآن هكذا أخبرني شقيقي سيدي عبد القادر المذكور رحمه الله فقبيلة المعقل عرب السوس الأقصى و لمتونة و تراكية في مقابلة ذوي منصور و مر الكلام على ملوك لمتونة و مسافة في مقابلة المغرب الأوسط و لمطة في مقابلة عرب الزاب و تراكيا في مقابلة إفريقية... إلخ و الخيل عندهم قليلة أو معدومة و يركبون من الإبل الفارة يسمونه النجيب و لهم مع بني سعيد من بطون رياح عرب وركيلا[56] وقائع و غارات إلى الآن و يغيرون أيضا على سوف و غدامس و فزّان و غيرهم أَمَّا أهل واركيلا فهم من بني يفرن و من مغراوة و أميرهم، يقولون له السلطان و على عشرين مرحلة إلى القبلة منحرفًا قليلا إلى المغرب بلدة نَكْدَة لصنهاجة و قد اجتاز بهم نفر من تجار مالي أيام عنان فاعطوهم إثنا عشر ألف راحلة زكاة و أما أهل فكيك وتيكورارين و توات وأكثر مصاب ملكهم صنهاجة و بعض مصاب من لماية و الله أعلم.

<u>ملـــك تقلـــدت الأيـــام طاعتـــه</u> ∴ <u>ففاقَ يحيى كثير الزحف و الريس</u>

مَرَّ الكلام على التقليد و القلادة حقيقية أو مجازًا و الطوق يُرادف القلادة و هو حلي يجعل في العنق و كل ما اسْتَدَار بشيء و الجمع أطواق و أصله ما في عُنْق الحمامة قال حسان بن ثابت للمزيني لما غَضَّ في بني جفنة لو لا سابقة قومك مع الرسول صلى الله عليه و سلام لطوقتك طوق الحمامة إلا أن الغالب في الطوق للصِّبْيَان و القلادة من السخاب للنساء و في المثل شبّ عُمر عن الطوق يضرب لِمَلَابس ماهو دون قَدْرِهِ و هو عمر بن عدي[57] و كان جميلاً فعشيقته رقاش أخت جذيمة فقالت له إذا أسقيَت الملك فسكر فاخطبني إليه فسقى عدي جذيمة فلما سَكَر قال له سلني ما

---

[56] واركيلا : أو ورجلان — حاليا ورقلة.

[57] نسخة ب: عمر بن عمر

أحببت قال زوجني رقاش أختك قال قد فعلت، فعلمت أنه سينكر إذا صحى (كذا) فقالت لعدي أدخل على أهلك ففعل و أصبح في ثياب جدد و طيب فلما رآه جذيمة قال ما هذا قال أنكحتني رقاش أختك البارحة قال مَا فعلت و جعل يضرب وجهه و رأسه و أقبل على رقاش و قال :

حَدثيني و أنت غير كذوب ∴ أَبِحُرِّ زنيت أم بهجين

أم بعَبْد و أنت أهل العبد ∴ أم بدون أونت أهل الدون

قالت زوجتني كفؤًا كريمًا من أبناء الملوك فأطرقَ جذيمة فلما أخبر عدي بذلك خاف وهرب و لحق بقومه هنالك و بقي فيهم حتى مات و علقت منه رقاش و أتت بإبن سماه جذيمة عمرًا و تَبَنَّاهُ وأحبَّهُ حبًا شديدًا و كان لا يولد له فلما ترعرع كان يخرج معه الخدم يجتنون للملك الكماة فكانوا إذا وجدوا الكمّة خيارًا أكلوها و أتوا بالباقي للملك و كان عمر لا يأكل و يأتي به للملك و يقول:

هذا جناني و خياره فيه ∴ إذ كل جان يده إلى فيه

ثم أنه أخرج يومًا و عليه حلي وثياب فَفقدَ زَمَنًا فلم يوجد في الآفاق ثم وجده ملك و عقيل أبنا فارح الأسَدِيَان كانا متوجهين إلى جذيمة بهدية فقال له: من أنت فقال ابن النتوخية، فقالا لجارية معهما: أطعمينا فأطعمتهما، فأشار عمر إليها أن تطعمه فأطعمته ثم سقتهما فقال ثم اسقيني فقالت أعطى العبد كراعًا فطلب ذراعا ثم أنهما حملاه إلى جذيمة فعرفه و قبله و ضمه إليه وقال لَهُمَا حُكْمُكما فقالا له منادمتك، فلم يَزَالا نديميه و بعث عمر إليه فأدخلته الحمام و ألبسته و طوقته طوقهُ و كان من ذهب فلما رآه جذيمة قال كبر عمر عن الطوق و قولي طاعته يقال : طاع له و يطوع و يطاع انقاد كانطاع و المطواع، المطيق كان أبو حازم كلم مسلمة بن عبد الملك في أمر قال له مَسلَمَة أَلَمْ يقل الله تعالى (أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم)، فقال له أبو حازم ألم يقل الله تعالى بعد هذه الآية (فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله و رسوله) فأفحمه و الزحف المشي يقال زحف إليه زحفًا زُحُوفًا مشى و الزحف الجيش يزحفون إلى العدو وقال تعالى (إذا لقيتم الذين كفروا زحفا). و إلربْس الشجاعة و إلربيس الشجاع و يحيي هذا هو ابن غانية المسوفي من الأبطال المشهورين و الشجعان المعدودين كان هو و أخوه علي ملوك (كذا) ميورقة ثم انتقلا و معهما أخواهما عبد الله و الغازي فملكوا بجاية من يد أبي الربيع عبد الله بن عبد

المؤمن سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة فلما سمع بذلك أبو الربيع بن عبد المؤمن و هو إذ ذاك والي القلعة بمتيجة زحف إلى ابن غانية ونهب عسكره ثم فتح الجزائر ثم مازونة و مليانة ثم ملك القلعة وزحف إلى قسنطينة فحاصرها ثم تخطّى إلى الجريد ففتحه ودوخ إفريقيا و لما هلك على قام بالأمر أخوه يحيى فأكثر تدويخ البلاد و مزاحفة العساكر و في بعض غزواته إنتهى إلى سجلمأسة ومَرَّة إلى تلمسان و مرة إلى مازونة ثم إلى مليانة و أباد تهارت فلم يعمر بعد إلى الآن و كثرت في الحروب موافقة و اتصلت مزاحفة و دام دأبُهُ على ذلك خمسين سنة و قد مَرّ الكلام عليه في الفرقة الثالثة من صنهاجة وكان هو و إخوته قبل حلوله ببجاية أكثروا تدويخ الكفرة في البحر و البر و يبعثون العلوج إلى هذه العدوة للبيع و أكثر بعثهم به إلى حضرة مراكش و فاس.

مؤيـد لَـوْ رَمَـي نَجْمًـا لأثبتـه ∴ ولَوْ دَعى دَبْيلاً لَبّى و ما أحتَبَس

مؤيد أي منصور و أصل التأييد القوة يقال أيدته تأييدًا فهو مؤيد قَوَيْتُهُ وتأيد القوى و رمي من الرمي بالنبل أو غيره و أرمي الناس في عصره "بَهْرَامُ جُور" من ملوك فارس حكى أنه خرج يتصيد و معه بعض حظاياه فقلن له صيّد القرن جماً فضرب ظَبيًا فأزال قرْنيه معًا في رمية ثم قُلن له صيّد المجَا قرنا فرمى نبليْن عن القوس بمقدار قدره فلزقا برأس الظبي موضع القرنين ثم قلن له إقطع الأذن و الظلف في رمية واحدة فضرب ظبيًا فجرحه في أذنه فلما حَكَّها بظلفه ضربه فقطعهما معًا ورماة العرب القارة قبيلة مشهورة به فلا يكاد أحدهم يُخطئ كما أشتهر بنو أبولخ وبَنُو أسد بالقافة و بنُوا لهب بزجر الطير وَ في المِثل أنصف القارة من رماها و كان نبي اللّه اسماعيل رَاميًا[58] و أرمي الناس على الإطلاق رسوله اللّه صه اللّه عليه و سلم. فقد برز إليه يوم أحد أُبي بن خلف وقد تناول صلى اللّه عليه وسلم حَرْبَة الحارث بن الصمت و هَزَّهَا صلَّى اللّه عليه و سلم، بيده حتى رضبها ثم رمي بها أبيا الجمحي في موضع رآه من لحمة من بين خلف الدرع فلم يخطئه فانقلب إلى أهله مجروحًا و مات بسرْف بين وادي فاطمة و التنميم و بسط ذلك في السير وقولي لأثبته أي أصابه و دبيلا بفتح الدال جبل عظيم بأرمينية وراء قالي قالا. قال

58 نسخة "ب" و في الحديث: أرموا يا بني إسماعيل فان أباكم كان راميا...

الأصمعي: كان لرجل من يَحْصُب على رجل من باهلة ديْنٌ فلما حلَّ دينه هرب الأعرابي و أنشأ يقول :

إذا حَلَّ دين اليحصبي فقال لَـهُ ∴ تــزود بــزاد واســتعن بــدليل

سيصبح فوقي أغبر الريش قاتما ∴ بِقَــالِي قَــلاَ مِــنْ واد دبيــل

قاله الأصمعي فأخبرني رجل أنه رآه مقتولا بقاليقالا و عليه نَسْرٌ أقتم الريش و القتمة بالضم لون أغبر ومعني لَبَّى أجاب و ما احتبس أي أمتنع لأن الحَبْس المنع و كسرت السين في قولي و ما احتبس للضرورة و قد استعمل فحول الشعراء كأبي نواس في وصف الدنيا وفُحُول البلغاء كالصاحب ابن عباد وزير بني بويه و قال الجوهري إن في مادة حبس حبسة و احتبسه بمعنى واحتبس أيضا بنفسه يتعدى ولا يتعدى و قد قال المأمون لأحمد بن أبي دواد ما حبسك عنا أي ما منعك من حضور مجلسنا كما قاله الواثق بن أخيه للمازني النحوي[59] أبي عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني و سبب ذلك أن جارية غنت حضرة الواثق بقول عبد الله الفرجي من ولد عمر بن عثمان بن عفان رضى الله عنه :

أظلــــوم مُــــصَابكم رجــــلاً ∴ ردَّ الــــسلام تحيـــــة ظلــــم

فاختلف من بالحضرة في إعراب رجل فمنهم من نصبه اسم لأَنَّ و منهم من رفع على أنه خبر وكانت الجارية نصبته فقيل لها و ما حجتك في نصبه قالتْ رَوَيْتُه عن شيخَي منصوبًا يعني المازني فأمر الواثق بإحضاره قال فَلما سلمت قال ممن الرجل قلت من بني مازن قال أي الموازن أمازن نعيم أم مازن قيس أم مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمني بكلام قومي فقال لي ما بسمك كأنهم يقلبون الهمزة باءًا و الباء ميمًا قال فكرهت أن أجيبه بلغة قومي لئلاَّ أواجهه بالمكر فقلت بكارٌ يَا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته فأعجب به ثم قال ما تقول في قول الشاعر أظلوم ألخ أيرفع رجل أم ينصب قلت ينصب يا أمير المؤمنين قال ولم قلت مصابكم مصدر بِمعْنَي أصابتكم فأخذ اليزيد في معارضتي فقلت هو بمنزلة قولك إن ضربك زيد أظلم فالرجل مَفْعُولٌ

[59] المازني النحوي : أبو عثمان بكر : إمام في الرواية و النحو. توفي على الارجح سنة 249 هـ بالبصرة. من مصنفاته : كتاب التصريف، و كتاب العروض و كتاب القوافي.

مصابكم ومنصوب به و الدليل إن الكلام معلق إلى أن تقول ظلم فيتم فأستحسنه فقال هل لك من ولد قلت بنية يا أمير المؤمنين قال ما قالت حين أتيتنا قال أنشدت قول الأعمشي :

أراك إذا أضـــــمرتك الــــبلاد ∴ تخـــــاف و تقطـــــع الـــــرحم

قال فلما قلت لها قول جرير لما سار لعبد الملك بن مروان بدمشق :

ثقـــي بـــالله لـــيس لـــه شـــريك ∴ ومـــن عِنْـــدَ الخليفـــة بالنجـــاح

قال على النجاح إن شاء الله تعالى ثم أمر لي بألف دينار ورَدَّني مكرمًا وقد كان قبل وَفْدِهِ على الواثق قال له يهودي أقرئني كتاب سيبويه[60] و قد بدل له مائة دينار فامتنع قال المبرد فقلت له و لم قال فيه آيات كثيرة من القرءان فنزهتْهُ عنه غيرة على كتاب الله قال المبرد فلما ذهب إلى الواثق و عاد قال لي كيف ترى يا أبا العباس رَددْنَا لَهُ مائة دينار فعوضنا ألفًا. أخذَ عن أبي عبيدة و الأصمعي و غير هما و قال بكار المازنى ما رأيت نحويًا يشبه الفقهاء إلاَّحيان بن هلال و المازني و نظيرُ هذا ما حكاه الشريسي قي شرحه لمقامات الحريري إن المأمون ذكر السداد بِكَسْرِ السِّين أي ما يسد به الشيء و قد فتح السين فقيل له يا أمير المؤمنين هو بِكَسْرٍ السِّين فسأل عنه النظير بن شميل فقال يا أمير المؤمنين السداد بفتح السين القصد فيٍ الدين و السبيل و بكسرها البلغة في الشيء و كلما سددت به شيئا فهو سداد قال أو تفرق العرب ذلك قال نعم و هذا عبد الله العَرجي يقول[61].

أضـــاعوني وأي فتـــى أضـــاعوا ∴ لِيَـــوْمِ كريهـــة و ســـداد ثغـــر

---

[60] سيبويه: لقب إمام مدرسة البصرة في النحو: اسمه: أبو بشر عمرو بن عثمان ولد ناحية شيراز و قدم البصرة في حداثته و درس علي الخليل بن أحمد. توفي عام 177هـ. خلف كتابا كبيرا في النحو يعرف بالكتاب لَهُ عدّة شروح منها شرح السيرا في كان يدرس ببلاد المغرب.

المبرد (ابو عباس) : محمد بن يزيد الثمالي توفى ببغداد سنة 286 هـ . إمام لَهُ كتاب الكامل.

[61] : عبد الله العرجي : عبد الله بن عمر بن عمرم بن عثمان : توفي سنة 120 هـ شاعر غزل نحا نحو الشاعر عمر بن ربيعة.

فأطرق المأمون ساعة ثم قال قبح اللّه من لاَ أدب له فأمر له بأربعين ألف درهم وزاده وزيره الفضل بن سهل ثلاثين ألف درهم قال فانصرفت بسبعين ألف سبب حرف أستفادوه مني انتهى وقال هذا البيت :

أُجَــرَّرُ في الجــامع كــل يــوم ∴ إلى الله أشكي لظلمـتي و صـبري

كــأني لم أكــن فــيهم وســيطا ∴ ولم تكــن نــسبتي مــن ءَال عمــر

و سبب قوله العَرجي هذا الشعر أنه كان يَتَشَبَّبُ بجيري أم محمد و إبراهيم إبني هاشم المنسوب له المدّ الذي تؤدي به كفارة الظهار بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة المخزومي و كان إذ ذاك ابن أختهما خليفة و هو هشام بن عبد الملك بن مروان فَشَكَيَا له فضيحتهما مع العَرجي و كان إبراهيم والي الحجاز إذ ذاك فقبضا على العَرجي و عذباه في الأسواق و الزقاق و المشاهد و ضَرَبَاهُ حتى مات رحمه اللّه فلمَّا وَلي الوليد بن يزيد الخلافة بعد موت عمه هشام فأمر بضرب إبراهيم و أخيه محمد حتى ماتا و قد كان إبراهيم قال له و هو يضرب يا أمير المؤمنين رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال "لا يضرب قرشي فوق عشرة أسواط إلاّ في الحدّ فقال له الوليد ذلك في الزمن الأول قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي[62] كنت حدثت الرشيد ليلة بقصة العَرجي فرق له ثم قال أخذ أحد بثأره فقلت الوليد بن يزيد يا أمير المؤمنين فتنفس الصعداء و قال فرجت عني فرج اللّه عنك همك فو اللّه أنني همت أن اقتل به جميع بني مخزوم ولِمَ سُمِّي العَرجي لأن له ضَيْعة ساكنا فيها يقال لها عرجة فنسب إليها و إبراهيم هذا هو الذي مدحه الفرزدق بالبيت المعقدة المشهورة عند البيانيين و هو قَوله :

ومامثلــه في النــاس الأَّمملكــا ∴ أبــو أمــه حــيّ أبــوهُ يقاربــهُ

[62] الموصلي: اسحاق بن ابراهيم: ولد بالري (جنوب شرقي طهران) سنة 150هـ (767م) و توفي ببغداد سنة 235هـ (850م): أشهر المغنّيين في العهد العباسي نشأ في بيئة فنية و ألم منذ صغره بحرفة الغناء تحت إشراف أبيه ابراهيم الموصلي الذي كان يطمع في أن يجعل منه خليفة لَهُ دون منافس و كان اضافة الى ذلك شاعرا مجيدا، ناظر العلماء و المغنين في مجالس الخلفاء العباسيين خاصة الرشيد و الواثق وضع أسس اجناس الغناء العربي الاصيل و طرائقه و دونها دون اللجوء الى قواعد الموسيقى اليونانية من تلامذته "زرياب" الاندلسي.

شـهم همـام بحـزم الملـك متـزر ∴ ومرتد النصر و في الحلْم ذو ظَحْس

الشهم هو الصاحب الثبات عند الحرب قوي الجناب إذا جالت الأبطال في الميدان و اختلفت رؤوس السنان قال خالد بن الوليد رضى الله عنه يوم اليمامة لَمَّا رأى بني حنيفة يسخنون سيوفهم الهِنْدَاوية للشمس.

أَلاَ تَرهبـوني بالحـسام المبرقـة ∴ فخالـد مـن دينـه علـى ثقتـه

و قال عنترة الفوارسي مخاطبا لزوجته عَبْلَة:

يُخبرُك بَدْر بن عمر أنَّنِـي رجـلُ ∴ ألْقي الحتوف بقلب قدس جبـل

و في القاموس الشهم الذكي الفؤاد المتوقد كالمشهوم و الجمع شهام و شهم ككرم و يقال أيضًا للفرس السريع النشيط القوي والهمام قال الجوهري الملك العظيم الهمة قالت ليلى الأخيلية في الحجاج لما وَفَدت عليه

إذا نـزل الحجـاج أرضًـا مريـضة ∴ تتبـع أقـصَى دائهـا فـشفاها
طبيب إلى الداء العُضال الذي بهـا ∴ غـلام إذا هـز القنـات شـقاها

فأجازها بخمسمائة دينار و قال لها قولي همام بدل غلام ثم إن الدراهم ردتها و قالت له عوضنيها نَعَمًا إبلاً إناثا ففعل و الحزم هو ضبط الأمور و متزر لبس الأزار وهو الملحفة و يؤنث كالميزر والإزور والإزارة بكسرهما و أيتزر به و تأزر به وَ لاَ نَقُل اتزر و آزر كهاجر ناحية بين الأهواز و رام هرمَز و إسم عَمُّ سيدنا إبراهيم عليه السلام و أما أبوه فاسمه تارح أو هما واحد و الرَّدَى معروف و الظحْس بالكسرة الأصل و النجار لأنه أدام الله سَعْدَهُ و أعلا (كذا) مجده ابن ملوك كرام و أهل جود و رئاسة و حلم و سياسة.

يقال فلان ظحس خير أي ذُو نِهَاية فيه و ظحس حلم و ظحَس جود بمعنى ذُو نهاية فيه فقولنا و في الحلم ذو ظحس ذُو نهاية في الخير يقال في ضده أيضًا. قال :

ظحس خير مجاعـة و لـيس لـه ∴ في الأرض حجرنا نظير ولا شَـبَهُ

أي نهاية في الخير و مجّاعة بشدّ الجيم من بني حنيفة وَحجر هي اليمامة هذا وقد كان ممدوحنا أبو الفتوحات بالغاية القصْوي في الحلم و الاناءة ورفع الظلم و كيف لاَ وهو ابن كرام أفاضل ملوك أماثل؟، قال الشاعر في سيف الدولة ملك بني حمدان :

تنسَّل من قوم جهابد دأبهم ∴ إذا غاب منهم سيد قَامَ صاحبهُ

نجُوم اهتداء كلما غاب شارق ∴ بَدَا آخر تاوي إليه كواكبه

أضاءت لَهُ أحسابهم ووجوههم ∴ داجي الليل حتى تضم الجذع ثاقبهُ

ومازال منهم حيث سار مسود ∴ تسير المنايا حيث سارت كتائبه

و قال عبد الله بن خليد المعروف بأبي العمثيل[63] مولي جعفر بن سليمان العباسي و كان كاتب عبد الله بن طاهر و أبيه وَ شاعر منقطع إليه و من شعره فيه :

يَامَنْ يحاول أن تكون صفاته ∴ كصفات عبد الله أنصت و إسمع

فلا نصتحك في المشورة و الذم ∴ حج الحجيج إليه فاسمع أودع

أصدق وعفّ وبرّ و أصبر و احتمل ∴ وأصفح وكافي وداري و أحلم و أشجع

وألطف ولنْ وتان وأرْفق وأتئد ∴ وأحْزم وجَدْوحَامي وأحْمل وأدفع

فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي ∴ وهَدَيْت للمنهج الأسدي المُهيع

وقال وقد حجب على باب ابن طاهر :

ساترك هذا الباب مادام إذنه ∴ على ما أرى حتى يخف قليلا

إذا لم أجد يوما إلى الإذن سَلّمًا ∴ وجدت إلى ترك اللقاء سبيلا

فبلغ تلك ابن طاهر وأمر بدخوله و لَمَّا أنشد أبُو تمام قصيدته البائية في أبي دلف التي أولها:

---

[63] أبو العمثيل: عبد الله بن خويلد: شاعر مجيد و كاتب بليغ، له في الوزير عبد الله بن طاهر مدائح توفي سنة 240هـ.

على مثلها مـن أربـع و ملاعـب ∴ أذيلت مصونات الدموع الـسواكب

و كان أبو العمثيل حاضرًا فقال يا أبا تمام و لم لا تقول ما يُفهم فقال له يا أبا العمثيل و لم لا تفهم ما يقال و قيل يوما كَفَّ عبد اللّه بن طاهر فاستخشى من شاربه فقال في الحال شوك القنفذ لا يؤلم كفَّ الأسد فأعجبه كلامه و أجازه و من قولنا في أبي الفتوحات سيدي محمد بن عثمان أتحفه الله بلطائف الرضوان و أسبغ عليه النعم و نفحات الإحسان.

ولاكـــن احـــسان الملـــك محمـــدًا ∴ دعـتني إلى شـعر في مدحـه بـارع
فـسار مـسير الـشمس في كـل بلـدة ∴ وهب كريح يَجْلُـب الغيـث نـافع
ففـاق ملـوك الأرض طُـرًّا كـأنهم ∴ نجـوم وهـو بينهـا البـدر طـالع
فقد سـادهم علمًـا و حلمًـا و نجـدة ∴ وبـالجود والأقـدام للكـل جـامع
تعـود بـسط الكَـفِّ حتـى لـو أنـه ∴ أراد انقباضـا لم تَطِعْـه الأصـابع
فقـد صـار لديـه الـسخاء سَـجية ∴ ومـازال مـشهورًا بـه و هـو يَـافع
فأحيـا دوارس الربـاع الـتي عفـت ∴ يقعد إبْني يحْيى و ابن عقبة نافع
فقد سـاواهم بـل زاد جـودًا علـيهم ∴ فجـــودهم إليـــه تـــال و تـــابع
أخو العدل و الإحسان بالعلم عامـل ∴ فـزال ارتفـاع المجـد منـه تواضـع
فقد سوى بين الناس بالحق فاستووا ∴ ومـا مثلـه للظلـم و البغـي دافـع
فأصـبح مغبـوط الـشمائل ماجـدًا ∴ لِمَا شُتَّ من شمـل المُرُوءة جـامع
عَـلاَ صـيته في كـل قطـر و بلـدة ∴ لَه في السماء المجد و السعد طـالع
تمـد لـه الجَـوزاء كـف مـصافح ∴ و يَـدنو لـه بَـدر الـسماء متواضـع
فكَّ الأساري المنصور في مجمع الوغا ∴ برمحٍ وسيف حوتـه المـوت شـارع
يكـسب لقلـب الجبـان شـجاعة ∴ و يألف منه الصبر مَـنْ هـو جـازع

في تدبير أمر الحرب فاق ابـن غمرسـن ∴ ونجْل زهـير وابـن طولـون رابـع
ورعـــى نظـــام و افتقـــاد رعيتـــه ∴ يراعـي حـدود الله بـالحق صـادع
لَهُ حلـم أحْنـف و في الجـود حـاتم ∴ ونجـدة عـنتر و سـعد الطلائـع
ورميـــة بُهُـــرَام وسَـــطوة جعفـــر ∴ وحـزم بـن عبـاد و بـذل مُجاشـع
فراســته للخيـــل بـــابن مكـــدم ∴ ومثَّــل أيــاس في التفـرس بـارع
وفــاق في علــوم الأدب ابــن قلــة ∴ وعبـد الحميـد و المُحَـاربي جـامع
ومحـــب لأوزان القـــريظ كأنـــه ∴ أخو الأزد أو من جاء في الملك سابع
سـريع إلى الجـواب كـابن جذيمـة ∴ وأشـــباهه مـــن الـــدهاة البلاتـــع
و كان أبـو الحجـاج نـصر ويوسـف ∴ و مـن قبلـه مـن الملـوك الـسمادع
و من بعده من عال عيسى وواطـس ∴ مـرين وزيــان و مـن جـاء تــابع
أولاد ملــوك الغــرب كــانوا أئمــة ∴ و كل فتى حَمَـى الجوانـب مـانع
فلـم يبلغـوا في الملـك مثـل محمـد ∴ و لا بـــذلوا كبذلـــه المتواســـع
وَلاَ مَهَّــدُوا أرضــا في سـبلها آمـن ∴ عـبير سـبيل مـن محـارب قـاطع
ولا غَـزوا عـن بعـد بزايـزاء مجهـل ∴ فـلا تهتـدى تـسير فيـه الطلأيـع
ولاصــــحبوا لغـــــزوهم لِمُـــــدافع ∴ وعـــرادات إلى العـــدو و وقـــارع
لهـــا أثـــراب بالـــصخور شـــهيدة ∴ و تسحبها علـب البقـال الـسوارع
ولأبطلــوا مكـــسًا كفعـــل أمامنـــا ∴ أبي عثمان ذي المجد سِرّ الطبائع
فمــن أراد عثــوًا أو بغيًــا وخدعــة ∴ فَلاَ الأرض تنجيه و لا الجو مـانع
فحكمــه عَــمَّ كــل دان و قاصِــي ∴ وإن ظـن إنّ المنتئـا عنـه واسـع
فأضحى و كسرى منه أخفض رتبـة ∴ وقيــصر لــورَِاه جــاءه خاضــع

---

[64] عين ماضي : مقر الطريقة التيجانية في الصحراء الجزائرية.

و ملـــك بـــن شمـــر و منـــذر ∴ ونعمـــان لويلقـــاه ظـــل يبـــايع
فللـــه ملكـــه العظـــيم فإنـــه ∴ يفـوق علـى ملـك الملـوك التبـابع
كأنــك شمــس و الملــوك كواكــب ∴ إذا ظهـرت لم يُبْـد مـنهن سـاطع
توشــح ســيفًا صــارمًا ذاحمايــل ∴ وغـــامر الأبريـــز أصـــفر فـــاقع
على هيكـل رحـب المناكـب أجـرد ∴ سـبوح مـن الجيـاد كالقـصر يـأنع
تُقــاد أمامـــه عتـــاق نجايـــب ∴ من لاحق أصـلها أو أعـوج ضـارع
عليها حلـي مـن كـل نـوع يزينهـا ∴ نفـــائس در في النقـــود رواصـــع
وألويـــة بالنـــصر يخفـــق ظلـــها ∴ جـوّ أمرهـا للحـين أبـيض ناصـع
كـأن طبولـه رعـود قواصـف لهـا ∴ أصـــوات في ضـــربها وقعـــاقع
ولا وهم في فعـل الأمـام كمـا مـضي ∴ فكـــل ســـرور بالمبـــاح بواســـع
وتتلوها أجنـاد يـضيق عنهـا الفـضا ∴ وكل فتي شـاكي الـسلاحين دارع
تـــراهم علـــى خيـــل عتـــاق ضـــوامر ∴ كتايبُ قد ضَاقت عليهـا الـشوارع
لـــه سمـــة حلـــم و رهبـــة هزبْـــر ∴ تفـاقم أمرهـا و قـد فـشا ذايـع
تجنـــب هـــداك الله بِدعَـــة ملحـــد ∴ يريـد ضـلال الغـي للرشـد مـانع
واقتـــضى ســـنة الرســـول محمـــد ∴ ودع عنك ماسواها فهـو جعـاجع
فَتَنبُـــت في أرض القلـــوب معارفهـــا ∴ فحبـدت الـسنة و بـئسَ البـدائع
وتحيـــي عزاهـــا هواهـــا فأصـــبحت ∴ عَــنْ طَاعتــه تَنْعَــا وهــي تنــازع
فلـــم تمتثـــل دَعـــواهُ زاد عُتُوَهَـــا ∴ وقـــالوا ببأســـنا الـــشديد نـــدافع
ومـــاهم بأبطـــال شمـــارخ في الـــوغى ∴ سـقوهم بكـأس مَلئُهَـا الـسم نـافع
زعـافوقهم سـقف الـسماء بـراحض ∴ ببونبـــة و نفـــط للحـــصن صـــادع

[65] سمغون : قبيلة بربرية بمقاطعة البيض في الجنوب الوهراني. الشلالين لعله قصر الشلالة بالجنوب الغربي– للجزائر.

صـواقع أرسـلت بتعجيـل هلكهـم ∴ وأخذٌ وَ سَبْي لـيس دونهـا دافـع

فأشكل مـاء عـين ماضـي[64] دمـاءهم ∴ وَذاك جــزاء مــن للطاعــة مــانع

فياعجـــب أتـــوا مهالــك جهـــرة ∴ وقـد عـاينوا مـا لاقَ مـن لا يبـايع

كمثل بـني الأغـواط شـرقي بلادهـم ∴ وسمغـــون[65] و الـــشلالين كوانـــع

وقد حاصـر وهـران حتـى أفتتحهـا ∴ ووجهـت تِلقـاءَ العـروات المـدافع

وجدد مـا أعفـى الأعـادي لرسمهـا ∴ و قد نشيت فوق الحصون المصانع

فملـك ءال منـديل تحـت سـلطانه ∴ مــدَّ لهــم مــن متيجــة إلى تــنس

أي أن إيالة آل منديل و هم بنو علي بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمان المغراوي تحت حكم أميرنا المنصور بالله أبي الفتوحات سيدي محمد باي و السلطان الوالي لأنه جمع سليط للدهر كان به يضيء الملك أو لانه بمعنى الحجة ومد امتد و انفسح و اتسع، و متيجة كسكينة بلد بإفريقية و تنس قرية على ساحل البحر الرومي منها خروج جماعة من العلماء و أما تنيس كسكين بلدة بجزيرة من جزائر بَحْر الروم قرب دمياط يُنسب إليها الثياب الفاخرة كانت متيجة من جملة أعمال البلكانيين أحد بطون صنهاجة و هم الذين اختطوا المديَّة كما مرّ. و لما دخل المعقل أرض المغرب وسط المائة الخامسة مع الهلاليين و نزلوا بأخر مواطن الهلاليين ممايلي ملوية كما مرَّ نزل إخوتهم الثعالبة بمتيجة و دخلوا في ولاية صنهاجة فلما أذهب بنو عبد المؤمن من الموحدين ملك صنهاجة استبد الثعالبة بالملك و سبب ذلك إن شيخهم المهدي لما قفل إلى المغرب أوائل القرن السادس، مرَّ بالثعالبة بمتيجة فأكرموه لغاية الأكرام وأخذوا عنه العقائد الأشعرية فَصاروا من جملة تلامذته و لما رحل عندهم إلى المغرب زودوه بما يحتاج و أهدوا له حمارًا في غاية الفراهة و لما حلّ بالمصامدة كانت بينه و بينهم مراسلات فلما غلب تلامذته الموحدون صنهاجة و أبَادوا ملكهم. استولى الثعالبة على ملك المدية و متيجة و كان لهم بالموحدين اعتزاز كبير ورياستهم، في بني سباع بن ثعلبة أجْدَادُ ولي الله سيدي عبد الرحمان أعظم أولياء الجزائر كان سباعٌ هذا إذا وفد على الموحدين لمراكش يجعلون فوق عمامته دينارًا يزن عدَدًا من الدنانير مبالغة في إكرامه لأكرامهم الأمام المهدي و كان الطلبة في حال سَيْرهِمْ مع الشيخ شيخهم المهدي من عند الثعالبة يزدحمون على الحِمَار الذي أهدوه (كذا) الثعالبة للشيخ و كان الشيخ أنذاك راكبا غيره و كثيرا يقول لهم أيها الطلبة أركبوا

عبد المؤمن على الحمار يركبكم على الخيل الموسومة و كان كذلك وقول ابن خلدون حتى اذهبه بنو مرين أي ملك صنهاجة ليس بصحيح و إنما الذي أذهب ملك صنهاجة من متيجة و المدية و الجزائر و مليانة و أشير و القلعة التي بإزاء مجانة و بجاية، إنما هو عبد المؤمن و بنوه من الموحدين وأيضا فإن المهدي إنما وفد على الثعالبة بمتيجة سنة عشرة من القرن السادس و كان أول ملك الثعالبة بتلك الأرض سنة ثمان و أربعين منه و أما بنوا مرين فلم تطأ عساكرهم تلك الأرض إلا في أيام يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني وقت محاصرته لتلمسان أوائل القرن الثامن و الله أعلم، بل لم يتمَّ لهم ملك المغرب الاَّ في سنة ثمان و ستين من القرن السابع أول ظهوهم ببساط فاس و المغرب سنة ثلاثة عشر منه و استمر ملك الثعالبة بالمدية و المتيجة إلى أن قتلهم و سباهم السلطان أبو حمو من ملوك بني عبد الواد في القرن الثامن فتلاشوا و اندثروا و البقاء لله وحده و أما مدينة أشير فخرَّبها أبو تافين[66] من ملوك بني عبد الواد أيضا و سبب غزو أبي حمو للثعالبة المذكورين أنهم ظاهروا يوسف بن يعقوب هم و أبو زكرياء الأوسط صاحب بجاية فلما مات يوسف وخلا لبني عبد الواد الجوُّ جهز أبو أحمد جندا عرمرما و عقد لابن عمه محمد بن يوسف بن يغمراسن وزحف إلى شيعة يوسف بن يعقوب فأبَادَ الثغالبة و حاصر بجاية. واستولى على مغْراوة و هرب أميرهم راشد بن محمد بن ثابت بن منديل إلى أبي البقاء سلطان بجاية من الحفصيين و استولى على توجين و الجزائر و استنزل منهما أبو علان الثائر بها في إثر إقلاع أبي البقاء عنها لما امتنعت عليه و كان ملك دلس من يد ابن خلوف ثم دخل العسكر إلى الزاب وَ دوخوا جيل ابن ثابت و شيدوا حصنا بأصفون[67] في أربعين يومًا و تركوا به جيشا ضخما فهدمه السلطان أبي يحيى زكرياء بن محمد الحياني سنة ثلاثة عشرة كان هؤلاء الثعالبة شيدوا بمتيجة و حولها ثلاثين حِصْنًا لما اتسعت لهم الدنيا و كان إذ ذلك منديل بن عبد الرحمان المغراوي ملك مازونة و مليانة و تنس و وَاجر ومَا وَالاَهَا إلى واد السبت فهو التخوم بينه و بين الثعالبة و كان يرادف عليهم البعوثات و يشن الغارات و كثرت المحاصرات حتى أذهب جميع مراسم بنائهم و هو الذي قتله ابن غانية صبرًا و صلبه على سور الجزائر كما مَرَّ. و قد قال ابن خلدون و يحيى بن غانية هو الذي خرب أرشكول

---

[66] هكذا في النسختين و لعلّه أبو تاشفين.

[67] قلعة بجوار بجاية، سوق حمزة البويرة الحالية. مرسى الدجاج : ميناء دلس الحالي و مينا : غليزان الحالية تقع على بعد 130 كلم شرقي وهران.

بسبب فتنة و الجعبات و شلف و حمزة و قصر عجيسة ورزقة و الخضراء و مرسى الدجاج و القلعة أي قلعة بني حماد و كذلك تاهرت الخربة التي يقال لها تيارت الآن محاذية لتاقدمت و مينا و كان جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي أمير الزاب لَمَّا هرب من بني عُبيد آوى إلى مغراوة فالقوا بيده زمام أمرهم و عليه مدار حربهم الذي قتل فيها عدوهم و عَدُوُّهُ زيري بن مناد و كان شيخًا كثير العطاء مؤثرا لأهل لعلم وَ مَدَحه محمد بن هاني الأندلسي يقول :

المَــدْنَفان مَــن البريــة كلــها ∴ جــسمي و طـرفٌ بَـابْلَىٌّ أحْـوَرُ

و المــشرفات الــنيرات ثلاثــة ∴ الـشمس و القمـر المـنير و جعفـر

و هو الذي بني المسيلة في حدود أربعين وثلاث مائة و استمر بمغراوة حتى زحف بلكين بن زيري بالعساكر إلى المغرب و عِلمَ جعفر أنه لا طاقة له به فهرب إلى الأندلس و قتل سنة أربع و ستين وثلاثمائة فقولي فملك ءال منديل إلخ مَا عَدَا مليانة فكان ملوكها بني وَرْسيفين بَطن من مغراوة و لم تدخل في ملك بني منديل إلا بعد تغلب أبي علي ابن الفقيه العالم أبي العباس عليها فلما زحف إليه جند المنتصر من تونس لنظر أخيه أبي حفص وفَرَّ منه أبو علي للعطاف، عقد عليها أبو حفص لبني منديل و قدمر بعض من هذا. تنس هذه التي حوصر فيها ابو عامر بن يَغْمُرَاسن أخو السلطان عثمان بن ثابت في البحر أقلع عنها و إليها ينسب الحافظ التَّنسي معاصر الشيخ السنوسي و أما تنيس التي قرب ديماط المارة فخرج منها ابن وكيع[68] الذي ذكره أبو منصور الثعالبي و قَال في حقه شاعر بارع و عالم جامع. برع على أهل زَمَانِهِ فلم يتقدمه أحَدٌ في أوانه و له كل بديعة تسحر الأوهام وتستعيد الأفهام، له ديوان شعر وتأليف بين فيه سرقات المُتَنَبي. مات سنة ثلاث و ثلاثمائة تسعين بتنيس ودفن في القبة التي بنيت له و تنيس هذه سميت باسم بانيها تنيس بن حام بن نوح عليه السلام:

<u>كـذلك مُلْـك تُجـين في أيالتـه</u> ∴ <u>كـذا الجـدار القـديم المـتقن الأسـس</u>

---

[68] ابن وكيع : الحسن بن على: توفي 393 هـ بتنيس. شاعر مجيد من آثاره "ديوان شعر" و "المصنف في الدلالات على سرقات المتنبى" و "منظومة في بحر الأوهام" و تنيس : جزيرة واقعة بين الفرصا و دمياط. خربت مند القدم و هي ملجأ للثوار.

مُلْـكُ آل يغمـور فيـه نظـرتهم   ∴   كَذلك ملك بني يَعلى الإفريني الروس

تجين من قبائل بني يادين على ما رأيته في ابن خلدون فإنه قال و كان بنو يادين من زناته و هم بنو عبد الواد و توجين و مصاب و بنو زَرْوَال و بنو راشد شيعة للموحدين من أول دولتهم فكانوا أقرب إليهم من بني مرين و نظرائهم إلى كلامه و في بعض نسخه زروال بدل زردال و بعض أهل النسب يعبرون عن يادين بداسين و هو ابن (زجيك) بن مادغس بن بربر و عكس البكري عن نسابة البربر ابن مادغيس يلقب بالأبْتر و هو أبو البتر من البربر و من ولده جميع زنانة فعلى هذا زنانة من البربر يشهد له ما قاله ابن خلدون في بعض المواضيع التي تكلم فيها على البربر و نصه وَ البربر قبائل كثيرة هوارة و زناتة و ضريس و مغيلة و مغراوة نفزاوة و كتامة و مَهْمود[69] و صنهاج و غيرهم و أصل مساكن تُوجين نواحي أنهار وَاصل ثم صاروا من جبل راشد إلى دراك و بلغت جنودهم ثلاثة ألاف فارس و منهم بنوا تيغرين و بنوا عزيز و لبني تيغرين اعتزاز و تجبر عظيم في القرن التاسع و العاشر و يدل لذلك ما في نوازل مازونة من أخذ بعضهم من بنات المرابطين أنظرها و أرضهم بإزاء ونشريس و أهل تلك الأرض يسمونهم و يطلقون عليهم إسم الأجواد المتعارف بأرضنا و استمر بنو توجين بتلك الأرض إلى زمن فتنة ابن غانية المشهور فأقامت بنو زغبة في القفار و بنو يادين في التلول و كان قسم بني تجين من تلك التلول ما بين قلعة سعيد[70] في المغرب إلى المدية في المشرق و قد مر سبب دخول زغبة للتلول بعد ذلك في أيام يغمراسن و كانت قبائل بني راشد بالجبل المسنوب لهم و هو الآن يعرف بجبل العمور و لما دخلوا التلول من جهة بني يادين فكان قسمهم منها أرض بني يفرن بعدما سكنوا قليلا بتسالة و رياستهم في بيت ابن عمران الذي مات سنة تسعين من المائة السابعة و أرض بني يفرن التي خلفهم فيها بنو راشد هي أرض غريس و قد اختطّ بها يَعْلَى أحد ملوكهم مدينة بإيفكان و لما غزا جوهر المغرب قتله و خربها و قد مر ذلك و خلفه ابنه يَدُّ فشرَّدَهُ بُلكين إلى المغرب الأقصى فتلاشى أمرهم بها و لذا خلفهم بنو راشد فيها بعد ذلك و كانت السيادة و المشيخة في قبائل توجين لبني عطية و لَّما غزا المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب مراكش أرض إفريقية و فتح قابس و أرض الجريد و فضَّ ابن غانية و قراقش الغزي ملك طرابلس

---

[69] لعله مصمود

[70] قلعة سعيد : تقع على مسافة 88 كلم جنوب شرق فاس.

و دوخَ تلك الأرض كان العباس بن عطية دليل طريقه ذهابًا و أيابًا و ذلك سنة أربع و ثمانين و خمس مائة و لم يتخذ الآلات و المراسم السلطانية على سنة الملوك إلا في سنة تسع و ثلاثين و ستمائة و أول من اتخذ ذلك عبد القوي المشهور ابن عطية أخو العباس المذكور و كذا بنو منديل لم يتخذوا المراسم السلطانية منهم إلا العباس و استمرت في عقبهم و سبب ذلك أنهم سهلوا أمر تلمسان على أبي زكرياء حتى غزاها و دخلت في طاعته فأذن لهذَيْن و منصور المليكثي من إتخاذ المراسم السلطانية قريعة ليغمراسن و كَيْدًا في نحره فاتخذوها جمرّة منه و قد مرَّ بعض ذلك وفي أيام يغمراسن غلبوا على المدينة و أخذوها من يد الثعالبة و لما حاصر الفرنج تونس أيام المنتصر بن أبي زكرياء جَيَّش زيان بن عبد القوي قبائل زناتة فأمَدَّ السلطان بتونس سبعة ألاف فارس و استمر ملكهم و عظم أمرهم حتى جهز إليهم عثمان بن يغمراسن عسكرًا ضخمًا لنظر أخيه أبي سعيد فاستولى على مُلكهم ثم انتجعوا و استقلت قدمهم بَعْدَ العثار لما حاصر يوسف بن يعقوب تلمسان ثم صاروا أبعد ذلك مع ملوك المغرب، و تونس بين نفرة و استقامة و حرب و سلامة إلى أن صاروا من القبائل الغَارمة لا سيما بنو تيغرين و أمثالهم (سنة الله في الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلا) و ما مر لنا عن ابن خلدون من إن توجين من بني يادين هو الذي جَزَمَ به غير ما مرّ َو لم يقل بخلافه لكن رأيت الشيخ الأستاذ العلامة أبو مهدي سيدي عيسى بن موسى التجاني ثم الزنداسي لما انتسب إلى توجين قال من أولاد سيدي العباس بن مرداس السلمي صاحب الرسول صلى الله عليه و سلم فعلى هذا يكونون من رهط ابن حبيب المالكي القرطبي[71] صاحب الواضحة و المستخرجة كثير السماعات من الأخوين مطرف و ابن الماجشون فتكون قبائل بنوا توجين على هذا من مضر بن نزار بن معد بن عدنان التاسع من أجداد رسول الله صلى الله عليه و سلم و لقد أخبرني من أثقُ به من العلماء أنه (رَأَى) بخط الوالي الصالح العالم الأجل المربي الأمثل سيدي أحمد بن عبد القادر دفين أرض التوميات و أبا عزم مكتوب على ظهر كتاب الشيخ و نصه:

فنحن بنـو العبـاس لا شـك أننـا ∴ أناس من الأنصار بالسيف نَضْرب

[71] ابن حبيب القرطبي (180-238 هـ) : فقيه مالكي. ألف في علم الحديث و التاريخ و الفقه: له "غريب الحديث" و "الواضحة في السنين" و"طبقات الفقهاء و التابعين" الخ
ابن الماجشون : عبد الملك بن عبد عزيز بن عبد الله الماجشون : مفتى أهل المدينة. توفي سنة 213 هـ.

و لا شك أن سيدنا العباس بن مرداس السلمي نصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوم حنين و جاهد في اللّه حق جهاده و ما أعطاه صلى اللّه عليه و سلم أقل من عُيينة من حصن الفزارة و الأقرع بن حابش التميمي إلاّ لعلمه صلى اللّه عليه و سلم من خالص الإيمان و حقيقي الإسلام و أما عُيَيْنَة و الأقرع فكانا حينئذٌ من المؤلفة قلوبهم فلذا أضعف لهما و قد قال العباس في ذلك:

أتجعل نهبي و نهب العبيد ∴ بين عُيينة و الأقرع

و ما كان حصن و لا حابش ∴ يعوقان مرداس في مجمع

و ما كنت دون أمري منهم ∴ و من خفضت اليوم لاَ يرفع

هذا و إني أخبرك عمن أثق به إنه رأى تأليف فيه ذكر بني يادين و أن تُجين اثنان: وَاحِدٌ شريف و واحد من زناته و إن الشريف يقال له توجين بواو بعد التاء مضمومة و اللّه أعلم ووجدت في كراسة منفردة إن ولي اللّه الشيخ سيدي يحيى بن راشد كتب إلى العلامة سيدي موسى بن عيسى المغيلي المازوني يسأله عن نسب عبد القوي فكان من جوابه أن عبد القوي من أهل البيت و ابنه محمد سلطان تاقدمت و له ثلاثة أخوة القاسم و سدوان و أشريط و ذكر إن أشريط عامله على جبل ونْشَريس و له عامل على أرض رهيو يقال له على بن عشيرة و أن السلطان محمد أضمر فيه الشر مرة فهرب إلى ولي اللّه سيدي واضح بن عاصم المكناسي[72] فبعث السلطان بمن يخرجه من عنده.

فابتلاه اللّه بمرض فَعَفَا عن ابن عشيرة و سار للشيخ بنفسه وزاره و قال له الشيخ لك جاريتان أختان لا بد أن تُحْرم واحدة منهما ففعل و ذكر أنه أي أبَا محمد توفي سنة ثلاث و ستين و ستمائة فبويع لولده مؤمن ثم عمر فمدة ملكهم سبعون سنة و انقرضت دولتهم على يد وانزْمار بن عرين بن يحيى من ذرية صَعْصعَة بن الحارث المخزومي حشد لهم ملك المغرب و قد مرّ لنا ما يخالفه عن ابن خلدون و غيره كل المخالفة و اللّه أعلم. <u>تنبيه</u>: و كما خرج من بني توجين ملوك عظام خرج منهم كذلك أولياء كرام و فقهاء أعلام الآن و فيما سلف توارثوا المرتبتين خلفا عن سلف.

---

[72] واضح بن عاصم المكناسي : توفي ما بين 1280- 1288 م دفين الواضحة ببلدية وادي رهيو. ساند يغمراسن و أشار عليه بتعيين ابنه عثمان خليفة له و دعاه إلى الرفق بالرعية.

و قد امتلأت الراشدية بصلحائهم و أجلة أوليائهم و كثرة علمائهم، و الذي أعرف من بطونهم بني أزندار و بني واكيمار و الله أعلم و منهم فرقة كبيرة بأرضهم الأولى بإزاء جبل راشد و قولي كذلك الجدار إلخ المراد بالجدار تلمسان مقلدا في ذلك أمام النحاة و أستاذ أهل القراءات و صاحب الغرائب و الحكايات مع العروض و اللغة و البيان العلامة أبا حيان رحمه الله فإنه جَزَمَ بأنه الجدار المذكور في القرآن هو تلمسان[73] القديمة و كان حَذو أكادير و معجزات الأنبياء تبلغ أكثر من ذلك و يشهد له قوله لما رحل من غرناطة إلى المشرق و مَرّ بتلمسان فلم يَقُمْ أهلها بواجب ضيافته :

أبلغ تلمسان ذمًّا إن مررت بها ∴ تُملأ به الأسواق و النادي و الجدار

قوم إذا استضافوا لم يطعموا أحدًا ∴ أ أنت خير أم موسى أم الخضر

مع زيادة أن ذلك شائع عند عامة المسلمين و خاصتهم هذا و قد رَدَّ ابن خلدون القول بإن الجدار في القرءان العظيم بتلمسان و قال أنه بعيد قال العلامة المقرّي في كتابه نفح الطيب تلمسان بلدة عريقة في التمدن و معناها تَلَمْسَان تجمع التل و الصحراء و لم يذكر تاريخ بنائها و لا من بناها قلت أما تاريخ بنائها فلم أفق عليه بعد البحث و أمامن بناها فهم بنو يفرن أمة قديمة من أمم البربر خرج منهم ملوك و أولياء و علماء وفَشَتْ فيهم الخارجية في وسط المائة الثانية حتى أن أبا قرة منهم كان من رؤوس الخوارج زحف إلى عمر بن حفص ولَدُ قبيصة بن أبي صفرة الأزدي عامل جعفر المنصور على إفريقية في أربعيين ألف و حاصرهُ بطبنة حتى صالحه فافرج عنه و ذلك سنة إحدى و خمسين و مائة ثم أن عمر بن حفص دخل القيروان فحاصره أيضا بنو يفرن و أبو حاتم و كانا في ثلاث مائة ألف و خمسين ألفا الخيل منها خمسة و ثلاثون ألف و كلهم من الخوارج الإباضية و أنقسموا على إثني عشر عسكرًا من جملتهم عسكر جرير بن مسعود في مديونة و عبد الملك بن سَكْرَدِيْد في صنهاجة و غيرهم و كان الظهور للخوارج و طالت الحروب بينهم و بين أهل السنة حتى قتل عمر بن حفص في بعض الوقائع سنة أربع و خمسين و مائة فصالح أهل القيروان أبا حاتم على ما أحب و إرتحل عنهم الخوارج و كتب أهل القيروان بكل ذلك إلى أبي جعفر المنصور فبعث يزيد بن قبيصة بن مهلب واليًا على إفريقية فزحف إليه الإباضية فكان مصاف القتال بطرابلس فقتل أبو حاتم و إنهزم البربر

[73] توجد رواية آخرى تؤكد أن الجدار المذكر في القرآن هو مدينة إنطاكية.

و حصدت شوكتهم و تفرقت أحزابهم و كانت حروبهم مع أهل السنة من لَدُن قتل عمر بن حفص بطبنة إلى انقضائها ثلاثمائة و خمس و سبعين حربًا و أزال يزيد فساد إفريقية و هدنت البلاد و قفل بنو يفرن إلى تلمسان و داموا على الخارجية إلى أن محاها منهم إدريس الأكبر و منهم بأرض إفريقية كثيرون في البسائط و الجبال و كذا في الزاب و بسكرة وَوَارْكَلاَ و غيرها و كانت تلمسان في ملك أهل المغرب منهم إلى أن فتحها عقبة بن نافع الفهري أيام معاوية و توالت عليها عمال الإسلام من المهاجر و غيره إلى أن أخذها منهم مولانا إدريس الأكبر ثم ابنه إدريس الأصغر ثم استولى عليها ابن عمه سيدي محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل بن حسن بن علي بن أبي طالب و افترقت أعمال بنيه بالمغرب الأوسط في أرشكول و تنس و حَمْزَة و غيره ذلك كما قسم محمد بن إدريس أعمال المغرب بين إخوته بَرًّا في جدته كَنْزة أم إدريس الأصغر و اتصل ملك بني سُليمان بها إلى أنْ أخذها منهم بنو عُبيد على يَدِ عمالهم مُصَالت المكناسي و ابن أبي العافية ثم راجع ملكها بنو يعلي بن الحسن بن صاحب إيفكان[74] إلى أن أخذها منهم بُلُكين بن زيري بن مناد الصنهاجي و حاصرهم حتى نزلوا على حكمه و نقلهم إلى أشير بتيطري و لم يبق بتلمسان إلا المستضعفين و لَّما هلك سنة ثلاث و سبعين و ثلاثمائة راجع بنو يفرن ملكهم بتلمسان و كان أميرهم يَدُّ لَّما حاصرهم بلكين فرَّ إلى المغرب ثم رجع و ملكها بعد موت بلكين بَورْكَلاَ وَ هرب عامِلُهُ منها و إتصلت بأيديهم إلى أن أخذها من بني يَدُو بن يعلي بن محمد اليفريني يوسف بن تاشفين سنة أربع و سبعين و أربعمائة و استعمل عليها محمد بن تينعمر المسوفي و بقيت في طاعة لمتونة سائر أيامهم ثم استولى عليها الموحدون سنة تسع و ثلاثون و خمسمائة ثم استخلصها منهم زمن الاعلام الشرقية جابر بن يوسف بن محمد العبد الوادي ثم ملكها بعده يغمراسن بن زيان و استمرت في عقبه إلى أن ملكها الأتراك و استولى عليها بنو مَرين مرتين و الحفصيون مرة — تلبية — ذكر الحافظ التنسي أن بَني زيان من ولد سَليمان بن عبد الله الكامل بن حسن بن حسن بن علي و هم آخر بطون عبد الواد و قد ذكره ابن خلدون غير ما مرة و أن بني عبد الواد زناتة لكن العلامة المسناوي[75] صلح كلام الشيخ بحيث لم يتعرض له بشيء غير أنه قال وَهْمُ في قوله أن سيدنا سليمان هو القادم لتلمسان بل الذي قدم إليها ولده.

---

[74] قرية كبيرة في دائرة معسكر تبعد عنها بـ 23 كلم.

[75] المسناوي : محمد بن أحمد الدلائي : توفي عام 1136 هـ كتابه "جهد المقل القاصر" انتصر فيه لمذهب السلف.

و قولي ملك آل يغمور الخ... يغمور هذا هو يغمراسن بن زيان البعد الوادي و قد رأيت في كتاب ابن الخطيب السلماني هذا الاسم و قد ذكر ابن خلدون في بعض المواضيع أن يغمراسن كان يرجع نسبه إلى إدريس ثم يقول إن كان هذا صحيحا نفعنا عند الله و أما الدنيا فقبلناها[76] باسيافنا و النسب إلخ. ذكره التنسي ليس فيه إدريس بَلْ أخوهُ سليمان كما مرَّ وَ الله أعلم و قد تلاشى أمرهم و أضمحل حزبهم شأن الأمم الذين قبلهم. و بقيت منهم الآن أوزاع متفرقة في الاقطار يقال أن بنى شعيب منهم كذا شوشاوة و أولاد موسى في العطاف و فرقة بجبل أوراس، قبلة قسمطينة (كذا) و من أبناء ملوكها شيخ شيوخنا ووسيلتنا إلى رَبِّنا الولي الفاضل والعالم الكامل صاحب المآثر المشهور بتقييد المناكر الذي خضعت له الجبابرة ودانت، سيدي أحمد بن ثابث، أتحفَه الله بالغفران و الفوز بالرضوان. و كانت قبائلهم في أيام ملكهم اثنا عشرة قبيلة و قد غمروا الآن و درسوا و من وجد منهم كمن ذكر فهو من أعداد القبائل الغارمة قد أذيقوا وَبَالَ القهر و حَظُّهُ الخسف و القسر. و قولي كذاك ملك بني يعلي الخ... قد مرّ الكلام على ملك يعلى و محله و أهله و بنيه. فلا فائدة في تكراره و جلبه. و يفرن بلغتهم هو الغار. و بقيت الآن من بني يفرن جماعة قليلة متفرقة في القبائل لا يكادون يعرفون بحيث لم يبق لهم تنجع و لا عاقلة تحمل و لا عصابة لصريخ. (سنت الله التي قد خلت في عباده). و مع هذا خرج منهم و من بني عبد الواد أولياء كبار و علماء جماهير منهم من يعرفه الخاص و العام لا سيما الافريني الذي ينقله السكتاني[77] في فن علم الكلام و قولي الأسس هو أصل البناء و كذا الأس و الأساس جمع الأس مثل عس و عساس و جمع الأساس الأسس مثل قذال و قذل و جمع أسس أساس كسبب و أسباب و في القاموس الأس مثلث أصل البناء كالأساس و الأسس و التأسيس بيان حدود الدار و رفع قواعدها و في القافية الألف التي ليس بينها و بين حرف الروي إلاّ حرف واحد.

---

[76] في رواية أخرى : "أما الدنيا فنلناها باسيافنا"

[77] السكتاني : عبد الله بن محمد بن على بن سعيد (أبو محمد) فقيه و أديب مشارك في الحديث و علم الكلام. توفي سنة 1169 هـ. له نظم في الطريقة الناصرية.

– اليفريني : محمد : توفي 1150 هـ : مؤرخ مغربي من القضاه : له في التاريخ : نزهة الحادي و في علم الكلام: طلعة المشترى في ثبوت توبة الزمخشري.

يقول النابغة الذبياني :

كلمـني إلـيهم يـا أميمـة ناصـب ∴ و لـيس أقاسـيه بطـئ الكواكـب

و التأسيس حرف القافية أسٌّ بالضم كلمة تقال للحية فتخضع و قولي نظرتهم النظرة الضمة و العيش و الغنا و الحسْنُ كالمنظور و النضارة[78] و النضر محركة نضر الشجر و الوجه و اللبن كنصر و فَرِح و خرج و الناضر الشديد الخضرة و يبالغ به في كل لون أخضر ناضر و النضر و النَظير و النظار الذهب أو الفضة و النظر كنانه أبو قريش و النظير فأمير من يهود خيبر منهم نَظَر بن عبد الله شيخ الواقدي ونظيرة كسفينة جارية أم سلمة و الرأس سيد القوم و رئيس ككيس و الجمع رؤوس و رأس عين بالجزيرة و رأس المال أصْلُهُ و الضمير في فيه. من قولي فيه نظرتهم يَعُود إلى الجدار بمعنى تلمسان ففيه مجاز مرسل و هو تسمية الشيء بجزء منه تأمل و لابد.
تتمّة : قال الفيروز باذي في قاموسه ففي باب السين تلمسان بكسر التاء و اللام قاعدة مملكة المغرب ذات أنهار و أشجار و حصون و فرض و هي الترس أي الأرض الغليظة و على ذلك قول الشاعر :

أَلا قُل لـمن يقطـع الارض سـبحا ∴ ويطـوى الفـلا روجهـا و الفرضـا

ينــزل روضًــا خــصبًا و حــصنًا ∴ منيعًــا وظــلا يقيــه الرمــضا

تَــــيَمَّم تلمــــسان دَارُ العــــلا ∴ فقل مـارجوت وَ تحـوي الغرضـا

<u>لطيفة</u> : حكي أن شاعرين كانا بتلمسان أحدهما يقال له ابن المعرف و الآخر يقال له عرق الظبية و كانا لا يسلم أحد من لسانهما و قد ضربا ذات يوم ضربًا شديدًا و انتبذا إلى غار في مزبلة وقعدَا فيه فوجدهما رجل فزولهما[79] و أدخلهما داره و هو لا يعرفهما فأتَى لهما بمصباح فقال أحدهما : ومصباح كأن النور منه، فقال الأخر محب المحيا إذا تجلى

قال الأول : أشار عَلَى الدجا بلسان أفعى فقال الآخر يستمر ذيله هاربا وَوَلّى.

فلما أطعمهما ذلك الرجل و عرفهما قال لهما.

---

[78] كتبت ناضر بالقرن و هي خطأ.

[79] زَوَّلَ : عبارة دراجة تعني أبعدهما.

لا تجتمعا بأرض فإن اجتماعكما يضّر بالمسلمين فصرف أحدهما للمغْرب و الآخر للمشرق. و كان السلطان أبو حَمُّو موسى بن يوسف بن يغمراسن هو المشهور بسيادتهم و واسطة قلادتهم و حضرته مقصد الوفد و مطلع الجود و مهلة الآمال و محط الرحال و في أيامه قدم أبو زيد و أخوه أبو موسى[80] ابنا الإمام العالمان المشهوران فَبَنَى لهما المدرسة المشهورة بهما لهذا العهد و كانا أخذا العلوم بالشام و بمصر و الحجاز و طار لهما هناك ذِكْرٌ و لما قتل أحد الفتاك محمد بن أبي زيد بن الإمام احتال الشيخ علي قاتله حتى قتله بأمر أبي حمو و وفد عليه أيضا سيدي عبد الجليل البِجَائي تأجراً فَعَرَّفَهُ به ابنا الإمام فأكرمه و لم يأخذ منه مكساً وأعطاه مائة دينار و وفد عليه عالم الشرفاء و شريف العلماء الإمام أبو عبد اللّه[81] الطاير الذكر و مكث بتلمسان في ظل أنعامه و رغد إحسانه و كان السلطان كثير السؤال عن غوامض العلم و من إحسانه أنه أعان أهل الأندلس على العدو بالميرة و السلاح و النقد و غير ذلك مما يحتاجونه و كان يحتفل بمولود النبي محمد صلى اللّه عليه و سلم غاية الاحتفال و أبلغ التَنويه و الإجلال و رحمه اللّه تعالى

لشَعبَن[82] و مُصاب مـدّتْ طاعتـه ∴ على مسافات شتى من أبي الضرس

لما قدمنا ما تحت حكمه من الأيالات الملوك و الوزراء و رعايا السلاطين و الأمراء بالتلول ذكرنا هنا أيالته من الشمال للجنوب من البحر الرومي إلى شَعْبَن و هو قطر سمي باسم من حَلَّ به من العرب في حدود أوائل المائة السادسة و إليه تنتسب القبيلة المشهورة الكبيرة و ذلك قِبلة القصر الأبيض على مسافات تزيد خمسة أيام من أبي الضرس و الذي بإزاء الشط في أرض حميان أحد بطون بني يزيد و كذا مُدَّتْ أيالته أيضا إلى جبل مصاب سمي ذلك الجبل باسم الذي حل فيه من لِماية أخوة المداغر و يقال له مزاب بالزاي و معهم أخلاط من صنهاجَة و غيرهم من البربر و لهم بذلك الجبل مدن مثل غرداية و غيرها و معهم سنيون يقال لهم بني مرزوق يعرفون عندهم بالمالكية و من بني مصاب أهل القرارة و بعض أهل واركلا و غير ذلك الذي لَقِيَ أَسْلافهُم الخارجية من شيخهم أبي الخطاب و هو تعلمها من منبعها بالعراق

---

[80] أبو زيد: عبد بن محمد: إمام مجتهد توفي بفاس سنة 743هـ

أبو موسى: عيسى بن محمد: توفي سنة 750هـ

[81] أبو عبد اللّه محمد: توفي في سنة 771هـ: شارح الجُمل للخونجي

[82] يقصد قبيلة الشعابنة ذات الأصل العربي ومواطنها الحالية متليلي بولاية غرداية.

و قد قال سعيد بن المُسَيِّبْ رضي اللّه عن أهل العراق أهل الشقاق و النفاق و أصلهم فيها عبد اللّه بن أباض كان في زمن التابعين و نجدة و مرداس أبو هلال في زمن معاوية و نافع بن الأزرق الذي تنتسب إليه الأزارقة و عبد اللّه بن وهب الراسبي في زمن على رضي اللّه عنه و غيلان في زمن عمر بن عبد العزيز رضي اللّه تعالى عنه إلى غير ذلك و من تلامذة أبي الخطاب عبد الرحمان بن رستم بن دَسْتان صاحب حرب القادسية أي رستم أبو عبد الرحمان و هو الذي اختط تاهرت بسفح كزول متوجهة للسرسو و قد مرّ ذلك و من لماية في المغرب الأوسط كثير و هُمْ على السنة و الجماعة كأهل فرندة و الحوارث و ما انضم إليهم و اللّه أعلم و كان أهل قرى جبل راشد و بنو الأغواط و من حولهم متمردين على الطاعة و يقطعون السبل حتى غزاهم أميرنا المنصور باللّه فَدوّخَ تلك النواحي كلها و أزاح ملكها و كُنْتُ قلت في ذلك:

فإن المقانب لأرض قد قعدت	∴	من نحو شهرين لم يظهر له خبرا
أَمَّ بني الأغواط يبغي منازلهم	∴	من بعدما دوخ الأرباع و العمر
يجر بحر خميس لديارهم	∴	بشجعان حوله كالأسد المصر
وَطِئَ ساحتهم رغما و قهرا لهم	∴	لم يطها قبل شعبان لا ابن ير
فحاربوه هنيئا ثم انهزموا	∴	و الجيش إثرهم كماء منهمر
لم يقصِم ترس أسوار و لا ديار	∴	لكورة النفط في بنائهم أثر
فألقوا لسِلمَ برُهون مقضيةٍ	∴	و أذعنوا لطاعة لسيد الأمر
فأوصاهم بطاعة اللّه خالقنا	∴	و طاعة الرسول و من قلد الأمر
لعين ماضي أتى من بعد ذا قاصداً	∴	قتال تجين و من لهم انتصروا
همّوا بحربه ثمّ انهزموا فرقاً	∴	يقَصْرهم حَلَّ ثمّ الويل و الشر
مهد أرض الصحراء بعساكره	∴	فسوى ذا السيف منهم بمن يختمر
سار مسير زحل في منازله	∴	و هبّ كالرياح في الأرض و البحر
ملكه ملك رحمة ليس يشبته	∴	كِبَرٌ و لا هو في أحكامه مبر
فعَّال للخير يسعى في مواطنه	∴	كم من سنة سنّها تبقى مد الدهر

فمنهـا أمـن الطـروق[83] في أيالتـه ∴ أمنـه الله يـوم البَعْـثِ و النـشر

و قولي و العمر هم أولاد عمر بن عبد مناف بن هلال و قولي على مسافات و الواحدة مسافة من السوف و هو الشم و الصبر و المساف و المسافة و المسيفة بكسر أَلِفٍ لأن الدليل إذا كان في فلاةٍ شم ترابها ليعلم أعلى قصدٍ أمْ لا فكثر الاستعمال حتى سموا البعد مسافة و السايفة الرّملة الرقيقة و كان أحمد القسطلي[84] الأندلسي كاتب المنصور بن أبي عامر و شاعره و هو معدود من الشعراء المجددين و العلماء المقدمين أنشد قصيدة يعارض بها أَبَا نواس في قصيدته التي مدح بها الخطيب التي منها

أجَـارة بيتينـا أبـوك غيـور ∴ و ميسور ما يرجى لـديك عـسير

و ذلك يأمر المنصور بن أبي عامر و هي

ألم تعلمـي أن النـواء هـو الـشوق ∴ و أن بيـوت العـاجزين قبـور

تخـوفني هـول الـسفار و إنـه ∴ لتقبيـل كـفّ العـامري سـفير

دعـيني أرِدْ المفـاوز آجنـا ∴ إلى حيـث مـاء المكرمـات نَمـير

فـإن خطـيرات المهالـك ضُـمَّنٌ ∴ لراكبهـا أنَّ الجـزاء خطـير

و لَمَّا تـدانت للـوداع و قـد هفـا ∴ بقلـبي منهـا أَنَـةً و زفـير

تناشـد في عهـد المـودة و الهـوى ∴ و في المهـد مبغـوم النـداء صـغير

و لو شاهدتني و الهواجر تلتظـي ∴ علـيَّ وَرَقْـرَاق الـسراب يمـور

أسـلط حـرَّ الهـاجرات إذا سـطأ ∴ عَلَى حُرِّ وجهي والأصيل هجـير

و أستنشق النكبـاء و هـي بـوارح ∴ و استوطئ الرمـضاء و هـي تُفـور

لبان لها إنـي مـن الـضيم جـازع ∴ و إني على مضّ الخطوب صـبور

---

[83] الطرق: جمع تكسير دون الواو.

[84] القسطلي الأندلسي : أبو عمر، أحمد بن محمد بن العاصي بن دراج (343-421هـ) شاعر المنصور بن عامر و كاتبه. من قرية تقع غربي الأندلس. شُبِّهَ بالمتنبي.

أمير على غول التنايف ما له ∴ إذا ريع إلا المشرفي وزير

و من قصيدة الخطيب هذه:

أما دون مصر للغنى متطلب ∴ بلى أن أسباب الغِنا لكثير

ذريني أكثر حاسديك برحلة ∴ إلى بلدة بها الخصيب أمير

إذا لم تزر أرض الخصيب رحالنا ∴ و أي فتى بعد الخصيب تزور

فتي يشتري حسن الثناء بماله ∴ و يعلم أن الدايرات تدور

فما فاته جود و لا حَلَّ دونه ∴ و لكن يصير الجود حيث يصير

فمن كايك أمسى جاهلا بمقالتي ∴ فإن أمير المؤمنين خبير

و منها:

زها بالخصيب السيف والرمح في الوغى ∴ و في السلم يزهو منبر و سرير

جواد إذا الأيدي كففن على الندا ∴ و من دون عورات النساء غيور

فإني جدير أن بلغتك بالمنى ∴ و أنت بما أملت منك جدير

فإن تولني منك الجميل فأهله ∴ و إلاّ فإنّي عاذرٌ و شكور

يقال أنه لما عاد إلى بغداد أراد أن يمدح الرشيد قال له أي شيء تقول فينا بعد أن قلت في بعض بوابنا إذا لم تَزُر الخ فأطرق ساعة ثمّ رفع رأسه و أنشده:

إذا نحن أَثنينَا عليك بصالح ∴ فأنت كما نثْني و فوق الذي نَثْني

و إن جارت الألفاظ يوما لمدحه ∴ لغيرك إنسانا فأنت الذي نَعنِي

مات القسطلي سنة إحدى و عشرين و أربعمائة منسوب إلى قسطلة مدينة بالأندلس أعادها الله تعالى للإسلام، آمين.

فمهد الكل برخص و عافية ∴ قد أمنوا كلهم عواقب الفلس

أصل المهد الموضع يهيئ للصبي و الأرض إذا أزال همَّها ثم استعمل في غير ذلك يقال مهد بني فلان إذا أصلحهم و أزال منهم ما لا ينبغي و الرخْص ضدّ الغلاء و قد رخص ككرم و بالفتح الشيء الناعم و الرخيص الناعِمُ من الثياب و الموت الذريع و أرخصه جعله رخيصا و العافية دفاع الله عن الغير و عافاه الله[85] من المكروه معافاة و عافية وهب له العافية من العلل و البلاء كأعفاه و المعافاة أن يعافيك الله من الناس و يعافيهم منك و عفى عليهم الخبال[86] تعفية ماتوا و استعفت الإبل التيبيس و أعفته أخذته بمشافرها مستصفة و عواقب واحدةٌ عاقبة و هي آخر كل شيء و العاقب الذي يخلف من كان قبله في الخير و العُقْبَة بالضم النوبة و البدل و الليل و النهار لأنهما يتعاقبان و من الطاير مسافة ما بين ارتفاعه و انحطاطه و يعقوب اسم إسرائيل عليه السلام ولد مع عيصو في بطن و كان معلقا بعقبهِ و المعقبَات ملائكة الليل و النهار و استعقبَّه و أعقبه طلب عورته وثنية العقاب بدمشق و بَعْقُوب[87] بلدة ببغداد و اليعقوبيون جماعة محدثون و عبد الملك بن عقاب ككتان مُحَدّث و الفلس عدم النيل من أفْلَسَ إذا لم يبق له مال كأنما صارت دراهمه فلوساً أو صار بحيث يقال ليس معه فلسا و فلسهُ القاضي تفليسا حكم بتفليسه و مفاليس بلدة باليمن و قال عياض المفلس صار ذا فلوس بعد أن كان ذا ذهب و فضة و أول من فلس زمن الخلفاء أسيفع جهينة حكم بفَلسه عمر رضي الله عنه و قال الرسول صلى الله عليه و سلم " إياكم و الدَين فإن أوله هَمٌ و آخره حَرْبٌ" بسكون الراء و يقال بفتحها أيضا و قال صلى الله عليه و سلم "مطل الغنى ظلم" و من لطائف الحكايات إن كُثَيْرا[88] وجد عزة جالسة إلى جانبها امرأة فقال

قضى كل ذي دين فوفّى غريمُـه ∴ و عــزة ممطــول معــني غريمهــا

و قالت لها صاحبتها و في أي شيء مطَلت كُثيرُ، قالت لها و عدته بقُبْلة قالت لها صاحبها ارتجالا: فأنجزها له و حُلي إثمها. قال ذو الرمة و اسمه غيلان

[85] "و العافية من العلل والبلاء كأعفاه الله" (نسخة ب).

[86] الخبل والخبال: الجنون و فساد العقل

[87] يقال لها بعقوبة كذلك: محطّة على طريق القوافل بين سهول العراق و جبال فارس (طريق خراسان) على بعد 40 ميلا شرقي بغداد على الشاطئ الغربي لنهر ديالي.

[88] كثير عزة: شاعر شهير توفي سنة 105 هـ

تطـيلين ليـاني و أنـت مليـة ∴ و أحسن يا ذات الوشاح التقاضيا

و قال الشاعر أبو عطاء السندي:

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه ∴ شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

و صار على الأذنين كلاً و أوشكت ∴ صلات ذوي القربى له إن تنكرا

فَسِرْ في بلاد الله و التمس الغنى ∴ تعيش ذا يسارٍ و تموت فتعذرا

و لا ترض بعَيْشٍ دونٍ و لا تنم ∴ و كيف ينام الليل من كان معسرا

و قال عروة بن الورد:[89]

دعيني أسعى للغنى فإني ∴ رأيت الناس شرهم الفقير

و أبعدهم و أهونهم عليه ∴ و أن أمسى له حسب و خير

يباعده القريب و تزْدَريه ∴ خليلته و يقهره الصغير

و يُلْفَى ذو المال و له جلال ∴ يكاد فؤاد صاحبه يطير

تنبيه: و في شرح العلامة الشريسي على مقامات الحريري قال الرسول صلى الله عليه و سلم: "علّمني جبريل دعاء لقضاء الدين و هو أن يصلي إذا زالت الشمس أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الفاتحة و آية الكرسي و قل هو الله أحد، فإذا سلّم قرأ (قل اللهم مالك الملك إلى غاية قوله بغير حساب) ثم يقول : يا فارج الهمّ يا كاشف الغمّ يا مجيب دَعْوة المضطّر يا رحيم الدنيا و الآخرة ارحمني رحمة تغنيني بها عمن سواك و اقض دَيْني" و في الشريسي أيضا دعاء للفرج بعد الشدة و هو : "يا ودُودُ يا ودُودُ يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما تريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك و أسألك بقدرتك التي قدرت على خَلْقِكَ و أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلاّ أنت يا مغيث أَغِثْنِي، ثلاث مرات" قال

---

[89] عروة بن الورد العبسى :توفي سنة 30 قبل الهجرة (549 م) : شاعر من شعراء الجاهلية (الصعاليك) كان يسرق الأغنياء ليطعم الفقراء، له ديوان شعر شرحه ابن السكيت.

المأمون الناس أربع طبقات بين إمارة و تجارة و صناعة و زراعة، و قال بعض العلماء:

طلبـت فنـون العلـم أرجـو بهـا ∴ فخـانني عمّـا سمـوت بـه القـل

لاشـك أن العلـم ذو شـرف جـلا ∴ و إن وجود المال فيه هـو الأصـل

كان ابن قبيصة بن محمد بن هارون بن إبراهيم زيد بن قَبيصة بن المهلب الأزدي الوزير كان قبل الوزارة في فقر عظيم و كان اشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال:

ألاَ مـــوت يُبَـــاع فأشـــتريه ∴ فهـذا العـيش مـا لا خـير فيـه

ألا مـوت لذيـذ الطمـع يـا فتـى ∴ يخلـصني مـن العـيش الكريـه

و إن أبـصرت قـبراً مـن بعيـد ∴ وَدَدْتُ لَـوْ أنـني مِمَّـا يليـه

ألا رحـم المهـيمن نفـس حـر ∴ تـصدق بالوفـاة علـى أخيـه

فسمعه رَجُلٌ يقال له عبد اللّه الصوفي فاشترى له لحما بدرهم و طبخه و أتى به إليه و افترقا و تقلبت بالمهلبي الأحوال و تَوَلَّى وزارة معز الدولة ابن بُوَيْه و ضاقت الأحوال بالذي اشترى له اللحم و بلغه وزارته فَقَصَدهُ و كتب إليه:

ألا قـل للـوزير فِدْتَـه نفـسي ∴ مقالـة مـذكر مـا قـد نـسيه

أتـذكر أن تقـول لـضنك عيـشي ∴ ألا مـوتٌ يبـاع فأشـتريه

فلما وقف عليها تذكرهُ و هَزَّهُ عرف الكرم فأمر له في الحال بسبعمائة درهم و أوقع تحت كتبه: (مَثَلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه كمَثَل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة و اللّه يضاعف لمن يشاء) ثمّ دعَا به فخلع عليه و وَلاّهُ عَمَلاً و مَدَحَهُ أبو إسحاق الصابي بقوله:

لـه يـد برعـت جـوداً لنائلـها ∴ منطـق درّه في الطـرس ينتثـر

فحـاتم كـامن في بطـن راحتهـا ∴ و في أناملـها سـحبان مـستتر

فأجازه و محاسنه كثيرة مات سنة اثنين و خمسين و ثلاثمائة و دُفن ببغداد بمقابر قريش و رثاه حسين بن الحجاج في قوله:

عَــز وا القــوافي بــالوزير فإنهــا ∴ تبكــي دمًــا بعــد الــدموع عليــه
مــات الــذي أمــسى الثنــاء وراءه ∴ و العفــو عفــو الله بــين يديــه
هدم الزمان بموته الحـصن الـذي ∴ كنُــا نفــر مــن الزمــان إليــه
فلــيعلمن بنــو بويــه إنــه ∴ فجعــت بــه أيــام آل بويــه

كان متسع الصَدْر رافع الهمة بياض الكف مُجيبَ الأُدباء و كان القاضي عبد الوهاب ببغداد في ضيق عيش فلما أتى إلى مصر كثر عليه الخير و لما حضَرته الوفاة قال الله أكبر فلما عشت و متُّ و رأيت أن أذكر ببيتين لا تنطبق عليهما الشفتان أنشدهما الزجاج النحوي[90] و هما :

أتينــاك يــا جــزل العطيــة أننــا ∴ رأينــاك أهــلاً للعطايــا الجزايــل
عقيل الندى ياحار عدنا عقيلـة ∴ نَعَـدكَ ذخـراً للحـسان العقايـل

و قال أحمد بن الورد هذا الشعر و ليس فيه حرف معجم بل كلها عواطل من النقط:

علــم العــدو ملالــة اللــوام ∴ و دام[91] صَدّك و هـو صـدّ حمـام
لـولاك يـا حـدر الـسهاد دموعـه ∴ و لمــا أطــارَ كِــرَاهُ حــر أوام
هــل مــا أســرّ و لا أمــؤل رادع ∴ هــمّ الهمــوم و روح الأحــلام
رد الـسلام و مـا عـداك مـسلما ∴ أراك أهــل هَــوَاء ســرّ الكــلام
كم من حاسد لك أو مُـصِدٍّ ودادِه ∴ و معلــل أهــداه طــول مــلام
صــلّوا و ســلمّوا علــى محمــد ∴ و هـو حامـد و محمـود الأعـلام

و قال بعضهم:

---

[90] الزجاج النحوي: أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السرّي بن سهل. توفي سنة 311 هـ من مصنفاته: كتاب معاني القرآن و الأمالي و "الاشتقاق و العروض" كان يخرط الزجاج فَلُقِبَ بصنعته.
[91] نسخة ب: دوام : إبن الورد المحلي : توفي 983 هـ : عالم فقيه

قوم إذا أخذوا الأقلام عن غضب ∴ ثـم اسـتمدوا بهـا مـاء المنيـات

نالوا بها من أعاديهم و إن بَعدُوا ∴ مـا لم ينـالوا بحـدّ المـشرفيات

محمد بـن عثمـان نجـم سـعدهم ∴ رصد من كلف يَصْمي و من سجس

محمد عطف بيان من عُمْدَتِنا أو بدلٌ منه و هو أبو الفتوحات المنصور بالله طالع السعادة و مستحق السيادة و واسطة القلادة كعبة الجود و الأمل و مقصد الوفد كسلفه الأول لقواعد المعالي مؤسس و شايد أنارت له الأداني و ضَاءَتْ له الأباعد و سَعَدَ كمنع ، سعدا و سعوداً و السعادة خلاف الشقاوة و سعود النجوم عشرة سعد بلاع و سعد الأحبية و سعد الذابح و سعد السعود و هذه الأربعة منازل للقمر و سعد ناشرة و سعد الملك و سعد البهام و سعد الهمام و سعد البارع و سعد المطر و هذه الستة ليست من المنازل كل منها كوكبان بينهما في المنظر نحو ذراع و في العرب سعود كثيرة و لمّا تحَول الأضبط بن مريع السعدي من قومه انتقل في القبائل فلما لم يجدهم رجع إلى قومه و قال بكل وادٍ بَنُو سعد و السَعْدَان نَبَتٌ من أفضل مراعي الإبل و منه مرعى " و لاكالسعدان" و حمام سعد موضع بطريق حاج الكوفة و الذي يعرف علم النجوم و الحساب بمقتضاهما يقال له مُنَجِّم و قال مُهذِبُ الدين :

دع المُـنجِّم يَكْبُـوا في ضـلالته ∴ إذا أدعى علم ما يجري به الفلك

تفـرد الله بـالعلم القـديم فـلا ∴ إنـسان يـشركه فيـه و لا ملـك

أعـد للـرزق مـن أشـاركه شـركا ∴ و بيت العدتان الشرك و الـشرك

و من لطائف خاتمة البلغاء أبي الحسن الصفاقسي في مدحه الشيخ سعادة القاضي مضمنا ذلك تورية بديعة و طالبا منه أن يكون عنده شاهد عدالة موريًا بذلك أيضا بقوله :

إلى من حلّ في أفق السعادة ∴ و خصّ بالرياسة و السعادة

و مـن وطـئ الـسماك بأخمـصيه ∴ و مبـسوط الـذراع لـه وسـادة

لعـدلك أشـتكي مـن جـور دهـر ∴ يبـالغ في معانـدتي اجتهـاده

لأنـك قـد ملكـت لـه قيـاداً ∴ و كـف سـواك مـا ملكـت قيـاده

و مـن بلـد تأكـد فيـه ذمـي ∴ علـى أن لا يـذم فتـى بـلاده

و قد شاهدت فيها الفضل نقصًا ∴ و فيهـا الـنقص فـضلا و الزيـادة

و كم من شـاهد قـد غـاب فيهـا ∴ و كـم مـن غائـب نـال الـشهادة

و هـا أنـا إن مـت ممـا ألاَقِـى ∴ فـأدرك ممـاتي بالـشهادة

فلا أخشى و أنت معي شقاوة[92] ∴ و هل يـشقى فتـى و لـه سـعادة

و قولي رصداً أي حرص و حفظ و الراصد للشيء الراقب له و الرصد الترقب و أرصدت له أعددته له و في الحديث "إلاّ دينار أرصده لدين علي و المرصاد الطريق و الرُصدة بالضم الربية و أرض رصدة التي مطرت و تَرْجَى لا تنبت و الكلف سواد في صفرة و الكلفاء فحركة شيء يعلو الوجه و لون بين السواد و الحمرة و حمرة كدرة تعلو الوجه و الأكلف الذي كلفت جرته فلم تصف من الدبل و غيرها و الكلافي عنب أبيض فيه خضرة و كلف كفرح أولَعَ و أكلفه غيره و التكليف الأمر الذي يشق عليك و المتكلف المتعرض لما لا يعنيه.

و من اللطائف التي تناسب هذا المقام و تدرجٍ في هذا المرام أن جارية أُهْديت إلى يزيد بن المهلب فقال ما أحسنها لولا أنها خنساً فقالت ارتجالا:

لـن يـسلم القمـر لحـسنه ∴ كـلا و لا الظـبي الـذي يوصـف

فالبـدر فيـه كلـف بـيّن ∴ و الظـبي لـه خـنس يعـرف

فاستظرف كلامها و قبلها و قولنا يصْمِي، قال الشيخ الأزهري[93] في شرح البردة بضم الياء القَتْل و بفتحها العيب و السجس الماء المتغير، يقال سجس الماء بالكسر إذا

[92] نسخة ب: شقاء

[93] الأزهري : خالد بن عبد الله : توفي سنة 905 هـ (1500م). عنوان شرحه "الزبدة في شرح البردة"

تغير حكاهُ أبو عبيدة، أنظر الجوهري في القاموس، سجس كفرح فهو سجس و يسجس تغير و سجسان بالكسر بلد و الساجيس غنم لبني تغلب و الدليل في أن الوهم هو العيب من كلام العرب قول ذي الرمة و اسمه غيلان:

على وجه شيْن مسحة من ملامة ∴ و تحت الثياب الوَصْمُ و لو كان بَاديا

أي و تحت الثياب العيب و في بعض كتب الأدب الشين بدَلَ الوصم. يحكى أنها لما سمعت هذا البيت اعترضته و كشفت له عن بعض جسدها فرأى ما أخجله و أدهشه و قالت أعَيْبٌ ترى لاَ أُمَّ لك و أرادت إقحامه فقال ارتجالا:

ألم تـر أن المـاء يخبـث طعمـه ∴ و لو كان لون الماء أبـيض صـافيا

فضحكت و قالت له ما يكفيك إلاّ أن أقول لك ذق هيهات فعند ذلك قال:

فيا ضيعة شعري فلج بي الهـوى ∴ بمـي فلـم أملـك ضـلال فؤاديـا

<u>لطيفة و مضحكة</u>: اشتاق أعرابي البنين فتزوج امرأة ولدت له بنتاً فقال:

قد كنـت أرجـو أن تكـون ذكـرا ∴ فـشقها الرحمـان شـقاً منكـرا

شـقاً أبـالله لـه أن يجـبرا ∴ مثـل الـذي لامهـا أو أكثـرا

الأصمعي قال: خاصم أعرابي امرأته إلى زياد فشدد على الأعرابي فقال أصلح الله الأمر أن خير عمر الرجل آخره، يذهب جهله و يكثر حلمه و يجتمع رأيه و إن شرّ عمر المرأة في آخره، يسوء خلقها و يحد لسانها و يعقم رحمها. قال له: صدقت خذ بيدها. و خاصم أبو الأسود الدؤلي مطلقته عند معاوية رضي الله عنه في حضانة ولده فقال لمعاوية أنا أحق به قال له و لِمَ، قال حملته قبل أن تحمله و وضعته قبل أن تضعه فقال معاوية للمرأة: ما قولك، فقالت يا أمير المؤمنين أنا أحق، قال و لِمَ، قالت لأنه حمله خفيفا و حملته ثقيلا و وضعه شهوة و وضعته مشقة فضحك معاوية و حكم لها به.

<u>مُـدّة سـت و سـت مـن إمارتـه ∴ حلّ العذاب بأهل البغي و الفلـس</u>

المراد بأهل البغي و البلس كفرة وهران عبدة الأصنام و الأوثان و البغي الظلم و لا ظُلم أعظم من الكفر و الشرك بالله تعالى و من يشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيداً، قال تعالى: (و الكافرون هم الظالمون) و في القاموس بَغَى عليه يبغي علا و ظلم و عدل عن الحق. و فئة باغية خارجة عن طاعة السلطان و البغايا الطلائع تكون قبل ورود الجيش و البغي الأمة أو الحرة الفاجرة و من لطائف الحكايات و لذيذ المطارحات أن النساك من سادات الصوفية مرَّ براهبة في شد و كدّ في عبادتها و قد لبست المُسُوح فقال لها: هذه الحقيقة و أين الحق أي التوحيد الذي تبنى عليه هذه العبادة التي أنت عليها، فقالت له بديهة و أنت من، قال رجل من المسلمين فقالت و أنت على الحق و أين الحقيقة، أي أنت على التوحيد و أين العبادة التي خلقت لأجلها و لخدمة الله تعالى. و البلس بالتحريك من لا خير عنده أو عنده أبلاس و شرّ و الجمع بُلس و بلاس و بَلَس موضع بدمشق و بلدة بين واسط و البصرة و بلسة ببلدة سجيلة و معنى البيت أن أهل وهران حلّ بهم العذاب من ابتداء ولايته و كان نصره الله أمدّ تقلد ولايته المغرب الأوسط سنة ثلاث و تسعين و ألف فكان إذ ذاك أكثر همته مصروفه لحربها و التضييق عليها[94] و شنّ الغارات على من يوجد بساحتها نحوا من اثني عشر سنة إلى أن حاصرها محاصرة الفتح و هذا معنى قولي مدّة ست و ست إلخ... و يأتي تتمة ذلك في البيت التي بعد قولنا عمر كل مرصد إلخ...فرتب لمضايقتها جند أنزله في موسلان و مسركين[95] فسُّرَ بذلك جميع المسلمين و اشتدت به أركان الملّة و الدين و أحسَانُهُ إلى ذلك الخير عند أهل الإسلام متعارفة و أفضاله كل حين لديهم مترادفة لا برح ميزان كماله راجحا لا يدخله نقص و حسناته كاملة لا يعتريها وقص و لا معْص[96] حتى أنّ الكفرة لم تحظَ بالمسرة يوماً لازدياد الأمير عليهم كل يوم همّاً و يرادف عليهم كل ساعة غمّاً و لقد كان أحق بقول أبي الطيب المتنبي في سيف الدولة: سلطان العرب

حتى أقام على أرباض خرشنة ∴ تسقى به الروم و الصِّلْبَان و البيَع

[94] شرع محمد الكبير في حصار وهران سنة 1780، أي 12 سنة قبل تحريرها حسب بعض المصادر. في الواقع كان يرابط بها لمدة، و بعد زلزال أكتوبر 1790 حاصرها حصارا شديدا إلى أن فتحها.

[95] قرية تبعد عن وهران بـ 15 كلم. موسولان أو موسلان: موضع بين قرية سيدي الشحمي و وهران. لا دليل على أنها قرية بل بئر حسب الخرائط الاسبانية.

[96] الوقص: الكَسْر و المعْص: النُقْص.

للقتل ما ولدوا للسبي مـا نكحـوا ∴ للذهب ما جمعوا للنـار مـا زرعـوا

و لقد كان سيف الدولة هذا محبّاً للجهاد كثير الغزوات و الفتوحات و الزعوفات، لقد طالت مواقفه مع الكفرة حتى فتح قاعدتهم خرشنة و مع هذا كان مقصد الوجود و مطلع الجود و قِبْلة الآمال و محط الرحال في أهل الفضل و الأفضال و مأوى الشعر و الأدباء و ملازم العلماء و الخطباء حتى أن صاحب خطبه الجمعية و موعظاته الجهادية، الولي الصالح ابن نباتة[97] رضي الله عنه و نفعنا به نفعا لنا عن الرشد يُحْيِيه، كان كثير الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه و سلم في النوم و قد قال له يا خطيب و تفل فيه فلم يأكل ثمانية عشرة يوماً كما قال ابن خلكان رحمه الله و كثرت خطبه في الترغيب في الجهاد لما رأى سيف الدولة لا يفتئ عنه، هذا و قد اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ الشعر و نجوم الدهر ما لم يجتمع لأحد و اختير له من مدائح الشعر فيه عشرة آلاف بيت و كان له أشعار راقية و أسجاع فائقة و من شعره في قوس قزح

و سـاق صـبيح للـصبوح دعوتـه ∴ فقـام و في أجفانـه سـنة الغمـض

يطوف بكاسـات العقـار كـالنجم ∴ بَنَّ بـين مـنقض علينـا و مـنقض

مات سنة ست و خمسين و ثلاثمائة و دفن بميافارقين عند أمّه و كان قد جمع له من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئاً يعمله لبنة بقدر الكف و أوصى أن يوضع خدّه عليها في لحده و كان امتد ملكه إلى دمشق و غيرها.

عمّـر كـل مرصـد كـان مـسلكهم ∴ بالخيل و الرّجل مع حلق العسس

المرصد موضع الغرّة حيث يرصدون و المسلك مِنَ السلوك و يقال سلك المكان سَلَكًا و سلوكًا و سلكه غيره و فيه و أسلكه إيَّاه و أسلك يده في الجيب أدخلها فيه و السلكة بالكسرة الخيط يخاط و الرَجْل بفتح الراء و سكون الجيم جمع قال تعالى

[97] ابن نباتة السعدي: (أبو النصر) هو عبد العزيز بن محمد التميمي السعدي من شعراء سيف الدولة (327-405 هـ): توفي ببغداد له ديوان شعر.

(و أجلب عليهم بخيلك و رجلك) و المفرد رَاجل و رَجَل كفرج فهو راجل و رجل إذا لم يكن له ظهر يركبه و الحلق جمع حلقة قال في الخلاصة.

و نحــو كــبرى و لفعلــة فعــل ∴ و قـد يجــيء جمعـه علـى فعـل

يقال حلقة الباب و القوم و قد تفتح لاَمها و تكسر و حلق رأسه يحلقه حلقًا و تحلاقًا أزال شعره و الحلق كان في العرب من شعار بني تغلب من وائل بن قاسط رَهْطُ الأخطل النصراني و كان السلف الصالح لا يحلقون رؤوسهم إلاَّ في الحج و العمرة و أول من حلق رأسه في غير النسك الخوارج زَمَنَ علي رضي الله عنه عبد الله بن وهب الراسبي و أصحابه و الملقب بالمحدج و أصحابه و الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق ففي الشفاء للقاضي عياض أن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم أخبر بشأن الخوارج و صفتهم و أخبر بالمحدج الذي فيهم و أن سيمائهم بكسر السين و هي العلامة للتحليق قَالَ الشِّهابُ الخفاجي شارحُه أي يحلقون رؤوسهم و لم يكن في الصدر الأول حلق الرأس إلاّ في النسك و يمرقَون من الدين كما يمرق السهم من الرمية و قال الشهاب أيضًا و مواطنهم الجزيرة و عمان و الموصل و حضر موت و بعض نواحي المغرب.

قلت يشير ببعض نواحي المغرب أن أهل مصاب و جربة و الغرارة و الزبارة و نحوهم تنكيت قال بعض المحدثين ما حلقت رأسي قبل صلاة الجمعة منذ أربعين سنة و ذلك لما وقفت على حديث صحيح في ذلك و هو نهي رسول الله صلى الله عليه و سلم عن التحليق قبل صلاة الجمعة كفانا ذلك العالم أن المراد بالتحليق في الحديث حلق الرأس و هو وهم بل المراد بالتحليق في ذلك الحديث الجماعات أنظر شرح ولي الدين القرافي لألفيته في مصطلح الحديث في باب التصحيف عند قولِهِ فيها رحمه الله و رضي عنه.

و محبــو المعنـــى إمــام عــشرة ∴ ظــن القبيــل بحــديث العــشرة

و العسس بالفتح من عس طاف بالليل و قوم عسس مثل خادم و خدم و عس قبر فلان أيضا و عسعس الليل أقبل ظلامه و يقال للطّوفان ليلاً العوس بالواو و أيضًا و عاس على عياله أكّد عليهم و كدح و عاس ماله عوسًا و عياسة أحسن القيام عليه

و الأعوس الصقيل و الوصاف للشيء و كان خال تَابط شرًا[98] من عظماء اللصوص و كان يأخذ ابن أخته معه يطوف به ليلاً فأراد ذات ليلة تجربته و امتحانه و اختيار حِذْقه فَنَاما في فلاة من الارض مفترقين فلما أحس بابن أخته نام حَصَبهُ فلما و قعت عليه الحصباء أَصْلَتَ سيفه و قام و جَالَ في المكان فأتى إلى خاله فوجده في موضعه لم يتحرك و قد تناوم له ثم لما نام تابط شرا حصبه خاله أيضًا ففعل مثل المرة الأولى ثم عاوده مرة ثالثة ففعل كذلك أيضًا فعلم تابط شرا أن خاله هو الذي يفعل به ذلك فقال له إن عدت إلى هذا قتلتك الليلة فعند ذلك علم به أنه شجاع وثق به.

طلبـة جاهـدوا كفعـل شـيخهم ∴ أحمـد أو محمـد و ابـن الفـرس

و طلبة مفرد طالب قال في الخلاصة و شاع نحو كامل و كملة يقال طلب فلان كذا أي حاول وجوده و أخذه و إليه رغبَ و هو طالب و الجمع طُلَّب و طلاب و طلبة و هو طلب نساء بالكسر طالبهن و الجمع أطلاب و طلبة فهو مستعمل في كل من يطلب شيئًا و يحاوله ثم صار لفظ طلبة حقيقة عرفية فيمن يطلب العلم و قد ظهر بوهران لهم في الشجاعة أمور غريبة و إقدامات عجيبة، و صبر خرج عن المعتاد يهون دونه خَرط القتاد[99] فَلاَهُمْ مِنَ العدو يَفِرون و لا من صواعق البونبة[100] يتضعضعون و هم مع ذلك يهجعون بتلاوة القرآن المجيد مداومون على ذكره بترتيل و تجويد تطوي لنشره نفحات الأزهار و تغور من عذوبته جاريات الأنهار و تعتلُّ من لطفه نسمات الأسحار ينم على فنائهم بوَادِ وهران كل حين لَرْجَة و تشرق على أرجائهم كل وقت سرجة فسماعه أنْكى للكفرة من ضرب الحسام و أسرع إليهم من نطح النبال و السهام فلعمري لقد أعدُّوا رضي اللّه عنهم للفكرة أقوى عدَّة فلوى حَدَّهُمْ في أقل مُدَّة بصارم كان بين الرشد و الضلال فاروقا (و قُلْ جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا) فقدر قرب الطلبة منهم يزيدون في النِّفار و ولت أخبارهم الأدبار و ودَّعوا الحصون و الديار كأن لم يلبثوا إلاَّ ساعة من نهار فدخلناها على آثارهم

---

[98] : ثابط شرّا: لقب ثابث بن جابر بن سفيان : شاعر عربي قديم و بطل بدوى ذاع ذكره في القصص كان صاحب الشنفرى في القتال.

[99] دون الأمر خرط القتاد: لا يناله إلاَّ بمشقة عظيمة

[100] البونبة: القذيفة بالدارجة الجزائرية

و ناخ الغُراب على أوكارهم وَ قَوْلَيْ كفعل شيخهم أحمد[101] هو شيخ شيوخنا القارئ البارع و العالم الجامع لقد توغل في أساليب العلوم و أفانيها و ترقى في معارف القراءات و قوانينها جَبَلَ على صِنْعة البلاغة دون اكتساب الغلب في فنون العلوم و التاريخ و الآداب و تمكن من علم المعاني و الأعراب سليل السلطان الأعظم بتلمسان أبي ثابت و وسيلتنا إلى ربّنا و كهفنا و ملاذنا و عمدتنا الرباني القانت سي أحمد بن ثابث مستحق الاستذانة على الإطلاق و بالأصالة و الاستحقاق و قولي شيخهم أي بواسطة أو واسطتين أو نحو ذلك فإنه كان شيخ أهل المغرب الوسط بلا منازع و رئيسهم بلا مدافع و قد حاصر كفرة وهران[102] بجنُود الطلبة ذوي العدة و العدد و القوة و المدد و هو في كلها على بصيرة من ربِّه و ثقة من رأيه و دينه نفعنا الله به و لقد أخبرني تلميذه و خليفته صاحب القدر الكبير شيخنا الماهر في أحكام القرآن سيدي منصُور الضرير أن قتاله لتلمسان كان بإشارة رسول الله صلى الله عليه و سلم في المنام بقصد تغيير المنكر الواجب الفرض اللازم لأنه رأى أن إقامته واجبة عليه و فرضه محتم لديه فكانت بينهم و بينه وقائع متعددة قتل فيها كثير من الطلبة تغمدهم الله برحمته و استمر على ذلك أهل تلمسان حتى دوَّخهم الباي عصمان[103] و توفي الشيخ المذكور في حدود نصف القرن الثاني عشر رحمه الله و نفعنا به آمين وَ قَولي أو محمد هو العلامة ذو الورع و الدين شيخ الطلبة المغربين ابن عبد الكريم المغيلي[104] لقد كان موصوفًا بالنجدة و البأس رفيع القدر عظيم الشأن عند الناس كان

---

[101] : أحمد بن ثابت التلمساني: من المقرئين الشهيرين توفي سنة 58 من القرن الثاني عشر له تأليف هام في القراءات: "مورد الضمآن". لم يشارك في فتح وهران الثاني، إنما ذكره للعبرة

[102] نسخة ب: أدق حصار

[103] عصمان (أو الحاج عثمان): هو عثمان بن الحاج إبراهيم: تولى إيالة تلمسان ثم كامل الغرب الجزائري سنة 1160هـ (1747م) هو الذي مكر بأهل تلمسان فأوقع بهم ايقاعًا شديدًا. تولى الإيالة الغربية لتسع سنوات توفي بمعسكر سنة 1170هـ (1750م): هو الذي بنى المسجد الجامع بهذه المدينة.

[104] إن محمد بن عبد الكريم المغيلي لم يشارك في حصار وهران (توفي قبله بكثير) إن الذي أشرف على الطلبة هو محمد بن علي، أبو طالب المازوني التحق بالرباط على رأس مائة طالب من مازونة، أضافه الباي محمد الكبير إلى قادة الطلبة و بعد الفتح، بنت له الدولة التركية المدرسة الفقهية المشهورة بمازونة كان من أشهر فقهاء البلاد، عليه تخرج عدد هام من الفقهاء منهم محمد بن على السنوسي: مؤسس الطريقة السنوسية. و في النسخة ج – يشير أبوراس إلى محمد "العياشي" المغربي الذي قاتل الوجود الإسباني و البرتغالي في المعمورة و طنجة و العرائش خلال النصف الأول من القرن السابع عشر – (المجاهد العياشي 1573 - 1641). يستشهد بهما أبوراس و يعتبرهما عمدة في الجهاد.. وحادثة اليهود بتوات لابسجلماسة.

معاصرا للسيوطي و من في طبقته من أهل عصره و هو الذي عارض السيوطي في قوله بتحريم المنطق حتى أنشأ رسالة في جوازه و بعثها له و منها.

سمعت بأمر ما سمعت بمثله	∴	و كل حديث فرعه مع أصله
ودَدْتُ و رب البيت أنّي حاضر	∴	و إنْ لَمْ بوَدّي أن أجيد لأهله
أيمكن أن أجد في العلم حجة	∴	و ينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني إلاَّ عبارة	∴	من الحق أو الحقيقة عند جهله
أريني هداك الله منه قضية	∴	على غَيْرَ هذا نَنْفها عن محله
وَدَعْ عنك أمْرًا في كفور و ذمّة	∴	رجال و إن أثبت صحة نقله
خذ العلم حتى من كفور و لا تقم	∴	دليلا على شخص بمذهب أهله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن	∴	به لا بهم إذ هم هداة لأجله
ليس صح عنهم ما ذكرت فَكَمْ هم	∴	و كم عالم بالشرع باح بفضله
و الأجرم برهان تضليل بعضهم	∴	على منهج ينجيك من سهم نبله

و بعث بهذه الأبيات إليه و لمَّا ألف السيوطي كتابا في تحريمه و سماه القول المشرق في تحريم المنطق ألف الشيخ محمد في معارضته كتابًا سماه كتابُ اللباب في رد الفكر إلى الصواب و ما يتذكر إلاّ أولى الألباب" جمع فيه بين تسمية و تعريض و كان كثيرا الجهاد بثغور المغرب لما ضعف الإسلام بسواحله و كان لليهود بإقليم توات[105] و ما حوله قول مسموع و رأي متبوع يخدعون الناس بالمال فتبعهم على ذلك الغوغاء من أهل الضلال فهزَّته الغيرة الإسلامية و حركته أوامر المعروف الأحكامية فجاهد فيهم أشدَّ الجهاد و شفي منهم الغليل و حقد الأكباد ثم أنه رحل إلى سجلماسة و جمع جموعاً و حشوداً و عساكر و جنوداً ثم زحف بهم إلى مراكش أيام السلطان أحمد بن يحيى بن زيان الوطاسي بن أبي العمران الوطاسي فهزم جند الشيخ و رجع إلى توات حتى مات بها رحمه الله و رضي عنه و قبره بها من أعظم المزارات يقال أن الشيخ أحمد بابا كان من خواصه و ما تصدر أمور إلاَّ عن رأيه نفعنا

---

[105] توات: إقليم يقع في الجنوب الغربي من الجزائر الحالية عاصمته أدرار.

اللّه بهما آمين و نسبه مغيلي كما مرَّ و مغيلة بفتح الميم أمة عظيمة من أقدم قبائل البربر من بني تمصيت بن اطريس بن زجيك بن مادغس بن بربر و أخوتهم فوغال و كرنيطة و سدرجة و مطماطة و سطفورة و لماية و مديونة كما أن ولْهَاصة و سوماتة و مرنيزة و زاتيمة كلهم بنو يطوفت بن تفز بن سجيك بن مادغس بن بربر و منهم مكلاتة و يقال إن مكلات حميري تبناه يطوفت و هو مكلات بن رعان بن كلاع بن سعد بن حمير و من مغيلة أبو حاتم ويكنى أبا قادوم كان على رأي الخوارج الصفرية ملك أربعين سنة و لما اجتمعت الخوارج بطرابلس لحرب عمر بن حفص الأزدي عامل جعفر المنصور و هزموه و ملكوا طرابلس أمَّرُوا عليهم أباحاتم هذا و كانوا اثنى عشر عسكرا و مجموع عدد العساكر ثلاث مئة ألف و خمسون ألفا الخيل من تلك خمسة و ثلاثون ألفا و لا أعلم ملكا من الملوك البربر تبعه هذا العدد إلاَّ القليل.

وَ مَنْ مغيلة أبو قرة على الأصح و قيل من بني يفرن بويع له بالخلافة سنة ثمان و أربعين و مائة و هو الذي هزمه الأغلب بن سودة التميمي عامل طُبْنَة[106] و شرّدَهُ إلى الزاب و مدينة طبنة إختلطها عمر من ذرية قبيصة الأزدي عام إحدى و خمسين و مائة و أنزل بها فرجومة و من مغيلة أبو الحسن الثائر بأفريقيا أول الإسلام و من علمائهم خليفة بن خياط و منهم الأمير دلول بن حماد على يد يعلى الإفريني و جمهورهم بالمغرب الأقصى و هم إحدى القبائل الذين قاموا بدعوة مولانا ادريس و أجاروه و حملوا قبائل البربر على طاعته و أكثرهم ما بين فاس و صَفْرُو و منهم جيل بواريزن تحت مازونة يقال لهم بنو اعزوز و منهم نفر بمازونة أهل علم ومن عند هؤلاء الذين بإزاء مازونة أجازَ عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس أى من سادتهم و دخل معه الأندلس حسان بن زروال من رؤسائهم و هم من العصاميين منهم شارح ابن التلمساني في الفرائض أفادوا و أجادوا و بالجُملة فكانت مغيلة دار ملك و علم و ولاية و صاروا الآن من القبائل الغارمة و اللّه غالب على أمره قال الشاعر:

و لو دامت الدولات و أتوا كغيرهم ∴ ملوكا و لكن ما لهن دوام

---

[106] طبنة: مدينة قديمة، أخذها العرب الفاتحون من البيزنطنيين تقع بين قلعة بنى حماد جنوبا و بسكرة شمالا توسع عمرانها على يد عمر بن حفص الازدي تسمى حاليا بريكة.

و هم أصحاب الإجارتين أجاروا عبد الرحمان الداخل أولا ثم إدريس رضي الله عنه ثانيًا و منهم المازوني[107] المشهور دفين تلمسان من العلماء و والد العلماء و أما مديونة أكثرهم بنواحي تلمسان و كانوا في الجاهلية على دين اليهود و من ملوكهم جرير بن مسعود و أجاز كثير منهم إلى الأندلس و خرج بلال بن أبزا منهم على عبد الرحمن الداخل ثمَّ راجع الطاعة فكان رأس البربر شرًّا في الأندلس و بقي منهم الآن بالمغرب الأوسط أوزاع مُنْدَمجُون في القبائل و أما مطفورة منهم أهل ندرومة و مغارة و بنو أيلول و مسيفة و تيورة و هشيمة و منهم كيومة منهم بنوا سنوس و بنو عابد رهط السلطان عبد المؤمن المشهور و أصل موطنه تياكرارت في الجبل المطل على أهناي و مطماطة من ولد قلبت بن تمصيت منهم جيل بأزاء فاس و واجر بإزاء ونْشَريس كانت مواطنهم عند كزُّول بناحية تاهرت و كبيرهم عزونة و له مع لواتة و غيرِهم حروب و أيام ثم قام بأمرهم بعد موته ابنه زيري و لما غلبه صنهاجة أجاز البحر فنزل على المنصور بن أبي عامر فجعله من أمراء البربر الذين كانوا عنده و أستعان بهم على أمره فكان من أوجه الناس عنده و أجراه المظفر من بعده و أخوه عبد الرحمن على سنن أبيهما و أجاز إلى الأندلس من رجالهم كهلان بن أبي لُو نَزَل على الناصر و هو من أهل العلم بأنساب البربر وَ مِن مشاهير نسابتهم سابق بن سليمان بن حراث بن صَولات بن دوناس كبير نسَابَة البربر و منهم عبد الله بن ادريس كانت الخراج لعبيد الله المهدي وَ وَلْهاصة وَ مِنْ علمائهم منذر بن سعيد قاضي قرطبة المشهور و أما وطن منداس فسمي بمالكه منداس بن صفر بن اريغ بن كيوري و الأصح أن منداس ربيب هوار و لمنداس ثلاثة من الأولاد شداءة و كلثوم و تكم و بقيتهم الآن بجبل ونشريس لحقوا به لما غلب عليهم بنو يحيى و الله أعلم وَ قَولي أو ابن الفرس هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من قبطة[108] العلماء الشيوخ بالأندلس و يعرف بالُمهر كان من أهل الجهاد بالأندلس ثم رحل لهذه العدوة و ظهر في بلاد جزولة و انتحل الإمامية و ادعى أنه القحطاني المراد بقوله صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصاه يَمْلأُها عدلاً كما ملئت جورًا الخ حديث و من شعره:

---

[107] المازوني: أبو موسى: يحي بن أبي عمران: توفي سنة 883 هـ [1439م] كان فقيها عالما تولى القضاء بمازونة مؤلف: الدرر المكنونة في نوازل مازونة "اعتمد عليه الونشرسي في المعيار و البرزلي في نوازله

[108] قبطة: جماعة

قُلْ لأبناء عبد المؤمن بن علي ∴ تأهَّبُوا وقوع الحادث الجلل

قد جاء سيد قحطان و عالمها ∴ و منتهى القول و الغلاب للدول

والناس طوع عصاه وهو سائقهم ∴ بالأمر و النهي نحو العلم و العمل

فبادروا أمرهُ فالله ناصره ∴ و الله خاذِلُ أهل الزيغ و الميل

فبعث الناصر إليه الجيوش فهزموه و قتل و سيق إلى مراكش و أُسِرَ فنصب بها و فيه يقول الشاعر:

لقد طمح المهر الجموح لغاية ∴ تقاصَرَ عن إدراكها كلّ سابق[109]

سنة خمس أتى لها بكلكله ∴ جُندٌ عظيم ما بين الشهم و الحوس

تعبير الكلكل و الشهم تقدم، و الحوس و الأحوس الجر في المُقدم الذي لا يهوله شيء و منه قول الشاعر "أحوس في الظلماء بالرمح المطل"، و حمل فلان على القوم فحاسهم و جاسوا خلال الديار كجاسوا و التحوس التجشع قاله الجوهري و في القاموس تركت فلانًا حوس بني فلان أي يتخللهم و يطلب فيهم و أنه لحواس عواس طلاب بالليل و الخطوب الحوس كركع الأمور تنزل بالقوم فتغشاهم و تتخلل ديارهم و الحوساء الناقة الكثيرة الأكل الشديدة النفس و الحويساء الطلبة بالدم و العادة الخ... و أنشد أعرابي و كان لصًّا

ثلاث خلال لست عنهن تَائبا ∴ و إن لامَنِي فيهن كل خليل

فمنهن أنى لا أزال معانقا ∴ حمائل ماضي الشفرتين صقيل

ومنهن سوق النهب في ليلة الدجا ∴ يحار بها في الليل كل دليل

و من هن تجريد الكعاب ثيابها ∴ و قد مال جنح الليل كل مميّل

[109] نسخة أ: وقع اضطراب في ترتيب عدد من أبيات القصيدة السينية و عليه اعتمدنا على ترتيب النسخة "ب" لأنه هو الأصح بناءا على وحدة الموضوعات و انسجامها.

و قولي سنة خمس الخ... أي من القرن الثالث عشر و مرّ لنا تاريخ و لايته المغرب الأوسط أيّدَه الله، زحف إليها بجنود كأنها سُيول[110] تهمُّ أو بحر مدّة الجرّ و الناس بتلك الأرض في أخصب عيش و أطيبه و أرغده و أعذبه فكثرت عندهم الخيرات و تمت لهم البركات و ترادفت لديهم بشارة الفتوحات قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "إنَّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين". و لمَّا بعث المأمون عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي أميرا على خُرَاسان سنة ثلاثة عشر و مائتين و دخل نيسابور و أخمد نار الخوارج و همد خراسان و كان القحط[111]، فلما قدم نزل مطر عظيم فتقدم إليه رجل بزّار و أنشده هذين البيتين:

قــد قحــط النــاس في زمــانهم ∴ حتــى جئــت، جئــت بالــدرر

غيثــان في ســاعة لنــا قــدما ∴ فمرحبــا بــالأمير و المطــر

ذكر الطبري أن المأمون و لي أخاه المعتصم بالشام و مصر و ابنه العباس الجزيرة و الثغور و العواصم و عبد الله خراسان و أعطى لكل واحد منهم خمسة آلاف دينار ذهبا.

مــدافعا و بونبــات أحــاط بهــا ∴ كأنهــا بيــنهم كحلقــة الجلــس

المدافع و البونية آلتان عظيمتان كادَا أن يكونا من الصواعق، استحدثهما الكفرة في آخر القرن الثامن فبظهورهما درس المنجنيق و ذهب و بطل أمره و كان حدوث البارود وسط القرن الثامن قبل المدافع و ذلك أن حكيما يعالج صنعة الكيمياء حتى اتفق لَهُ أنه صنعه و جعله في محل ضيق و أحماه، فرفع محله و تعجب من أمره و دهش من قوته و أول ظهور الدخان الذي يشرب سنة خمس عشر و ألف بالشام، قاله سحيم ثم عمّت به البلوى في سائر الأقطار و الجلس يقال قوم جلوس و المجلس موضع الجلوس و بالفتح المصدر يقال شهد جلس أي غليظ و امرأة جلس و الجلس أيضا نجد، يقال جلس الرجل اذا أتى نجدا، قال مروان:

---

[110] النسخة –أ– لعلها أنشودتهم

[111] نسخة ب: و لما بعث المأمون... و كان القحط بالقوم سنة ثلاثة عشر و مائتين...

قل للفرزدق و السفاهة كاسمها ∴ إن كنت تاركا ما مُرْتك فاجلس

و معنى البيت أن الأمير أبا الفتوحات نصره الله أحاط مدينة وهران بالمدافع و البونبة من كل نواحيها في جميع أرجائها حتى بقيت بين آلة حربه كامرأة جالسة بوسط حلقة من الناس قد أحاطت بها من كل جهة، فلم تجد فرجة للذهاب و لا إلى الوصول لها من طلب الإياب.

و من لطائف ما يحكى أن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه[112] النحوى المشهور قال: دخلت يوما على سيف الدّولة ابن حمدان فقال له أقعد و لم يقل أجلس ففهمت عنه أنه أديب من أهل الأدب و مطلع على أسرار كلام العرب لأن المختار عن أهل الأدب أن يقال للقائم أقْعُدْ و للنائم و الساجد أجْلِسْ. ولابن خالويه كتاب كبير في الأدب و له كتاب لطيف سماه "الأل" و ذكر في أوله أن الأل ينقسم إلى خمسة و عشرين قسمة و من شعره رحمه الله:

إذا لم يكن صدر المجالس سيّدًا ∴ فلا خير فيمن صدرته المجالس

و كم قائل مالي رأيته راجلا ∴ فقلت له من أجل أنك فارس

و خالويه بفتح اللام و الواو و سكون الياء التحتية، أصله من همدان و أخذ ببغداد عن ابن الأنبار و ابن مجاهد و أبي عمر الزاهد و ابن دريد و السيرافي و انتقل إلى الشام فصار بحلب أحد أفراد الدهر و واحد حسنات العصر و صارت إليه الرحلة من الآفاق و آل حمدان يكرمونه، مات سنة سبعين و ثلاثمائة.

مفاكهة: وجد رجل قوما جلوسًا على طعام فصار يحد النظر فقال بعضهم من عرفت، قال هذا و أشار إلى الطعام فضحكوا كلهم و سلموا له، و وجد آخر قوما يأكلون و كان طفيليا، فقال ماذا تأكلون فقالوا له سمًّا فاندفع يأكل و قال لاَخَيْرَ في العيش بعدكم، فأكله كله و هم مشتغلون بالضّحك. و مرّ طفيلي بقوم جلوس على حوت يأكلونه فأشاروا إليه فتقدم للأكل و صارت يده تطيش في الصحنة، فقالوا:

---

[112] ابن خالويه : الحسين بن أحمد الهمداني : نحوى و لغوي شهير : استوطن حلب. اتخذ مذهبا وسطا بين مدرستي الكوفة و البصرة النحويتين. كان مؤدبا لأبناء سيف الدولة : له تآليف منها كتاب "إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز" و له كتاب "العشرات" توفي سنة 370هـ (980م) بحلب

كل برُفق، فقال إني صاحب ثأر قالوا و ما ذلك، قال أبى مات غريقاً و أكله الحوت، فضحكوا و عَلموا أنه طفيلي، فقالوا له كُل الصغار و دَعْ لنا الكبار، فأكل بُرهَة ثم أخذ واحدة من الصغار و جعلها حذو أذنيه، فقالوا له ماذاك و بأي شيء تخبرك فقال أنها قالت لي نحن صغار لم ندرك أباك و إنما الذي أكله السمك الكبير الذي ترى، فضحكوا حتى استلقوا و دفعوا له الجميع.

نادرة و مضحكة: قال بعضٌ كان الفرزدق يُحبُّ أن يرى لَيْلَى و لَيلى تحب أن تراه لكونها سمعت به من فحول الشعراء، فاجتمعا ذات يوم و جلسا طويلا فضرط[113] في أثناء ذلك الجلوس فضحكت، فقال ثوبة فيه

جلست إلى ليلى لتحظى بقربها ∴ فخانَكَ دبر لا يزال يخون

فلو كنت ذا حزم شدّده وِكادٌ[114] ∴ كما شدَّ غرثا للولاص فنون

تلبية: سبب لقب حاتم الصوفي بالأصمّ، رضي اللّه عنه أن امرأة ذات جمال و شرف و دين أتته تسأله عن أمر صلاتها في تقطع طَهرها من الحيض، فضرطت فدهشت و أخجلت و كادت تموت، فسمعها رضي اللّه عنه و تقافل[115] ثم قال لها ما حاجتك، قالت بحشمة و كلام ذميم، كيف أصلّي في تقطع طهري، فقال لها ارفعي صوتك كثيرا لأنِّي أصمّ لا أسمع شيئا، فحينئذ تكلمت بصوت عال و زال عنها مَا اعتراها. ذكر هذا الهيكل الصمداني و القطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني[116] نفعنا اللّه به في طبقات الأولياء، نفعنا اللّه بالجميع[117]، آمين

يكاد يصدع الشّامخات باروده ∴ رعد سحاب مُديم الصعق و الجرس

يكاد يقرب قال ابن العباس: كادَ في القراءن أن لا يكون مهما فعل الفعل بل تقريبه إلا قوله تعالى (فذبحوها و ما كادوا يفعلون) و الصدع الشق في شيء صُلب و قوله تعالى: (فاصدع بما تؤمر) أي شق جماعتهم بالتوحيد و فيه استعارة لا

---

113 أخرج من دبره ريحا مع صوت
114 الوكاد: الحبل
115 تقافل: حفظ ما سمع و أخفى
116 هو عبد الوهاب بن محمد : توفى سنة 973 هـ. من المتصوفة الكبار في القرن العاشر. لَهُ الطريقة الشعرانية.
117 نسخة ب بجميعهم

تخفي، أو أجهر بالقرآن أو أحكم بالحق و افصل و أقصد بما تؤمر و أفرق به بين الحق و الباطل و صدعه كمنعه شقّهُ و لم يفترق و فلانًا قصده لكرمه و بالحق تكلم به جهارًا و المصدع كمحدث سيف العبسي و الدقيس الداهية، يقال شمخ الجبل علا و طال و شمخ بطن من فزارة و هو من الجموع التي تلحق بجمع المؤنث السالم قال بعضهم:

و قسه في ذا التـا و نحـو ذكـرى ∴ و درهـــم مـــصقر و صـــحرا

و زينــب و وصــف غــير عاقــل ∴ و غـــير ذا مـــسلم للناقـــل

مثل غير العاقل: رأيت جبالا شامخات و نصبت قدورًا راسيات و بارودُه فاعل يَصْدَعُ و مرّ الكلام على حدوثه و الرعد صوت السحاب و اسم مَلَكٍ يسوقه كما يسوق الحادي الإبل بحداية و قد رعد كمنع و نصر و الرعداء ما يرمي من الطعام الباقي و السحابة الغِيَمُ و الجمع سحاب و سُحب و سحائب أيضًا سيف ضرار بن الخطاب و السُحبة بالضم الغشاوة و فضلة ما في الغدير كالسُحابة بالضم الصعق و الصاعقة الموت و كل عذاب مهلك و صيحة العذاب و المحراق الذي بيد الملك سائق السحاب وَ لا يأتي على شيء إلاّ أحرقهُ أو نار تسقط من السماء و الصعق محركة شدّة الصوت و ككتف الشديد الصوت و المتوقع صاعقة و لقب خويلد بن نفيل و فارس لبني كلاب و لقب خويلد بن نفيل و النسبة صَعَقيٌّ محركة و صعقي على غير قياس لقب لأنه أتخذ طعاما فكفت الريح قدره فلعنها، فأرسل الله عليه صاعقة و صعائق بالضم موضع بنجد لبني أسد و الجرس تقدم تفسيره أوائل الكتاب و الصدام ككتاب ثوب يلبس تحت الدرع و كغراب و قمع الرأس.

تلبية: ذكر البخاري في حاشيته على المحلي[118] شرح جمع الجوامع الثوب الذي يلاصق الشعر تسمى شعارًا لأنه يلبس فوق الشعر و الأعلى يسمى دثار و هو في الغالب أنفس من الشعار لكونه يلبس للتجمل و من هنا قال صلّى الله عليه و سلّم: الناس شعار و الأنصار دثار أو كما قال فان كانت الرواية بعكس ذلك فلمّا في الشعار من شدّة القرب و الملاصقة.

---

[118] المحلي بن أحمد (جلال الدين) [791-864 هـ] عالم أصولي اشتهر بتفسير القرآن (من سورة الكهف إلى آخره) أتمه تلميذه السيوطي يسمى بتفسير الجلالين.

تتمة: دخل الثوري[119] على جعفر فرأى عليه جبّة من خز[120]، فقال إنكم بيت نبوة تلبسون هذا فقال ما تدري أدخل يدك فإذا تحتها مسح من شَعَر خشن ثم قال "يا ثوري أَرنِي ما تحت جبتك، فوجد تحتها قميصًا أرق من بياض البيض فخجل سفيان و دخل عليه أبو حنيفة فقال: يا أبا حنيفة... بلغني أنك تقيس لا تفعل فإن أول من قَاسَ إبليس و سرّ كلامه رضي اللّه عنه لا تأكل من يد جاعت ثم شبعتْ و قال لرجل منْ سيد هذه القبيلة فقال الرجل أنا، فقال لو كنت سيدهم ما قلته، توفي بالمدينة سنة ثمان و أربعين و مائة و توفي أبوه محمد الباقِر سنة سبع عشرة و مائة و جَدُّه على زين العابدين رضي اللّه عنهم أجمعين سنة أربعَ و تسعين. و من طبقات الشيخ عبد الوهاب الشعراني و كان يقول من أُعجب بشيء من أحواله و أراد بقاءه فليقل ما شاء اللّه نعمت لا قوّة إلا باللّه، انتهى. من الطبقات أيضا:

<u>يشيب من حربه رأس الغراب و لا</u> ∴ <u>يشيب رأس نهار دائم الغلس</u>

<u>ينقع خيله و دخان باروده</u> ∴ <u>يوم حليمة أو بعاث أو جدس</u>

و الشيب بياض الشعر، قال أعرابي كنت أنكر البيضاء فطالت حياتي حتى صرت أنكر السوداء و قال الجاحظ:

أترجو أن تكون و أنت شيخ ∴ كما كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ∴ دريس كالجديد من الثياب

و كانوا يقولون الشيب خطام المنية و من لطائف الحكايات أن المغيرة بن شعبة رضي اللّه عنه كان أبيض اللحية و قد خطب امرأة فقالت له إن برأسي شيبًا فاعرض عنها فنادته هَلُمَّ فو اللّه إن رأسي لا شيب به أصلا و لكن فررت مما فررت أنت قال علقمة بن عبادة التميمي

---

[119] الثوري: سفيان أبو عبد اللّه بن سعيد.. و لِدَ بالكوفة سنة 97 هـ و توفي بالبصرة سنة 161 هـ من مؤلفاته كتاب الجامع — في الحديث. كان محدثا و حافظا.

[120] الخز: نسيج من الحرير أو الصوف الناعم

فــإن تــسألني بالنــساء فــإنني ∴ خــبير بــأدواء النــساء طبيــب

إذا شاب رأس المـرء و قـلَّ مالـه ∴ فلـيس لـه مـن دونهـن نـصيب

يـردن ثـراء المـال حيـث عَلِمْنَـه ∴ و شرخِ الثيـاب عنـدهن عجيـب

و الشرخ بالشين و خاء معجمتين أول الشباب و الغلس تقدم تفسيره و معنى لا يشيب الخ أي لا يصحو من تلك الظلمتين غبار الخيل و دخان البارود فيظهر كما يظهر شيب الرأس، ففيه أستعارة تمثيلية على حدّ قوله صلى اللّه عليه و سلم "في القحطاني الآتي في آخر الزمان يسوق الناس بعصاه حيث جعلهُ كراع يسوق غنمه و النقع الغبار و الجمع نقاع و نقوع و موضع قرب مكة قال بشار:

كـأن مثـار النقـع فـوق رؤوسـهم ∴ و أسـيافنا ليـل تهـاوى كواكبـه

يوم حليمة كانت فيه وقعة مشهورة عظيمة بين آل المنذر من لَخْم ملوك الحيرة على يد كسرى و بين آل جفنة من غسان ملوك الشام على يد قيصر ملك الروم و كان زحف فيها المنذر بن ماء السماء إلى الحارث بن أبى شُمَّر الغساني و اشتد الحرب بين عرب العراق و عرب الشام حتى أنهم حكوا أنهم رأوا النجوم و اللّه أعلم و صارت تلك الوقعة مثلا عند العرب فكانوا يقولون ما يوم حليمة بيسير[121] يضربون هذا المثل لكل أمر مشهور و انجلت عن قتل المنذر بن ماء السماء وهي التي ذكرها النابغة الذبياني[122] في مدح السيوف بقوله:

تخـيرن مـن أزمـان يـوم حليمـة ∴ الى اليوم قد جربن كل التجـارب

و كان شامر بن عبدة أمير ذلك اليوم، أسره غسان فرحل أخوه علقمة بن عبادة التميمي الشاعر المشهور يطلب فيه الحارث و قد مدحه بقصيدة قلّ من نسج على مثلها و هي مشهورة و منها:

---

[121] في النسختين : " ما يوم حليمة بيسير" و الأصل : ما يوم حليمة بسرّ. و حليمة هذه، بنت الحارث بن جبلة : ملك غسان، كانت في منتهي الجمال.

[122] النابغة الذبياني : أبو شرحبيل الرماح بن أبرد المتوفي سنة 149 هـ (766 م)

فـلا تَعْـدِلِي بـيني و بـين مغمـر ∴ سـقتك روايـا المـزن حيـث تـصوب
سـقاك يمـان ذو حـبيً و عـارض ∴ يـروح بـه جـنح العـشى جنـوب
و مـا أنــت إلا ذكرهــا ربعيــة ∴ يخــط لهــا مــن ثرْمَــداء قليــب
فــان تــسألني بالنــساء فــإنني ∴ بــصير بــأدواء النــساء طبيــب
فدعها و سلِّ الهـم عنـك بجـسرة ∴ كهمــك فيهــا بــالرداف خبيــب
تعفــق بــالأرطي لهــا و أرادهــا ∴ رجــال فــذت نبلــهم و كليــب
إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي ∴ لكلكلــها و القــصريين وَجيــب
لتــبلغني دَار أمــرى كــان نائيــا ∴ فقــد قــربتني مــن نــداك قــروب
إليـك أبيـت اللعـن كـان وجيفهـا ∴ بمــشتبهات هُــولهن مهيــب
تتبــع أفيــاء الظــلال عــشية ∴ علــى طــرق كأنهــا ســبوب
هـداني اليـك الفرقـدان و لا حـب ∴ لــه فــوق أصــواء المثــان علــوب
بها جيـف الحـسر فأمّـا عظامهـا ∴ فبــيض و أمــا جلــدها فــصليب
فاوردتهــا مــاء كــان جمامــه ∴ مــن الأجــن حنــاء معــا و صــبيب
تراد على دَمْن الحياض فان تعف ∴ فــان المنــدى رحلــة فركــوب
و أنت امرؤ أفـضت إليـك أمـانتي ∴ و قبلــك ربــتني فــضعت ربــوب
فأدت بنوا عوف بن كعب ربيبهـا ∴ و غَـوْدِرَ في بعـض الجنـود ربيـب
فـو اللّه لـولا فـارس الجُـون مـنهم ∴ لاَ بـوا خزايـا و الإيـاب حبيـب
تقدمــه حتــى تغيــب حجولــه ∴ و أنــت لبـيض الـدراعين ضـروب
مظـاهر سـربالي حديـد عليهمـا ∴ عقـيلا سـيوف مخـذم و رسـوب
فجـادلتهم حتـى أتقـوك بكبـشهم ∴ و قد حان من شمس النهـار غـروب
و قاتل مـن غـسان أهـل حفاظهـا ∴ و هنـب و قـاس جالـدت و شـبيب
تخـشخش أبـدان الحديـد علـيهم ∴ كما خشخشت يبس الحصاد جنوب

تجـود بــنفس لا يجــاد بمثلــها ∴ و أنــت بهــا يــوم اللقــاء تطيــب

كــان رجــال الأوس تحــت لبانــه ∴ و مــا جمعــت جــل معــا و عتيــب

رغا فوقهم سقف السماء فـداحص ∴ بــــشكته لم يــــستلب و ســــليب

كــأنهم صــابت علــيهم ســحابة ∴ صـــــواعقها لطيرهـــــن دبيـــــب

فلــم تــنج إلاَّ شــطبة بلجامهــا ∴ و إلاَّ طمــــر كالقنــــاة نجيــــب

و إلاَّ كمـــي ذو حفـــاظ كأنـــه ∴ بما ابتـل مـن حـد الظبـاة خـصيب

و في كل حـي قـد خبطـت بنعمـة ∴ فحــق لــشاس مــن نــداك ذنــوب

فـلا تحرِمَنْـي نـائلا عـن جنابـة ∴ فــاني امــرؤ وســط القبــاب غريــب

فلما أطلقه له و أجاره للّه درُّهُ ما أفصحه، و قد مدح الحارث و وصف الواقعة، و أما يوم بعاث باء موحدة مضمومة و عين مهملة و مثلثة بعد ألف، فهو يوم عظيم بين أبناء قبيلة الأوس و الخزرج و انتصرت فيه الأوس على الخزرج و قال في اللباب[123] أن الحرب دامت بين الأوس و الخزرج مائة و عشرين سنة حتى قطعها الإسلام و في تفسير أبى زيد عبد الرحمان الثعالبى[124] في قوله تعالى(و اذكروا نعمة اللّه عليكم إذ كنتم أعداءًا فألف بين قلوبكم...) إلى آخر الآية هذه الآية نزلت على أن الخطاب إنما هو للأوس و الخزرج ثم ذكر ما في اللباب حرفا بحرف و من أيامهم يوم الوقبة و غيره مما لا يحصى قال الشاعر ابن نباتة السعدي:

وقد زادنى في حرب الزمان تجاربًـا ∴ فلا عشت في يوم يمر بـلا حـرب

ولــو طلــب النــاس المعــالي كلــهم ∴ لكان الغنى كالفقر و العبد كالربّ

---

[123] اللباب : هو "لب اللباب في تحرير الأنساب" للسيوطي.

[124] الثعالبي : مرّ الحديث عنه في الجزء الأول : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. ولد عام 788 هـ (1386م) تعلم في بجاية و تونس و القاهرة. حج ثم عاد إلى تونس و توفي عام 873هـ (1468م) له تفسير سماه "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" و كتاب في العبادات"جامع الأمهات في أحكام العبادات".

و أما يوم جديس بفتح الجيم و كسر الدال مخففة، أخوه طسم و هما من العرب العاربة و مساكنهم من اليمامة إلى البحرين و كان الملك من طسم و يقال له عَلموق و هو المعنى بقوله هزيلة الجديسية:

أتينـا أخـا طـسم ليفـرق بيننـا ∴ فـأبرم حكمـا في هزيلـة ظالمـا

و كانت العروس من جديس لا يدخل بها زوجها حتى يؤتي بها لعلموق يفترعها[125]. و جديس صابرون لذلك الذل حتى تزوجت الشموس بنت غفار الجديسية أخت الأسود سيدهم، ففعل علموق بها ما فعل بغيرها على عادته، فأتت لقومها و هم بأنديتهم و أنشدت:

أيـصلح مـا يـأتي علـى فتيـاتكم ∴ و أنتم رجـال فـيكم عـدد الرَّمْـل

فـإن أنـتم لم تغـضبوا عنـد هـذه ∴ فكونـوا نـساء لا تفـرن الفحـل

فلـو أننـا كنـا رجـالا و أنـتم ∴ نـساء لكـن لا نقـر علـى الـذل

فغضبت جديس لقولها و اتفقوا مع سيدهم الأسود بن غفار على غدر طسم فصنعوا لهم يوما طعاما و أتوا بهم لموضع و قد خزنوا[126] سيوفهم في الرمل في ذلك الموضع قبل أن يدعوهم فلما تكامل بهم المجلس أوقعوا بهم قتلا و أخذوا سبيا فلم ينج إلاّ رُبَاحُ بن مرّة على فرس فأعجزهم في الرمل فقطع جريدة خضراء و قد دسها في طين مبلول و أخذ معه كلبًا و ذهب إلى حسان بن تبع يستصرخه على جديس باليمن بصنعاء فقال له حسان: أرضكم بعيدة منا، قال له رباح أبيت اللعن، هذه جريدة أتيت بها من أرضي وها هي خضراء و كان لما احتاجها غسلها من الطين و قال له أيضًا ها هو كلبي أتى معي و وصل و هو أعرج و كان فعل به ذلك لما قرب صنعاء للتسهيل على الملك فلما رأى الملك خضرة الجريدة التي أوتيت من أرض اليمامة و عرج الكلب حركته نفسه لغزو جديس، فحشد حشوده و سار إليهم فلما كان على مسافة يومين، قال له رباح أبيت اللعن، إن لي أختا متزوجة فيهم تبصر مسافة يومين، تأمر

[125] افترع: أزال بكرتها

[126] خزنوا: تعبير دارج يعني أخفوا

العساكر كل راكب يحمل أمامه ما يواريه من الشجر فنادى الملك بذلك للناس، ففعلوا و كان جديس أقْعَدُوا زرقاء في مشرفة تبصر ما يكون و تخبرهم ليكونوا على أهبة فقالت لهم صبيحة يوم، إني رأيت شجرا يمشي إليكم فقالوا لها كذبت، كيف تسير الشجر و تساهلوا في قولها، فأنشدت تقول:

خُذوا حذركم يا قومي ينفعكم ∴ فليس ما قد أرى بالأمن يحتقر

إني أرى شجرا من خلفها بشر ∴ و كيف تجتمع الأشجار و البشر

و هم لا يكترثون حتى صبحتهم جنود حسان فأبادوهم و أوتي بها إلى الملك فقلع عينيها و صَلَبَها على باب المدينة و احتمل أختها عنزة و رجع إلى دار ملكه و لم يفلت منهم سوى الأسود بن غفار، فإنه لما أنذرتهم زرقاء ذهب لطي و بقيت اليمامة خرابا يبابا أحقابا ما فيها من يعادي و لا ينادي حتى طرقت مرّة حنيفة بني نجيح أحد بطون بنى بكر بن وائل فحجرها و سكنها حتى صحَّهم الإسلام و البقاء للّه وحده لا يسأل عما يفعل.

و قولنا يشبب من حربه رأس الغراب، يقال هذا لكل أمْر عظيم و من لطائف أبى الحسن على الغراب الصفاقسي:

يقولون الغراب إذ تبدى ∴ يدل على تفرق كل خِلّ

و هل قالوا الغراب بهٍ غراب ∴ يخبر بالفراق له و يملي

رأيت البين جار عليّ حتى ∴ صار الثقفي عندي خير عدل

فها أنا شبت و شاب شيبي ∴ و لم أر شائبًا في السنّ مثلي

ليأت لأهله من قال يوما ∴ إذ شاب الغراب أتيت أهلَي

و له أيضًا رحمه اللّه:

لا غَرْو إن رمت الوصل منها ثانية ∴ و كان عني منها الوصل يمتنع

و قدها غصن بان و الغراب أنا ∴ إنَّ الطيور على أمثالها تقع

حَـار طاغيتهـا مـن بـأس أميرنـا ∴ و قلبه مملوء بالرعـب و الـوجَسِ

حار، يحار حيرة و حيرانًا و تحير و استحار، نظر إلى الشيء و لم يهتد لسبيله فهو حيران و الجمع حياري و الحيرة بالكسر بلد قرب الكوفة و بفارس و حيرة ككيسة بلد بجبل نُطاع و الطاغية يقال للشيطان و الكاهن و كل رأس ضلال و مراده أهل الكتاب ثم صار حقيقة عرفية في ملك الكفرة و البأس مرَّ تفسيره و الرعب بضم و بضمتين الفزع رَعب كمنع خوفه، فهو مرعوب و رعيب كرعبَهُ و الحمامة رفعت هديلها و جارية رعوبة ناعمة و الرعيب الرهيب كامير السمين يقطر دسمًا و الرعبوب الضعيف الجبان و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: قصدت بالرعب سير شهر و لم أقتصر على الشهر لأن ملوك الدنيا العظام بينه و بينهم تلك المسافة فلذا أحدد تلك المسافة بشهر و الرعب الذي أنزله له اللّه و قذفه في قلبه "يزد جرد" ملك الفرس و هرقل ملك الروم و نحوهم مشهور في كتب السِّيَر، يقال هرقل كخندف و هرقل كذمش و قولي و الوجس، و في القاموس الوجس كالوعد، الفزع يقع في القلب و في الجوهري الخوف و أوجس الآية أي أضمر الخوف و الجوس أيضا الصّوت الخفي، قال كانوا يكرهون الوجس و هو أن يجامع أمرأة و ضرتها تسمع، و الواجس الهاجس و التوجس التسمع إلى الصوت، قال ذو الرمّة[127] في صايد:

إذا تـوجس رِكـزا مـن سـنابكها ∴ أو كان صاحب أرض أو به الموم[128]

و المراد بطاغية الكفرة هنا هو صاحب مدريل قاعدة ملكهم و هي بازاء طليطلة. كان بدر الجمالي من أهل البأس الشديد و الرأي السديد و كان ملك مصر المستنصر ضعف أمره فأشير له به، فقلدهُ وزارته فشفى و كفى و لما دخل عليه أول مرّة وافق قراءة القارئ (و لقد نصركم اللّه ببَدْر) و سكت، قال الملك: و اللّه لو أتمها لضربت عنقه، و لَمَّا مات بدر و لي المستنصر ابنه أبا القاسم شهنشاه الملقب بالفضل، جمع له بين وزارة السيف و العلم و لما مات المستنصر و ملك ابنه أحمد المستعلى استمر الفضل على وزارته، فوجَرَ[129] دولة المستعلى و حجر عليه و منعه من الشهوات، فإنه

---

[127] ذو الرمّة : شاعر من قبيلة بني عدي : إسمه غيلان بن عقبة بن مسعود. كان معاصرًا للفرزدق و جرير. تغزل ببدوية تدعي "مَيَّه" فكان من أشهر عشاق العرب. لكنه رفضته. مات بالجذري سنة 117 هـ على الأرجح

[128] البرسام و الحمَّى

[129] وَ جَرَهُ: أسمعه ما يكرهه

كان كثيرا اللعب، و كان يسكن بدار الملك التي على النيل و هي الآن دار وكالة، فلما ركب من داره و تقدم إلى الساحل فأوثب إليه المستعلى جماعة فقتلوه سنة خمس عشرة و خمس مئة و هو والد أبي على بن شهنشاه، و أبوه بدر هو الذي بني الجامع الذي بثغر الإسكندرية في سوق العطارين، و الفضل هذا هو الذي أخذ القدس من بني أرنق و ولي عليه من قبله، فلم تكن له طاقة بالفرنج، فأخذوه عنوة سنة اثنين و تسعين و أربعمائة و لو تركهُ في يد الأرنيقة لكان أصلح للمسلمين، فندم الفضل حيث لم ينفع الندم و خلف من الأموال ما لم يسمع بمثلها، فإنه خلف ستمائة ألف دينار و مائتين و خمسين أردبًا[130] دراهمِ و خمس و سبعون ألف ثوب ديباج و ثلاثين راحلة إحقاق، و ذهب عراقي و دواةً ذهب فيها جوهر قيمتها إثنا عشر ألف دينار و مائة مسمار ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشر مجالس، بل كل مجلس عشرة مسامير على كل مسمار منديل مشدود مذهب، بلون من الألوان أيما أحب منها لبس، و خمسمائة صندوق كسوة لخاصته من دفيس و خلف من الخيل و البغال و المراكب و الإبل و الحمير، و الطيب و الحلي ما لم يعلم عدده إلا الله تعالى. و خلف من الجاموس و الغنم ما يستحي الإنسان من ذكر عدده و بلغ ضمان ألبانها في عام وفاته ثلاثين ألف دينار و وجد في تركته صندوقان كبيران فيهما صندوق الذهب برسم النساء و الجواري و يقال إن السلطان سنجر أكثر منه ذهبًا و الفضل أكثر في غيره، و هو أبو الحارث سنجر بن ملك شاه بن البارسلان بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق سلطان خراسان و ما وراءها خَطب له بالعراقين و الحرمين و أرمينية و أذربيجان و الشام و ضربت السكة باسمه في الخافقين و لقب السلطان الأعظم ذكر عنه وهب في خمسة أيام سبعمائة ألف دينار غير الخلع و الخيل و نحو ذلك قال خازنهُ، قلت له يومًا في خزانتك ألف ثوب ديباج أطلس و أحب أن تنظرها فسكت و ظننت أنه رضي فلما نظرها حَمَدَ الله ثم قال يقبح لمثلي أن يقال له مال إلى المال و فرقها من حينها على أهل دولته و اجتمع عنده من الجوهر ألف و ثلاثون رطلا و لم يزل أمره في ازدياد إلى أن ظهرت عليه الأغز و هم جيل من الترك سنة ثمان و أربعين و خمسمائة و توقعوا وقائعٍ كثيرة اشتهر فيها الفقيه محمد بن يحيى و هزموه و ملكوا نيسابور و قتلوا بها خلقًا كثيرا لا يحصى و ملكوا أمر مَرْو و انقطع بموته استبداد الملوك السلجوقية لخراسان و استولى على

[130] الإردب: مكيال ضخم يساوي 24 صاعًا (يساوي تقريبا 150 كلغ).

أكثر ملكهم خوارزم شاه فسبحان من لا يزول ملكه و كتب إلى الأقطار بِقَطْع الخطبة و البقاء للّه وحده (لا معقب لحكمه و هو سريع الحساب).

أخبارها قد طارت في الأرض قاطبة ∴ لاقينا في أمْدُوجَات مرورًا بقابس

أوبة حجنا فقلنا هنيئا لنا ∴ وصَلنا حجَّ الجمع بالجهاد و النفس

الضمير يعود على وهران أي أخبار حربها و محاصرتها و كفاح مجاهدتها و تخيم المنصور باللّه عليها و اتصال الوقائع بينه و بينها طارت في كل الأرض و قولي طارت أخبارها أي انتشرت أو نقلت فهو استعارة أو مجاز عقلي و قاطبة اسم يدل على العموم قَالَ الجوهري نقول جاء القوم قاطبة أي جميعًا و القطب كوكب بين الجدي و الفرقدين يَدُور عليه الفلك و صاحب الجيش قطب حربهم و هَوَام بن قطبة الفزاري الذي نافر إليه عامر بن الطفيل و عِلقمة بن علاثة و قولي لاقينا أي خبر الجهاد بوهران في أمدوجات جبلان في البحر الرومي هما أقرب إلى سواحل إفريقيا من صقلية و غيرها بهما رهبان من النصاري و لهم خُدم و غَنَم و غير ذلك و إن غابا عنك ظهرت لك جزيرة قوصرت[131] و قولي من وراء قابس ليس المراد في البرّ و إنما المراد وراء قابس لجهة الشمال في البحر لأن قابس على الساحل و أمدوجات جزيرة أخبرنا بذلك مركب من صفاقس وجدناه بتلك النواحي ذاهبًا لجزيرة المورة من جزر الترك و نحن آتيين من الحج و قد وقفنا بعرفة المباركة يوم الجمعة من عام أربع و مائتين و ألف و خبر وهران لقينا بذلك الموضع و هو أمدوجات في شعبان من سنة خمس و لفظ هنيئًا يقال على سبيل الدعاء و لقد مرّ الشعبي بجماعة و فيهم رجل يغتابه فأنشد متمثلاً رحمه اللّه.

هنيئًا مريئًا غير داء مُخَامِر ∴ لعزة من أعراضنا ما أستحلت

و لقد لقينا في سفرنا للحج العلماء بتونس و تفاوضنا معهم في مباحث في العلوم على حسب معرفتنا وَ زُرْنا شيخنا العالم العامل الرباني الكامل سيدي أحمد بن عبد اللّه السوسي[132] ثم دخلنا اسكندرية فزُرنا القطب أبا العباس المرسي و لقينا عالمها و أديبها خاتمة العلماء و الأدباء وَ حَامل راية الشعر و الخطباء سيدي محمد

---

[131] جزيرة كرسيكا

[132] أحمد بن عبد السوسي : عالم تونسي توفي بها سنة 1212 هـ (1827م)

المسيري ثم دخلنا مصر فلقيت مُنْيَتي و غاية مطلبي و بغيتي شيخنا الشيخ أبو الفيض مرتضى و تغمده الله برحمته و أسكنه فسيح جنته قرأت عليه أوائل عدة علوم و أجازني بالباقي و لقد جرى بيننا و بينه حكايات و نوادر و مفاكهات و مباحث في علوم الحديث و التاريخ و غير ذلك ثم أذن لي في الحج في عامي ذلك و كتب لي إلى باي أسويس و ركبت في البحر إلى جدة و دخلت مكة المنورة في ذي القعدة فأول رؤيتي للبيت الشريف وقعت عيني على بابها مفتوحا فاغتنمت هذا الفأل و علمت بإقبال الحال و رفع صالح الأعمال فدرست بالمسجد الحرام شيئًا من مختصر الشيخ خَليل عند المقام الحنفي بِمَرْأى من البيت الشريف و مسمع و درست خلاصة ابن مالك عند بَاب العمري بمرأى من البيت الشريف و مسمع أيضًا و قرأت على شيخنا العلامة اللغوي الصوفي سيدي عبد الرحمن الشاذلي كتاب أحَدِ الأقطاب و الأولياء الإنجاب الذي جاوز في طريق القوم المعتاد سيدي محمد بن عباد[133] رحمه الله على حكم الرباني ابن عطاء الله[134] و ختمناه في الحج صبيحة الجمعة الثالثة من وقوفنا و (الحمد لله الذي هدانا لهذا و ماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) ثم رحلنا من مكة بعد قضاء أمورنا و فراغ نسوكنا[135] و تمام حجنا فدخلنا مصر فوجدت الشيخ بأحسن حال و أطيب بال قرأت عليه ما تيسر ثم كتب لنا الإجازة و أذن لنا في القفول إلى أرضنا فمات رحمه الله بعد سفري من عنده بنحو خمسة أشهر رحمه الله و جعل في الجنة مأواه و لما دخلتُ تونس في أوبتي و تنفست عني كربتي و زالت لانقضاء أهوال البحر روعتي وجدت بها غاية المرتجى و المطلوب عالمها و مفتيها سيدي محمد بن المحجوب صاحب المآثر و المكارم التي سار ذكرها و اشتهر أمرها فكنت عنده في أرفع مكان و أطيب زمان حتى أذن لي في السفر هذا و خبر الجهاد بوهران كل يوم عندنا في ازدياد و أنتشر في أقطار أفريقية فعم جميع البلاد فلما دخلنا في أيالة قسنطينة وَجَدْنَا خبر الجهاد ملأ البر و المدينة لقد لهجوا بذكره و كثر تحدثهم عليه فلما دخلت أم عسكر في شوال من ذلك العام، سمعت صواعق

---

[133] محمد بن عباد : محمد بن ابراهيم.. الحميدي الرنْدِي : متصوف و باحث كان خطيبا بجامع القرويين بفاس ولد سنة 733 هـ و توفي سنة 792 هـ بفاس. من مؤلفاته "الرسائل الكبرى" و "الرسائل الصغرى" في التوحيد و التصوف. و كتاب "غيث المواهب العلية بشرح الحِكَمُ العطائية" و "شرح أسماء الله الحسنى".

[134] ابن عطا الله : (أبو الفضل الاسكندري : أحمد بن محمد بن عبد الكريم [659 هـ – 709 هـ] : من تأليفه : "الحكم العطائية" في التصوف و التوفيق في آداب الطريق "شرح فيه قصيدة الغوث أبي مدين.

[135] نسخة ب : فارغ نسكنا

البونبة و المدافع كأنها رعد طوام، أو زلازل عظام. ثم إني قمت بمعسكر يسيرًا و حادى الجهاد يجذبنى إليه كثيرا و مدافع الحرب في كل ذلك تنسف آذاني و بشائر النصر تطيب أرداني و حب الجهاد يجذب إليها عناني حتى دخلت المحلة المنصورة التي بها دار الكفر مخذولة و مقهورة و قطب دائرتها أميرنا المنصور بالله جادًا مشمرًا مبالغًا في نكاية أعداء الله و هو إذْ ذاك مخيمًا على برج العيون و الجديد[136] و نار حربه كل يوم على الكفرة تتجدد و تزيد حتى يسر الله فتحها و عجل للمسلمين نجحها و قابس بلدة من أفريقية كناصر، بلد بالمغرب بين طرابلس و صفاقس و القابوس الرجل الجميل الوجه الحسن اللون و أبو قابوس النعمان بن المنذر ملك العرب و أبو قبيس جبل بمكة سمي برجل من مُذْحِجْ حداد لأنه أول من بني و كان سمي الأمين لأن الركب كان مستودعًا فيه انتهي و كان الأمراء بقابس بنوا جامع في عهد الدولة الصنهاجية منهم رشيد بن كامل بن جامع الذي اختط قصر العروسين و ضرب السكة الرشيدية و أخذها عبد المؤمن من يد ابنه مدافع و هو آخر ملوكهم بها ثم ثاربها دهمان بعض بطون رياح فبعث عبد المؤمن ابنه عبد الله فأخذها منهم و بقيت في طاعتهم إلى أن استولى عليها ابن غانية ثم استولى عليها بنو مكي أيام بني مَرين و أبو العباس منهم هو الذي فَدى طرابلس من الكفرة بخمسين ألف دينار و هي اَلآن تحت طاعة تونس.

وجدنا سُوسَة و المُنَسْتير قد سمعوا ∴ مدينة اللخمي و جربة مع تونس

و لما خرجنا من البحر في شهر شعبان على سواحل أفريقية وجدنا خبر محاصرة المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان لوهران بسوسة و المنستير و صفاقس و هي مدينة أبي الحسين على اللخمي رضي الله عنه صاحب الاختبار في مختصر الشيخ خليل و كذا وجدنا خبر جهاد وهران أيضًا عند أهل جربة كما أخبرنا بعضهم قبل خروجنا من البحر بيوم و كذا وجدنا أهل تونس سمعوا أيضًا و سوسة هذه من أعظم مدن سواحل أفريقية و كان رُجَار طاغية صقلية أغزى القائد جرجي[137] سنة ثلاث و أربعين و خمسمائة في ثلاثمائة مركب و خادع المسلمين بأنه جاء مرد للحسن

---

[136] برج العيون : يقال له "Fort "St Philippe بناه الإسبان في بداية القرن 17 م جنوب المدينة لحماية مياه وادي رأس العين. البرج الجديد : يقال له : "Fort "St André و برج الصبايحية : يقابل "باب الجيارة"، تم بناؤه بين 1692 و 1697 م (أنظر الخريطة)

[137] الملك النور مَنْدي روجار الثاني الصقلي و أمير البحر جورج الصقلي

سلطان المهدية بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن دابس و كانت عساكر الحسن وجهت صريخاً لصاحب القلعة فلما لم يجد صريخاً تخلى عن المهدية و تَبعه الناس و تملك العدو بالمدينة دون دفاع و ترك الحسن الذخائر الملوكية فأمَّنَ جرجي الناس و أبقاهم تحت أيالته و ردَّ الفارين منهم و بعث إلى صفاقس فملكها و كذا سوسة و طرابلس و المستير[138] و سائر بلاد الساحل و ولي على أهلها الجزية إلى أن استنقذهم من الكفر عبد المؤمن بن علي سنة خمس و خمسين و خمسمائة و في أيام تميم من أبناء الحسن المذكور تغلب الجنويز[139] على المهدية سنة ثمانين و أربعمائة نزلوا للبرّ في ثلاثين ألف مقاتل بعدما أرسلوا في ثلاثمائة مركب و استولوا عليها ففداها منهم تميم بمائة ألف دينار فَنَزَلوا عنها و كان ابنه يحيى بن تميم اعتنى بغزو الكفرة في البحر حتى أتَّقَتْه أمم النصرانية بالجزية من وراء البحر و أتوها أول ولاية الحسن و زحفوا للقتال حتى ملكوا قصر الدهاس ثم تزامن المسلمون و غلبوهم و استلحموهم فرجعوا خَرَابا إلى صقلية فَالْحَاصِلُ أن مهدية بني عبيد غزاها الكفرة ثلاث مرات و لما أوقع العرب بالمعز بن باديس سنة تسع و أربعين و أربعمائة و نزل المهدية في خفارة مؤنس بن يحيى الرياحي خرجت سوسة عن حكمهِ و تونس و أما المنستير فهي من مدن السواحل أيضا و يقال لها نعم المرفأ و بئس المسكن و قد زرت بها قبر الإمام ابن يونس[140] صاحب الترجيح و المازري[141] صاحب الماقول و القول في مختصر الشيخ خليل و صفاقس هذه هي أقرب مما ذكر إلى جربة قال في القاموس صفاقس بفتح الصاد و ضم القاف يشربون من الآبار و لما تضغضع ملك صنهاجة، ثار حمُّو البرلغواطي عليها فملكها سنة إحدى و خمسين و أما جربة فهي جزيرة قد أحاط بها البحر من كل جهة و لا يخلصون إلى البرّ إلاّ في المراكب و حدثني أهلها أنهم كانوا عملوا طريقا في البحر الحائط بها من جهة القبلة، فلما صار الأسد و الذئب و اللص يدخلون منها هدموها إلى الآن[142]. طول هذه الجزيرة من الغرب إلى

---

[138] المنستير: مدينة ساحلية بتونس

[139] الجنويز: الجنويون: أهل جنوة

[140] المازري محمد التميمي : فقيه مالكي و محدث. توفي سنة 536 هـ بالمهدية. من مصنفاته : "المُعْلم بفوائد مسلم في علم الحديث و "ايضاح المحصول في برهان الأصول" و "نظم الفرائد في علم العقائد" في أصول الفقه و مدونة سحنون.

[141] ابن يونس : أحمد بن يونس بن سعيد القسنطيني (813–873 هـ) : كتابه : ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي "صلع".

[142] تقول بعض المصادر أن هدم الجسر يعود إلى خوفهم من الهجمات التي تأتي من البرّ.

الشرق ستون ميلا و عرضها من المغرب عشرون ميلا و من المشرق خمسة عشر شجرها التين و الزيتون و العنب و اختصت بالتفاح و عمل الصوف يتخذون منها الأكسية تنقل إلى الأقطار فيتنافسها الناس للباسهم و أهلها من البربر و أكثرهم من لماية الذين ملكوا عبد الرحمن بن رستم بن دانستان بتاهرت و بعضهم من كتامة و من سدويكش و نفزة و هوارة و كانوا قديما على دين الخوارج و بقي الآن بها فرقتان الوهبية على رأي عبد الله بن وهب الراسبي الذي قتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالنهروان و هم بالناحية الغربية و النكارية و هم بالناحية الشرقية و الرياسة في الوهبية و فتحت أول الإسلام على يد رويفع بن ثابت الأنصاري من بني النجار ولاّهُ مُعَاوية على طرابلس سنة ست و أربعين فغزا إفريقية و فتح جربة سنة سبع بعدها و شهد له بفتحها ولي الدين القرافي في العتبية في مصطلح الحديث[143] إنّ قبر رويفع الأنصاري ببرقة أيضا و قيل بافريقية و هذا قول أبي زكرياء بن هِنْدَة و هو آخر من مات بها من الصحابة رضي الله عنهم و القول الأول صححه المازني[144] و قال ابن الصلاح لا تصح و فاته بافريقية و ذكر ابن يونس أنه توفي ببرقة و هو أمير عليها لمسلمة بن مخلد سنة ثلاث و خمسين و أن قبره معروف ببرقة إلى اليوم. و في تهذيب الكمال أن وفاته سنة ست و خمسين و فيه قول آخر أنه مات بطرابلس قاله الليث بن سعد و لما ظهر أبو يزيد صاحب الحمار، أخذوا بدعوته سنة إحدى و ثلاثين و ثلاثمائة، ثم استردها إسماعيل و قتل أصحاب أبي يزيد و لما غلبت العرب صنهاجة على الضواحي، أخذ أهل جربة في إنشاء الأساطيل و غزوا السواحل إلى أن غزاهم على بن يحيى بن تميم بأساطيله، فانقادوا و ضمنوا له قطع الفساد ثم غلبهم النصارى عليها سنة تسع و عشرين و خمسمائة ثم ثار أهلها عليهم و أخرجوهم سنة ثمان و أربعين ثم غلبوا عليها ثانية و سبُوا أهلها و لم تزل مترددة بين المسلمين و النصارى إلى أن استولى عليها عبد المؤمن و بنوه إلى أن ذهبت دولتهم و استقل بافريقية بنو حفص، فغلب على هذه الجزيرة نصارى صقلية ستة ثمان و ثمانين و ستمائة و أخذوها من أميرهم محمد بن سموا شيخ الوهبية

---

[143] صاحب العتبية ليس هو ولى الدين القرافي بل العتبي : محمد العزيز بن عتبة : فقيه و محدث توفي سنة 255 هـ. من آثاره : العتبية المستخرجة من الأسمعة المسموعة من مالك بن أنس.

[144] المازني : أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية حبيب المازني : كان متسعا في الرواية. توفى سنة 249 هـ

ابن الصلاح : إبراهيم بن محمد.. مفسر و محدث (1141-1213 هـ) له: "الفلك المشحون في شرح أسماء من يقول "كن فيكن". و "مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن".

و يخلف بن مغار شيخ النكارية زحف اليها المداكية[145] صَاحبُ صقلية نائب عن الفرديريك بن (الريداطون) طاغية برشلون في سبعين أسطولا من الغربان[146] و غلبوا عليها بعد حروب، فنهبوا أموالهم و احتملوا أهلها أسَارَى، فقال إنهم ثمانية آلاف بعد أن رسوا بالموضع في الجنوب فكانت هذه الوقيعة من أشجى الوقائع على المسلمين و فرضوا عليها المغرم مائة ألأف دينار كل سنة و بنوا بها حصن القشتيل مربع الشكل في كل ركن منه برج و بين كل ركنين برج و يدور به خفير و صدران و بقيت بأيديهم إلى أن فتحت أيام السلطان أبي بكر على يد وزيره مخلوف بن الكماد سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة و قال الشيخ إبراهيم أن جربة من الخوارج أي على رأيهم لا أنهم من ذريتهم لأن أصل قبائلهم قديم بالمغرب و لهم مجولات في قواعد ديانتهم و أصول عقائدهم وَ فُروع مذاهبهم و لهم الآن اعتناء عظيم بغرب البحر و الأساطيل و كذا أهل صفاقس لحرب أهل مالطة حتى أذاقوهم شرًا و قهروهم قهرًا و أسروا رئيس أساطيل مالطة قيطان لعنه الله و هو مضيّق عليه إلى الآن في الحبس مصفد في الحديد بقرية غار الملح[147] على يد باشة تونس و قد كان هذا اللعين أكثر من سبي المسلمين حتى ضايق أهل السواحل و له معرفة كثيرة بتلك السواحل من عنابة إلى طرابلس و في وقت الثمرة يشحن المراكب بها و ينقلب إلى مالطة و قيل له مرة بكم أتيت من أسير فقال خمس و ستون و لا أدري كم ولد البارحة نساؤهم الحوامل فذلك سنة خمس و تسعين و مائة و ألف في المسغبة[148] فأراح الله المسلمين منه و الحمد لله قَالَ ابن خلدون و لما افترق أمر الفرنجة و تعددت طوائفهم أوائل الثامن أهل بَرْشولنة و جنوة و البنادقة و غيرهم غزوهم أهل سواحل أفريقيا و أول من شرع في ذلك أهل بجاية أواسط المائة الثامنة فيضعون الأسطول و يتخيرون له أبطال الرجال ثم يركبونه إلى جزائر الفرنجة فيختطفون منها ما يقدرون عليه و يصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فينصرفون بها غالبًا حتى امتلأت سواحل ثغور بجاية من الأسارى فترتج طرق البلد بصخب السلاسل و الأغلال عندما

[145] ظهر النصارى مرة أخرى سنة 1284 م فاستغل روجي دوريا، أمير بحر بُطرس الآراغوني ملك صقلية، فأنزل جنوده مرتين 1284 و 1285 و نهبها و استولى عليها و بقيت في حوزته إلى سنة 1310 م فاستنجد الجربيون بالحفصيين و حاولوا استعادتها دون فائدة. فانتشرت الفوضى في الجزيرة فرأى فريديرك الاراغوني أن يضع حدًّا لهذه الحالة فاستدعى المغامر مونتانير القطلوني، فأعمل القتل في أهل جربة و ظل في حكمها ثلاث سنوات (1311 – 1314). إنه عصر انتعاش القرصنة النصرانية.

[146] الغربان: نوع من السفن تدعي الأغربة و بالفرنسية les Brigantines مفرده غراب.

[147] غار الملح يقال لها بالفرنسية Porto Farina : هي ميناء بناه الداي أسطا مراد 1637-1640.

[148] المسغبة: المجاعة

ينتشرون للخدمة و يُغالون في فدائهم فامتلأت قلوب الفرنجة ذلاً و حسرة و عجزوا و شكوا إلى السلطان أبي العباس بالمضرة فصم عن سماعهم فعند ذلك تدامرت أمم الفرنجة و تعاقدوا على غزو أفريقيا و زحفوا إلى المهدية سنة اثنين و تسعين و سبعمائة و ضربوا سورًا من خشب بينهم و بين البرّ و شحنوه بالمقاتلة فقاتلهم أهل البلد صابرين محتسبين و توافدت إليهم الأمداد من النواحي فحال دُونهم الفرنجة و سرح السلطان العساكر إلى نصرهم و خرج أخوه يحيى و بنوه للجهاد و اجتمعت بالمهدية أمم و لحقوا على الفرنجة بالقتال و نَضْح السهام فبرز الفرنجة للقتال فكان بينهم و بين المسلمين جولة و جال فيها أبناء السلطان و كادَ الأمير أبو فارس يتورط لولا حماية الله و تداركت عليهم الحجارة و السهام و النجدة من أسوار البلد فاحترق حصنهم فوَجَمُوا الحريقة ثم أقلعوا من الغد إلى بلادهم و خرج الناس يتباشرون بالنجاة و يتنادون بشكر الأمراء و توفي أبو العباس سنة ست و تسعين و بويع لابنه أبي فارس عزوز قلت و قد زحف عدو الله البلنسيان إلى سوسة آخر القرن الثاني عشر في إحدى عشر مركبًا من الكفار فرماها بالبونبة فهَدم منها كثيرا ثُمَّ انصَرف و توافدت الحشود عندها فلم تقرب الكفرة للبرّ وَ إنِي رأيت الهدم بها فسألت فقيل لي من رَمْي بلنسيان و لما مات أبو زكريا سنة سبع و أربعين من القرن السابع و بلغ الخَبر إلى صقلية و كان المسلمون بها بمدينة بَلَرْم، حاصرهم طاغية صقلية حتى استنزلهم و أجازهم لعدوته ثم تعدى إلى جزيرة مالطة فأخرج من بها من المسلمين و استولى الطاغية على جزائر صقلية و مالطة و مَحَى الاسلام منهما و الله غالب على أمره سبحانه و جميع المدن المذكورة في البيت في طاعة باشا تونس الآن بلا منازع فالحاصل من شَقْنَبَارية و هي مدينة الكاف إلى قابس تحت حكمه لا منازع له فيه مع جبل وسلات و غيره و تونس كانت من بسائط قرطجنة و مسارحها خالي موضعها عن البناء و يقال كان ثمة صومعة راهب و كان يجهر بذكره ليلاً يسمعه غيره من رهبان ذلك الموضع فيقولون مثله أو نَحو ذلك من مقاصدهم فسميت تلك الصومعة تونس[149] و كأنَّهُ من التأنيس بمعنى المؤانسة و الله أعلم و قاعدة افريقية

[149] تقول رواية أخرى إن إسمها يعود إلى "تينس" Tynes التي ذكرها المؤرخ اليوناني : بوليب polybe لم يكن لها شأن في العهود الرومانية و برزت مع الفتح الاسلامي حين دَمَّر حسّان بن النعمان قرطاجة و بنى إلى جانبها قاعدة بحرية بها دار الصناعة و جلب اليها الحرفيين من مصر و غيرها. أخذت تتوسع في تجارتها خلال القرنين الثامن و التاسع و جلب أهلها الحجر و المرمر من قرطاجة لتشييدها. و قد حث وَلِيُّها الشهير سيدي محرز بن خلف خلال القرن 10، سكانها على بناء سورها و توسيع عمرانها و تجارتها.

في القديم قرطاجنة و اسبيطلة و هما اللتان فتحهما الإسلام و أما المعلقة فهي من جملة قرطاجنة لشدة اتصالها و لم تكن تونس مدينة في زمن الإمام مالك و لا في زمن ابن القاسم و لا في زمن ابن غانم[150] و سحنون رضي الله عنهم أجمعين و انما قاعدة افريقية في زمنهم القيروان و قد مَرَّ تاريخ بنائها و ترادفه المهدية لما بناها عبيد الله المهدي في آخر القرن الثالث و كانت النصاري تكثر للمهدية الغزوات أكثر من غيرها من مدن افريقية و سَبَبُ بِنَاء تُونَسْ أن المسلمين لما سكنوا قرطاجنة و كانت من أقدم مدن العالم فكثر خرابها و اتسع على الرقع إلتئامها، فأختط المسلمون تونس حذوها و صاروا ينقلون أنقاض قرطاجنة و يبنون بها تونس حتى كملت. فتونس كلها بنيت من تلك الانقاض و بقيت قرطاجنة خربة كأن لم تنقل منها حجارة حتى أعفى رسمها و درس أثرها محمد المستنصر بن أبي زكرياء الحفصي سنة تسع و ستين و ستمائة لما غزا الفرنج تونس و تترسوا بها و كثر تمدن تونس في القرن الرابع زمن ولي الله سيدي محرز بن خلف نفعنا الله به.

فتونس من اختطاط المسلمين كالقيروان و قابس و مراكش و القاهرة و بغداد و تاهرت و سجلماسة و الجزائر و المدية و مليانة و الأنبار و الراصفة و وجدة و وهران و الكوفة و البصرة و غيرها مما لا يدخل حصر.

و قال الشيخ ابراهيم عند قول الشيخ خليل و زوج الحاكم في كافريقية الخ، بعد تقرر المعلوم في تلك المسألة هل هي لمالك أو أبي القاسم و نسبه لابن خلدون في التاريخ الكبير و قد كان ملوك صنهاجة بالقيروان يولون عليها عاملا مثل باجة و سوسة و شقنبارية و غيرها و لما أوقع العرب بالمعز بن باديس ملك صنهاجة و قتلوا من صنهاجة ثلاثة آلاف و ثلاثمائة، خرجت تونس عن طاعته كقابس و قفصة و غيرهما لما رأوا انحلال نظام الدولة الصنهاجية في تلك الوقعة العظيمة[151] و في ذلك يقول علي بن زروق الرياحي:

---

[150] ابن قاسم: توفي سنة 181 هـ (806 م) و ابن غانم بن عمر : قاض فقيه من القيروان. له "ديوان ابن غانم" و سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي (160 –240هـ) صاحب المدونة الكبرى في الفقه المالكي من أئمة المالكية في المغرب و مصر.

[151] وقعة حيدران سنة 443 هجرية جمع المعز جيشا يتكون من العبيد و صنهاجة و عرب الفتح و زناتة لكن زناتة و عرب الفتح و الفرقة الحمادية خانوه فهزمه بنو هلال يقال "للكثرة الرعب و للقلة النصر" و تقع حيدران بين قابس و القيروان

لقد زار و هنا من أسوم خيال ∴ و أيدي المطايا بالزميل عجال

و ابن باديس لأفضل مالك ∴ لعمري و لكن ما اليه رجال

ثلاثين ألفًا منكم هزمتهم ∴ ثلاثة آلاف و ذاك ضلال

و لَّما اقسم العرب مدن افريقية بعد هذه الوقعة سنة ست و أربعين من الخامس صارت طاغية افريقية إلى بني حماد ملوك القلعة فَوفد أهل تونس على الناصر بن عِلناس فولي عليهم عبد العزيز بن خرسان الأظهر أنهم من صنهاجة فقام بأمرهم و صالح العرب على شيء معلومٍ و لما هلك سنة ثمان و ثمانين و أربعمائة قام بأمره ابنه أحمد و هو أول من تَحَلَّى بسير الملوك من أمراء تونس و خرج عن مسيرة المشيخة و اشتدت وطئته فكان من مشاهير بني خرسان و استقل بتونس أول القرن السادس و ضبطها و بني أسوارها و أصلح حالها و بني قصور بني خرسان و كان مجالسًا للعلماء محبًّا فيهم ثم نازلته عساكر العزيز بن المنصور ملك بجاية فعاد إلى طاعته سنة أربع عشرة ثم ملكها مطرف بن علي قائد يحيى بن العزيز و أخرج منها أحمد ثم حدثت الفتنة بين أهل تونس سنة ثلاث و أربعين من القرن السادس فكان مصاف الحرب بين أهل باب السويقة و أهل باب الجزيرة و كانوا يرجعون في أمورهم إلى القاضي عبد المؤمن بن الإمام أبي الحسن و لما ظهر عبد المؤمن و هزم العرب بسطيف[152] و دخل في طاعته بجاية و قسنطينة ثم رجع إلى مراكش انتهت إليه شكوى الرعية مما نزل بهم من العرب بعث ابنه عبد اللّه بالعساكر فنزل تونس سنة اثنين و خمسين و امتنعت عليه و دَخَلت العرب مع أهل تونس و اجتمع جندهم و برزوا للموحدين فأوقعوا بهم و افرجوا عن تونس وَ هلك عبد اللّه بن خرسان خلال ذلك وَ ولي علي بن أحمد بن عبد العزيز و زحف عبد المؤمن إليها من مراكش فانقادوا لطاعته و نقل علي لمراكش بأهله و أفرج ابن زياد عن المعلقة و حَسَمَ عبد المؤمن فساد أفريقيا قُلْتُ لم تصر تونس قاعدة أفريقية إلاّ في أول القرن السادس أيام أحمد بن العزيز بن خرسان و اللّه أعلم.

عدّة أشهر الحرب يساجلها ∴ طَالعُ سعدله عليهم بالنحس

[152] واقعة سطيف في صفر 548 هجرية تصدى عبد المؤمن الموحدي لجموع بني هلال و ألحق بهم هزيمة نكراء و بها صفا المغرب الأوسط للموحدين

و مساجلة الحرب هي أن تكون يومًا بيوم بأن تنال من الكفرة و يَنَالُوا منا و العاقبة لنا قال الله تعالى (و العاقبة للمتقين) و طالع الخ يقال طلع الكوكب و الشمس طلوعا و مطلاعًا فهو طالع و أطلع على باطنه و على سرّه و موضع الإطلاع من أشراف إلى إنحدار..

و من اللطائف في الأجوبة إن الصاحب ابن عباد[153] حَبَسَ بعض عماله في دار حَذوه فطلع الصاحب يومًا على السطح فناداه المحبوس بأعلى صوته و قد كان حبسه بمكان ضيق فأطلع فرءاه في سواء الجَحيم فأجابه الصاحب بديهة أخْسَئوا فيها و لا تكلمون و قول عمر بن الخطاب لأفديت به من هول المطلع تشبيه لما يشرف عليه من أمر الآخرة و في الحديث ما نزل من القرآن من آية إلاّ لها ظاهر و باطن و لكل حرف حَدٌّ و لكل حدّ مطلع أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه و مرّ الكلام على سعود النجوم العشرة و النحس ضد السعد و قولي في يوم نحس على الصفة و الإضافة أكثر و أجود و قد نحس الشيء بالكسر فهو نحس أيضا قال الشاعر:

أبلغ جذاما و لخما إن اخوتهم ∴ طيًّا و بهراء يوم نصرهم نحس

و النحاس معروف و في القاموس النحس الأمر المظلم و الريح الباردة إذا أدبرت و الغبار في أقطار السماء و ضد السعد و قد نحس كفرح و كرم فهو نحس و هي أيام نحيسة و نحسة و نحسات و النحسان زحل و المريخ و عام ناحس و نحيس مجدب و المناحس المشائم و النحاس مثلث عن الكراشي القطر و النَّار سقط من اشرار الصفر و الحديد إذا طرق و الطبيعة و مبلغ أصل الشيء و نحسه كمنعه جَفَاه و تنحس الأخبار تتبعها كاستنحسها و النصارى تركوا أكل اللحم و نحس كمرد ثلاث ليال بعد الدرع و هي الظلم أيضًا و هي التي تلى الليالي البيض لإسْوِدَاد أيامهاً و ابيضاض سائرها و من الحكايات أن الحجاج لما دخل الكوفة متوجها إلى عبد الملك بن مروان فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه درجة فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله فقال تاهت الوجوه و تبت الأيدي وَ بَقْ[154] ثم

---

[153] الصاحب ابن عباد : أبو القاسم اسماعيل بن عباد. توفي سنة 385 هـ. له "المحيط في اللغة".

[154] بقأ، بقاوة: نظرة بعينه

يغضب من اللّه إن إنكسر عود خِرْوِع[155] ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشُّؤْمِ و أنا على اعداء اللّه لأنْكَدُ من كل نكد و أشئم من يوم نحس مستمر الخ الحكايةَ حُكِي أن الإمام داوود بن علي الأصبهاني المعروف بالظاهري[156] كان زاهدًا كثير الورع قال جلس إلى جنبي أبو يعقوب الطرطشي البصرى و عليه خرقتان و قال له : سَلْ عَمَّا بذلك فأغضبت عنه ثم قلت له مستهزئًا سألتك عن الحجامة و أوقاتها فبارك ثم روى طريق أفطر الحاجم و المحتجم و من أرسله و من أسندَهُ و من وقعه و من احتج به من الفقهاء و رَوَى طريق احتجام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سَلّم و اعطائه الحجام أجره و لو كان حرامًا لم يعطه ثم روى طريق إنه صَلَّى اللّه عليه و سلَّم احتجم بقرنٍ ثم ذكر الأحاديث الصحيحة في الحجامة ثم ذكر المتوسطة مثل شفاء أمتي في ثلاثٍ ثم ذكر الأحاديث التي نهى فيها عن الأيّام و الساعات ثم ذكر ما ذهب إليه أهل الطبّ من الحِجامة في كل زمن ثم ختم كلامه بأن قال أول ما خرجت الحجامة من أصبهان تعريضًا بالشيخ قال فقلت له و اللّه لأحْضَرت أحدًا بعد ذلك أبدًا و كان رضي اللّه عنه عقله أكثر من علمه توفي سبعين و مائتين ببغداد.

فطلبـوا الـسلم مـن بعـد مـراودة ∴ فأعطوا الآمان على الأمتعة والنفس

و السلم الصلح قال معاوية رضي اللّه عنه لما أعطى للحجونية مائة ناقة و قال لها ألم أحل في قلبك محل عَليٍّ قالت سبحان اللّه أو دُونَه

فـإن لم أعـد بالـسلم مـني إلـيكم ∴ فمن ذا الذي بعدي يعـود بـالحلم

خُذِيها هنيئًا و أذكري فعل ماجد ∴ يجازى على حرب العداوة بالسلم

و المراودة تكرر الطلب كالرياد و الارتياد و "ماتريد" محلّة بسمرقند و الأمتعة جمع واحدها متاع، يقال للسلعة و للمنفعة و الأداة و ما تمتعت به من الحوائج و قوله تعالى (ابتغاء حلية أو متاع) حلية أي ذهب أو فضة أو متاع أي حديد و صفر و نحاس و رصاص.

---

[155] الخروع: شجر من الفصيلة اليتوعية

[156] الظاهري : داوود بن علي الاصبهاني : (202 - 270 هـ): فقيه مجتهد على مذهب الشافعي نفي القياس في الأحكام الشرعية و تمسك بظاهر النصوص : له كتابان في فضائل الشافعي.

و المتعة بالضم أو الكسر إسم للتمتيع كالمتاع و أن تتزوج امرأة تتمتع بها أيّامًا ثم تخلى سبيلها و أن تضُمَّ عمرة إلى حجّك و متعة المرأة أوصلتها به بعد الطلاق و التمتيع التعمير و معنى البيت أن الفكرة أذلهم الله و جعلهم خولاً[157] لنا برحمته و لطفه، لما علموا من المنصور بالله ما هو عليه من كثرة جنود و شدّة حزبه و أتيح منه بالثغر الوهراني البازي المطل من مرقبه و الأسد الخادر في عرينته فاصبحوا فرائس له يتواقعون أنصابه اليهم و وُثُوبه عليهم فجعلوا للتوسل بالصلح وسائط و ألزموا أنفسهم عدّة أمور و شرائط بَادلين على ذلك المنا اللهاء[158] و الرشا حتى أنهم توصلوا بسلطان الجزائر محمد باشا و بعد موته طلبوا في ذلك خليفته في مرتبته اعانه الله على ما أولاه: حسن دولاتلي نصره الله و ألحّوا عليه في مراسلته و كذا توسلوا بجميع أهل دولته حتى رأى بمقتضى سديد رأيه الماضي كالحسام الذي هو أصلح للإسلام أن يعقدوا بيننا و بينهم الصلح في الحال على أخذ البلد و إعطاء ألالافات من المال و كتبوا بذلك للمنصور بالله فوافق على ما أحبه أكثر المسلمين و ارتضاه و تحمل النصارى من المغارم أثقالها و حينئذ وضعت الحرب أوزارها ثم إن أميرنا الهمام الأنجد أتته البشارة الكبرى أوائل المحرم بأخذه البلد فكان ذلك اليوم عند المسلمين عيدًا و من أيام البركة و السرور مشهودًا سعيدًا و البشائر إلى كل ناحية ذاهبَة بأن نصارى وهران عنها ذاهبَة و هذا معنى البيت و يأتي الكلام على دخولنا إن شاء الله تعالى.

<u>فكانـــت مـــدّتهم بثغرهـــا كمـــج</u> ∴ <u>جرى بذاك القلم قدما في الطرس</u>

مدتهم أي مدة سكانهم بوهران في هذه المرة كمج والكمج بفتح الميم في الأصل الطرف أي طرف من الزمان و طائفة من الأيام لأن الطرف كمَا في القَامُوس الطائفة من الشيء ثم استعمل في طرف موصل الفخذ و العجز و قد ضمنته مدة سِنِي سكناهم بها و هي ثلاث و ستون سنة. لَفظ الكاف عشرون و الميم أربعون و الجيم ثلاثة و القلم محركة اليراعة إذا بريت و الجمع أقلام و قلام و مرات مقلمة الخ و مقالم الرمح كعوبة و كمنير وعَاءٌ و الإقليم كقنديل واحد الأقاليم السبعة و أبو إقلمون ثوب رومي يَتَلَون ألوانًا و إقَليما بالكسر إبنة آدم عليه السّلام و من الذهب و الفضة ثقل

---

[157] الخول: عطية الله من النعم و الخدم و الحاشية

[158] المنا: كيل يكال به السمن و غيره و يزن رطلين و اللهاء: المقدار

يعلو السبك أو دخان و أقلام بلد بأفريقيا و جبل بفاس و قدمًا بمعنى قديم أي في الأزل و هو ضد الحدوث و المقادم الكثير الإقدام في الحرب و القدامى كحبارى عشر ريشات أو أربع في مقدم الجناح الواحدة قادمة و القَدوم ألة ينحت بها مؤنثة و الجمع قدائم و قدوم قرية بِحَلَب و جبل بالمدينة و ثنية بالسرات و موضع أختتن به سيدنا ابراهيم عليه الصلاة و السلام و قد تشدّد دالُهُ وَ ثنية في بلاد دوس و حصن باليمن و مَن لطائف أبي على الغراب الصفاقسي يصف بُوقالاً[159] بطول المكث بقوله

لله بُوقَـــال قـــديم غـــدَا ∴ يخـبر عـن عـاد وَ عَـنْ جـرهم

فلـــو رآه فلـــسفي قـــال ذا ∴ دليلنـــا في قـــدم العـــالم

و الطروس واحدها طِرسٌ بكسر الطاء الصحيفة التي مُحيتْ ثم كتب عليها و الجمع أطراس و طروس و طرسة كضربة و التطريس تسويد الباب و إعادة الكتابة على المكتوب و التطرس ألاَّ تطعم و لا تشرب إلاَّ طيبا و المتطرس المتأنق المختار و طرطوس[160] بلد كان للأرمن ثم أعيد للأسلام.

و لما بعث صعد المعروف بالمعز جوهر إلى مصر بالعساكر، فكان من جملة حمولته ألف حمل من المال و ما لا يوصف من العدّة، ففتح مِصْرَ آخر سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة و قطع منها الخطبة لبني العباس ملوك بغداد و كتب لهم:

و قُلْ لبني العباس قد فتحت مصر ∴ و قل لبني العباس قد قضي الأمر

إخبارات حسنة:

يقال أن جوهر لما أراد غزو مصر بموضع يقال له الرمادة[161] بإفريقيا في أكثر من مائة ألف فارس و معه ألف صندوق و ما تيسر من المال و كان المعز يخرج له كل يوم يخلو به و يُوصيه ثم خرج لِوَدَاعِهِ، فنزلوا و نزل جميع أهل الدولة لوداعه، ثم قبَّلَ جوهر يد المعز وَ حافر فرسه و ركب و لما رجع المعز إلى قصره أنفذ لجوهر فرسه

---

[159] البوقال ج البواقيل: وعاء من زجاج تحفظ فيه السكاكير و المر بيات

[160] طرطوس : بلد على الحدود بين سوريا و آسيا الصغرى.

[161] الرمادة : مدينة ساحلية تقع في ليبيا بين برقة و الاسكندرية تسكنها قبيلة مزاتة و بعض الاعاجم و توجد الرمادة بالقرب من القيروان هي التي تجمع فيها جيش جوهر لغزو مصر.

و جميع ما كان لابساً له سوى خاتمه و كتب المعز إلى مولاه إفلح صاحب برقة بأن يلقي جوهر و يقبل يده فبذل أفلح مائة ألف دينار على أن يُعفَى من ذلك فلم يعف و لمّا نزل بأتروجة قرب اسكندرية وفد عليه الشريف أبا جعفر مسلم بن عبد الله الحسنى رسولاً من أهل مصر فَكُلٌّ من أراد شيئًا من إقطاع أومال أو ولاية كتب له به ثم إن رَهطَ كَافُور الإخشيدي أمروا عليهم تجريدَ الشوتراني و تأهبوا للقتال فتزاحفوا ثم إنهزم المصريون و دخل الجند وراءهم حتى خرج حَريمهم مُشاتًا إلى دار الشريف المذكور فأمنهم بإذن جوهر و أنفذ معه رجل في يده بند أبيض يطوف على الناس يؤمنهم فسكن البلد كأن لم تكن فتنة ثم ورد رسول جوهر أن يتأهبوا للقائه يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان من السنة المارة مع جماعات الأشراف و العلماء ووجوه البلد، فلما قربوا من جوهر ناد مناد ينزل الناس إلاّ الأمير جعفر و الشريف فنزلوا و سلموا كلهم و الشريف بيمينه و الوزير شماله ثم شرعوا في دخول البلد فدخلوا من زَوَال الشمس و عليهم السلاح و العدَّة و الخيل العتاق و العساكر متصلة الدخول إلى أن دخل جوهر بعد العصر بطبوله و بنوده و عليه ثوب ديباج أصفر و تحته فرس أصفر و نزل موضع القاهرة اليوم و في تلك الليلة حفر أساس القصر و فيه موضع غير معتدل فقيل له عدله فقال جعفر في ساعة سعيدة فلا أغيّرهُ و كتب إلى المعز بالفتح و أنفذ إليه رؤوس القتلى في الوقعة و جعل مَجلس كل يوم السبت للمظالم يحضره القاضي و العلماء و الوزير و الأكابر و هو أول من زاد في الأذان "حيّ على خير العمل" في الجمعة و شرع في بناء الجامع الأزهر و فرغ منه في رمضان إحدى و ستين و ثلاثمائة.

هــم يخربــون بيــوتهم بأيــديهم ∴ فاعتبروا يا ذوي الأبصار و الكيَسِ

بنو النظير في الحَشر سبقوهم بـذا ∴ فكيف بالروم بفعـل اليهـود تَـسي

يعني أن كفرة وهران لمّا أيئسوا منها و تحققوا أنهم ذاهبون عنها و انقطع منها طمعهم و ذلك بأمر طاغيتهم و أنهم لا يدينون بها ضدًّا و لاَ ندًّا و أنها مَثَلٌ العزة لن تعبد أبدًا و قد ضُرب لخروجهم أجلاً و إننا لا نرضوا بها بَدَلاً صاروا يخربون الدّور المعتمدة القواعد المعتدلة القوام و يرهبون الحصون العظام فيهدمون ما شاءوا من ذلك

بالألغام[162] و قولي يخربون، الخراب ضد العمران و الجمع أخربة و خرب كفرح و خربه و أخربه و خربة كفرحة موضع الخراب و الجمع خربات و خرائب قرى بمصر خمس بالشرقية و الخرب محركة ذكر الحبارى و الأخرب المشقوق الأذن و ذو الخرب ككتف هو صنع يسر من رأى[163] و البيوت يقال للشعر و الصَدْر و تصغير بيت بُيَيْت و بيات كسحاب كورة قرب واسط منها حسن بن أبي العشائر البياتي و الاعتبار معروف و منه قول العرب اللهم اجعلنا ممن يعتبر الدنيا و لا يعمرها. البَصَرُ محركة حسن العين جمع أبصار و من القلب نظرة و خاطرة و بصرة[164] بلدة بالمغرب خربت بعد الأربعمائة و بصرى كحبلى بلد بالشام و بلد ببغداد و قوله تعالى: (و النهار مبصرًا) أي يبصر فيه و آياتنا مبصرة أي تجعلهم بصراء و الكيس خلاف الحمق و يستعمل للعقل و الكيس كجيد الظريف و زيد بن الكيس النمري[165] نسَابة و كيسة زوجة مسيلمة الكذاب ثم أسلمت و كيسان إسم للغَزَر [166] و لقب المختار بن أبي عبيدة المنسوب إليه الكيسانية من الرافضة و بنو النظير بفتح النون و كسر الظاد المعجمة قبيلة من اليهود وَ فِي صَحِيحِ البخاري عن الحسن بن مدرك عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن سعيد بن جبير قال الزركشي[167] و انما كره ابن عباس تسميتها بالحشر لأن الحشر يوم القيامة و زاد في الفتح و إنما المراد به هنا إخراج بني النظير و قال ابن اسحاق كان اجلاء بني النظير مَرْجَعَ النبي صلّى اللّه عليه و سلم من أُحُدِ و قال ابن عباس من شك إن الحشر بالشام فلْيَقْرَأْ آية لأول الحشر فكان أول حشر إلى الشام قال النبي صلّى اللّه عليه و سلّم أخرجوا إلى أرض المحشر ثم يحشر الخلائق يوم القيامة إلى الشام و قيل الحشر الثاني نارٌ تحشرهم

---

[162] بموجب الإتفاقية التي وقع عليها الداي حسن باشا يوم 12 سبتمبر 1791 و صادق عليها الملك الإسباني يوم 12 ديسمبر 1791، كان يجب على الإسبان أن يخلوا القاعدتين (وهران و المرسى الكبير) قبل 4 أشهر من تاريخ التوقيع، كما كان يحق لهم أن يهدموا كل المنشآت العسكرية و الأبراج التى بنوها بعد سنة 1732 م. و في يوم 12 فبراير 1792، خرج حاكم وهران الإسباني منها دون رجعة.

[163] سَامراء: مدينة عراقية شمال بغداد

[164] البصرة: مدينة قديمة تقع على الطريق بين العرائش و فاس (المغرب الأقصى) : تبعد عن الأخيرة بـ 80 كلم. يحتمل أن المولي إدريس الثاني هو الذي بناها، طالها الإنحلال في القرن التاسع الهجري.

[165] النمري : زيد بن الكيس : هو غير شيخ الإسلام الحافظ عبد البر النمري.

[166] الغَزْر: إناء من الحلفاء

[167] الزركشي بن بهادي بن عبد اللّه: مؤرخ من آثاره : تاريخ الدوليتين (الموحدية و الحفصية)

يوم القيامة و قد أخبر تعالى أنهم خربوا بيوتهم لمَّا أرادوا الخروج فقال تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم و أيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار)

و قولي فكيف الخ، أي كيف تقتدي الروم في تخريب وهران باليهود مع ما بينهما من عداوة و عدم الانقياد لبعضها بعضًا و قول كل طائفة منها للأخرى أنها على غير حق كما أخبرنا الله تعالى بقوله: (و قالت اليهود ليست النصارى على شيء و قالت النصارى ليست اليهود على شيء)، فتَسي بمعنى تقتدي و تتبع

قال ابن دريد:

و عطف القلب على سبيل الأسى ∴ إذا استفز القلب تبريح الأسا

الأسى الثاني: الحزن و الأسى الأول الاقتداء و هو كل الشاهد و قولي فاعتبروا يا ذوي الأبصار و الكيس لأن أهل العقول السالمة هم الذين يعتبرون و يتفكرون و يتذكرون و هذا أولى ما يعتبر فيه المعتبرون و يتذكر فيه المتذكرون من هدمهم دورهم و صرف المال في ذلك بلا نفع يعود لهم و لكن كما قال الشيخ السنوسي في شرح صُغْراه

يُغْمَى على المرء في أيام محنته ∴ فقد يرى حسنًا ما ليس بالحسن

و لذا تقول العرب فلانًا كالجَاذم لأنفه بكفه و فلان كالحافر على خنف أنفه بظلفه. كان على بن العباس بن جريح المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور صاحب النّظْمُ الغريب و التوقيع العجيب و قد كان محسن السؤال جادًا في استخراج الأموال و كان يَهْجُو الوزير القاسم بن وهب وزير المعتضد فدس عليه من قتله للأمن من هجوه بالسم فلما أحس بالسّم قام فلقى الوزير فقال إلى أين ؟ قال إلى الموضع الذي بَعَثني إليه قال له سَلِّمْ على والدي قال له ما طريقي على النار فمات بعد يوم سنة ثلاث و ثمانين و مائتين. <u>حكَايَةً لطيفةً</u> و <u>نادرة ظريفة</u> كان أبو العلاء اللغوي البغدادي[168] روى عن السَّيْرَافي و الفارسي و دخل الأندلس أيام هشام بن الحكم

---

[168] أبو العلاء البغدادي الله بن أحمد، يدعى إبن الخشاب (492-567 هـ) : لغوي، نحو، محدث مشارك في علوم أخري له : "شرح اللمع" في النحو و حاشية على درة الخواص في أوهام الخواص "للحريري" و "المرتجل في شرح العمل" وردّ على تهذيب الخطيب في المنطق.

و ولاية المنصور بن أبي عامر في حدود الثمانين و ثلاثمائة فأكرمه المنصور و زاد في الإحسان إليه و الأفضال عليه جمع له كتاب الفصوص و نَحَا فيه مَنْحَى القالي[169] في أماليه و أثابه عليه بخمسة ألاف دينار و كان يتهم بالكذب في نقله فلذا رفض الناس كتابه و لَمَا دخل دانية[170] و حضر مجلس الموفق مجاهد بن العامري أمير البلد كان ثم[171] أديب يسمى بشار فقال للأمير دعني أعبث بصاعد فقال الأمير لا تتعرض إليه لأنه سريع الجواب فأبى إلاَّ مشاكلته فقال له و كان أعمى يا أبا العلاء فقال لبيك قُلْ لي الجِرَنْفُل بفتح الجيم و الراء و سكون النون و ضم الفاء في كلام العرب فعرف أبو العلاء أنه وضعها و ليس لها أصل في اللغة فقال له بعد أن أطرق ساعة هو الذي يفعل بنساء العميان و لا يفعل بغيرهن و هو في ذلك كله يُصرّح و لا يكني فَخَجَل بشار و انحصر و ضحك من كان حاضرًا فقال الموفق قلت لا تفعل فلم يقبل مات سنة سبع عشرة و أربعمائة و لما ظهر للمنصور كَذِبه في نقل كتاب الفُصُوص رمى به في النهر فقال فيه بعض الشعراء:

قد غَاصَ في البحر كِتَاب الفصوص ∴ و هكــذا كــل كــذب يغــوص

فَلَمَّا سَمِعَ صَاعِدُ انْشَدَ

عـــاد إلى عنـــصره إنَّمَــا ∴ يخرج من قعر البحـار الفـصوص

قد أخذ عليه خمسة ألاف دينار قُلْتُ و كذا صاحب القاموس أخذ على كتابه خمسة ألاف دينار و قال صاحب الشقائق النعمانية في ترجمته: أي صاحب القاموس: و منهم المولى الفاضل مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي، اللغوي الشافعي كان ينتسب إلى أبي إسحاق الشيرازي صاحب التنبيه و ربما يرفع نسبه إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه. و لهذا كان يكتب بخطّه الصديقي دخل أرض الروم و اتصل بخدمة السلطان أبي يزيد بن السلطان مراد

[169] القالي: إسماعيل بن القاسم (280-356 هـ) : لغوى و نحوي من أحفظ علماء عصره للشعر الجاهلي. أستوطن قرطبة. له : "الامالي و النوادر" في الادب و "البارع" في اللغة.
[170] دانية: مدينة أندلسية تقع جنوب بلنسية
[171] ثمَّ: معناه: في المكان

الغازي و نال عنده مرتبة و جاهًا و ألف له كتاب القاموس فأعطاه خمسة ألاف دينار انتهى

كفّـــار وهـــران تركوهـــا غـــامرة ∴ فالحمـــد لله أمنـــا مـــن الهجـــس

باي عثمـــان و عثمـــان قـــد رَجعَـــا ∴ الينـــا مَـــايبيلي مـــن أرض أنـــدلس

الغامرة الخراب أو الأرض التي لا تصلح للزراعة و القمير كأحمير حب الْبَهْمَى[172] و غمرة منهل بطريق مكة و هو الفاصل بين تهامة و نجد و هجس الشيء في صدره خطر بباله أو هو أن يحدث نفسه في صدره مثل الوَسْوَاس و وقعوا في هجوس من الأمر ارتياب و اختلاط و الهجس أيضًا البنَات تسمعها و لا تفهمها و إما الهوس فهو الدف و الهواس الأسد قال الكميت.[173]

هو الأضبط الهواس فينا شـجاعة ∴ و فـيمن يعاديـه الهجـف المثقـل

و قولي باي عثمان متعلق بأميرنا و أبو عثمان هذا هو أبو الفتوحات المنصور بالله سي محمد بن عثمان باي و قولي و عثمان هو إبنه و خليفته على الإيالة الشرقية صاحب جود و حسب و عقل و أدب رئاسة و علم و شجاعة و حلم كشف عن الرغائب شموس محياها و أشربته المعارف من كئوس حمياها لابرحت ألوية النصر عَليه خافقه و جياده في ميادين المضمار سابقة لقد ملك من الأيالة لُبَابَها و كشف عن كل معظمة من الأمور حجابها و قولي قد رَجَّعَا لنا دار وهران إلى الإسلام فسلانا ذلك و صبرنا عما أخذ النصارى لنا من أرض أندلس يقال أسلاه عنه فتَسَلّى و الإسم السلوة و السلوان ماء يشرب فيُسلَّى أو هو أن يأخذ تراب قبر ميت فيجعل في ماء فيسقى العاشق فيزول حبه أو دوَاء يسقى للحزين و واد السليم و عين بالقدس عجيبة لها جَرية أو جريتان في اليوم فقط و السلوان أيضًا طائر وَ إقليم للأندلس[174] يسمى بمن عمره بعد الطوفان و هو أندلس بن يافت بن نوح عليه السلام و كان المسلمون أخذوه أول الفتح الإسلامي ثم غلبوا عليه الكفرة و صَاروا يأخدون مدينة مدينة و أرضَا بعد

---

[172] البهمى: نبات كالشعير

[173] الكميت : الأسدى: ابن زيد بن خنيس: شاعر الهاشميين من أهل الكوفة توفي سنة 126 هـ

[174] كلمة الأندلس تعريب لكلمة الوندال Vandales الذين حكموا الإقليم قبل الفتح الإسلامي سنة 711 م.

أرض من وسط المائة الخامسة عن سنة ثمانية عشر من القرن الحادي عشر، فاستأصلوه كله على التمام و مَحُوا منه مراسم الإسلام.

أخذوا لنا من المدن ما لا يحصى و لا يمكن عده و لا حزره بلا استقصاء و ها أنا إذ أذكر من تلك المدن ما عرفته جعلها الله للإسلام بالنبي و آله و عليه و عليهم الصلاة و السلام من ذلك قرطبة و اشبيلية و طليطلة و غرناطة و الحمراء و شريش و طريف و الجزيرات و قالص و مالقة و سَرقْسطة و المرية و رَشقة و قسطلة و بلنسية و بتة و شقرة و تدمر و روندة و ميروقة و سهلة و مرسية و شاطبة و قلعة رباح و قنطرة السيف، و دانية، و سهيل، و باجة و شبلة و قرمونة و طرطوشة و قشتالة و يابسة و أَنْدَةَ و كاردة و افراغة و شنْتمِريَة و برشلونة و بطليوس و جيان و قلعة ابن سعيد و ميرة و أنوسة و أرغون و سردانية و بلدة الخزرج و القواعد من ذلك قرطبة و اشبيلية و بلنسية و بطليوس و سرقسطة و المرية و ميروقة و غرناطة و مرسية و سهلة و دانية انتهى وَقَالَ الْغَزَالَ في رحلته لما دخل إلى الأندلس سنة تسع و سبعين و مائة و ألف و قد وصف طليطلة كما نصه هي مدينة على ربوة في غاية الصعود و قد أحاط بسبعة أثمانها الواد الكبير المعروف بأنطاخوا و ديارها من ثلاث طبقات فأقل على البناء الإسلامي فهي بين خفض و رفع و أزقتها ضيقة جدًّا تشاكل مدينة فاس في البيوت و الغرف و سورها الإسلامي لم يغير منه القدم شيئًا و للوادي قنطرتان من بناء الروم و القنطرة الإسلامية هَدَّهَا السيل و لم يبق إلاّ الجدار و فيها قصبة للمسلمين رحمهم الله، لها أربعة أبراج مثمنة البنيان يحسبها الناظر أنها بنيت في الحال لجودتها ثم ذهبنا للجامع فإذا هو أعظم المساجد اجتمع فيه ما افترق في غيره و بناء الجامع و سواريه من الرخام و كل سارية محيط بها ثمان سوار و قد جعلوا بين كل حجر و الذي يليه في القائم لوحة من الحجر الأسود عرضها كَعرضه و علوها قدر الأصبع زيادة في الحسن و بالمسجد قبة طولها إثنان و سبعون قدمًا و العرض مثله أحاط بها شباك من النحاس المذهب و بخزائنه من التيجان العديد و الأسوار و القلائد و الخواتم و المنارات و المسك و الطيسان و الصور و الصلبان من الذهب و منها ما خالطه زمرد و جواهر نفيسة أما ما هناك من أواني الفضة فلا تَنْحَصِر عددًا ثم بإحدى الخزائن ما كان على شكل منار الجامع قدره ما دون قامتين بيسير محمولة على طرطور آدميين يحسبها الناظر أحياء و دارَتهما من الفضة و لبسهما من الذهب و قد استوعب المنارة تنييب من أصناف اليواقيت و بازاء هذه المنارة. صوران من الذهب دائرتهما من خمسة أصابع و لهما تنييب من النمط و غيره من جنس الياقوت و الجوهر النفيس ثم كتاب مرسوم بالذهب و هو عندهم بمكانة

مكنية و قيل أن فيه بعض من التوراة و بالجملة إن الذخائر التي بمسجد طليطلة هي دار ملك قديم و مرت عليها دول كثيرة مسلمة و كافرة و جامعها هو العتيق بالبلاد و الذخائر التي بها لم تحدث بل لما أخرجهم المسلمون تركوها حتى أخذوها و بأعلى سور المسجد سبعون طاقًا من الرخام الملون المسمى بالزجاج العراقي و له أحَدَ عشر بَابًا و بإزائه منارة مدارجها ثلاثمائة و سبع و خمسين درجة وزرنا مقبرة المسلمين رحمهم الله فيها سارية من رخام مكتوب عليها (يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا و لا يغرنكم بالله الغرور) وَ هَذَا قبر الإمام أحمد بن أحمد بن معْنِيث كان يشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له و أن محمدًا عبده و رسوله أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون توفي ليلة الأحد لثمان باقين من ربيع الثاني سنة تسع و أربعين و أربعمائة ثم سارية أخرى مكتوب فيها ما في الأولى من الأية غير أن صاحب القبر لم يعرف لمحو الكتابة و لم يبق إلاّ لفظ أربع و أربيع لا يعرف ما بعده و لا ما قبله و وجدنا في ديار بعض ملوك الإسلام و الأعيان منهم كتابة اشتملت على السلامة و العافية ثم العز لله ثم الملك لله. مَدينَةُ غرناطة هي مستندة على جبل و بقِنَّة الجبل القصبة التي لِمُلُوك الإسلام و هي في غاية العلو و ضخامة البنيان باقية على جدتها مكتوب فوق قوس الباب بخط مشرقي في غاية الإتقان بسم الله الرحمن الرحيم و صلّى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما أمر ببناء هذا المسمى بباب الشريعة أسعد الله به شريعة الإسلام كما جعلها باقية على الأيام مولانا أمير المؤمنين السلطان المجاهد أبو الحجاج يوسف السلطان المقدسي أبي بن نصر أدام الله نصره و خلد في المجاهدين جلالته و فخره و كان الفراغ من بناءها في شهر رمضان عام تسعة و أربعين و سبعمائة ثم بعدها طريق بين سورين نافذة لباب كالأول في العلو و الضخامة و الجدّة و الخط المرسوم فوقه غير أن الكتابة افتتحها بأعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم و صلّى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما (إنَّا فتحنا لك فتحا مبينًا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر و يتم نعمته عليك و يهديك صراطًا مستقيمًا و ينصرك الله نصرًا عزيزًا) ثم تاريخه كالأول و القصر له قبتان إحداهما باقية على حالها طوله خمس و أربعون خطوة و لها من الأبواب ثلاثة و مكتوب في إحدى القباب قوله. (لسان الدين بن الخطيب).

فكأنني استقريت[175] أثـار النـدى ∴ مـن كـف مولانـا أبـي الحجـاج

لا زال بـــدرًا في سمـــاء خلافـــة ∴ ما لاح بدر في بدر الظلام الداجي

و به مدى الأيام أشروا في الـورى ∴ فقلـت الحـسانَ بحُلَّـتي و تـاج

و في القبة من الآيات القرآنية شيء كثير لا يحصى حيطانًا و سقفًا بحيث لا تجد لوحًا بغير كتابة و كلها بالجبس فمن الآيات (و ما بكم من نعمة فمن الله) (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) (فالله خير حفظاً و هو أرحم الراحمين) (الله حفيظ عليهم و ما أنت عليهم بوكيل) (فسيكفيكهم الله و هو السميع العليم) (و ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين) ثم آية الكرسي و سورة الفتح إلى عزيزًا ثم الإخلاص و المعوذتين ثم الحمد لله وحده ثم في سطر لا غالب إلاّ الله مكررة و قد رأينا آجرة ببعض المقاعد يسكنها الكفار مكتوب فيها (لا إله إلاّ الله) فلم نَبْرَح إن قلعت و ألقيت بأعلى موضع متصل بسقف المقعد و يشاهد من القصبة إثنى عشرة مدينة بغرناطة و الملك لله من قبل و من بعد و قال أن أكثر أهل المدن يميلون إلى الإسلام و لهم رأفة و تَمَنِّي و بعضهم يتنسبون (إنا لله و إنّا إليه راجعون) و لا حول و لا قوة إلاّ بالله العلي العظيم انتهى وَلَقدَ كَانَ بالأندلس أول الإسلام ملوك عظام و عساكر طوام و لمَّا مات القاسم بن محمد الملقب كانون سلطان بني محمد إدريس بالمغرب سنة سبع و ثلاثين و ثلاثمائة و قام بالأمر بعده ابنه أبو العيس و كان فقيهًا عالمًا بالأيام و الأخبار شجاعًا و يعرف بالفاضل و كان فيه ميل للمروانيين فخطب على المنابر و رفض دعوة الشيعة ثم عقد الناصر لابنه محمد و أجره عليه لمَّا طلب الجهاد و أمر ببناء القصر و له في كل مرحلة و تلقاه الناصر بالميرة و أجرى له ألف دينار كل يوم و هلك شهيدًا في معترك الجهاد سنة ثلاث و أربعين هجرية و كان ابن خفاجة الشاعر المشهور من أهل شقرة و بها توفي سنة ثلاث و ثلاثين و خمسمائة و هو القائل

---

[175] نسخة ب: استغريت

مـا للعـذار كـان في وجهـك قبلـة ∴ قد خطَ فيـه مـن الـدجى محربًـا

و إذا الشباب و كأن ليس بخاشع ∴ قــد خــر فيــه راكعًــا و أنابًــا

و لقـد علمـت بكـون ثغـرك بارقًـا ∴ إن سوف يزجـي للعـذار سـحابًا

رمــــاهم الله بالملــــك آمرنــــا ∴ رمية سهم أتتهم على غـير قـس

يقال رمى الشيء و به ألقاه كأرمى و السهم عن القوس و عليها لاَ بِهَا رَمْيًّا و رماية و أرماه ألقاه من يده و أرميت به البلاد و ترامت أخرجته و ارْمِيَا بالكسر نبي عليه الصّلاة و السّلام و لما قدم الحجاج الكوفة أميرًا على العراقيين فكان أول مَا دَخَلَ المسجد الأعظم فلما اجتمعت الناس قال: أما بعد يا أهل العراق فإن أمير المؤمنين أعياه دعاؤكم العضال و كلما يتخير أميرًا عليكم من الرجال و إنه نَثَلَ كنانته[176] بين يديه و أختبر سهامها فوجدني أنفذ سهم و أقومه و أرشده و أمرَّهُ فرماكم به هَلُمُّوا خذوا أعطياتكم و ألحقوا بالمهلب لقتال الخوارج فأتى عمير بن ضَابئي البرجمي فقال أصلح الله الأمير جعلت نائبًا لِلغَزو لاني شيخ كبير لا أقدر الغزو فأجاز فعله فلما ذهب من عنده قيل له هذا الذي وَطيء عثمان و هو مقتول فكسر له ضلعين فأمر بإحضاره و قال له هل استخلفت يوم الدار، يا حَرَسِي أضرب عنقه فقتل من ساعته و في ذلك يقول بعض أهل الكوفة (ابن زبير الاسدى)

تخيّـر فإمـا أن تـزور ابـن ضـابئ ∴ عمــيرًا و إمــا أن تــزور المهلبــا

هما خطّتا خـسف نجـاؤك منهمـا ∴ ركوبك حوليًّـا مـن الـثلج أشـهبا

فأضحى و لو كانت خراسان دونه ∴ رَءَاهَا مكان السوق إن هـي أقربـا

و الملك بالضم معروف و يؤنث و العظمة و ككتف و أمير صاحب الملك و الجمع ملوك و أملاك و ملكوه تمليكا صيروه ملكًا و الملكوت كَرَهبُوت و ترقوة العز و السلطان و تملك كتضرب صحابية و كسفينة بنت أبي الحين النيسَابورية محدثة

[176] نثل كنانته: استخرج نبلَها.

والمَلَك محركة واحد الملائكة و الأمير الملك و الجمع أمراء و المؤمر كمعظم المملكة و المسلط و أولوا الأمر الرؤساء و العلماء قاله في القاموس و يقال خير المال مهرة مأمورة و سكة مَأبورة[177] أي مهرة كثيرة النتاج و تأمر عليهم تسلط و السهم النبل و يقال أيضًا للحظ و المزح يقارع به و الجمع سهام و حجر على باب بيت يُبْنَى ليصطاد به الأسد فإذا دخل وقع فسدَّهُ و قبيلة من قريش رهط عَمرو بن العاص رضي الله عنه و ذو السهمين كرز الليثي و كمعْظم البرد المخطط و ساهم فرس كان لكندة و قيس جمع قوس قال الجوهري القوس يُذَكَّر و يؤنث و الجمع قيس و أقواس و قولي رمية سهم تشبيه بليغ أي رمية كرمية للسهم حكَايَةٌ لَطِيفَةٌ و نادرة ظريفة مدح أبو تمام حبيب بن أويس الطائي الشاعر المشهور الخليفة بقصيدة منها :

إقــدام عمــر في سماحــة حــاتم ∴ في حلـم أحنـف في ذكـاء أيـاس

قال له الوزير أتشبه أمير المؤمنين بأجْلاف العرب فأطرق ساعة ثم قال:

لا تنكـروا ضـربي لـه مـن دونـه ∴ مـثلا شـرودًا في النـدى و البـأس

فــالله قــد ضــرب الأقــل لنــوره ∴ مــثلا مــن المــشكاة و النــبراس

قال الوزير للخليفة أي شيء طلبه فأعطه و كان في المجلس ابن الصَّياح الفيلسوفي فلما خرج أبو تمام قال ابن الصياح هذا الفتى لا يعيش إلاّ أربعين يومًا لأنه ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة و صاحب هذا لا يعيش إلاَّ هذا القدر فبقى هذه المدة و مات و قد نَيَّف على الثلاثين و قد أجازه الخليفة بإمارة الموصل و لذلك سأل الحيص بيص المسترشد العباسي[178] ولاية الموصل و قال أنها إجازة شاعر طيء وَ لَمَّا مدح محمد بن عبد الملك بن الزيات الوزير بقصيدته التي منها

ديمــة سمحــة القيــاد ســكوب ∴ مــستغيث بهــا الثــرى المكــروب

لوســعت بقعــة لإعظــام نعمــي ∴ لــسعى نحوهــا المكــان الجــديب

---

[177] سكة مأبورة: صالحة

[178] الحيص بيص : 492-574 هـ: سعد بن محمد...التميمي: شاعر كان لا ينطق بغير العربية الفحصى و يلبس لباس الامراء البدو – توفي ببغداد.

قال له الوزير يا أبا تمام إنك لتحلّى شعرك من جواهر لفظك و بديع معانيك ما يزيد حسنًا على بهاء الجوهر في أجياد الكواعب كان يحفظ للعرب أربعة عشرة ألف أرجوزة غير القصائد و المقاطع مات سنة إحدى و ثلاثين و مائتين قال العلماء خرج من طيء ثلاثة حاتم في جوده و داوود بن نصر في زهده و حبيب في شعره.

طهر أرضه منهم أنَّهم نَجس ∴ بمطلق فطهر ذلك النجس

طهر كذا طهارة و الطهر نقيض النجاسة و طهر كنصر و كرم فهو طاهر و طهر و طهير و الجمع أطهار و طهارى و طهرون و طهر الثوب بالماء غسله به و الاسم الطهارة بالضم و المطهرة بالفتح و الكسر إناء يتطهر به و طِهْرَان بكسر قرية بأصبهان و أخرى بالرى و كزبير أحمد الموصلي المحدث. النَّجِس بالفتح و بالكسر و بالتحريك و ككتب و عضد ضدَّ الطهر و قد نجس كسمع و كرم و أنجسه و نجسه فتنجس و المطلق الطهور و قد قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) و في سيرة ابن سيد الناس[179] إن أبا سفيان بن حرب قدم المدينة لتجديد الصلح الذي انعقد بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قريش بالحديبية و كان خزاعة مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلّم و بنو الديل من بني كنانة مع قريش ثم إن قريش كانت منهم معونة لبني الديل على خزاعة فأتى إبن ورقاء فأخبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم..

فبعثت قريش أبا سفيان للخبر و تجديد الصلح إن وجد لذلك سبيلاً فدخل على بنته أم المؤمنين أم حبيبة زوجة رَسُولِ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و قد جلس على الفرش الذي يجلس عليه رسول اللّه صَلى اللّه عليه و سلّم بغير إذنها فقالت له: تنَحَّ عن فرش رسول اللّه صَلَّى عليه و سلّم، قال و لِمَ قالت قال اللّه تعالى "إنَّمَا المشركون نجس" فقال لها أبو سفيان أصابك بعدي شرٌ يَا بَنِية ثم إن أبا سفيان أسلم بعد ذلك ليلة صبيحة فتح مكة رضي اللّه عنه و سَبَبُ إسلامه أن سيدة نساء العالمين فاطمة رضي اللّه عنها مرّت بأبيها رسول اللّه عليه وسلَّم فوجدت عليه أذى رموه (كذا) على ظهره قريش و هو في الصلاة و ذلك قبل الهجرة فأزالته عنه و سبتهم فلطمها أبو جهل فذهبت شاكية به إلى أبي سفيان فأخذته حمية العُصوبة المنافية و الغيرة للقرابة الدانية لأنه أقرب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من أبي جهل

[179] ابن سيد الناس: محمد بن عبد الله بن يحي. محدث و إخباري توفي 734 هـ. له : "عيون الأثر في المغازي و السير".

لأنه يجتمع معه صلّى الله عليه و سلّم في عبد مناف في الأب الرابع و أبو جهل يجتمع مع رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في قُصَيّ الأب الخامس له صلّى الله عليه و سلّم و مع ذلك عرف مقصد فاطمة رضي الله عنها بأنها أدلت له بالقرابة المنافية فذهب معها و هي حينئذ صغيرة جدًّا إلى دار أبي جهل فقال له تلطمك كما لطمتها أو يكون الحرب بيننا جزعة فلما علم أبو جهل أنه لا محيد عنه ذلك ارتكب أخف الضررين عنده فمكَنها من خده فلطمته رضي الله عنها و معلوم و إن أبا سفيان إذْ ذَاك لم يسلم فلما ذهبت إلى رسول الله صلّى الله عليه و سلّم أخبرته بالقصّة فقال **صلّى الله عليه و سلّم** اللّهم لا تنساها لأبي سفيان انتهى و النجس مَرَّ الكلام على ما يتعلّق به لغة و ضَبطًا.

<u>إن عالج الداء كان غير منتكس   ∴   بمَاضـي الحـزم و الاقـدام متـزر</u>

يقال مضى أمر يمضي مضاء و مُضًوا نَفَذَ و أمْضَاهُ أنفذه و المَضْوَاء كالعلواء التقدم و الحزم ضبط الرجل أمره و أخذه بالثقة و الحزيمتان امرأتان من بني عمرو بن ثعلبة قال أبو معدان الباهلي :

جـاء الحـزائم و الزبـائن دَلْـدَلاً   ∴   لا سـابقين وَ لاَ مـع القطـان

فعجبت من عوف و ماذا كلفت   ∴   و تجـيء عـوف آخـر الركبـان

الحيزوم وسط الصدر و اسم فرس من خيل الملائكة عليهم السّلام و المقدام و المقدامة الكثير الإقدام و القديمة و المقدمة إذا مضى في الحرب و القدم محركة السابقة و الرجل له مرتبة في الخير و رجل قدم محركة و امرأة قدم من رجال و نساء قدم أيضًا و هم قدم أيضًا وَ في الْحَديثِ حتى يَضَع رب العزة فيها قدمه أي الذين قدمهم من الأشرار فهم قدم الله إلى النار كما أن الأخيار قدمه إلى الجنة و وضع القدم مثل الردع و القمع أي يأتيها أمر يكفيها عن طلب المزيد و قدم كنصر قدمهم و قدم ككرم قدامة و قدمًا كصنب تقادم فهو قديم وَ اتزَرَ إذًا لبس الإزار فهو متزر يقال عالج علاجًا و معالجة زاوله و داواه و رجل علج ككتف و صَارَ ذو جهز سديد معالج للأمور و العُلجان بالضم جماعة العُصَاة و بالتحريك اضطراب الناقة و اعتجلوا اتخذوا صراعًا و قتالاً و الأرض طَال نباتها و الأمواج التطمت و الداء المرض و الجمع أدْواء و داء الذئب الجوع و داءة جبل قرب مكة و موضع الهَزيل و النكس و النكاس عَوْدُ المرض بعد البَرْءِ و النكس أيضًا القلب يقال نكسه قلبه على رأسه و يَقْرَأونَ

القرآن منكوسًا أي يبتدئ بآخره و يختم بالفاتحة أومن آخر سوره فَيَقرؤها إلى أولها مقلوبًا و كِلاَهُمَا مكروه و الأول في تعليم الصبية يعني أن أميرنا المنصور بالله اتزر بماضي الحزم و الشجاعة و إن عالج داء لا يعود بل يحسمه و يقطعه قلت فيه

فكم فَجَا خُطَبًا مدلها ظلامه ∴ و حسم داءه فليس يعود
إذاهم هابته العداة و أحجمت ∴ و طاشوا فمنهم هائم و قعود
مليك له تَعْنو الملوك و تختشى ∴ و ترتع منه في الفلاة أسود
تبوأ سلاطين البرية بقدره ∴ فأضحى على كل الملوك يسود
كما أنها تدنو إلى نيل رفده ∴ و كل إلى الإحسان منه مريد
أهل ذوي الإسلام في حَرَز مأمن ∴ و نيران أهل اعتداء خُمود
و نالوا به لين المعاش و طيبه ∴ فما عيشهم إلاّ هنا و رغيد
كأن بلاد الغرب مدة ملكه ∴ جنان و هم في ذي الجنان خلود
رؤوف بأهل الدين ذو شدة على ∴ كفور على أهل الشقاء شديد
مليك به نور الشريعة مشرق ∴ و منهاجها بين الأنام سديد
و أيامه عِزٌّ و دولته هناء ∴ و أوقاته عند البرية عيد
دَرَأ خسة الدنيا و وشك زوالها ∴ و خدعه أهلها و كيف تكيد
فكم رسم مجد قبله كان باليًا ∴ فها هو من بين الأنام يشيد
و كم خلة قد سادها و مكارم ∴ له في الورى و الله جل شهيد
عليت فيه أوصاف الكمال مَنِيفَة ∴ فهو في أهل العصر بها وحيد
حبيب له في المكرمات شواهد ∴ و مجد أثيل في الفخار عديد
له الهمة العليا قبل ائتماره ∴ كذاك إليه الطولى إليه تعود
لذلك قد نال الأيالة و المنا ∴ و أعطى فَضْلاً ما عليه مزيد
هو البحر إلا أنه عذب مورد ∴ هو الليث إلاّ أنه لعتيد

لقد أسفرت اسفارهُ عن محاسن ∴ يفوق بها أنداده و يسود
كفتحه لوهران كمْ صعبت علي ∴ مليك عظيم ساعدته مرود
شجاع تربَّي في الشجاعة شأوهَا ∴ و شهم له يوم النزال جدود
جَديرٌ بأن يدعى صلاح زمانه ∴ جَلاَ عَنَّا الكفر لا يكاد يعود
له العلم المرفوع في كل مشهد ∴ له النصر إنْ يممته جنود
محب إلى الجهاد سيف ملاحم ∴ و إن شأم نارًا للوغى فجليد
حصود الأعمار العدا ببواتر ∴ كأنهم في ناظريه حصيد
جسور على الأقران غير هيوبها ∴ كأنهم بين اليدين مصيد
هنيئًا هنيئًا فتح وهران إننا ∴ لجادلون و قد يقاضي جحود
تباشرت الدنيا و أخصب محلها ∴ و لاح بها نور وسِرٌّ وَدُودُ
و عمَّ أراجيها الهنا يوم فتحها ∴ و عمَّ البرايا رحمة و سعود
و أيقن أهل الأرض إن مليكهم ∴ له طالع سعيد عليه فريد
و شرد أهل الكفر عنها و أقبلت ∴ أولو الدين دَانٍ منهم و بعيد
و كان على أهل الأعداء يوم تشاؤم ∴ ترى فلهم لكر ضَحى شريد
إذا جَلبوا ذكراه تلقى قلوبهم ∴ لها روعة من ذكره و رعود
عسى اللّه أن تلقى بدولته كما ∴ لقت وهرانهم و الهوان يعود
و يسقيهم من بأسه كل ناقح ∴ و يخضع منهم مارد و ضديد
فيارب وفقه واصلح فعاله ∴ و أصلح به شأن الورى فيهود
و سدده في كل الأمور موفقًا ∴ و أنجح له قصدًا فأنت مجيد
و قَوّ به الإسلام و انصره و أنشرن ∴ عليه رياح النصر فهو مزيد
وقُدْهُ إلى الخيرات و ارحم به الورى ∴ و بارك لهم فيه فأنت حميد
وهب لبه من فيض فضلك نفحة ∴ يَسُوس بها و ليس فيها ركود

وصَلِّ على المختار خير من احتوت ∴ عليه بقاع قد زَكت و مهود

و أفضل من قدٍ أرضعته من العلا ∴ ثدي و من قدٍ واجهته نهود

و من شرف الأوطان فارتفعت به ∴ تهائمها بين الثرى و نجود

رئيس جميع الرسل روح كَمَالِهِمْ ∴ و قطب جميع الأنبياء و عمود

و آل كرام ثم صحب أجلة ∴ و من قد تلاهم ما تَروق عود

و المراد بالداء المرض قال الصالح بن رُزيك أبو القارات طلائع وزير مصر للفائز العُبَيدي بن عباس

كم ذَا يُرينا الدهر من أحداثه ∴ عبرا و فينا الصدّ و الإعراض

ننسى الممات و ليس يجري ذكره ∴ فينا حتى تذكرنا به الأمراض

قتله العاضد سنة ست و خمسين و خمسمائة و استوزر ولده العادل و الصالح هذا هو الذي بَنى الجامع الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة و كان قتل الصالح تاسع عشر رمضان و ولي ابنه في التاسع عشر و قتل في التاسع عشر أيضًا و هذا من العجائب. لَطِيْفَةٌ وَ حِكَايَةٌ طَرِيفَةٌ إن الرشيد خرج يتصيد و معه وزيره جعفر بن يحيى فأجريا عيرًا و انفردا عَن العسكر فلقيا رجلاً بعينه مرض فسأله جعفر عن ذلك، فقال له يا سيدي أعياني دَاؤها و لم أجد طبيبا فقال له جَعْفر يسخر عليه خذ عيدان الهوى و دقيق الماء و اسحقهم سحقًا نعيمًا و اجعلهما في بيضة نملة و بيِّتها للنجوم ثم إكتحل من الغد فلما تأمل الشيخ ذلك عرف إنها سخرية فقال لجعفر أنت طبيب قال نعم و كان راكبًا على حمار أمام الخليفة و الوزير و هو لا يعرفهما فانحنى على أكاف الحمار حتى كاد ذقنه يبلغ الأكاف ثم ضرط و قال هذه جُعل[180] الطبيب فصار الرشيد يضحك حتى خشي عليه الوزير من السقوط و مسكه و الشيخ لم يضحك قط ثم أتت الجنود يهرعون من كل جانب فدهش الشيخ فلمَّا رأى الرشيد ما نزل به قال له لا بأس عليك و أجازه إجازة ضخمة رحمه الله

[180] الجُعْلُ: يقصد بها ثمن أو أَجْر الطبيب

محى الذي كتب التجسيم من ظلم ∴ و أثبت التوحيد و دام كـالحبس

المحو تقدم الكلام عليه و قولي كتب التجسيم أي أهل التجسيم قال ابن مالك:

و مـايلي المـضاف يـأتي خَلَفًـا ∴ عنـه في الأعـراب إذا مـا حُـذِفا

و خبر ذلك أن قسطنطين بَاني المدينة العظمى المنسوبة إليه كما تقدم لمّا تقلد دين النصرانية في حدود الثمان و العشرين و الثلاثمائة من مولد نبي اللّه عيسى عليه السّلام جمع بَطْرك مقدونية و بطرك القدس و بطرك إسكندرية و بطرك قسطنطينية فتوافوا بالأسكندرِية و عهد إليهم أن يتناظروا في الشريعة الحقية فكان من خبرهم ما قصه اللّه عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللّه عليه و سلَّم في سورة المائدة و غيرها و رأيت عدم التعرض له أولى فمن أراد فليطلبه في مَظَانه و البطاركة عندهم هم خلفاء الحواريين و معلوم أن الحواريين خلفاء نبي اللّه عيسى عليه السلام و كان قد عين كل واحد لأرض يدعو الناس للتوحيد و دين الحق و منهم واقب رضي اللّه عنه الذي عينه لأرض الروم و هو الآن مدفون بمدينة يلوس مَبْنِية في أرض على سمة بناة نعش حين تصير تحت القطب بني عليه مسجد فيه سبعة سواري فضة خالصة كل سارية قدر ما تخلق عليها بيديك مع صدرك و يقال أول من أظهر المخالفة في دين عيسى عليه السّلام و شريعته عبد اللّه بن أريس[181] كانت النصارى تعظمه أشد التعظيم و يقال لتلامذته و من تبعه الأريسيون فإنه ابتدع أشياء مخالفة و أياه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم في كتابه إلى هرقل حيث قال صلّى اللّه عليه و سلّم فإن أَبَيْتَ فعليك إثم الأرسيين و قيل غير ذلك أنظر القسطلاني[182] كان نَبِينا عيسى عليه السّلام و على محمد أفضل الصّلاة و السّلام لما ذهبت به أمه مريم عليها السّلام إلى نَاصرة المنسوب إليها النصارى كما مرَّ شاع خبره أمرت أن ترجع به إلى إيليا و هو ابن اثنا عشرة سنة و تتابعت عليه المعجزات و الخوارق و العجب العجاب من أحياء الموتى و غير ذلك و شاع خبره في الأرض و خافه رؤساء اليهود و تآمروا في قتله فجمع عيسى عليه السّلام الحواريين فباتوا عنده ليلتين يطعمهم و بالغ في خدمتهم بما استعظموه و قال انما فعلت هذا لتتآنسوا بي ثم افترقوا و جاء إلى عظماء اليهود رجل

[181] أريوس (ليس ادريس) arius: راهب الاسكندرية (256-336م)، لم يعتبر سيدنا عيسى إلهًا فكفره مجمع نقية سنة 325 م

[182] القسطلاني : شهاب الدين أحمد بن محمد (851-923 هـ) له: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية.

منهم يقال له الأسخريُوطّي[183] فدلهم عليه بثلاثين درهمًا و أراهم مكانه فجاءوا به إلى فلاطش النَّبْطِي قائد قَيْصَر على اليهود و أتى جماعة الكهونة و قالوا له هذا يفسد ديننا فاقتله فتوقف فتوعدوه بالشكوى إلى قيصر إن لم يفعل فأمر بقتله و كان عيسى عليه السلام أخبر الحواريين بأنه يشبه على اليهود في شأنه، فقتل.. ذلك الشبه و صلب سبعًا ثم أنه عليه السّلام وعد الحواريين بمكان عينه فحضروا عنده و أمرهم بتبليغ الرسالة في النواحي فعين لروما بطرس و معه بُولس من الأتباع و لم يكن حواريًا و إلى الحبشة و السودان متى العشار [184] و أندراوس و إلى المشرق طُوماس و إلى أفريقيا فليبْس و إلى الشام يوحناس و إلى القدس يوحنا و إلى العرب و الحجاز برتلوما و إلى برقة و البربر سمعون العَباني و قال ابن اسحاق ثم وثب اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم وَ وَاقب مَرّ خبره و انطلق الحواريون إلى الجهات كما أمر عيسى فآمن بعض و كفر بعض و شمعون هو الذي آمن به كثير من نساء مدينة روما و بعض نساء القياصرة و هو السبب في تنصر الروم و كَتَب الإنجِيل بروما بلغة الروم كتبه بطرس و كتبه مَتَى بالقدس بالعبرانية ثُمَّ اجتمع الرسل الحواريون بروما و وضعوا القوانين الشرعية لدينهم رضي الله عنهم و نفعنا بهم آمين و استمر في غاية الإستقامة و الصلاح إلى أن بَدَّل فيه و غير من أتى بعدهم زمن التاريخ المار و إلى من بدل و غير أشرت بقولي محي الدين كتب التجسيم. تلبية: و كان صاحب هذا الدين و القيّم بمراسمه يسمونه البَطرك و هو رئيس الملّة و نائبه في البلدان البعيدة يسمى الأسقف و القراء بالقسيسين و صاحب الصلاة الجاثليق و قومة المجسد الشمامسة و الذي انقطع للعبادة الراهب و القاضي المطران و قولي و دام كالحبس أي الوقف أي أن الإسلام بثغر وهران لا يغير عن حاله و لا يبدل إن شاء الله عن منوالِه إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و هو خير الوارثين إنَّه على كل شيء قدير لا إله غيره.

أمسى على الرفع للتمييز منتصبًا ∴ عن خفض عاملها حالاً من ملتبس

فمعنى صار على الرفع أي على منصة الرفع أي الرِفعة و علو المكانة ضد الوضع كرفَعَهُ و أرفعه فارتفع و رفعته أمّا لازم و متعد و إمّا رفَّاع كشداد جد محمد بن عبد الله الأندلسي المحدث و فرش مرفوعة أى بعضها فوق بعض أو مقربة لهم و بنو

[183] يوطى أو juda من الحواريين خَان عيسى عليه السلام
[184] متى Mathieu/ سمعون Simon

رافع خمسة و ثلاثون صحابيًا و رفاعة ثلاثة و عشرون و رويفع مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و التمييز من مازه يميزه ميزًا عزله و فرزه كأمازه و ميزته فأمتاز و أنمازَ و تميَّزَ و استماز الشيء فضل بعضه على بعض و فلان انتقل من مكان و نصب من مكان إلى مكان و نصب و منتصب العلم المنصوب و يحرك و الغاية و في القوافي إن تسلم قافية من الفساد و هو في الإعراب كالفتح في البناء و الخفض الدعة و عيش خافض و قد خفض ككرم و السير اللين و بمعنى الجرّ في الإعراب و خفض بالمكان يخفض التواضع و القول لينه و الأمر هونه و الحروف المنْخَفِضَة ما عدا قَضَّ و خَص ضغط عمل كفرِح و عمل البرق دام فهو عمل و الشيء في الشيء أحدث نوعًا من الإعراب و عمِل و عَمُل فلان عليهم بالضم أمر و عامل للرمح و عاملته صدره و بنوا عميلة كجهينة قبيلة و المعمل كمقعد ملك لبني هاشم بوادبيشة و اليعملة من أيامهم و الحال كنية الإنسان و الوقت الذي أنت فيه و الحال كلام فضلة لازم النصب في النحو و الحال أيضًا الطين الأسود و التراب اللين و موضع اللبد من الفرس حولان موضع باليمن و ملتبس من لابسه خالطه و لزق الطعام على اليد و لباس التقوى الإيمان و الحياء أو ستر العور مَرَّ لنا تفسير الرفع بمعنى المكانة و العلو و يحتمل أن المراد بالرفع أحَدُ ألقاب الإعراب أي صار على حالة الرفع ناصبًا للتمييز وَ قولي عن خفض الخ عامل الحال الملتبسة بصاحبها لأنها وصف له أي لا يخفض عامل الحال معناه أن المنصور باللّه إنما يضع أقواله الأمرية و أحكامه الشرعية في شؤون رعيته و نوازل أقضيته في محلها لعدله و علمه و لا يعمل شيئًا في غير محله و كان الإسم المرفوع ناصبًا للتمييز تجوز أو إنما الناصب له الفعل كطاب زيد نفسًا و هو ظاهر و خطبه سهل و ما ذكرته في هذا الحال المار إمَّا من التلويح و هو عند الكسائي[185] الكناية البعيدة التي اختصاصها بالمكنى غير عارض كقول الشاعر (النابغة الذبياني)

تطاول حتى قلت ليس بمُنْقِض ∴ و ليس الذي يرعى النجوم بآئب

يريد بالذي يرعى النجوم الصُّبْحُ فجعله كالراعي الذي يذهب و يجيء فلوح لاستمرار الليل قال المراكشي و في النجوم تَورية لأن النجم البيت الذي لم يقم على ساق مرشحه بالرعي و ما أظن أحدًا سبقني إلى هذا المعنى انتهى و أما ألغاز جمع

[185] الكسائي : على بن عبد الله أنتهت إليه رئاسة الأقراء بالكوفة. توفي سنة 189 هـ.

لغز و هو تعمية المراد في تغطيته من اللغز في الكلام إذا اعطى مراده بأن يأتي بعبارات يدل ظاهرها على غير المقصود و باطنها عليه قَالَ في نهاية الأدب اللغز و المحاجاة و المعاياة و العويص و الرمز و المعمى ألفاظ مترادفة لمعنى واحد و إنما اختلافهما بحسب الإعتبارات فإنك إذا أعتبرته من حيث أنه يحمل على وجوه فلغز و من حيث أن واضعه قصد أن يعاييك أي يظهر عليك فمعاياة و من حيث صعوبة فهمه فَعويص و من حيث أن واضعه لم يفصح عنه فرمز و من حيث أنه ستره عليك فعمي مثال ذلك قول ابن حراز ملغزًا في قينة:

و مضروبة من غير ذنب أنت به ∴ إذا محـــى أول تبقـــى ثمـــان

وَ مَا أَلْطَفُ قَوْلِ بَعْضِهِمْ ملغزًّا في القلم:

و ذو خـــضوع راكـــع ســـاجد ∴ و دمعـــه مـــن جنبيـــه جـــار

مواظـــب الخمـــس لأوقاتهـــا ∴ منقطـــع في خدمـــة البـــار

من غريب ما وقع في هذا الباب قول بعضهم ملغزًا في كمون:

يـــا أيهـــا العطـــار أعـــرب لنـــا ∴ عـــن إسـم شـــيء قـــل في ســـومك

تنظـــــره بــــــالعين في يقظــــــة ∴ كمـــا يـــرى بالقلـــب في نومـــك

أي قول القائل نومك بقلب الحروف الأربعة و اما تورية مرشمة كقول شاعر

يا حبذا شجرة و طيـب نـسيمها ∴ لــو أنهــا تــسقى بمــاء واحــد

و قد يكون كل من التوريتين ترشيحا للأخرى كما في بيت السقاء

إذا صدق الجد فترى العم للفتـى ∴ مكارم لا تخفى و إن كذب الخال

فأزاد بالجد الحظ و بالعم الجماعة من الناس و بالخال المخيلة و من لطيف ذلك قول القاضي عياض في سنة كثر كلاؤها في شهر كانون و هو دجنبر

كأن نيـسان أهـدى مـن ملابـسه ∴ لشهر كـانون أنواعًـا مـن الحلـل

أو الغزالة من طول المـدّ أخْرقـت ∴ فما تفرَّق بـين الجـدي و الحمـل

الغزالة إما الحيوان المعروف أو الشمس و الجدي و الحمل يناسب كل منهما تأمل وَمِمَّا يُنَاسِبُ بيت نظمنا ما كتب به ابن الدهان النحوي[186] إلى زيد بن الحسن بن سعيد الكندي الملقب تاج الدين البغدادي[187] المقرئ النحوي الأديب:

يـا زيـد زَادَ ربِّـي في مواهبـه ∴ تقـصر عـن أدراكهـا الأمـل

لا غير الله حالا قد حباك بها ∴ ما دام بين النحاة الحال و البَدَل

فـالنحو أنـت أحـق العـالمين بـه ∴ أليس باسمك فيـه يـضرب المثـل

وَ قَالَ ابْنُ شَرَف الشَّاعِر القيرواني:

جَـاوَر عليـا و لا تحفـل بحادثـة ∴ إذا ادّرعـت فـلا تـسأل عـن الأسـل

اسم حكاه المسمى في الفعال فقد ∴ حـاز العلـيين مـن قـول و مـن عمـل

فالمَاجِدُ الكـريم الـسيد الحـر لـه ∴ كالنعت و العطـف و التوكيـد و البـدل

زان العُـلا سـواه شـانها و كـذا ∴ تميز للشمس حالان في الميزان و الحمل

سل عنـه و انطلـق بـه وأنظر إليـه تجـد ∴ مـلء المـسامع و الأفـواه و المقـل

لا غرو و إن نال مجدًا ليس يدركه ∴ سواه إذْ عِرْقُهُ في المجـد منغمس

بمعنى لا غرو لا شك فهو مستعمل فيه كقول الشاعر فلا غرو إن البئر قد ضرب السداد و النوال و النال و النائل العطاء و رجل نوال جواد و النولة القبلة و نولت عليه و له أعطيته و معنى نال مجدًا أي أعطى مجدًا و المجد نيل الشرف و الكرم و لا يكون إلاَّ بالإباء خاصة و مَجَدَ كنصر و كرم مجدًا و مجادة فهو ماجد و مجيد و أمْجَدَه و مجَّدَه عظمه و أثنى عليه و العطاء كثره و المجيد الرفيع العالي الكريم و الشريف الفعال و مجدت الإبل وقعت في مرعى كثيرة و مجدها أشبعها و مجيد بن

---

[186] ابن الدهان النحوي : مبارك بن مبارك (أبو بكر) الواسطى (532-619): نحوى شهير له تصنيف في النحو

[187] تاج الدين البغدادي : زيد بن الحسن بن سعيد : (520-613 هـ) : مقرئ و نحوى. من أثاره : "إتحاف الزائر و اطراف المقيم و المسافر" و "شرح على خطب ابن نباتة" و "حاشية على شرح ديوان المتنبي" ثم "عوالي الإمام مالك".

حيدة بطن من الأشعريين و مجدون قرية ببُخَارَى و موضع باليمن و الماجد الحسن الخلق السمع و تماجدوا تفاخروا و قولي ليس يدركه أي يلحقه لأن الدرك اللحاق و أدركه لحقه و رجل دراك و مدركة و دراك ككتاب لحاق الفرس للوحش و المتدارك قافية يتوالى فيها حرفان متحركان بين ساكنين كمتفاعلن و فعولن و العرق أصل لكل شيء و جمعه عروق و أعراق و عراق يقال فلان عريق في الكرم مثلا و حيان بن العرقة و قد تفتح الراء و هي أمه قلابة لقبت به لطيب ريحها و هو الذي رمى سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم الخندق و ذات عرق ميقات أهل العراقيين و عرق وادي لبني حنضلة بن مالك و موضعان بالبصرة و عرقة و منغمس من غمس يغمس و المغمس كمعظم و محدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رُغال دليل أهل الفيل و يرجم إلى الآن قال جرير بن الخطفاء الكلبي

إذا مـــات الفـــرزدق فـــأرجموه ∴ كـــرجمكم قـــبر أبـــي رغـــال

كانت العرب ترجم قبر أبي رغال لخبثه كما تنحر على قبور ربيعة بن مكرم لشجاعته وجَوْدُه و مرَّ حسان بن ثابت رضي الله عنه بقبر ربيعة بن مكرم فَنفرت قلوصه[188] منه فأنشأ يقول:

نفرت قلوصي مـن حجـارة حـرّة ∴ بُنيت على طلق اليـدين و هـوبُ

لا تنفـري يـا نـاق منـه فإنـه ∴ شـرَّاب خمـر مـسعر الحـروب

لولا الـسفار و بعـد خـرق مهمـه ∴ لتركتهـا تَحْبُـوا علـى العرقـوب

و لم يسمع أن العرب عزفت على قبر غير قبر ربيعة بن مكرم من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة و وقف مروان بن أبي حفصة اليمامي على قبر معَن بن زائدة الشيباني و جعل يقول

أيا قبر معن كيف واريت جـوده ∴ و قد كان منه الـبر و البحـر منزعـا

فيـا قـبر مَعَـن أنـت أوّل حفـرة ∴ من الأرض خُطَّت للسماحة مضجعا

[188] القلوص: الإبل الشابة الباقية على السير

حكَاية : كان رجل من أهل المجد و الحياء قعد به الزمان فوفد على ملك من ملوك الأكاسرة فمكث ببابه حينًا لا يصل إليه فكتب رقعة و تلطف في إيصالها إليه و قد كتب فيها أربعة أسطار الأول فيه الضرر و الأمل أقْدَمَاني عليك و في الثاني الفقر و لا يكون معه صبر و في الثالث الإنصراف بلا فائدة فتنة و شماتة للعدو و في السطر الرابع إما نعم مثمرة و إما لا صريحة فلما قرأها وضع تحت كل سطر منها ألف مثقال و أمر له بها و أذنَ له في الإنصراف إلى أهله.

إن الإمــارة كانــت و الأيالــة في ∴ أسلافه عرقها مخضر لم ييبس

الإمارة الولاية و السلطنة و هي بكسر الهمزة لأن الحرفة و الولاية جاءتا على فعالة بالكسر قال ابن مالك في لاميته

فعالــة الخــصال و الفعالــة دع ∴ لحرفــة أو ولايــة و لا تهــلا

نحو كتب كتابة و تاجر تجارة و نجر نجارة في الحِرَف وَ ولَّى ولاية و وزر وزارة و أمر إمارة في المراتب و الأيالة يقال آل الملك رعيته إيّالاً ساسها و على القوم إياه و إيالة ولّى قاله في القاموس و أول موضع بأرض غطفان و واد بين مكة و اليمامة و ايال كسحاب جزيرة كبيرة بالبحرين عندها مغاص اللؤلؤ و صَنَمٌ لبني بكر بن وائل و بني ثعلب بن وائل و السلف و الأسلاف كل من تقدمك من أبائك و قرابتك و الجمع سلاف و أسلاف و فلانًا سلفًا و سلوفًا تقدم و يقال أيضًا للسَّلَم[189] و القرض الذي منفعة فيه للمقرض و عبد الرحمن السلفي محدث و سلاف العسكر مقدمتهم و سولاف قرية بِخوزستان و الأخضَر هو الغض الطري و جبل بالطائف و الخضر السماء و الكتيبة العظيمة و قلعة باليمن موضع باليمامة و أرض لعطارد و خضيرة ككريمة نخلة ينتشر بسرها و هو أخضر و الأخضر الذهب و اللحم و الخمر و هو لك خضرًا مضرًا أي هنيئًا مريئًا و الخضيرة بالضم محلّة ببغداد قلت و منها أجداد السَّيُوطي المحدث المشهور و يبس بالفتح و الكسر كما في لامية ابن مالك وَ قَالَ في القَامُوسْ يبس بالكسر يَيْبَسُ بالفتح و يابس و ييبس كيضرب شادَ ما كان رطبًا و جف و ما أصله اليبوسة و يبوس كصبور موضع بأرض شَنُوءَةَ و اليابس سيف حكيم بن حيلة العبدي و يابسة جزيرة في بَحْر الروم ردها الله للإسلام ثلاثون ميلا

189 السَّلَم أو السَّلام: بيع الدَّين بالعين

في عشرين بها مدينة حسنة و معنى البيت أن أميرنا المنصور بالله كانت السلطنة في أبائه لأن أباه سيدي عثمان باي و ها هي مستمرة فيه و في عقبه دائمة إن شاء الله لا ينقطع مددها و لا ييبس عرقها كما قال ابن رزمك في الغَنِّي بالله من بني الأحمر

ورث الإمـارة اكـابر عـن أكـابر ∴ كـالرمح متلـو الكعـوب مقـوم

و قال السموءل بن عادي يفتخر

إذا مـات مِنَّـا سـيد قـام سـيد ∴ قَـؤول لمـا قـال الكـرام تعـول

و يقال أعرق العباسيين ولاية الأمين أبوه الرشيد خليفة وجده المهدي خليفة وجد أُمِّه أبو جعفر المنصور خليفة و أخوه المأمون خليفة الخ و أعرق الناس في القضاء سالم بن بلال بن أبي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه الأربعة قضاة و الوزارة جعفر بن يحيى بن خالد و أعرق الناس في الولاية العظمى و القطبانية الجمة و سلطنة الأخرة و الدنيا على الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن عمر البَاقر بن على زين العابدين بن الحسن السَبْط بن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين و كانت زُبيدَة المذكورة أم الأمين صاحبة معروف كبير و فعل خير قال أبو الفرج أنها أسالت الماء مدة عشرة أميال من أعالي الجبال و تحت الصخور حتى أخرجته إلى المحرم من الحل فأكثرث الماء بمكة بعد أن كانت الرواية بدينار فيها و كان لها مائة جارية يحفظن القرآن و كان القرآن يسمع بقصرها كروي النحل ماتت سنة ست عشرة و مائتين رحمها الله و طرق المجد كثيرة و مآثرها شهيرة قال الشيخ السنوسي

دَبَبَتَ لِلمَجْد و الساعون قد بلغوا ∴ حد النفـوس و العـزا دونـه الأزرا

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله ∴ لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ومن الحكايات ما قال الأصمعي قال يَا أمير المؤمنين لما صرت بين مقابر بغداد اعتراني حزن و ظننت أنك مت قال و ماذاك قال وجدت امرأة تبكي على قبر تقول في تمجيده رافعة صوتها به

فمــن للوفــود و مــن للجنــود ∴ و مــن للوغــاء و مــن للكــرم

و مــن للكلمــات و مــن للعفــاة ∴ و مــن للثغــور و مــن للــشيم

فلما سمعت هذا ظننت أنك مت يا أمير المؤمنين و قلت (إنا لله و إنا إليه راجعون) ثم قلت لها من هذا الذي تبكي عليه فقالت أبو ملك صهر أبي عَمرُو الحائك أمين الدرازين ببغداد فقلت لها لعنك الله و الله اني ظننت أمير المؤمنين فضحك الرشيد كثيرًا وَ مَثلُهَا من الحكايات التي يجاء بها أوَّلُ و لذيذ اللطائف التي لا تملُّ أن أصحاب العشي و هم الحرس الذين يطوفون بالليل تقبضوا على ثلاثة رجال وأتوا بهم إلى المأمون فقال لهم ما أخرجكم هذه الساعة فقالوا القضاء و القدر فقال أتنسبوا و كان واحد ابن دراز و الآخر ابن مراق و الثالث ابن حَجَّام فقال ابن الدراز.

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه ∴ و قومها بالسيف حتى استقامت
ركابــه لا تَنْفَــكُّ رجــلاه عنهمــا ∴ إذا الخيل في يوم الكريمة و لَّتْ

و قال ابن المراق

أنا ابن الذي لم تنزل الدهر قدره ∴ و إن نزلـت يومًـا فـسوف تعـود
ترى الناس أفواجًا إلى ضوء نـاره ∴ فمــنهم قيــام حولهــا و قعــود

و قَالَ ابن الحجام

أنـا ابـن مـن ذلـت لـه الرقـاب ∴ مـا بـين مَخْزُومهـا و هاشميهـا
فتــــأتي إليــــه طائعــــة ∴ يأخـذ مـن مالهـا و مـن دَمِهَـا

فأخلى المأمون سبيلهم ثم علم من الغد حقيقة توريتهم فقال إن لم يكونوا شرفاء فهم ظُرفَاء

دُمْ في تـصريف مـا أوليتـه أبـدًا ∴ و أرض سعدك فيها النهر مُنْبَجس

فقولي دام يدوم و يدام دوامًا و دومانًا و ديمومة و استدامة طلب دوامه و الديمة بالكسر مطر يدوم و الدُّومي بن قيس صحابي و الدوام موضع و يدوم جبل و بلاد و يدوم قرية باليمن و التصرف في الدراهم و البياعات إنفاقها و في الآيات تبيينها

و في الكلام إشتقاق بعضه من بعض و في الرياح تحولها من وجهة إلى وجهة و تصرف في الأمور تصريفاً و أما أوليته أي ما أعطيته و أبدًا مدة الدهر و الجمع آباد و أبود و أبد الآبدين و أبد الآباد و أبد الدهر.

و الأوابد الوحوش و الأَبدَة كغبرة بلد بالأندلس و سعد كمنع سعد و سعودًا يُمْنٌ و السعادة خلاف الشقاوة و قد سعد كعلم فهو سعيد و مسعود و لبيك و سعيدك أي إسعادًا بعد إسعاد و في العرب سُعُود كثير و مرَّ الكلام على سعود النجوم و النهر و يحرك مجرى الماء و الجمع أنهار و نهور و نهر و أنهر و النهريون جماعة و نهر كمنع أجراهُ و الرجل زجره و المنهر كمقعد موضع في النهر يحفره الماء و النهار فرخ القطار و ذكر اليوم و النهروان ثلاثة قرى أسفلهن بين واسط و بغداد و إذا أطلق النهر فالمراد به نهر فرغانة و هو سيجون عليه مدن عظام خرج منهم علماء أعلام و جيحون دونه حفرة ازديشر بن بابك و منبجس قال الجوهري بجست الماء فانبجس أي فَجرته فانفجر و بجس نفسه ينبجس يتعدى و في القاموس بَجَسه تبجيسًا فجَّرهُ تفجيرًا فانبَجَس و تبجس و بَجسة بلدة أو عين باليمامة و الإنبجاس النوع في العين خاصة أو عام الضمير في دم للمنصور بالله أبي الفتوحات أي دام لك التصرف فيما أعطاه الله لك و أفاده عليك من ثغر وهران و مدّ لك السعادة و الأمن و الأمان ما تعاقب الجَرَيرَان و لا شك أنّ الله رزقه السعادة في ملكه و أسعد المسلمين بتملكه فأيامهم في مدته أعراسًا و رياضهم بساتين و أغراسا و أتبعوا في مهاد الأمن و فرت لهم أعيانًا و طابت لهم أنفاسًا دام الله للمسلمين أطلعته الحميدة و على الكفار سطوته الشديدة، و على أهل الزيغ بطشته العتيدة و للمتقين و العلماء منحه العديدة و ممن رزق السعادة في ملكه عماد الدولة علي بن بويه بن قَبَاخسْرو الديلمي من ذرية ملوك آل ساسان ملوك الفُرْس بني إزدِشير بن بابك صاحب بلاد فارس و هو أول من ملوك بني بُوَيْه و كان أبوَه ليست له معيشة إلاّ من صيد السمك و هم ثلاثة عماد الدولة أكبرهم و ركن الدولة و عضد الدولة و كان عماد الدولة سبب سعادتهم و انتشار هيبتهم ملوك العراقين و الأهواز و فارس و ساسوا الرعية أحسن سياسة ثم لما ملك عضد الدولة بن ركن الدولة كبرت مملكتهم و زادت عمّا كانت و كان عماد الدولة اتفقت له أسباب عجيبة ثَبَتَ ملكه بسَبَبِهَا منها أنه لما ملك شيراز اجتمع أصحابه و طالبوه بالأموال و لم يكن عنده شيء و أشرف أمره على الإنحلال فاغتنم و استلقى على ظهره إذْ رأي حيّة خرجت من سقف ذلك المجلس فدعا الفراشين فأتوا بسلم لإخراج الحية فلمّا بحثوا وجدوا ذلك السقف يفضي إلى غرفة بين سقفين فعرفوه ذلك فأمرهم بفتحها ففتحت فوجدوا فيها عدّة صناديق من

المال و المصاغات قدر خمسمائة ألف دينار فحمل المال إليه وَسُرَّ به و أنفقه في رجاله ثم أنه اشترى بزًّا[190] كثرًا و سأل عن خياط حاذق فوصف له خياط كان لصاحب الدولة فأمر بإحضاره و كان أصمّ فظن أنه سعى به إليه فلما كلمه على الخياطة حلف أنه ليس عنده إلاّ اثنا عشر صندوقًا لا يدري ما فيها فوجه معه من حملها و تعجب من ذلك مات سنة ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة ملك ستة عشر سنة و دفن بشيراز و ما أحسن إنشاد القاضي الفاضل أبي علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين العسقلاني حيث يقول من شعر ابن كنسة (ابن الحسن اللخمى)

و إذا السعادة أحرستك عيونها ∴ نم فالمخــاوف كلــهنّ أمــان

و اصعد بها العنقاء فهـي حبالـة ∴ و اقتد بها الجَـوْزَاء فهـي عنـان

و قال إبن شهيد أبو عَامِر أحمد بن أبي مروان بن ذي الوزَارتين أحمد بن عبد الملك الأشجعي الأندلسي[191] من ولد الواضح بن زراح الذي كان مع الضحاك بن قيس الفَهْدِي يوم مَرْج راهط

و تـدري سباع الطير أنَّ كماتـه ∴ إذا لقيـت صـيد الكمـاة سـباع

تطـير جياعًـا فوقــه و تَردُهَــا ∴ ظبـاهُ إلى الأوكـار و هـي شـباع

وَ ممن رزق السعادة في شعره أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الشاعر المشهور الحفصي[192] و لا يسأل عن شيء إلاّ أجاب حتى أنَّ أبا علي الفَارسي قال له كم لنا من الجموع على وزن فعلى بالكسر فقال في الحال حجلى و ضَرْبَى قال أبو علي طالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أَنْ أجدلهما ثالثًا فلم أجد إما حجلى جمع حجل طائر و ضربى جمع ضَربًان دويبة منتنة و أغنت العلماء بشرح ديوانه حتى أن العلماء و قفوا له على أكثر من أربعين شرحًا و لم يفعل هذا بديوان غيره و لِمَ يقالُ لَهُ المتنبي لأنه أدعى النبوءة بواد السماوة و تبعه خلق كثير فخرج له أبو لؤلؤة أمير

---

[190] البز: البزوز: ثياب من القطن و الكتان

[191] الأشجعي الأندلسي: أحمد بن عبد الملك القرطبي (أبو عامر): أديب في معاني الشعر و البلاغة (382-426هـ) من آثاره: "حانوت العطار" و "كشف الدك في الحيل والشعودة" و "التوابع والزوابع"...

[192] الحفصي: ؟ هكذا في النسختين و الصحيح : الجعفي.

حمص نائب الإخشيد فأسره حتى تاب ثم ارتحل لسيف الدولة فمدحه ثم ارتحل إلى مصر فمدح كافُور و من مدحه فيه

قواصــد كـــافور تـــوارك غـــيره ∴ و من قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنـا انـسان عـين زمانـه ∴ و خَلَّـتْ بياضًـا خلفهـا و مآقيَـا

ثم هجاه و هرب و كان يومًا مع سيف الدولة و عنده العلماء و النحاة فوقع بينه و بين ابن خالويه كلام فضَرَبه ابن خَالويه النحوي بمفتاح في يده فجرحه ثم رحل إلى فارس و مدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فأجزل له العطية و خرج قاصدًا بغداد فعرض له فاتك ابن أبي جهل الأسَدي في جماعة و المتنبي في جماعة فقاتلوهم ثم أراد المتنبي الفرار لما رأى الغلبة عليه قال له غلامه مفلح لا يتحدث عنك بالفرار و أنت القائل في افتخارك.

الخيل و الليل و البيداء تعـرفني ∴ و السيف و الرمح و القرطاس و القلم

فَكَرَّ راجعًا و قاتل حتى قتل و قتل معه ابنه محسن و غلامه مفلح عند دير القَاقُول من سواد بغداد سنة أربع و خمسين و ثلاثمائة و كان ينتسب إلى جعفر العشيرة بن مُدجَح لأن سعدًا كان يركب في ثلاثمائة من ولده و ولد ولده فإذا قيل من هؤلاء قال عشيرتي خوفًا عليهم من العين فقيل له سعد العشيرة و في السيوطي في حسن المحاضرة أن قتله كان بدسيسة كافور وحكي أن المعتمد بن العباد اللخمي ملك قرطبة أنشد المتنبي.

إذا ظفـرت منـك العيـون بنظـرة ∴ أثاب بهـا مُعْـي المطـي و رازمـه

و جعل يردده استحسانًا له و في مجلسه ابن وهبون فأنشد إرْتِجَالاً

ليس جاد شعر ابن الحسين فإنما ∴ تجود العطايا و اللـها تفـتح لَهَـا

فتبًـا عجبًـا القـريظ و لــو درى ∴ بأنـــك تـــروى شـــعره لَتَألهـــا

<u>مدينة حلها التوحيد مبتسمًا جَزلان ∴ و ارتحـــل التثليـــث مُنْبَـــيس</u>

المراد بالمدينة مدينة وهران أدامها الله للإسلام و هي من الأمصار التي يقال لها مدينة و بلد و لا عِبْرَةُ بقول الجامعي قرية صغيرة الخ مع عدَّ فُحُول الإخباريين لها أنها من أمصار المغرب الأوسط كما ذكره ابن خلدون و غيره غير مَا مَرَّة و حل يقال حل المكان يحل و يحل حللاً و حلولاً و حلَّلاَ نزل به كأحتله فهو حال و الجمع حلول و حلال كعمال و حلل كركع و الحلة قرية بناحية دجيل و بالضم أزار و رداء بُرد أو غيره و الجمع حلل و حلال وذو الحلّة عوف بن الحارث بن عبد مناف[193] و مبتسمًا يقال بسم يبسم بسمًا و ابتسم و تبسم و هو أقل الضحك و أحسنه فهو باسم و بسام و جزل كفرح فهو جزل و جزلان و جاء في الشعر جاذل و جذل الطيعان بالكسر لقب علقمة بن فراس من مشاهير العرب و ارتحل سار فمضى و القوم عن المكان ارتحلوا كَتَرَحَلُوا و الاسم الرحلة بالضم و الكسر و بالكسر الارتحال و بالضم الوجه الذي يقصده و الرحيل منزل بين مكة و البصرة و راحيل أم يوسف عليه السّلام و التثليث هو الذي أخبر الله به في كتابه العزيز و يوم الثلاثاء بالمدَّ أوْ يُضَمَّ ثلث البسر تثليث أرطب ثلثه و المثلث و يخفف الساعي بأخيه عند السلطان لأنه يهلك ثلاثة نفسه و أخاه و السلطان و المُنْبَئِس و المنبيس الكاره الحزين و لاشك أن الجَزلان هو الفرحان قال تميم بن حميل السدوسي لما أراد المعتصم قتله

و كـم قائـل لا يُبعـد الله داره ∴ و آخـر جَـزلان يـسر و يـشمت

و سبب ذلك أنه خرج على المعتصم فلم يظفر به إلاَّ بعد حروب قل في الدهر مثلها و قد أنفق في ذلك أكثر خزائنه فلما قدم للقتل و بسط له النطع مغلَّلاً و السياف على رأسه مصلتا سيفه يرتجى الأمر ثم إن المعتصم استنطق تميم هل هو في عقله أم لا فقال يا تميم أنظر أين وقع بك هواك فقال الحمد لله الذي كلمني أمير المؤمنين و تفضل عليَّ بالخطاب ثم أنشأ يقول

---

[193] نسخة ب: منات

2– الجزلان: في القاموس: الكريم.

أرى الموت بين السيف و النطق كامناً ∴ يلاحقني من حيث لا ألتفت

و أكبر ظني أنك اليوم قاتلي ∴ و أي أمري مما قضى الله يفلت

و ما قول من أتى بعُذر و حجة ∴ و سيف المنى بين عينيه مصلت

و ما جزعي من أن أموت و أنني ∴ لا علم أن الموت شيء مؤقت

و لكن خلفي صبية قد تركتهم ∴ و أكبادهم من حشرتي تتفتت

كأني أراهم حين أنعى إليهم ∴ و قد خشيت تلك الوجوه و موت

فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة ∴ أذود الردى عنهم و إن مت مَوَّتُ

و كم قائل الخ ثم قال ما تحِب يا أمير المؤمنين عند الله قال المعتصم العفو فقال له أحْبَبْتُ عندك ما تحب عند الله قال قد فعلت و مبتسما و جزلان حالان من التوحيد قال ابن مالك في الخلاصة.

و الحال قد يجيء ذا تعدد ∴ لمفرد فاعلم و غير مفرد

و على حد قول امرئ القيس

عليَّ إن لم أزر ليلي بخفية ∴ زيارة بيت الله زجلان خافيا

و لا يخفى ما في هذا البيت من بديع المقابلة و حسن الاستعارة و من المقابلة البديعية قول الشاعر و هو أبو الطيب المتنبي

فلا الجود يعني المال و الجد مقبل ∴ و لا البخل يُنَمّي المال و الجد مدبر

و مثال مقابلة الثلاثة بالثلاثة نحو قول أبي دُلامة:

ما أحسن الدين و الدنيا إذا اجتمعا ∴ و أقبح الكفر و الإفلاس بالرجل

و كسرت السين للضرورة و قد مر الكلام عليه و مما قيل في الارتحال و الفراق قول بعضهم.

إذا ما غُراب البين صاح فقل لـه ∴ تَرفو و رماك الله يا طـير بالبعـد
لأنـت علـى الـشاق أقـبح منظـرا ∴ و أبشع بالأبصار من رؤية اللحد
تـصبح بِبَـيْنٍ ثـم تعثـر ماشـيا ∴ تبرزت في ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البَيْنِ و انقطع الرجـا ∴ كأنك من يوم الفـراق علـى وعـد

و اعرض بعضهم على الغراب و تطير بالإبل لكونها تحمل من ارتحل و في ذلك قال بعضهم و أجاد.

زعمتم بأن مطيعكم لسبب النوى ∴ و المؤذنـــات بفـــراق الأحبـــاب

و حكى أن إسحاق الموصلي قال كان الواثق أعلم الناس بالغناء و كان يضع الألحان العجيبة و يغني بها شعره و شعر غيره فقال لَهُ يوما أبا محمد لقد فقت أهل العصر في كل شيء فغنيني شعرا أرتاح إليه و أطرب عليه يومي هذا فغناه

ما كنت أعلم ما في البين من فرق ∴ حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تـودعني و الـدمع يغلبهـا ∴ فجمجمت بعد ما قالت و لم تُبَّنِ
مالــت إلــيّ تفـديني وترشـفني ∴ كما يميـل نـسيم الـريح بالغـصن
و أعرضت ثم قالت و هي باكيـة ∴ يـا ليـت معـرفتي إيـاك لم تكـن

و مما قلت في المنصور بالله أيام محاصرته وهران أدامها الله للإسلام

ضجر الحديد من الحديد و محمد ∴ من نصر دين رسول الله لم يضجر
حلــف الزمــان لا يــأتين بمثلــه ∴ لا حنــث يــا زمــن فــلا تفكــر
صـحت بدولتـه الأيـام مـن سـقم ∴ و زال ما يشتكي الدهر من الضرر
زالت ليالي بني الكفار و انصرمت ∴ بـدار وهـران كمـا لمحـة البـصر

كان مركيشهم[194] يومًا و مكبيلـهم ∴ يفتقد الحصن لم يقعـد و لم يـأمر

فحركـت علـيهم مـن بعـد هـدمنا ∴ أمـالهم قـد بـدت كـصفقة العُـزّر

كنـا نظـن و بعـض الظـن إثـم ∴ بـأن ثغرهـا عنـا أصـعب الثغـر

لم نقدر عنها و قد أحـاط الله بهـا ∴ كما أحاط بكنز كسرى مع قيـصر

فمـاذا تـاح لهـم كالـصقر خـانهم ∴ ما كانوا ظنوه يقيهم مـن الـضّرر

حِزْبُ الشياطين هاهم ذل جانبهم ∴ كأنهم غرقـى في هطـل مـن المطـر

إنـا إذا نَزلنـا بعـدُ و سـاحته ∴ يحـير أمـره لم يـدرج و لم يطـر

وعـد مـن الله لنـا لـيس يخلفـه ∴ سبحانه خـالق الجـن مـع البـشر

<u>من بعـدما صـيرها العـائثون بهـا</u> ∴ <u>يتوحش الطرف ما أنس من أنس</u>

أي أن ما مرّ من حلول التوحيد مبتسما جزلان بثغر وهران إنما كان ذلك بعدما صيرها العائثون بها من الكفرة في مرة كمج كما مرّ في نقطة يتوحش الطرف فيها ما كان يأنس به و يطمئن إليه و صيرها جعلها و العائثون المفسدون لأن العثو معناه الفساد لغة يقال عثاَ يعثو و عَثًا إذا أفسد و استوحش و توحش ضد تأنس و الطرف العين و لا يجمع لأنه في الأصل مصدر فيكون للواحد و الجماعة قال الله تعالى : (لا يرتد إليهم طرفهم) و الطرف أيضا كوكبان يقدمان الجبهة و هما عينا الأسد ينزلهما القمر و الطرف بالكسر الكريم من الخيل و الطرفاء شجر واحده طرفة و بها سُمي طرفة بن العبد الشاعر المشهور و الأنس البشر الواحد أنسي و أنسي بالتحريك و قد مرّ الكلام عليه أول الكتاب و قولي ما أنس من التأنيس أي يتوحش الطرف فيها ما كان يؤنسه و يذهب روعه و وحشته و أما قوله تعالى: (حتى تستأنسوا) معناه تعلموا تستعملوا من البيت و تستبصروا تقول أنست إذا علمت عن حس و إذا أبصرت و منه قوله تعالى :(فإن ءانستم منهم رشداً) لأن استأنس وزنه استفعل فكان المعنى في تستأنسوا تطلبوا أن تعلموا ما يؤنسكم و يؤنس أهل البيت منكم لأن الطبري قال في

[194] مركيش يعني Marquis : لقب من ألقاب النبلاء.

تستأنسوا في الآية الكريمة معناه تؤنسوا أهل البيت بأنفسكم بالتنمنم و الاستئذان قال عياض و تصريف الفعل يأبى أن يكون من أنس. و سبب الوحشة بها قبل فتحها فملئها بأهل التثليث الفجرة و عدم وجدان[195] المؤمنين البررة، سوى المَغَاطِيس[196] جند الكفرة حتى انك تكون فيها أهول من ليل و أكثر انفرادا من سهيل، على كثر ما بها فكأنها خاوية على عروشها و تهولك أسودتهم التي هي زيهم و هيئتهم و يشهد لهذا أن الحجاج بن يوسف سأل أعرابيا عن اللباس فقال الحمرة أجمل و السواد أهول و الصفرة أشكل و الخضرة ألين و البياض أفضل فاختر لنفسك أيها الأمير، مع درسهم بها معالم الدين و شعائر المسلمين فكسدت بها أسواقه و تبدلت أخلاقه و تلاشت أوراقه و طمست أحداقه، و تزايدت أشواقه حتى قيض الله لها من أعاد فيها مراسمه وجد معالمه و جلا عنها أهل التثليث و الأوثان والبيع و الصلبان : أبا الفتوحات المنصور بالله الباي محمد بن عثمان الذي ضبط الملك بإزائه و ربط السلك بآلائه أدام الله سلطان ملكه و ثبته و تقبله بقبول صالح و أنبته و أخذ عروة قائلا و بليته و أرغم نفسه بسيفه و كتبه و أحسن ما قيل في الأنس شعر عبد الصمد بن منصور بن بابك الذي يقول

و أغيد معسول الشمائل زارني ∴ على فرق و النجم حيران طالع
فلما جلا صبح الدجى قلت حاجب ∴ من الصبح أو قرنٌ من الشمس لامع
إلى أن دنا و السحر زائر طرفه ∴ كما ريع ظَبْيٌ بالصريمة راتع
فنازعته الصهباء و الليل دامس ∴ رقيق حواشي البرد و النسر واقع
تريد إذا شجت عيونا كأنها ∴ عيون العذاري شق عنها البراقع
فبتنا وَظَل الوصل دان و سرنا ∴ مصون و مكتوم الصبابة ذائع
إلى أن سلا عن ورده فارط القطا ∴ و لاذت بأطراف الغصون السواجع
فولى أسير السكر يكبو لسانه ∴ فتنطق عنه بالوداع الأصابع

[195] عبارة دارجة تعني وجود
[196] المَغَاطِيس: جماعة من السكان المحليين كانوا في خدمة الأسبان. يقال لهم المغاطيس لأنهم تمسحوا و غُسِلوا بماء المعمودية عند فتح وهران تم ترحيلهم إلى سبتة و مليلية حسب معاهدة الجلاء.

و قال أبو عثمان عمر المعروف بالجاحظ العالم المشهور البصري في تداول أيام الدهر

لَئنْ قدمت قبلى رجال فطال ما ∴ مشيت على رسلي فكنت المقدما
و لكن هذا الدهر تأتي صروفه ∴ فتبرمُ منقوضا و تنقض مبرما

و قال ابن دريد

يا دهر إن لم تكن عتبي فأتئد ∴ فإن أراودك و العتبى سوا

و قال معن بن أوس المزني

إذا أنت لم تنصف أخاك و جدته ∴ على طرف الهجران إن كان يعقل
و يركب حدّ السيف من أن تضميه ∴ إذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحَل
لعمرك لا أدري و أني لأوجلُ ∴ على أينا تغدو المنية أوّل

و ما أحسن قول بشار بن بدر[197] في العتاب

إذا كنت في كل الذنوب معاتبا ∴ صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أوصل أخاك فإنه ∴ مفارق ذنب مرة و مجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذي ∴ ظمئت و أي الناس تصفو مشاربه

و في معناه قول ابن الجهم متمثلا :

و من ذا الذي ترضى سجاياه كلها ∴ كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

و قال النابغة الذبياني يعتذر للنعمان بن المنذر و كان بلغه عنه أنه يمدح ملوك آل جفنة بالشام :

[197] هكذا في النسختين. و الصحيح بشار بن بُرْد.

و لـست بمـستبق أخـا لا تلمـه ∴ على شعث أي الرجـال المهـذب

لطيفة : كتب قيصر الروم و اسمه لاون بن طيانس إلى معاوية رضي الله عنه يقول أخبرني عمن لا قبل و لا أب له و عمن لا عشيرة و لا أنيس له و عمن سار به قبره و عن ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم و عن شيء و نصف شيء و لا شيء و أبعث إليّ في هذه القارورة بزر كل شيء فبعث معاوية بالكتاب و القارورة إلى ابن عباس فأجاب عن ذلك رضي الله عنه بقوله الذي لا قبله شيء فالكعبة زادها الله شرفا و أما من لا أب له فعيسى و أما من لا عشيرة له و لا أنس له فآدم و أما من سار به قبره فيونس أما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة فالموضع الذي عرف فيه فرعون و سلكه موسى و أما شيء فالرجل له عقل يعمل به و نصف شيء فالذي لا عقل له يعمل به و لكنه يعمل برأي ذوى العقول و أما لا شيء فالذى لا عقل له و لا يشاوره. ملأ القارورة بماء و قال هذا بزر كل شيء و بعث بذلك إلى معاوية و بعث به معاوية إلى قيصر فلما رأى الكتاب و القارورة قال ما خرج هذا إلاّ من بيت النبوءة.
أخرى : و لما كتب عبد الملك بن مروان اسمه على الدنانير فرأى ملك الروم ذلك و كتب إلى عبد الملك بأكل لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة لأَعزوتك جنودا مائة ألف من يكون أولهم عندك و آخرهم عندي فكتب عبد الملك إلى الحجاج وكان أنذاك أميرا بالحرمين أن يبعث الى علي بن الحسين و يتوعده و يكتب إليه بما يقول ففعل فقال إن لله عز و جل لوحا محفوظا يلحظه كل يوم ثلاثمائة لحظة ليس منها لحظة إلاّ يحيي فيها و يميت و يعز و يذل و يفعل ما يشاء و إني لأَرْجُو أن يكفينك منها بلحظة واحدة فكتب به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان و كتب به عبد الملك إلى ملك الروم فلما قرأه قال ما خرج هذا إلاّ من بيت النبوءة انتهى. و لمّا أظفرنا الله بنصارى وهران و انجلوا عنها إلى أقَاصِي الأوطان، هدمنا معالم ضلالهم و شيدنا معالم الإيمان و إلى ذلك أشرت بقولي:

شيدت مساجدنا و هـدمت بيعـاً ∴ إذ أنت الحق قد بطش بـالجرس

يقال شاد بنيانه و شيده إذا رفعه أو جعل له القصة بفتح القاف و الصاد المشددة و قيل الإشادة بالجصّ بكسر الجيم و تشديد الصاد المهملة و هو الكلس و الحاصل أن بعضهم قال معنى المشيد أي بالقصّة قال بالجصّ و بعضهم هو رفع البنيان و بالأول قال البخاري و مساجد ممنوع من الصرف لصفة منتهى الجموع القائمة مقام علتين و البيع كنائس النصارى واحدتها بيعة بكسر الموحدة كما مرّ أول الكتاب من

الفرق بينهما و بين بيعة الخلفاء و الصفقة و للطبري البيع لليهود لكن أخذ عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك و الأذان في اللغة الإعلام ثم استعمل شرعا للإعلام بدخول الوقت و أذن له أباح و يحكي عن سليمان بن عبد الملك بن مروان أنه وقف بين يديه رجل و قال له أتْن الله يا سليمان و تذكر يوم الأذان فقال له ما يوم الأذان، قال فأذن مؤذن بينهم أَن لعنة الله على الظالمين قال و ما مظلمتك فقال له إن لي ضيعة بجانب ضيعة لك فحاز وكيلك الجميع فكتب سليمان إلى وكيله ادفع له ضيعته و ضيعتي مع ضيعته و البطش السطوة و الأخذ بالعنف قاله الجوهري و البطشة الكبرى يوم بدر. فالجرس مرّ الكلام عليه مستوفي و مرّ ما يدل في قصيدة عبد الله بن الأبار كاتب ابن مردنيش أمير بَلَنْسِيَة أنه الناقوس أو أنّ أذاننا الحق الواضح الذي لاشك فيه بطش بجرس الروم بطشة عظيمة فلا يقتدي به و لا يعبأ به بأن محاه من ذلك الثغر بحيث لم يبق له عيب و لا أثر بعدما كان لشدة ضربه تعاديه الجبال فيسمع بأرض الإسلام من وهران على أميال و مرّ لنا أن عدد نواقيس مسجد قرطبة الآن خمسة و عشرين و أكبرهم يسمع من مسيرة يوم فيه مائة و خمسة و ثمانون قنطارا من النحاس و لا يخفى ما في قولنا بطش بالجرس من الاستعارة المكنية و التخييلية و البطاش من أسماء الأسد و المفترس عام فيه و في غيره. فائدة : للأسد أسماء كثيرة و ها أنا أسْردُمَا أحفظه منها: الأسد، السبع، و حيدر و الضيغَمُ و الغضنفر و العثمثم و الَهرماس و حمرس وبيهس و عنبس، فروكس و اللّهيص و المبتغى و العمثيل و المختبس و الجواس و الراصد و الضرغام فهذه تسعة عشر اسما و كنيته أبو الإشبال و أما الفرهود ولد الأسد بلغة إزد شنوءة و به سمي أحد أجداد الخليل بن أحمد المشهور و قال طلحة بن خويلد لقومه بني أسد ليلة الهدير بالقادسية ما سميتم بالأسد إلاّ لتعلموا عمله فباتت رحى الحرب تطحنهم إلى الصبح ففقدوا نحو الثلاثمائة من أبطالهم و كانوا في الجاهلية قتلوا فارس تميم بن عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي قتله منهم ذؤاي بن ربيعة و قتلوا فارس عرب الجاهلية قاطبة ربيعة بن مكرم المشهور قتله نبيشة بن حبيب و قتلوا فارس سليم بلا منازع و سيدها بلا مدافع صخرا بن عبد الله بن عمر بن الشريد أخا الخنساء المشهورة[198] و أسد أيضا جد علي بن أبي طالب من أمه و هي فاطمة بنت

---

[198] الخنساء: من أشهر شواعر العرب، إسمها تماضر من قبيلة سليم. أخواها صخر و معاوية. نقطة التحول في حياتها هي مقتل أخويها. لكنها عمرت فأدركت الإسلام. شعرها في الرثاء بلغ درجة كبيرة من الصدق و الجمال..

أسد بن هاشم و هي أول هاشمية ولدت لِهَاشِمي فلذا سمت على حيدرة سماه أبوه عليا و كان أبو طالب حامي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى قريش بسيفه و لسانه حتى أن الشيعة ذهبت إلى أنه مات مؤمنا و احتجوا بقوله في النبي صلى الله عليه وسلم لما خرجت عليه قريش:

و الله لا وصلوا إليك بجمعهم ∴ حتى أوسد في التراب دفينا

فأصدع بأمرك ما عليك غضاضة ∴ و أبشر بذاك وقرّ منه عيونا

ودعوتني و زعمت أنك ناصحٌ ∴ و لقد صدقت و كنت ثمّ أمينا

و عرضت أمرا لا محالة أنه ∴ من خير أديان البرية دينا

و احتجوا أيضا بقوله لأنه علي رضي الله عنه حين آمن برسول الله صلى الله عليه و سلم يا بني أنه لم يدعك إلاّ إلى الخير فألزمه، قال الشريسي ناقلا عن صاحب أعين المعاذ هذا و قال القرطبي أنه أحياه الله لرسول الله صلى الله عليه و سلم قال العلامة ابن الطُلاع[199]:

روينا بلا شك بأن محمدا ∴ أتى أبويه في مقابر مكة

فأحياهما له الإله فآمنا ∴ به ثم عادا في ضريح و توبة

قلت و كذا ذَكَر نحو ما لابن الطلاع أبو القاسم السهيلي الخثعمي صاحب كتاب الروض الأنوف في شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم. تلبية قال ابن دحية أنشدني السهيلي هذه القصيدة و قال أنه ما سأل أحد الله بها حاجة إلاّ أعطاه إياه و كذلك من استعمل إنشادها و هي هذه

---

[199] أبو القاسم السهيلي الخثعمي: (508 - 581 هـ) : عبد الرحمن بن عبد الله : لغوي و محدث. من آثاره : "التعريف و الإعلام فيما أبهم في القرآن من الاسماء و الإعلام" و نتائج النظر في مسألة رؤية الله عز و جل في المنام".

– ابن الطلاع: أبو عبد الله (404-497 هـ): محمد بن الفرج القرطبي: فقيه و محدث و مفتى. من آثاره: "نوازل الأحكام النبوية" و "الأقضية" و كتاب في الوثائق.

يا من ينادي في الضمير و يسمع	∴	و يرى فلا يخفى عليه موضع
يا من يرجى في الشدائد كلها	∴	أنت الصعد لكل ما يتوضع
يا من إليه المذنبون تضرعوا	∴	يا من إليه المشتكي و المفزع
يا من خزائن رزقه في قوله كن	∴	آمَّنَا فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري إليه وسيلة	∴	فبالافتقار إليك فقري أرفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة	∴	فلئن رددت بأي باب أقرع
و من الذي أدعوا و أهتف باسمه	∴	إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا بفضلك أن يقنط عاصِيا	∴	الفضل أجزل و المواهب أوسع

و كان يتسوغ بالعفاف و يتبلغ بالكفاف حتى نما خبره لصاحب مراكش فنقله إليها و حسن إليه و أدار وجه الإقبال عليه إلى أن مات بها سنة إحدى و ثمانين و خمسمائة و الخثعمي بفتح الخاء المعجمة و العين المهملة نسبة إلى خثعم بن أنمار من قبيلة كبيرة و السهيلي بضم السين المهملة و فتح الهاء نسبة إلى سهيل قرية قرب مالقة بفتح اللام سميت باسم الكوكب لأنه لا يرى في جميع إقليم الأندلس إلاّ من جبل مطل عليها قال السمعاني[200] : مالقة بكسر اللام و هو غلط، قاله القاضي بن خلكان رحمه الله

<u>أبدلها الله ببهتان جاقمة</u>	∴	<u>مدارس للمثاني تقر بالدرس</u>

الفرق بين الغتبة و البهتان أن الغتبة تذكر شيئا في أخيك و هو فيه و لا يرضى منك ذكره و البهتان أن تذكر ما ليس فيه و يكره سماع القسم الأول و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا ذكرت ما في أخيك فقد أغتبته و إذا ذكرت ما ليس فيه فقد بهته و في حديث آخر الغتبة أن تذكر المؤمن بما يكره قيل و إن كان حقا قال و إذا قلت باطلا فذلك هو البهتان و ذكر الزهراوي عن جابر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال الغتبة أشد من الزنا قيل و كيف قال لأن الزاني يتوب فيتوب

[200] السمعاني الكريم بن محمد. توفي 562 هـ. من مصنفاته: "فضائل الشام" و أدب الإملاء و الإستمتاع" و "التعبير في المعجم الكبير" و "الأنساب".

اللّه عليه و الذي يغتاب لا يتاب عليه حتى يستحل و جاقمة هذا من النصارى كان ملكهم في وسط السابع بالأندلس و له تمويهات و شعوذات ضلّ بها و أضل و تبعه عليها رعاياه أهلكهم اللّه أخذوها عنه بلا حجة و لا برهان و لا دليل قد أضلوا من قبل أو ضلوا عن سواء السبيل زادها على ما تلقاه أسلافهم عن عبد اللّه بن أريس المار الذكر فلذا أنْسَبُ أن يقال بهتان و معنى البيت أن وهران أبقاها اللّه للإسلام أبدلها اللّه ذو العزة و الانتقام ببهتان أعداء اللّه الذين افتروه بحسب أهوائهم و اقترفوه تحصيلا لأغراضهم بالقرآن العظيم المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد و قولي مدارسا هي محال تبنى لقراءة القرآن و العلم و تقدم الكلام عليها و على أول من أنشأها مستوفي و لاشك أن وهران لا تخلو من مدارس إن شاء اللّه تعالى و قولي بالدرس من درس الكتاب إذا أدمن قراءته و كرره قال الجوهري درست الكتاب درسا و دراسة و الدراسة كما للثعالبي في آخر سورة الأنعام القراءة و التعلم بها. تلبية : الباء هنا داخلة على المتروك من محصولي أبدل كما في قوله تعالى : (وبدلناهم بجنتيهم جنتين) و يتعدى بدل الواحد نحو فمن بدله أو غيره و لمفعولين بنفسه نحو قوله تعالى: (يبدل اللّه سيئاتهم حسنات) و أما تبدل و استبدل فتدخل الباء فيهما على المتروك دائما إلاّ المأخوذ كقوله تعالى : (و لا تتبدلوا الخبيث بالطيب) أي لا تتركوا الطيب و تأخذوا الخبيث و من تبديل الكفر بالإيمان أي يترك الإيمان و يأخذ الكفر بدليل فقط ضل سواء السبيل و المثاني عند ابن مسعود[201] و غيره السبع الطول : البقرة و آل عمران و النساء و المائدة و الأنعام و الأعراف و الأنفال مع براءة و ذهب غيره إلى أن السبع المثاني هي آيات الفاتحة و هو نص حديث أبي بن كعب[202] و غيره و المثاني صفة جمع واحدة مثناة و المثاني كل شيء يثنى من قولك ثنيت الشيء تثنيا أي أعطفته و ضممته إلى آخر و قوله تعالى في القرآن العظيم من عطف العام على الخاص أي أن الواو مقحمة أي أن للسبع المثاني للقرآن العظيم فهي ثلاثة أقوال أوردت بِمَا في البيت القول الثالث و يدل له ما في البخاري من طريق محمد بن بشار عن عنزر عن شعبة عن حبيب بن عبد الرحمان قال "مرَّ بي النبي صلى اللّه عليه و سلم و أنا أصلي فقال لم يقل اللّه (يا أيها الذين أمنوا استجيبوا للّه و للرسول) ثم قال ألا أعلمك

---

[201] ابن مسعود : أبو محمد بن الحسين بن مسعود الشهير بالفرَّاء. فقيه شافعي و مفسر و محدث، توفي سنة 510 هـ.

[202] أُبَيٌّ بن كعب بن قيس الأنْصارى (من بنى النجار) هو من أصحاب العقبة الثانية. شهد بَدْرًا و المشاهد كلها. و هو أول من كتب للنبي صلى اللّه عليه و سلم وأحد الأربعة الذين جمعوا القرآن الكريم. مات في خلافة عثمان سنة 30 هـ.

أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد فذهب النبي صلى الله عليه و سلم ليخرج فذكرته فقال (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني و القرآن العظيم الذي أوتيته فنسأل الله أن يديم علينا حفظه و يرزقنا فهمه و يوفقنا للعمل به" و قوله تعالى: (و اتقوا الله) و يعلمكم الله معناه أن الله يعلمكم على كل حال فاتقوه و لذا لم يعطفه و يعلمكم فالفاء من أجل أنه ليس سببا و حكي أن بعض السلف ذهب إلى الشيخ وكيع يشكو له سوء الحفظ فنهاه الشيخ عن المعاصي و احتج له بأن العلم نور و كيف يقذفه الله في قلوب العصاة فخرج من عنده و هو يقول:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ∴ فأرشدني إلى ترك المعاصي

و قال العلم للأنس نور ∴ و نور الله لا يؤتى للعاصي

و المثاني أيضا تطلق على الأوتار قال الحريري في مقالته رحمه الله:

فأنت معشوق بآيات المثاني ∴ و أنت معشوق برنة المثاني

من الجناس التام و مداوم البيعة عند النصارى يقال له شماس كشراد من رؤوسهم هو أن يحلق وسط رأسه أنظر القاموس و قد كانت وهران في أيام مصطفى بن يوسف باي و في أيام الشيخين محمد الهواري و التازي فيها علم غزير و اعتناء كبير يدل على ذلك ما كتب به الشيخ إبراهيم التازي إلى أهله إني أدرس مختصر الشيخ خليل بلا احتياج إلى نظر شراح كما مرّ قال الشيخ زروق[203] في نصيحته في التحضيض على تعلم العلم

خليلي لا تكسل و لا تهمل الدرس ∴ و لا تعط طوعا في بطالتها النفسا

و لا تترك التكرار فيما حفظته ∴ و من ترك التكرر لابد أن ينسا

[203] الشيخ زروق : أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي الشهير بالشيخ زروق : ولد سنة 846 هـ (1444 م): تنقل بين تلمسان و بجاية و قسنطينة لتحصيل العلوم. و تتلمذ على الشيخ الثعالبي. كان متصوفا و فقيها. له شروح على رسالة ابي زيد في الفقه المالكي و على حزب البحر للشاذلي في التصوف و كتاب "النصيحة الكافية لمن خلصه الله بالعافية. توفي بإقليم مسراته (ليبيا) سنة 899 هـ (1493).

و اعلم أن العلماء هم حكام الدنيا و مصابيح الأرض رضي اللّه عنهم و قد قال الحجاج لعبد الملك أني أبعث لك عالما يصلح للدين و الدنيا فأرسل له الشعبي رضي اللّه عنه و مما ينسب للقطب الرباني و الهيكل الصمداني الشيخ عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به آمين : من شعر أبي فراس الحمداني

إذا كـان منـا سـيد في عـشيرة ∴ علاها و إن ضاق الخناق حماهـا

و ما اختبرت إلاّ و قد كان شيخها ∴ و مـا افتخـرت إلاّ و كـان فتاهـا

و مـا ضُـرِبَتْ بـين القبـاب قبابـه ∴ فأصـبح مـأوى الطـارقين سـواها

قال ابن عرفة[204] في صفة قراءة الدرس

إذا لم تكن في مجلس الدرس نكتـة ∴ و تقريـر إيـضاح لـمشكل صـورة

و عز و غريب النقل مع فتح مقفل ∴ و أشـكال أبدتـه نتيجـة فكـرة

فدع سعيه و أنظر لنفسك و اجتهد ∴ و إيـاك تركـا فهـو أقـبح حلّـة

و كان أبو عبد اللّه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري[205] المضري الكوفي إماما في العلوم و الحديث أحد المذاهب العشرة قال القعقاع بن حكيم كنت عند أمير المؤمنين المهدي فإذا الثوري أتى فسلم تسليم العامة و لم يسلم بالخلافة و الربيع قائم على رأسه متكئا على سيفه يرقب أمره فأقبل عليه المهدي بوجه طلق و قال له يا سفيان تفر منا و تظن أنا لو أدركناك بسوء لم نقدر عليك فقد قدرنا عليك الآن أن نحكم فيك بهوانا قال سفيان أن تحكم في بهواك يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق و الباطل فقال له الربيع هذا الجاهل يخاطبك بمثل هذا دعني أضرب عنقه فقال له المهدي أسكت ويحك و هل يريدون أمثاله إلاّ أن تقتلهم لنشقى بسعادتهم أكتبوا عهده علّي قضاء الكوفة على أن لا يتعرض عليه في حكم فكتب عهده و دفع إليه و خرج فرمى

---

[204] ابن عرفة : محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي : ولد بتونس سنة 717 هـ. شيخ الفتيا له مصنفات منها المختصر الكبير في فروع المذهب المالكي تولى إمامة جامع الزيتونة مدّة خمسين سنة. كان معاصرًا لعبد الرحمن بن خلدون و خَصْمًا لدودًا له . مات عام 803 هـ.

[205] أبو عبد اللّه سفيان بن سعيد مسروق الثوري الكوفى: إمام في المذاهب الأربعة. مات بالبصرة سنة 161 هـ.

به في داخلة و هرب و طلب في كل بلدة فلم يوجد و لما امتنع و تولى القضاء شريك النخعي قال رضي الله عنه

تحـــرز ســـفيان و فـــرّ بدينـــه ∴ و أمسى شـريك مرصـدا للـدراهم

و عن أبي صالح شعيب بن حرب قال إني لأحسب يجيء سفيان الثوري يوم القيامة حجة من الله على الخلق يقول لهم لِمَ لم تقتدوا بسفيان مات بالبصرة سنة إحدى و ستين و مائة قال سفيان بن عيينة ما رأيت رجلا أعرف بالحلال و الحرام من الثوري سمع من السبيعي و الأعمش و طبقتهم نفعنا الله بهم آمين

و غـير الإسـلام العـالي معـالمهم ∴ و أذهب اللين من ذلك و الشرس

يعني أن الإسلام المبارك الحق القويم الهدي المستقيم غيّر معالم النصارى بوهران حتى أنك لا تسمع بها ناقوسا و لا يُرى فيها صنم و لا أوثان و لا بطريقا لعورات الإسلام يراقب و لا كنيسة و لا راهب و لا صومعة و لا ديرا و لا نهيا لهم و لا أمرا و قولي غير الإسلام من قبيل المجاز العقلي أو الاستعارة و أذهب أزال و طمس اللين من معالمهم و الشرس يقال رجل شرس سيء الخُلق و مكان شرس أي خليط و الشرس أيضا ضد اللين و أما الشاس و منه مكان شاس أي صلب و غلظ فخلف بيعهم مساجدنا و خلف صوامعهم منارات آذاننا و أول من بنى منارات المساجد في الإسلام مسلمة بن مخلد الأنصاري عامل مصر لمعاوية رضي الله عنهما سنة ست و أربعين فاقتدى الناس به في جميع الأقطار و لما دفن يزيد بن معاوية أبا أيوب الأنصاري بالقسطنطينية العظمى و هي إسلامبول كرسي بني عثمان الآن و ارتحل إلى دمشق كتب إليه طيباروس ملك الروم يقول في كتابه أما أحمقكم عمدتم إلى صاحبكم و رمستموه[206] في جنب سور مدينتنا فلا نبشناه و أحرقناه فكتب إليه يزيد بعزم وجد إن لم تعظموه و تحترموه لأهدمن كل صومعة لكم في الشام و إسكندرية و غيرهما من أرض الإسلام و لأحرقَنّ كل راهب بأرضنا فكان ردّ جوابه فقد قبلنا أنتم أعلم بأموركم منا و قولي و أذهَب اللين من ذلك الإشارة تعود إلى المراسيم الكفرية أي أن الإسلام أذهب من وهران الهين من مراسيم الكفر و الشديد الصلب لأن بركة الإسلام تنفي الأخباث و تحسن الدين و الأثاث و ما جاء من ذلك في المدينة المنورة و هو

[206] رمستموه: دفنتموه

قوله صلى الله عليه وسلم المدينة ككبير الحداد تنفي خبثها و هو في البخاري و جاء في غير البخاري أيضا و مما جاء فيها أيضا أنها لا يدخلها الدجّال و كذا مكة زادها الله شرفا و مما جاء في المدينة المنورة أيضا أن غُبار أرضها شفاء من الجذام[207] أخرج هذا الحديث محمد بن محمود البغدادي في المنح العظيمة كما رأيته بها بمكة المشرفة سنة أربع و مائتين و ألف و نقلته من الأصل على ظهران عباد و أنا جالس في باب العمري. تلبية: قد جاء أيضا أن دم أهل البيت يشفي من الكلب لكن لم أقف على الحديث فيه و إنما ذكره الخطيب القزويني[208] في مبحث التفريع أحد ضروب البديع حيث قال كقوله و القائل الكميت و إن لم يذكره هو في المصنف و هو الكميت بن يزيد شاعر أهل البيت و مشيد مدحهم

أحلامكم لسُقام الجهل شافية ∴ كما دماؤكم تشفي من الكلب

قال سعد الدين التفتزاني[209] في مختصره هو أي الكلب بفتح اللام شبه جنون يحدث للإنس من عض الكلب و لا دواء له أنجع من شرب دم ملك كما قال الحماسي

نبات مكارم و أمات كلم ∴ دماؤكم من الكلب للشفاء

ففرع على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب و صرح في المطول بنسبة البيت الأولى للكميت في مدحه لأهل البيت و فيه بَعْدَ قوله في المختصر و لا دواء أنجع له من شرب دم ملك و كذا قال في المطول أيضا لكن قال بعض من حشى على المختصر الأَولى أن يقول بدم ملك شريف محقق الشرف وصفة الدواء أن يؤمر الشريف بجرح إصبعه الصغير من الرجل اليسرى فيجعل في ثمر و يؤكل: كلام هذا المحشي و بالله التوفيق و قال أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين الملقب شرف المُلك البخاري الحكيم الفيلسوف المشهور و المعلوم بالأويس ابن سينا صاحب الطب العجيب.

---

[207] الجذام: مرض وبيل ينتشر في الجسد، فيسبب تآكل الأعضاء و سقوطها من شدّة التقرح la lèpre

[208] القزويني : جلال الدين : هو محمد الرحمن : صاحب تلخيص المفتاح و الإيضاح في علوم البلاغة. عاش بدمشق و تولى القضاء بها. مات سنة 739 هـ.

[209] التفتزاني : سعد الدين بن عمر : توفي سنة 793 هـ من مصنفاته : "شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح" في أصول الفقه و "التهذيب" في علم المنطق و غيرهما.

اجعـل غـذاءك كـل يـوم و مـرة ∴ و احذر طعاما قبـل هـضم طعـام

و أحفظ منيك إن استطعت فإنـه ∴ مـاء الحيـاة يـراق في الأرحـام

و كان قد تقلد الوزارة لشمس الدولة بهمدان ثم جفاه فلما أصاب الأمير القولنج[210] عالجه فبرئ فرده لموضعه و اعتذر إليه و من شعره أيضا

لقد طُفت في تلك المعاهـد كلـها ∴ و سيرت طرفي بـين تلـك المعـالم

فلـم أر إلا واضـعا كـف حـيرة ∴ علـى ذقـن قارعًـا سـنّ نـادم

ثم أنه قصد بهاء الدولة أبا جعفر بن كاكو بأصبهان فأقبل عليه ثمَّ مرض فكان لا يعالج نفسه حتى ضعف فاعتراه القولنج فحقن نفسه في يوم ثمان مرات فحصل له الصَّرع الذي يتبع القولنج فلما اشتد مرضه اغتسل و تاب و تصدق بما معه على الفقراء و رد المظالم إلى من يعرفه و اعتق غلمانه و صار يختم القرآن في كل ثلاثة أيام ختمة ثم مات في اليوم الأول من رمضان سنة ثمان و عشرين و أربعمائة و دفن بهمدان و في جمعة ذلك الشهر خطب للسلطان طرقليك محمد بن ميكايل بن سلجوق و قد كان قرأ كتاب المنطق المسمى ايساغوجي[211] علي عبد الله الناتلي

ها هي قد غضت و طابت جوانبها ∴ و ثوب وشيها قد صبغ بـالودس

الضمير في هي يعود على مدينة وهران و الغض و الغضيض الطري الناعم و غض بصره إذا دنا بين جفنيه و أما الغضغضة فالبغض و غض عنه و له تغافل عن فعله و غض عنه نقص و طابت من الطيب و جوانبها جهاتها و سائر أمكنتها و هي طيب يعادل الإيمان الذي جلا بها و قولي و ثوب وشيها يقال و شيتُ الثوب أشيه و شيا و توشية و أوشية توشية شدد للكثرة فهو موشي و أصل الشية كل لون يخالف معظم اللون الآخر من فرس أو غيرها قاله الجوهري في صحاحه و قال في المصباح و شيت الثوب وشيا من باب وعد رقعته و نقشته فهو موشى و الأصل على وزن

[210] القولنج: المغص المعوي.

[211] إيساغوجي : "مدخل إلى مقولات أرسطو" ألفه فَرْفُوريوس الصوري : يتناول موضوعات علم المنطق كالحدّ و التعريف و الحكم و التضاد و القياس و الجدل. قام الاخضرى بنظمه و سماه "السلم المرونق".

مفعول و الوشي نوع من الثياب الموشية مسمى بالمصدر و يسمى الكذاب واش و الجمع وُشاة لأنه يزين كلامه و ينقيه كالثوب الموشى قال البوصيري رضي الله عنه

عادتـك حـالي لأسـري بمـستتر ∴ عـن الوشـاة و لا داء بمنحـسم

و رأيت في بعض التواريخ أن زبيدة زوجة الرشيد اتخذت ثوب وَشِيَ بخمسين ألف و الودس نبت كالسمسم طيب الرائحة صبغه بين الحمرة و الصفرة يبقى نبته عشرين سنة و الثوب الذي صبغ به يقال له مودس و أما أوراس فجبل بالمغرب و فيه كانت دهيا بنت نابتة الكاهنة صاحبة الملك و المال العظيم و أكثر النساء مَالاً و أعظمهن شهرة. قُطْرُ الندى بنت محمد بن طولون ملك مصر و إسمها "أسماء" بنت خمراوية بن محمد بن طولون.. زوجها أبوها للمعتضد فحمل إليها مهرها على مائة حمارة مع شفيع الخادمي و جدد المعتضد لأبيها ولاية مصر و الشام و خطب له ما بين برقة و هيت[212] و جهزها أبوها بجهاز لم يكن مثله حتى أنه جعل لها ألف هاون ذهبا و الهاون المهراس كما في القاموس و جدها أحمد هو الذي بنى الجامع المشهور الذي بين مصر و القاهرة سنة سبع و خمسين و مائتين و أنفق عليه مائة ألف و عشرون ألف دينار و كان يتصدق في كل شهر بألف دينار و كان يبعث التخوت[213] مملوءة كسوة للعلماء و يقبلونها منه فقيل لبعضهم في ذلك بلغني عن عمران بن حزم قال انطلقت أنا و رجل إلى عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما فرأى الرجل عليه عمامة متخرقة فقال الرجل عندي عمائم ألا نبعث لك بعمامة منها قال عكرمة إنّا لا نقبل من الناس شيئا إنما نتقبل من الأمراء و قال ابن عبدون في العقد كان الحسن البصري يلبس قميصة لها أعلام يصلي فيها أهداها إليه مسلمة بن عبد الملك و قال نافع مولى ابن عمر كان عبد الله بن عمر يقبل الهدايا من أمراء الفتنة مثل المختار و غيره و دخل الإمام مالك بن أنس على هارون الرشيد فشكا إليه دينا لزمه فأمر له بألف دينار عين فلما وضع يديه للقيام قال يا أمير المؤمنين و زوجت ابني محمد فصار عليّ قيمة ألف دينار فقال و لابنه محمد ألف دينار قال فلقد مات مالك و تركهما لولده في مزود. و أمر إبراهيم بن الأغلب بمال قسم على الفقهاء فكان منهم من قبل و منهم من لم يقبل فكان أسد بن الفرات فيمن قبل فكان

---

[212] هيت: مدينة عراقية تقع على نهر الفرات على مسافة 135 كلم من بغداد. اشتهرت بكونها مركز تجارة بين الشام و العراق.

[213] التخوت: الخزائن

إبراهيم يعض على من قبل منهم فبلغ ذلك أسدا بن الفرات[214] فقال لا عليه إنما أخذنا بعض حقنا و الله سائله عما بقي حُكِيَ عن الأصمعي قال كنت جالسا عند الرشيد فإذا الموصلي دخل و أنشد

و آمرة بالبخل قلت لها أقصري ∴ فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلان الجواد و لا أرى ∴ بخيلا له في العالمين خليل

عطائي عطاء المكثرين تكرما ∴ و مالي كما قد تعلمين قليل

فإني رأيت البخل يُزْرِي بأهله ∴ فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

و من حسن حالات الفتى لو علمته ∴ إذا نال شيئا أن يكون ينيل

و كيف أخاف الفقر و أُرحَم الغنى ∴ و رأي أمير المؤمنين جميل

فأمر له بألف درهم ثم قال الرشيد لله أبيات تأتينا بها يا أبا إسحاق ما أحسن أصولها و قَدْرَ فضلها و أبلغ فصولها فقال يا أمير المؤمنين كلامك أحسن من شعري فأعطاه ألفا أخرى قال الأصمعي فعلمت أنه أصيد لدراهم الملوك مني. لطيفة: كان الحجاج بن يوسف له كل يوم مائدة يحضرها الخاص و العام و كان وجوه الناس لا يأتوه إلاّ ببعثه إليهم فقال لهم في ذلك فقالوا يشق علينا المجيء للأكل كل يوم بلا إذن فقال رسولي إليكم كل يوم طلوع الشمس فكان يوما لما حضرت الموائد من أحسن ما يوجد في الدنيا قال لسيافه من مدّ يده إلى الطعام اضرب عنقه و كان أعرابي في الحلقة فصار لا يقدر على الصبر ثم قال أيها الأمير أستوصيك بأولادي خيراً و اندفع يأكل فضحك الحجاج و من حضر ثم أجازه و كان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص يطعم الطعام و كان أعور العين اليمنى فلما رأى أعرابي جوده أراد توقيعه فقال ما أحسنك لولا أن فيك صفة الدجال قال وما صفته قال يطعم الطعام و هو أعور اليمنى فقال هاشم الدجال لم تصب عينه في سبيل الله فألجمه و كان هاشم أصيبت عينه باليرموك و مات هاشم بصفين مع علي رضي الله عنهما اختلف هو و ذو الكلاع الحميري بضربتين كل منهما قتل الآخر و كان أعرابي راحم الناس على مائدة فقال

[214] اسد بن الفرات (142 - 213 هـ) : أبو عبد الله : قاضي القيروان على عهد الأغالبة و أحد القادة الفاتحين وَجَّهه زيادة الله الأغلبي لفتح صقلية : أصله من خراسان.

صاحبها أفرجوا له فقال لا عليك يا سيدي أطنابي طوال فمد يده فضرط فقال صاحب المائدة أيضا أفرجوا له لأن أطنابه تقطعت فضحك الناس كثيرا و كان المشهود و دبيس و رقيق المغنيون قد وعدهم شاب و لقد لبس حلتين مصبوغتين بالودس فابتدأ المشهود وغنى من شعر أبي تمام

لمـا اسـتقل بـأرداف تجاذبـه ∴ و أخضر فوق بياض الـدُرّ شَـارِبُهُ

و أشرق الورد من نسرين وجنتـه ∴ و اهتز أعلاه و ارتجـت حقائبـه

كلمتـه بجفـون غـير ناطقـة ∴ فكـان مـن رده مـا قـال حاجبـه

ثم سكت و غنى دبيس

الحـب حُلـو مرتـه عواقبـه ∴ و صاحب الحلو حب القلب ذائبه

استودع الله مـن بـالطرف و دعـني ∴ يـوم الفـراق و دمـع العـين سـاكبه

ثم انصرفت و دَاعي الشوق يهتفني ∴ أرفـق بقلبـك قـد عـزت مطالبـه

ثم سكت و غنى رقيق

يـد مـن الإنـس حفتـه كواكبـه ∴ أصـفرت حلتـه و أخـضر شَـارَبهُ

أن يوعد الوعد يوما فهو مخالفـه ∴ أو ينطق القول يوما فهـو كاذبُـه

عطيتـه كـدم الأوداع صـافية ∴ فقام يـشدو و قـد مالـت جوانبـه

<u>حبائل الشرك لا تخفي غوائلـها</u> ∴ <u>قد وارى الكفر في أغاميق الـرمس</u>

حبائل مفردة حبالة قال ابن مالك في ألفيته

و بفعائـل أَجْمَعْـنَ فعالـه ∴ و شـبهة ذاتـا أو إمالـة

و الحبالة شركة الصائد و يقال لها الشبكة أيضا و قد قيل لفقير أذهل من السؤال أتبيع هذه المرقعة فقال و هل رأيت صائدا باع شبكته و الحبائل تقال أيضا لانتشار ضوء الفجر و حمرته قال أبو العلاء المعري

و كيـف تنـام الطـير في وكناتهـا ∴ و قد نصبت للفرقد بين الحبائـل

و أصل الغيلة القتل خفية لأخذ المال ثم استعمل في الغدر و إن لم يأخذ مالا و الغائلة أيضا الشر و الغدر قال الأخطل التغلبي النصراني

طلب الأرزاق بالكتائب إذ هـوت ∴ بــشيب غائلــة النفــوس غــدور

و قال في التصريح و غدور بالغين المعجمة بدل من غائلة فاعل هوت و في الحديث أحذروا غوائل النفوس أي شرها و مكرها و قولي قد وارى الكفر أي قد ستر الكفر من قولك وَارَى يواري إذا ستر و قولي في أغاميق الرمس و الغمق بعد القعر في الأرض و قال عمر العزيز رضي الله عنه لا تغمقوا قبري فإن خير الأرض أعلاها و الرمس القبر و الواحد رمس و في الجوهري الرمس تراب القبر و في الأصل مصدر و معنى البيت أن وهران أدامها الله للإسلام لا تخف غوائل الكفر و لا حبائل المكر فهي بحمد الله آمنة مطمئنة قرب بها العيون و طابت النفوس و قد دفن الكفر الذي كان بها في أغاميق الرمس و من قبره لم يبق له إلى دنياه إياب و لا إلى ما اشتهر منها يكون إليه الذهاب و مما يناسب هذا من اللطائف و يجذب إليه رقائق المعارف أنَّ أبا محمد عبد السلام بن رغبَان الكلبي الملقب ديك الجن[215] الشاعر المشهور كانت له جارية اسمها دنيا و قد اتهمها بغلام له فقتلهما معا فرآها في النوم فقال

جاءت تزور فراشي بعدما قبِّرت ∴ فظلـت ألـثم نحـرًا زَانَـهُ الجيـد

و قلت قرة عيني قـد بعثـت لنـا ∴ فكيف ذا و طريـق القـبر مـسدود

قالت هناك عظمـي فيـه مودعـة ∴ تعيث فيها نبات الأرض و الدود

و هذه الـروح قـد جاءتـك زائـرة ∴ هذى زيارة مـن في القـبر ملحـود

و لديك الجن هذا مراثي في سيدنا الحسين فائقة و مما جدّ رائِقُه و كان تشيعه حسنا مات سنة خمس و ثلاثين و مائتين و اجتاز به أبو نواس في طريقه للخصيب فاستخفى منه فقال لجاريته قولي له أخرج أنك فتنت أهل العراق و بقولك

[215] ديك الجن : عبد السلام بن رغبان الكلبي (أبو محمد): شاعر رثى الإمام الحسين بن على. مات 235 هـ.

مـوردة مـن كـف ظـبي كأنمـا ∴ تنالهــا مــن خـــدِّه فأدارهـــا

فخرج إليه فضيفه. مفاكهة: كان رجل يقال له ابن دارح من مشاهير الطفيليين و كان يتبع الجنائز للصدقة فكان ذات يوم في أثر جنازة و إذا أُمٌّ الميت تقول يذهبون بك إلى دار ما فيها طعام و لا ماء و لا سعة و لا فرش فصَار ابنه كان معه صغيرا يقول له يا أبت أيذهبون به إلى بيتنا لكون بيتهم على الصفة التي وصفتها أم الميت و قال ابن عبد ربه وعدني رجل عدة و مَطَّلني فقلت فيه:

صحيفة كتبت ليت بهـا و عـسى ∴ عنوانهــا راحــة عليــل قــد رمــسا

وَعْدٌ لَهُ هاجس في القلب إذ برمت ∴ أحشاء صدري به من طول ما هجسا

يراعـة غرّنـي بهـا ومـيض سـني ∴ حتـى مـددت إليهـا الكـف مقتبـسا

فصادفت حجرًا لـو كنـتُ تـضربُه ∴ من لُؤمِه بعـصى موسـى لما انبجـسا

فكأنما صيغ من بخل و من كـذب ∴ فكــان ذاك لــه روحــا و ذا نفــسا

و ابن عبد ربه[216] كان من أعظم فقهاء الأندلس إلاّ أنه غلب عليه الأدب قال الحميري له شعر مجموع رأيت منه نيفا و عشرين جزءا و هذا الشعر المار قاله في كتاب العقد المشهور مات سنة ثمان و عشرين وثلاثمائة عن إحدى و ثمانين سنة..

فقــد ســقاها الله تعــالى حيــا ∴ منار الإسـلام بهـا ضـاء كـالقبس

أي أن وهران سقاها الله تعالى حيا و هو الخصب و النضارة و رغد العيش و إن كان أصل الحي الخصب بكسر الخاء المعجمة قال في الصحاح يقال أحيا القوم إذا صاروا في الحياة و هو الخصب و هذا من أبلغ الدعاء و أكمله و مثله ذي الرمة في أبلغية الدعاء :

ألا اسلمي يا دار ميّ على البلـى ∴ و لازال مـنهلا بجرعائـك القطـر

[216] ابن عبد ربه : أبو عمر: أديب أندلسي: له كتاب العقد الفريد...

و هذا البيت هي التي ختم الجوهري بها كتاب الصحاح و منار الإسلام شعائره و مراسمه و دعائمه من باب الاستعارة و وجه الشبه الظهور البين و القبس شعلة النار و كذا القباس و أما النبراس فهو المصباح و الشمعة أقوى ضوءا منه مع أنهم يقولون العلماء مصابيح الأرض لأن المصباح يتوصل إلى ملكه كل واحد و الشمعة قليلة بالنسبة إليه و إنما تكون غالبا عند الملوك و شبههم هكذا رأيت هذا الفرق مَنْصُوصًا و قال أبو عبد الله محمد المشهور بالأدب و النحو و التصريف و المعروف بابن الخشاب في الشمعة رحمه الله:

عاريـــــة بطنهـــــا مكتـــــشف ∴ فأعجــب بهــا عاريــة كاســية

و له رحمةُ الله عليه لُغُزٌ في الكتب عجيبة و هو :

وذو أوجـــه لكنـــه غـــير بَـــائح ∴ بسرّ و ذو الوجهين للسر مظهـر

تناجيك بالأسـرار أسـرار وجهــه ∴ فتسمعها بالعين مـا كنـت تنظـر

مات سنة سبع و ستين و خمسمائة و كان قليل الشعر مع ماله من الالغازات الغربية و التوقيعات العجيبة و ها أنا أذكر نبذًا من التوقيعات منها أن عليًا الصليحي القائم باليمن لما استقر ملكه بصنعاء و قتل نجاح صاحب تهامة و استقامت حاله طلب منه بعض خواصِهِ إمارة تهامة فَحَلَفَ لا أوليها إلاّ لمن يؤدي لي مائة ألف دينار فادَتْهَا لَهُ أخته وولت أخاها سعيد و انصرفت فكتب لها من أين لك هذا المال فكتبت إليه (هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فاوقع تحت كتبها هذه بضاعتنا ردت إلينا و نمير أهلنا و نحفظ أخانا فقبض المال و لم يوله ومِنْهَا أن الصاحب ابن عباد وزير عماد الدولة بن بويه كتب إليه أهل دار الضرب بأن يتوسل لهم عند السلطان في رفع مظلمة رماهم بها و نصوا في كتبهم على حقيقتها ثم قال كاتبهم في آخر كتابه و السلام عليك من أمين دار الضرب و من سائر جماعة الضرابين فلما قرأ مكتوبهم أوقع لفظة الضرابين متصلا به في حديد بارد وَمنْهَا أن الصاحب المذكور كان يرد الاجتماع بابن سعيد العسكري أبي أحمد الحسين بن عبد الله أحد الأئمة في الآداب و الحفظ صاحب أخبار و مفاكهة ورواية متسعة و لا يجدُ الصاحب إلى لقائه سبيلا لانشغاله بأمور السلطان المذكور فقال يومًا للسلطان أن مدينة عسكر مكرم اختلت و احتاج إلى كشفها بنفسي فأذن له فلما أتاها توقع أن يزوره ابن سعيد فلم يزره فكتب إليه الصاحب ابن عباد.

و لمــا أبيــتم أن تــزوروا و قلــتم ∴ ضعفنا و لم نقـدر علـى الوخـدان

أتينــاكم مـن بعـد أرض نـزوركم ∴ وكـم منــزل بكـر لنـا وعـوان

نُسَائِلكُمْ هـل مـن قـرى لنـزيلكم ∴ بمــلء جفــون لاَ بمَــلِء جفــان

و أجابه ببيت صخر السلَّمِي أخ الخنساء التي اشتهرت حتى صارت مثلا و هي:

أَهُـمُّ بـأمر الحــزم لـو أسـتطيعه ∴ و قد حِيلَ بـين العـير و النـزوان

فلما وقع الصاحب على هذا التوقيع تعجب من اتفاق هذا البيت له و قال والله لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبت له على هذا الروي وَمِنْهَا أنه لما مات عمر بن مسعرة وزير المأمون سنة سبع عشرة و مائتين نَمَّ بماله نمام فكتب رقعة إلى المأمون أنه خلف ثمانين ألف درهم فأوقع تحتها : هذا قليل ممن ... اتصل بنا و طالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيها، ذكره المسعودي في مروج الذهب وَمِنْهَا أن عبد الملك بن عمير اللخمي قاضي الكوفة بَعْدَ الشعبي من أكابر التابعين مرض مرة فلما برئ كتب إليه رجل يعتذر في ترك العيادة فأوقع تحته ما كنت ألوم رجلا ترك عيادتي لو مرض لم أعبه. مات سنة ست و مائة.

<u>فاهت بقدر المولى من بعد بكتمها</u> ∴ <u>ما بها من صمم يرى و لا خـرس</u>

فاهت نطقت و أعلنت و الضمير لوهران و المراد من بها من المسلمين فهو مجاز مرسل لأن العلاقة غير المشابهة و إنما هي هنا الحالية و المحلية و المولى هو الله تعالى لا رب غيره و إن كان المولى يطلق على معان و البُكْم فَقْدُ الكلام و الصمم معروف هذَا وَ قَدْ قَالَ الشَيْخُ أبو زيد سيدي عبد الرحمان الثعالبي عند قوله تعالى : (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ). لأن الأبكم هو الذي لا ينطق و لا يفهم فإذا أفهم فهو الأخرس و قيل الأبكم و الأخرس واحد وَقَالَ الجوهري الخرس بالتحريك مصدر الأخرس الدَّنُّ[217] و صانعه خراس و الخرس بالضم طعام الولادة و إما طعام النفساء نفسها فهو الخرصة و لبن أخرس أي خاثر لا صوت له في الإناء و سحابَةٌ خرساء لاَ رَعْدَ فيها و لا بَرْقَ و الخرس المُخَمَّنَ القائل بطنه وخراسان إقليم العجم و قاعدته مَرْوُ و نسبة

---

[217] الدنّ ج دنان : وعاء ضخم للخمر و نحوها.

العاقل إليها مروزي و غير العاقل مروي و بنوا خرسان[218] بضم الخاء و سكون الراء ملوك تونس و هم البانون لأسوارها المشيدون لمصانعها كان القاضي أبو سعيد بن عمرون التميمي الحديثي الموصلي أحد الفقهاء الذين سار ذكرهم و اشتهر أمرهم تولى قضاء دمشق مرة ثم عمي و صار ابنه محمد ينوب عنه في القضاء وصنف جزء الطيفا في جواز قضاء الأعمى وهو على خلاف المذهب المتقلد له لأنه شافعي فلما رأى ذلك صلاح الدين بن أيوب الكردي كتب إلى القاضي الفاضل بمصر إن شرف الدين بن أبي عمرون قد عُمي و أنه يقول إن قضاء الأعمى جائز و إن الفقهاء قالوا غير جائز فلا بد أن تجتمع بالشيخ أبي الطاهر بن عوف الاسكندراني و تسأله عمًا ورد من الأحاديث في قضاء الأعمى هل يجوز أم لا و من شعره رحمه الله تعالى.

أأمل أن أحيا و في كل ساعة ∴ تمر بي الموتى تهز نعوشها

و هل أنا إلا مثلهم غير أن لي ∴ بقاء بالليل في الزمان أعيشها

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا

أأمل وَصْلاً مِنْ حبيب و أنني ∴ على ثقة عما قيل أفارقه

تجازي بنا خيل الحمام كأنما ∴ يسابقني نحو الردى و أسابقه

فياليتنا متنا معا ثم لم يَذق ∴ مرارة فقدي لا و لا أنا ذائقه

مات سنة خمس و ثمانين و خمسمائة و دفن بمدرسته بدمشق رحمه الله.

<u>زهت بأميرنا محمد وغدت ∴ تميل أعطافها من شدة البهس</u>

الضمير لوهران أي زهت بمعنى عظمت و شنفت على غيرها من أمصار المغرب الأوسط بحلول كرسي المنصور بالله فيها لأن الزهو يطلق على الكبر و العظمة و يطلق أيضا على البَسَر[219] الملون و إبل زاهية إذا كانت لا ترعى الخمص و قد قالوا أيضا

---

[218] بنو خرسان : أسرة حاكمة باقليم تونس، آستقرت بسبب غزوة بني هلال. آختار الحاكم الحمادى على القلعة أن يبعث الأمير عبد الحق بن عبد العزيز بن خرسان إلى تونس. فاستمال هذا الأخير أهلها و أفلح في القضاء على أعمال السلب التي قامت بها القبائل الهلالية. حكمت الأسرة مدّة كانت فيها بين مَد و جزر إلى أن استولى عبد المؤمن على تونس و نقل أفرادها إلى مراكش.

[219] البسر : الماء البارد أو التمر قبل أرطابه أي إذا لون و لم ينضج

زهاء مائة أي قدر مائة و المراد الأول و عطفا الرجل جانبَاه و البهس باء موحدة فَهَاءٌ فَسِينٌ مهملة التبختر و بيهس من أسماء الأسد و البهيسة صنف من الخوارج نسبوا إلى بيهس بن هيصم بن جابر أَحَدَ بَني سعد ضبيعة بن قيس و أحسن ما قيل في مشي التبختر و التمايل لعلي بن منقد.

يَهْـزُزْنَ للمـشي أعطافًـا مخـضبَة ∴ هز الشمال أملودًا[220] مـن نـسرينا
أو كـإهتزاز رديـني قـد تداولـه ∴ أيدي التجـار فـزادوا متنـه لينـا

و قال ابْنُ الرُومِي فِي اَلْتَمَايُلَ

وسـقتك كـأس مُدامـة مـن كفهـا ∴ مقرونـــة بمدامـــة مـــن ثغرهـــا
و تمايلت فضحكت مـن أردافهـا ∴ عجبًـا و لكـني بكيـت لخـصْرِهَا

و قال صلاح الدين الصفدى

تقول لها الأغصان إذ هزت عَطفها ∴ أتحسبي أن اللين عنـدك مـا ثَـوَى
قومي تَحَتكم للروض عنـد نـسيمه ∴ ليفضي على من مال منا إلى الهوى

و قال القاضي مجد الدين بن مكناس

أقول لحبّى قُـمْ ومـل يـا معـذبي ∴ كميلة خود نكس الـسكر رأسـها
ولا تَلْهُ عن شيء إذا ما حكيتهـا ∴ فقام لِغُـصْن البـان لينـا و مـسها

و قال القاضي مجد الدين بن مكناس

يقولون هـل مـن الحبيـب بـزورة ∴ ومنــاكم المطلـوب قلنــا لهــم منــا
فقالوا لنا غوصوا على قـده و مـا ∴ يُحَاكي إذا ما اهتز قلنا لهم غُصنًا

و قال عبد الله بن المعتز العباسي

---

[220] أملود : ناعم

مــا أقــصر الليــل علــى الراقــد ∴ وأهــون الــسقم علــى العائــد
كـــأنني عانقـــت ريحانـــة ∴ أمالــت غــصنها في ليــل بــارد
فلــو ترانــا في قمــيص الــدجى ∴ حـــسبتنا في جـــسد واحـــد

وَ قَالَ ذو الرمَة غَيلاَن

لم أنْسَهَا إذ قامت تكشف عامدة ∴ عــن ســاقها كــاللؤلؤ الــبراق
لا تَعْجَبُوا إن قامت بذاك قيامتي ∴ إن القيامــة يــوم كــشف الــسَّاق

و قال الطنْبَغَاء الحاولي

رَدْفُهـــا زاد في الثقالـــة حتـــى ∴ أقعــد الخــصر و القــوام الــسويا
نهــض الخــصر و القــوام و مــا ∴ ضـــعيفان يغلبـــان قويـــا

و قال الغرناطي

بَـــــدَتْ روادف بـــــدر ∴ تحـــت الخـــنين لعـــيني
فقلـــت يـــا بـــدرًا هَـــاذي ∴ حقـــا حِيَـــال حنِـــيني

و قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

حسروا الوجــوه بــأذرع و معاصــم ∴ ورنـــوا بنجـــل للقلـــوب كـــوالم
وحسروا الأكمة عن سواعد فــضة ∴ كأنمــا انتــصبت متــون صــوارم

و قال ابن نباتة المصري

أيهـــا العـــاذل الغـــبي تأمـــل ∴ مــن إذا في صــفاته القلــب ذائــب
و تعجـــب لـــشعرها وجبينهـــا ∴ إن في الليــل و النهــار عجائــب

و قال العباس اليماني

و الله لـو أن القلـوب كقلبهـا ∴ مَـارَقَّ للولـد الـضعيف الوالـد

حالِ الوشاح علـى قـضيب زانـه ∴ تفـاح صَـدْرٍ لـيس يقطـف نَاهـد

وَلَمَّا ذَكَرْنَا فِي هذه الأبيات العشرة المارة ما يتعلق بوهران و ما أفاء الله عليها من سعادة الأيمان رجعت حينئذ إلى مدح أبي الفتوحات سيدي محمد بن عثمان بقولي.

يُبْدي النهار به من ضَوئه شنبًا ∴ كَهَالة البدر إن ركب في الخمس

يُبدي يظهر الضوء خلاف الظلمة و الشنب حدة الشعاع و أصله كما في الصحاح حدة في الأسنان و يقال برد و عذوبة و هالة البدر نجوم محدقة به و الخميس، الجيش. فَفَي صَحيح البُخَاري أن أهل خيبر لما خرجوا من حصنهم لخدمتهم ففاجأهم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالعساكر فقالوا محمد و الخميس و قد قال البوصيري في البردة رحمه الله

يَجُرُّ بَحْـرَ خَمـيس فـوق سـابحة ∴ يرمي بمـوج مـن الأبطـال ملـتطم

قال شارحها الشيخ على بن ثابت و لِمَ سمي الجيش خميسا إمَّا لأن مغنمه الذي غنمه يكون على خمسة أقسام قسم لبيت المال و الأربعة له أو لأن له مقدمة، وقلبًا و جناحين وَمِنْ مَدْحِي فِي أبي الفُتُوحَات نَصَرَهُ اللهُ آمِين.

أعاذل قلِّل اللوم و أقصِرْ عـن غـبني ∴ و كيـف سـاغ لـك التوصـم بالثلـب

دَعِ الغـير عـني وأعْـذُل الحـب هـل تـرى ∴ يخلـصني ذاك العتـاب مـن الحـب

أعندك لي ما يـدفع الهـم و الأسـى ∴ و يـذهب بالأوغـار عـن علـم القلـب

رميـتني شـيئًا يحـسب الغـير أنـه ∴ لـسبكه مختـار كَـدَأبك للكـسب

علـى أنـني معـذب لعذابـه ∴ أ أبصرتِ من عمد العذاب من المعذب

وهل مـن صـديق سـاس الطـرف في الـدجا ∴ على أدمـع تنهـى بقهـر عـن القـرب

إذا مَـنَّ لـي طيـف الخيـال بـزورة ∴ يـصادمه طيـف الـتمحن و الكـرب

عقتـه الرقبـاء عـن مواعـد وَصْـلِه ∴ غـدور الأمـاني للتبـد مـن الكـذب

فـلا شـافع سـوى الـدموع سـواكب ∴ وبعـدها نعمـان علـى حِـدّة الرحـب
أسـالم قلـبي منـك لخـصا محاربًـا ∴ يقول لطيف الشوق أَقْض على النَحْبِ
و بـدل لـي غـض الرضـاء بـسخطه ∴ وبـــدّلَ أيـــام الـــسلامة بـــالحرب
ولـو زرت في الليـل البهـيم متيمًـا ∴ لَفـزت علـى أنـف العـواذل بـالقرب
و لا رأيـــت عيونًـــا إلاّ نراجـــسًا ∴ ولا وشـــاة إلاّ الأزاهـــر و القـــضب
تنـــاولني الرحـــاة مـــن راح ثغرهـــا ∴ وشَـــهْدٌ وَزَبَـــدٌ قـــد تمازجـــا للـــشرب
إذا ضحكت خلت الـوميض بفمهـا ∴ أو شمس و كيف بالشروق من الغـرب
أو بـــدر مـــتم بغـــرّة وجههـــا ∴ يـستر منـه المـرء خوفًـا مـن الثلـب
و الأســـنان أنـــوار روض أزاهـــر ∴ بـذات المثـاني و المثالـث و النقـب
وحـضرة كـأس حميمـة بـه دائـرًا ∴ على شادي يـشدو و يعـرب بالنـصب
وقـد راح يزهـو بـالقريظ مطاربًـا ∴ بألحـان أخجلـت غريـضًا و محـرب
بأوتـــار آلـــة و لحنـــه رافعًـــا ∴ يمـدح محمـد المجلـى مـن الخطـب
وابـن عثمـان المالـك الأعـدل الرضـا ∴ شديد على الأعداء مغض على الـذنب
همام بماضـي العـزم و الـرأي مقتـد ∴ شـاهت لـه العُلْيـا بنـصرته تلبّـي
تـدانت لـه الأمـال و المنـزل الـذي ∴ بـه هامـة الزهـراء في رتبـة الكعـب
تعالى على الأملاك حتى انتهـى إلى ∴ أقاصـي أماليهـا و قالـت لـه حـسب
إذا رام أيجابًـــا لـــسلب ضـــرورة ∴ فيحكم بالإيجـاب فيهـا مـع الـسلب
أمـــولاي دم بـــالثغر دهـــرك آمنًـــا ∴ بقبّـــة حِـــصْنٍ لا يـــشوب بالنـــصب
إذا أطنَبـوا بالمـدح في وصـف سـيد ∴ تعاليـت أنـت عنـه في رتبـة الـشهب
عليـك مـدار الأمـر صـار جميعـه ∴ كما دارت الأفلاك مـن أعلـى القطـب
بملكـك ضـاء الأفـق حتـى توهمـت ∴ أولـوا الـشرق إن الـشمس لاَحـت مـن الغـرب
و كيـف يُقـلْ لاَ مـن أراد تعارضًـا ∴ ووامـخ في الجـدال و القولـة الـشغب

وأنت تحمي المغرب الوسط من أذَى ∴ بَنِـي الكفـر عنـد كلبهـا و الوثـب
زَحَفْـت لـوهران بجنـد عرمـرم ∴ فكشفت عن غم و فرجـت عـن كـرب
حللـت نـواحي حـصنها بمَحَامِـل ∴ كـست هائجًـا ومايليـه إلى الـشعب
وفـسطاطك الميمـون حـين نـصبته ∴ ظنَنَّا رياض الزهـر في أخـضر العـشب
تكـافحهم غَـدْوًا و ثـم رواحهـا ∴ وكلـها لـك الظهـور علـى الحـرب
بـسَعْدِ سُعُود الملـك بُنْـدُك مخفـق ∴ وهو علـى الكفـار كـرب مـع النـصب
فقد فتحت وهران مع صعب أمرهـا ∴ وأصبح بها الـشاة ترعـى مـع الـذئب
لـك أقبلـت كـل القبائـل و انثنـت ∴ بطيب الثنا و الحمد نثنى على الـرب
لكـل امـرئ في الـدهر منـك صَدَاقة ∴ يـساريد منـه أغنتـه عـن الكـسب
لطاعتـك الأيـام طاعـت قلوبهـا ∴ دعوت ثبيرًا جَاءَ يَسعى علـى الـترب
فلازلـت في حَـرَز منيـع و رتبـة ∴ تراعن علاها رتبة الشهب في حُجـب
بجـاه رسـول الله أفـضل شـافع ∴ و عزتـه الأبـرار و الآلِ و الـصحب

أعلامـه كعقبـان الجـوِّ حائمـة ∴ يحفه من حولها شهب القنا حرس

الأعلام البنود و العقاب الصقر و هو معروف و الجَوَّ مَرَ الكَلاَم عليه و الضمير في أعلامه لأبي الفتوحات أيده الله قال أبو الطيب المتنبي في مدح علي بن أحمد الملقب سيف الدولة يوم فتحه خرشنه من أراضي الروم[221].

و قد ظُلِّلْتَ عقبان اعلامه ضحى ∴ بعقبـان طـير في الـدماء نواهـل
أقمن مـع الرايـات حتـى كأنهـا ∴ مـن الجـيش إلا أنهـا لم تقاتـل

و شهب القنا من إضافة الصفة للموصوف أي القنا التي هي كالشهب و من أحسن التشبيه قول عبد الواحد بن نصر المخزومي المعروف بالببغاء:[222]

[221] البيتان من قصيدة أبي تمام في مدح المعتصم، و ليسا من قصيدة المتنبي

وكأنمــا نقــشت حــوافر خيلــه ∴ للنـــاظرين أهلـــة في الجُلمـــد

و كان طرف الشمس مطروف وقد ∴ جعــل الغبــار لــه مكــان الأثمـد

و مَرَّ الكلام على الحرس و القنا الأرماح و يقال للحَرْبَة أيضا. لطيفة: كان الحسن بن سهل بن هارون وزير المأمون وزوج منه ابنته بُورَاه المشهورة و كان ليلة دخوله بها وجدها حائضًا و لما دخل عليه أحمد بن يوسف الكاتب أنشده المأمون

فـــارس في الحـــرب مـــنغمس ∴ صـــادق بـــالطعن في الظلـــم

رام أن يـــــدمي فريـــــسته ∴ فاتقتـــــه مـــــن دم بـــــدم

مــازال حظــه للإقبــال منتبهًــا ∴ كوكب سعده ضاء غير منطمس

زال بعد النفي و شبهه تعمل عمل كان و حظه بالرفع اسمها و منتبهًا خَبَرها و الإقبال ضد الإدبار و مرَّ الكلام على كوكب السعادة وغير منطمس بعد ضاء إمَّا تتميم للبيت أو احتراس أي مازال حظ المنصور بالله منتبه للإقبال و مستوف له و نائله الخ فلقد بلغ من المحاسن قاصيتها و ملك من الرغائب ناصيتها فلعمري أنه مع رأيه الصالح و عمله الناجح و سعيه الراجع لولا اليَمَّ لاسْتَرَدَّ دِيار بني عباد أو كانت أراضي الكفرة إليه دانية لأسترد جزيرة دانية وَمِمَنْ بَلغَ السعادة ورغد العيش و لين المهاد و النصرة و الجهاد ناصر الدولة بن مروان الحمودي صاحب ميافارقين و ديار بكر كان رجلاً مسعودًا عالي الهمة ذا سياسة كبيرة قضى من اللذات و بلغ من السعادات ما يقصر الوصف عنه ملك اثنين و أربعين سنة و لم يقتل في هذه المدة إلا رجل واحد و لم تفته صلاة الصبح مع انهماكه في اللذات و أنه كان له عدد السنة جواري يخلو كل ليلة من ليالي السنة بواحدة فلا تعود النوبة إليها إلا في مثل تلك الليلة من العام الثاني و خلف أولادًا كثيرين وأحد وزيريه ابن القاسم العمري مات سنة ثلاث و خمسين و أربعمائة و قد قال أبو العلاء المعري فيمن رَزَق السعادة:

---

[222] الببغاء : عبد الواحد بن نصر المخزومي : توفي سنة 398 هـ. له ديوان شعر مشهور. شاعر سيف الدولة.

وإن سدد الأعداء نحوك أسهما ∴ نَكَصْنَ على أفواقهن المعابل
وترجع أعقاب الرماح سليمة ∴ وقد حطمت في الدارعين العوامل

و قال أبو الحسن رحمه الله

يا من له شرف لم يرق رُتبته ∴ من رام يرقي بعزم رتبة الشرف
و من تحاول منه الشهب منزلة ∴ تَرْنُو إليه مَدى الدهر من طرف خفي
لا تثني على أمر عرفت صَعْبتُهُ ∴ وأصحب بوارقه بالهاطل الوكف
واحكم ببنيان عقد لم يحلّ سوى ∴ حماك فالعقد بالإحلال غير وَفِي
لازال عقدك بالأحكام منتظمًا ∴ وما سوى عقدك الاحكام عنه نُفي
دُمْ في تصرف ما أوليته أبدًا ∴ فأنت أحمدعنه غير منصرف

حيث المنَى كان طوعه و تابعه ∴ سعد السعود برَايَته كالطرس

سعد السعود مرَّ الكلام عليه و الراية معروفة و هي أكبر من اللواء على الأشهر و مرَّ الكلام على الطروس أيضًا واحدها طرس و أما طرطوس فهو اسم بلد قال في الصحاح و لا يُخفف إلاَّ في الشعر لأن فعلول ليس من أبنيتهم فقد صارت وهران للمنصور بالله دارًا مِحْلاَلاً و مغنما حلالا و ينعم مما أفاء الله عليه منها على ذوي الفاقة أفضالاً و نصيب كرسي حكمه بها لنا إجمالاً و على النصاري نكاية و نِكَالاً أدام الله نصره و أعْلَى مجده ووصل سعده و بلغَ قصده بدت له بوارقها و انبسطت عليه شوارقها. فكل ملك شائق إلى هذا الفتح الجسيم و تائق إلى هذا الفَجْر العظيم الذي عدم في هذا الزمان مثله، و قلَّ في الآفاق شكله ففي مثله يتنافس المتَنافسون و في مثل فخره فليعمل العاملون. فإنه فوز الآخرة و الدنيا و السعاية إلى المرتبة الزلفة العليا على العموم، شر للكفرة في هذا الزمان، و استئصالهم أمصارنا بالأندلس و طردهم منها أهل الأيمان، فقد انتجعنا سيدي محمد بن عثمان و أخمدهم بِفَتْحِهِ ثغر وهران. فهو غلب لا يضاهي و فخر لا يباهي ففي المثل أَنْصف الغارة من رماها، بل لم يقنعوا بأخذ الأندلس وسائر الجزائر حتى صاروا يزحفون إلى سوسة و الجزائر ولله دَرّ نحوي عصره و مفتيه و لغويه و مقرئه الملحوظ برعاية الملك الديان رادف الله

عليه شيئًا بين المغفرة و الرضوان أثير الدين العلامة أبي حيان حيث يقول في أبي الحجاج من ملوك بني الأحمر

مبيد العدا قـتلا و قـد عـم شـرهم ∴ ومحى الندى فضلا و قد رَمَى هامده

أفاض على الإسلام جودًا و نجده ∴ فعزمـــوا إليـــه و ذَلَّ معانِـــدُه

ثم ختمت هذا الكتاب بتاريخ الفتح المتكفل بالسلامة و الربْح و النجح فقلت

في خامس الفرد ضحى يوم إثنيْنه ∴ كان الدخول بعـون الملـك القـدس

سـنة سـتّ ثـم الحمـد لخالقنـا ∴ وصَلّ أيضًا على المنقّي من الدنس

المراد بالفرد رجب لأِنَّ الأشهر الحرم أربعة شهر ذي القعدة و شهر ذي الحجة و شهر المحرم و شهر رجب و الحرم جمع حرام كما للأزهري في شرح البردة و لِمَ سُمِّي رجب بالفرد لأنه لا يليه شهر من الثلاثة مع تواليها هي في أنفسها و قد فصل منها إن كان المَبْدَأُ بثلاثة أشهر شعبان بسكون العين و رمضان بفتح الميم و شوال و إن بُدِّئَ بها فيكون بينه و بينها بخمسة أشهر صفر بصاد مهملة و ربيع الأول و الثاني و جمادى الأولى و الثانية و الأشهر في ذي القعدة فتح القاف قاله الحطاب[223] و أما ذو الحجة قال الهروي المسموع من العرب في واحدة الحج حجة بكسر الحاء. انتهى و في القاموس و الصحاح أنه الأشهر خلافًا لتشهير الحطاب فتحها قالوا و القياس الفتح لكونها اسما للمرة و ليست عبارة عن الشهيئة حتى تسكر و يجوز الكسر بالسماع و الفتح بالقياس وهذا صريح في أن ما جاء على خلاف القياس يجوز النطق به بالقياس و هو ظاهر قول الفراء لكن للجمهور الوقوف عند السماع و إنما يقال عند عدمه كما للمرادي عند قول الخلاصة:

فعــل قيــاس المــصدر المعــدي ∴ مــــن ذي ثلاثــــة كَــــرَدْرَدَا

وَقَالَ الْقَسْطَلاَني في باب الفتيا و هو واقف على الدابة في وقوفه صلي الله عليه و سلم في حجة الوداع الفتح في حاء حجة هو الرواية و يجوز كسرها و تحديدنا أل

[223] الحطاب: محمد بن أحمد إبراهيم : محدث من الإسكندرية (434- 525هـ) من مصنفاته: "السداسيات" في علم الحديث و المشيخة.

من يوم الاثنين للضرورة و لأنه سمع من كلامهم هذا يوم اثنين مباركًا فيه و لا داعي لحذف أل حكاه سيبوبه و يجيء الحال منه في الفصيح خلافًا لقول المبرد و هو محمد بن يزيد الثمالي أل في الاثنين و سائر الأيام للتعريف فإذا زالت صارت نكرات و الصحيح عند الجمهور أن أسماء الأيام أعلام و توهمت فيها الصفة فدخلت عليها ال كالحارث وَمِنَ الذي يجوز فيه حذف أل أيضًا العيوق كأنه عاق كوكب أو كواكب وراءه من المجاورة و هو نجم بين الدَّبْران و الثُّرَيَّا و قد قالوا أراد الدبران أن يخطب الثريا فعاقه العيوق لكونه بينهما قاله الفخر الرازي[224] حكى ابن الأعرابي أن العرب يقولون هذا عُيوق طالعا من غير أل و يجوز أيضًا إضافة اليوم إلى شهره لكن لم يسمع إلا في الضرورة أي دخول المسلمين لوهران كان ضحى يوم الاثنين وَهُوَ اليوم الخامس من رجب وقد وافق ذلك اليوم الأول من الربيع وَقَوْلَي المالك أي ذو الملك و الملك الخلق وَ قَالَ الْقَاضَيْ أبو بكر الباقلاني[225] المالكي تلميذ أبي الحسن الأشعري المذكور هو القدرة على الخلق وأما حَظَّ العَبْد منه فقيل من لاَحَظ الملك مَبْني على الملكة فالأعراض لا تشغله و الشواهد لا تقطعه و القدوس فعُول من الطهارة و هو من صيغ المبالغة و الطهارة في حقه تعالى النزاهة عن سمة الحدوث و سميت الأرض المقدسة لطهارتها من الشرك و سمي جبريل روح القدس تنزهه عن الكتم فيما يبلغه عن الله تعالى و حظ العبد منه التنزه عما يشينه في أمر أولاَهِ وأخراه و قد بسط العلماء في ذلك وأجادوا فأفادوا و استفادوا و أرضي الله عنهم و أطولُهُمْ فيه أبو الفرج عبد الرحمن المعروف بالجوزي[226] من أولاد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهم البغدادي الحنبلي الواعظ الحافظ علامة عصره، وإمام وقته في الحديث و غيره و صنف ما لم يبلغه أحدٌ وَلاَ يحصى و لا يعدُّ حتى قالوا أجمعت الكراريس التي كتبها وحُسبَتْ مدة عمره و قسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس قال ابن خلكان و هذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل و جمعت بَرَاءة أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله صلى الله عليه و سلام

---

[224] الفخر الرازي : محمد بن عمر (543- 606 هـ) : مفسر و فقيه أصولى و شاعر. من آثاره : مفاتيح الغيب في تفسير القرآن...

[225] الباقلاني : أبوبكر : محمد بن الطيب. ناظر المعتزلة و آنتصر لمذهب السنة. له : "التمهيد" و "اعجاز القرآن" و "الابانة". توفي 403 هـ

[226] الجوزى : أبو الفرج : عبد الرحمن بن علي : امام و حافظ و مفسر ولد سنة 509 هـ و توفي سنة 579 هـ.له أكثر من 300 مصنف في جميع علوم عصره. منها "المغني" في علم التفسير و في اللغة "تذكرة الأديب" و في الأدب "عيون الحكايات" و في الحديث " جامع المساند" و "مشكل الصحاح" و في التاريخ "المنتظم في التاريخ"..

فحصل منها شيء كثير و أوصى أن يسخن ماء تغسيله بعد موته بها ففعل ذلك فكفت و فضل منها، مات سنة سبع و تسعين و خمسمائة ليلة الجمعة في رمضان وَ قولي سنة ست أي دخول المسلمين لوهران خامس رجب سنة ست أي بعد مائتين و ألف و سكنتا عنه لعلمه مما مَرَّ غير مامرَّة وَقَوْلي ثم الحمد لخالقنا و الشكر له على هذه النعمة العظيمة النادرة في هذا الزمان قال ابن العربي في أحكامه ثلاث من أوتيهُنَّ فقد أوتي العمل الشكر في الرضى و الغضب و القصد في الفقر و الغنى و خشية الله في السر و العلانية وَقَالَ القرطبي[227] الشكر تقوى الله و العمل بطاعته وَكَانَ نَبِيَّ اللَهِ سُلَيْمَانَ يأكل الشعير و يطعم أهله الخشكنان[228] و يطعم المساكين الدرمك[229] قاله الثعالبي و قال ابن عطاء الله في الحكم من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها و من شكرها فقد قيدها بعقالها و قال صاحب الحكم الفارقية لا تغفل عن شكر الصنائع و سرعة استرجاع الودائع هذا معنى قولي ثم الحمد لخالقنا لأن الحمد اصطلاحا هو الشكر لغة على رأي و أُنظْر النسب و نَظمها في شرح العلامة الأجهري و قال الجوهري في صحاحه في القدوس، القدس و القدس هو الطهر و منه قيل للجنة حضرة القدس و روح القدس جبريل و قدس جبل عظيم بأرض نجد و بيت المقدس يشدد ويخفف و النسبة إليه مقدسي مثل مَجْلِي قال امرؤ القيس كما شَبْرقَ و الوَلْدَانُ ثوب المقدس يعني راهبًا و قدوس اسم من أسماء الله تعالى و هو فعول من القدس و هو الطهارة و كان سيبويه يقول قدوس سَبُوح بفتح أولهما <u>فَائِدَةٌ</u>: قال الشريسي في شرحه لمقامات الحريري معنى سُبْحَان الله و بحمده أي أنْزَهُ و ابتدئ بحمد الله أو أفتتح بحمده و دخلت الواو هنا لغير معنى العطف أَلاَ ترى أنه لو قلت سبحان الله و بحمده لكان المعنى أسَبِّحُه تسبيحا و أحمده حمدًا هكذا يقتضي ما جاء من المصادر منصوبًا في هذا الباب و في قولنا و بحمده لا يكون المعنى ما تقدم في المنصوب و لكن الباب أدت معنى ابتدئ بحمد الله كأنك قلت حمدتُ الله تعالى على إلهامه إياك تسبيحه و قولي وَصلِّ. صَلِّ أيها المؤمن على رسول الله صلى الله عليه و سلم لأن كل النعم الواصلة إلينا بسببه و على يده ولولاه ما كانت و لا شيئا منها. <u>فائدة</u>

[227] القرطبي : محمد بن أحمد. توفي سنة 671 هـ بمصر، مفسر من مؤلفاته : "الجامع لاحكام القرآن" و "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" و "التذكرة بأحوال الموتى و الآخرة...

[228] الخشكنان : الخبز الأسمر غير النقي

[229] الدرمك : الدقيق الأبيض

جليلة و تكملة نبيلة نقل الشيخ مهدي الفاسي شارح دلائل[230] الخيرات عن جابر بن عبد ربه عن عبد الرزاق أن الأشياء كلها مخلوقة من نوره صلى الله عليه و سلم و منه[231] حديث أبي مروان الطبني الذي أخرجه في فوائده عن ابن عباس و عبد الله بن عمر و أبي سعيد الخذري رضي الله عنهم أجمعين وَ في حديث عمر عند البيهقي[232] في دلائله ورواه الحاكم وصححه أن الله تعالى قال لآدم عليه وعلى محمد و سائر الأنبياء أفضل الصلاة و السلام لولا محمد ما خلقك وَرُوِيَ في حديث آخر لولاه ما خلقتك و لا خلقت سماء و لا أرضًا و في حديث سلمان عَن ابن عساكر لولا محمد ما خلقت الدنيا انتهى نَقَلْتُهُ من خطه بالمسجد الحرام آخر سنة أربع و مائتين و ألف.

بإناء إبريز قد ختم من رحيق ∴ جبريل أعطية من نهر الفردوس

وصحبه الذين أحد لو كان لنا ∴ لم يف بالُمدِّ لهم بل ولا الخمس

قولي بَإنَاء إبريز متعلق بما مَرَّ من قوله وصَلِّ أيضًا على المنقى من الدنس و الإبريز الذهب و ختمه آخرهُ لأن أهل الجنة يجدوَن آخره رائحة المسك قال تعالى : (يسقون من رحيق مختوم خَتامه مسك). و أصل الرحيق صفوة الخمر و يحتمل أن يكون المراد بالختم في القرآن أي الطبع على كؤوسه تَيَمُّمًا و تَنَظُّفًا مع كون ذلك الإناء أعطية جبريل عليه الصلاة و السلام من الفردوس أي أن الإناء من أوانيها و الماء من أنهارها. قال الله تعالى (وفيها أنهار من ماء غير ءاسن) أي غير متغير قال في الصحاح البستان و حديقة في الجنة و اسم روضة دون اليمامة و الفراديس مَوْضِع بالشام و لما غسلت الملائكة صدره الكريم بعد شقه كما في الحديث الصحيح المشهور قالوا له صلى الله عليه و سلم طاهر مطهرًا و كلام هذا معناه و الذي في صحيح البخاري من طريق يحيى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن الشهاب عن أنس بن مالك قال كان أبُو ذرّ يحدث رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فرج عن سقف بيتي و أنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدره ثم غسله بماء زمزم ثم جاء

[230] دلائل الخيرات : كتاب الشيخ الجازولي و هو مرجع الأذكار للطرق الصوفية المغاربية. توفي سنة 869 هـ ضريحه مشهور بمراكش.

[231] نسخة ب: و مثله حديث.

[232] البيهقي : محمد بن الحسين : مؤرخ و أديب عاش في نيسابور (385-470 هـ)

بطست من الذهب ممتلئ حكمة و إيمانًا فأفرغه في صدره ثم أطبقه الخ الحديث و من طريق شريك عن أنس في الإسراء و أنه قبل أن يوحي إليه و فيه شق صدره فهذا الحديث في صحيح البخاري، الآفة فيه من شريك و أعلم أن ولي الدين القرافي قال في شرح ألفيته عند قَولِهِ و في الصحيح بعض شيء قد روى مُضَّعَفُ: روينا عن محمد بن أبي نصر الميدي ببغداد يقول قال لنا أبو محمد بن حزم ما وجدنا للبخاري و مسلم في كتابيهما شيئًا لا يحتمل مخرجًا إلاَّ حدثيين لكل واحد منهما ثم عليه تخريجه الوهم مع إتقانهما و حفظهما و صحة معرفتهما فذكر من عند البخاري حديث شريك عن أنس في الإسراء و أنه قبل أن يوحى إليه و فيه شق صدره قال ابن حزم و الآفة فيه من شريك و الحديث الثاني عند مسلم حديث عكرمة بن عمار عن ابن عباس قال كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان و لا يقاعدونه الخ... الحديث قال ابن حزم و الآفة فيه من عكرمة. فَائِدَةٌ: للذهب أسماء كثيرة و الذي أحفظه من ذلك حسبما وقفت عليه مفرقا. فمن أسمائه : الذهب والمتمس و الإبريز و العسجد و النظار و الزخرف و العقيان فائدة أخرى: أخذ من الحديث الصحيح المتقدم جواز تحلية آلة الطاعة مثل السبحة و قد جعل السيوطي في ذلك تأليفًا صغيرًا مفيدًا و لذا جوزوا تحلية المصحف و أما كتابته بالذهب أو الفضة فقال الجزولي بكراهة ذلك و في البَرْزَلي ما يفيد الجواز و كذا يجوز تحلية الدواءة و إن كتب بها قرآن فقط و في تحلية الإجازة قولان بالجواز و عدمه. و قولي و صحبه الخ ما في البيت تلميح بتقديم اللام على الميم و تقدم بَيَانُهُ و الحديث الملمح إليه هو لو أنفق منفق مثل أحد ذهبًا و فضة ما بلغ مُدَّ صحابي ونصفه رضى الله عنهم أجمعين و على من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و ها أنا أجْعَل في آخر هذا الكتاب قصيدة مخمسة لخاتمة البلغاء أبي الحسن علي الغراب رحمه الله في مدح النبي الأواه اللهم أمِتنَا على سنته و اجعلنا من أخيار أمته يا ذا الجلال و الإكرام يا عليم يا عَلاَّم : لا إله إلا أنت

نَتاؤوا[233] بدمع العين مني في سكب ∴ وجسمي في محل وشوقي في حَصب

و لما تولى الركب عن أَيْمَنِ الشعب ∴ تولى فؤادي حيث ولَّوا مع الركب

فها أنا في أسْر النوى فاقد القلب

[233] القصيدة كما وردت في النسختين بها أخطاء كثيرة

دموعي فـوق الخَـدّ مـن مقلـتي دم ∴ ونَـومي مـن جفـني علـيَّ محـرم

وقلـبي مـن فقـد الأسـى يتـألم ∴ وصـبري نـاء و الغـرام محـيم

وسرّى فاش بعد ما كان في حجب

فـؤادي لِمَـنْ أهـوى يزيـد صَـبَابَةً ∴ ويـزداد مـني كـل حـين كآبـة

و تمطـر عَينِـي كـلّ يـوم سـحابة ∴ وجـسمي أمـسى يـضمحل إذابـة

وَنومي من ذكر الأحبة في سلب

أهـيم إلى ذكـر الغريـب و فـارق ∴ فـؤادي إذا مـا شمـت لائـح بـارق

وقـد كـان مـن أهـواه غـير مفـارق ∴ قنعت بطيف في الكـرى منـه طـارق

فضنَّ و لم يسمح لي طيفي بالقرب

لطرق سـلوى عـنهم رمـت أهتـدى ∴ فَمَا تم لي مـنهم مرامـي و مقـصدي

ولا أسـرهم منـه افتـداء فأفتـدي ∴ فلـذت بمـدح الهـاشمي محمـد

ولازمت مدح سيد العجم و العرب

بـدأت باسـم اللّه فيمـا نظمتـه ∴ وثنيـت حمـد اللّه فيمـا ذكرتـه

لمـدح رسـول اللّه قلـبي صـرفته ∴ نَبيَّ الهـدي المبعـوث مهمـا ذكرتـه

تجلى به همّي وزال به كرب

هو المصطفى المختـار مـن آل هاشـم ∴ رسـول البرايـا خـير أولاد آدم

شفيع الورى الهادي نـبيٌّ الملاحـم ∴ أتانـا بـسيف للـضلالة حاسـم

ونور به يهدي لمعْرفة الرب

نـبيٌّ جَليـل المكرمـات مريـدها ∴ جميـل المزايـا و الخـصال حميـدها

كـريم المعـالي و الفعـال سـديدها ∴ أَتَانَـا بآيـات يَجـلُّ عديـدها

وَعَلْيَاؤها و النور منها على الشهب

ألاَ قُـلْ لمـن أنكرهـا مـن بـلادة ∴ لها مـؤثرا سـوء الـشقا عـن سـعادة
أَمَا في انشقاق البَـدْر صـدق شـهادة ∴ أمـا رد يـوم الحـرب عـين قتـادة

بِرَاحته لما أصيب من القرب

أمَـا كـان بالأبـصار خلفـهُ مـدركا ∴ أمـا سـاخ مـن في أثـره جـاء مـدركا
أمَا ضلَّ بالأملاك مـن كـان مـشركا ∴ أما حـنَّ جـذع و الـبعير لـه اشـتكا

أما بلسان الظبي خوطب و الضب

ألم يَـدْعُ عـام المحـل رافـع طرفـه ∴ لمـولاه فأنهلـت هواطـل عطفـه
ووقـاه مـن حَـرّ الغمـام بلطفـه ∴ وسـبحت الحـصباء في وسـط كفـه

وجاءت له الأشجار تسعى على الترب

غرامـي في حـب الرسـول مؤبَـد ∴ ومـدحي لـه فـرض علـيَّ مؤكـد
لـه كـل شـيء بالرسـالة يـشهد ∴ و مـن كفـه للقـوم قـد سـال مـورد

فأروى جميع القوم من مورد عذْبٍ

نـبيٌّ عليـه الـذكر أنـزل محكمـا ∴ و أرسـل بالايـات للخلـق معلمـا
بـه خـتم الرسـل الالاه و تمامـا ∴ وأسرى به الرحمان لـيلاً إلى الـسما

فلاقته أملاك السموات بالرحب

انتهى ماقصدناه من شرح نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران على يد المنصور باللّه الباي سيدي محمد بن عثمان، أدام اللّه سعادته و أشاد سيادته و ختم تناوله بالإحسان و الحسنى ورفعنا و إياه في المرتبة الأسنى. و إنّي أوصي كل راغب و طالب أن لا يكون لكل كلام عائب لأن مع الخواطئ سمه صائب. وللّه درّ العلاّمة ابن الجوزي يخاطب علماء بغداد أهل عصره، حيث يقول :

عَـذيري مـن فتيـة بـالعراق ∴ قلـوبهم بالجفـا قلـب
يـرون العجيـب كـلام الغريـب ∴ وقـول الغريـب فـلا يعجـب
ميـازيبهم[234] إن تنـدت بخـير ∴ إلى غـير جيرانهـم تنقلـب

و قلت في المعنى

يَفُضُّون أهل العصر من تأليف بَدَا ∴ وماكان منهم إلا عنه قَدْ رغب
وما ذاك إلاّ كـون مـن لَـهُ بيـنهم ∴ فإن غاب يومًا فيكتب بالـذهب

قال ناظم القصيدة و شارحها المبارك : محمد أبوراس بن أحمد بن عبد القادر الناصري غفر اللّه له و لوالديه و لمن وضع ذلك لأجله و تبيينًا لسيرته و تسيير الجهاد و فتحه رزقه اللّه أجره و جعل في يمن الدواوين ثوابه و دخره و كيف لاَ و إن اللّه لا يظلم مثقال ذرَّة.

هذا آخر ما أردنا جمعه من الفوائد و نظمه من الفرائد مع توزع البال و تشتيت الأحوال و تكاثر الأشغال و تفاقم الأحزاب و قلة الأصدقاء و الخلان و تواتر حوادث أورثت الطبع مِلاَلاً و الخاطر أكلالاً، لكن اللّه قد جلّت حكمته قد وفقنا للإتمام و حقق لنا الفوز بهذا المرام. فالشكر له إنه ولي الأنعام و الصلاة على محمد و آله و السلام، آمين، آمين. في آخر ذي القعدة سنة ست و مائتين و ألف انتهى.

[234] الميزاب ج ميازيب : القناة التي يجري فيها الماء.

قائمة المصادر و المراجع

1. المصادر العربية

ابن خلدون (عبد الرحمان)

كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1996.

ابن خلدون (يحي)

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد (الجزء الأول)

تحقيق : عبد الحميد حاجيات :الجزائر 1980.

ابن خلكان (شمس الدين)

وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان (8 مجلدات)

تحقيق إحسان عباس، بيروت 1972.

ابن سحنون (احمد)

الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني

تحقيق المهدي البوعبدلي، قسنطينة 1973.

ابن ميمون (محمد)

التحفة المرضية في الدولة البكداشية

(تحقيق محمد بن عبد الكريم)، الجزائر 1972

ابن يوسف الزياني (أحمد)

دليل الحيران و أنيس السهران.

تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر 1979

أبوراس (محمد)

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط رقم 1633.

المكتبة الوطنية : الجزائر

الخبر المغرب عن الأمر المغرب و الحال بالأندلس و ثغور المغرب.

مخطوط (خاص)

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار فيما جرى بوهران و الأندلس للمسلمين

مع الكفار : مخطوط (خاص)

فتح الاله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته :

تحقيق محمد بن عبد الكريم : الجزائرر 1990.

الدحاوي (مصطفى بن عبد الله)

الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط رقم 3322.

المكتبة الوطنية: الجزائر

الصفدي (صلاح)

الوافي بالوفيات (الطبعة الأولى)

تحقيق أ. الاناؤوط / م. تزكي، بيروت 2000.

مسلم (بن عبد القادر)

أنيس الغريب و المسافر في طرائف الحكايات و النوادر

تحقيق رابح بونار، الجزائر 1974.

المشرفي (عبد القادر)

بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبان بوهران من الاعراب

كبني عامر.

تحقيق محمد بن عبد الكريم: بيروت، د.ت

الورثلاني (الحسين)

نزهة الانظار في فضل علم التاريخ و الاخبار

تحقيق محمد بن شنب : بيروت، د.ت

2. المراجع العربية

بوعزيز (يحي)

المراسلات الجزائرية – الاسبانية في أرشيف مدريد (1780–1798).
الجزائر 1993

سعد الله (أبو القاسم)

تاريخ الجزائر الثقافي – 2 ج – الطبعة الأولى –الجزائر 1981

أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر – الطبعة الثانية – الجزائر 1981

سعيدونى (ناصر الدين)

دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر – العهد العثماني – الجزائر 1972

الطمار (محمد بن عمرو)

تلمسان عبر العصور – الجزائر 1984

كحالة (عمر رضا)

معجم المؤرخين: تراجم مصنفى كتب العربية (4 أجزاء).
الطبعة الأولى – بيروت 1993

الميلى (مبارك)

تاريخ الجزائر في القديم و الحديث (2ج)

تحقيق محمد الميلي: المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر : د.ت.

نويهض (عادل)

معجم أعلام الجزائر – بيروت: د. ت.

3. الموسوعات

الموسوعة الشعرية – تحت اشراف : محمد السويدي – المجمع الثقافي.

أبو ظبي – الامارات العربية – 1997-2003.

Sources et ouvrages

- **M. EL-KORSO / M. DE EPALZA**
  "Oran et l'Ouest-algérien d'après le rapport Aramburu"
  - Alger 1978

- **ARNAUD**
  "Voyages extraordinaires et nouvelles agréables - in revue Africaine" - Alger (1878-1884)

- **CARETTE et ROZET**
  "Algérie- Etats Tripolitains - (2ème édition) Tunis 1980"

- **GUIN (L)**
  Le collier précieux - (traduction d'El Todjini) - in revue Africaine : 1891

- **TERKI - HASSAINE (Ismet)**
  Oran en XVIIIème siècle : du désarroi à la claire voyance politique de l'Espagne - in Insaniyat (N° 23-24) CRASC Oran 2004

- **TINTHOIN (R)**
  Colonisation et évolution des genres de vie dans la région Ouest d'Oran de 1830 à 1835.

- **Encyclopédie de l'Islam** (nouvelle édition) - 8 volumes - Paris - Leiden - 1991

الملاحق

ملحق 1

نفسية الجمان في فتح ثغر وهران

طيـــب الريـــاح أرض الله جـــسّي ∴ و بـشرى الـبكم مـع الجـن و الأنـس
بمغـــرب الأرض هـــي و مـــشرقها ∴ جوفـا و قبلتنـا و الانجـم الخـنس
طـوامي الابحـر و أهـل جزائرهـا ∴ بفـتح وهـران دار الـشرك و الـومس
و حـديثهم بـويلات لنـا سـلفت ∴ فَطَـالَ مـا رمـت الاسـلام بـالتعس
فــردَّ ربنـا الكــرة عليهــا لنــا ∴ قـضينا دينـا منهـا قـد كـان في تـنس
بجهبـد شمـس للحـرب متـزرا ∴ بحلـل النـصر فيالـه مـن لـبس
نكـب عـن جانـب طـرق عواقبهـا ∴ لم يستـشر الا الـسيف و القنـا الـدعس
لا يثنـى عـن الرجـاء غـير مبتـسم ∴ حتـى يزاولـه بالـسيف و الفـرس
قــاد المقانــب للجهــاد رائــدها ∴ يبغـي كفـاح ذي التثليـث و الجـرس
حتـى أقـام علـة أربـاض وهـران لا ∴ تحـصى عـساكره بالعـد و الحـدس
جنــد عرمــرم لا شــئ يقــدم لــه ∴ تـضيق عنـه فـضا الأثـلاث و المفـس
هــلا هنيئـا لــه الـتمكين سـاحته ∴ سـلاهب كـسبت الاوعـار و الـوعس
و قــام بهــا بــأمر الله منتــصرا ∴ كالـصارم اهتـز أو كجـود منجـبس
بنتهــا مغــراوة بــاذن مــواليهم ∴ الامويـون أمـراء أنـدلس[235]
ثغــر مغــراوة خلــوه ســابقة ∴ علـى يـد الامـوي سـلطان أنـدلس
ثالـث قـرن خـزر مـنهم قـد أسـسه ∴ و ملكهـم في غايـة العـز و الـشمس
سـنة سـت مـن أربـع أزاحهـم ∴ عـن ذلـك الثغـر ازداجـة مـع عجـس

---

[235] هذا البيت سقط من النسختين لكن شرحه موجود فيهما

حتـــى أزالهـــم عنـــه يوســـف	∴	كمـا أزالهـم قبـل علـى أراضـي فـاس
موحـدون أتـوا مـن بعـد ذا و علـوا	∴	اســتحوذوا عليهــا في وســط الــسادس
تمــــت آل زيــــان ملكهــــم	∴	قــد خلــت و امتــد لهــم الى دلــس
في وقــتهم فيهــا الربــاني عالمهــا	∴	محمـد الهـواري الاسـتاذ كـابن شـاس
خلفـــه بعـــد موتـــه ابـــراهيم	∴	الـــــذائع الـــــصيت الى قـــــومس
جلــب المــاء اليهــا فيــه منفعــة	∴	لـــذلك الثغـــر بأبـــدع مقتـــبس[236]
ثـامن قـرن قـد أمهـا المـريني أبـو	∴	حـــسن تمتـــا بيعـــة طـــرابلس
يـبني بهـا الأحمـر ففـاق كـل بنـاء	∴	ثـم بنـى الثـاني حـذو سـفن المـرس
خامس عـشر مـن عاشـر أنـاخ بهـا	∴	الاسـبانيون أهـل الـشرك و الـرجس
جحافل الكفـر قـد حمـوا جوانبهـا	∴	و عـــن دفـــاعهم عجـــز أبـــو قلمـــس
و عـــاث دك ببطحتهـــا مجتلبـــا	∴	علينـــا لم يبـــل بنـــا مكثـــر الـــدفس
و رجّ أرجاءهـــا لمـــا أحـــاط بهـــا	∴	فغـــادر الـــشم مـــن أعلامهـــا طمـــس
و خالط الخَمـر و الاشـراك ياعجبـا	∴	و مـــواطن العلـــم و الايمـــان ذا تـــوس
كـم تليـت بهـا مـن آيـة محكـة	∴	فبعـــد طهرهـــا ملئـــت بـــالنجس
كأنهـا مـا حـوت شمـسا و لا قمـرا	∴	لم يدرّ في النـاس و العـالي مـن النـدس
نظـــير مـــا فعـــل نفـــل بملطيـــة	∴	عفـــى بالـــذل و الـــصقار و الـــوكس
خَـلاَ لَـهُ الجـو فامتـدت يـداه إلِـي	∴	أدراك مـــا لم تنـــل رجـــلاه مخـــتلس
و سـار سـيرته فينـا مـن أعقبتـه	∴	وكلـــهم مقتـــف أرجـــوا و مـــردنس
في أخـــذهم بلنـــسية و قرطبـــة	∴	مريـــة معتـــصم بهـــا و بطلـــيس
طريفـــة درميـــل الـــردى تملكهـــا	∴	فلـــم تـــدم لابـــن أفطـــس و أفطـــس

[236] هذا البيت سقط من النسختين لكن شرحه موجود فيهما

لـذا تعـدُّوا ملـوك الـصفر أنـدلس ∴ عــدّة أعــوام و الاســلام في شــخص
كأنمــا تقــضت بالعــذيب لنــا ∴ بمعــسول اللمــا راق شــفى اللعــس
و لا قـضينا علـى أطـراف كاظمـة ∴ بِوَصْــلِ ســلمى زمنــا غــير منعــبس
و لا سـفحنا علـى واد الخـير دمـا ∴ مــن منحــر الــدن إذ يحــي و يــرتمس
يــا حــسرة لمعــالم الايمــان بهــا ∴ فكانـــت مدتـــه كـــسنة الكـــبس[237]
آخــر مــا بعــد الزنــاكي حاصــرها ∴ فامتنعـــت و شمـــست أيُّمَـــا شمـــس
وطــئ الفليــق الجــرار لأراضــيهم ∴ بــه همــت دمعهــم مــن زكــا و خــس
دارت حروب عظام بينهم قـد أتـى ∴ آخــــر أمرهــــا باستــــشهاد الــــنفس
أول عــام مــن قــرن ثــاني عــشر ∴ جمــع اسماعيــل لهــا أقاصــي سُــس
فحـــط كلكلـــه حولهـــا معتزمـــا ∴ علــى النــزال فلـم يجـد محـل بـوس
قــام بهيــدور أيامًــا يحتــال لهــا ∴ فاســتعان بمــا حولهــا مــن مخــس
وأعيتـه حيلتهـا حزمـا و منعتهـا ∴ عقـاب جـو قـد ارتقـى علـى الـردس
فقـال هـي حيّـة تحـت صـخرتها ∴ تــضر و الــضرُّ يــأتي لهــا مــن أنــس
لمــا أراد الله عــود الايمــان بهــا ∴ أقــــام بــــالجزائر مــــذهب الغلــــس
محمـــد بكـــداش هـــو باشـــتها ∴ قــد فــاق الاكفــاء في الــدهاء و الــرعس
فجهز جندًا مـن الأبطـال حاصـرها ∴ أضــحى لــذلك حــزب الكفــر منتــئس
في كـل حـين أزن حـسن يزاولهـا ∴ وفـــائق مـــصطفى الحـــزم و الفـــرس
ففتحــت عنــوة في تــسع عاشــره ∴ مــن بعــد سـكنى ره و الـدين في وكـس
أضـحت مراتـع أمـن للانـام و قـد ∴ كانــت بهــا طيبــات الانــس في دنــس

---

[237] سقط من النسختين البيتان التاليان و شرحهما:
و قيض الله الأتراك بمزغنة ∴ لحرب وهران دار الشرك و الألس
غزاها الباشا خير الدين أولهم..∴ وبرج مرساها قد رماه بالنقس

قدمــه بعــد عشــر اســتقل بهــا ∴ بغايـــة حـــادث كالعـــدو للفـــرس
مـن بعـد عـشر و عـشر ثـم أربعـة ∴ عـــادوا إليهـــا قـــرة أعـــين الـــتعس
فملكوهـــا بـــلا كـــبير ملحمـــة ∴ لكـــن في الاولى بخدعـــة منخـــيس
فمـــرتين ابتاعوهـــا غـــير غاليـــة ∴ كيـــف يبـــاع ثغـــر وهـــران بـــالبخس
خَلاَ لَهَا الجو صـرفا و اطمـأنوا بـه ∴ و قـــد تجلـــت للكفـــر جلـــوة العـــرس
يالـه مـن ثغـر أضـحى أهلـه جـزراً ∴ للنائبـــات و أمـــسى للعـــدا خـــبس
مدينـة العلـم و الايمـان حـل بهـا ∴ ما حل بالحصن من الخبس و الخبس[238]
و كـــل شـــارقة الالمـــام بارقـــة ∴ مأتمهـــا عـــاد للعـــداء كـــالعرس
تقاســم الــروم لانالــت مقــاسمهم ∴ شـــم المعاقـــل مـــع موضـــع الـــدرس
كانـــت حـــدائق الاحـــداق مونقـــة ∴ فأبـــدلت بنـــوعي الجفـــس و الحـــدس
محـــى محاســنها طــاغ أتــيح لهــا ∴ مكتحـــل الـــسهر لهـــا مكثـــر الحـــوس
حتـــــى تـــــداركها الله برأفتـــــه ∴ مـــن بعـــدما مـــضى لهـــا مـــدة العـــنس
بتقليـــد المغـــرب الوســـط لعمـــدتنا ∴ أضـــاء شمـــسه بعـــد حالـــك الـــدمس
ملـــك تقلـــدت الايـــام طاعتـــه ∴ ففـــاق يحـــي كـــثير الزحـــف و الـــريس
مؤيـــد لَـــوْ رَمَـــى نجمـــا لأثبتـــه ∴ و لـــو دَعَـــا دبـــيلا لبّـــى و مـــا احتـــبس
شـــهم همـــام بحـــزم الملـــك متـــزر ∴ و مرتـــد النـــصر و في الحلـــم ذو ظحـــس
فملـــك آل منـــديل تحـــت ســـلطانه ∴ مـــدّ لهـــم مـــن متيجـــة الى تـــنس
كـــذلك ملـــك تجـــين في ايالتـــه ∴ كـــذا الجـــدار القـــديم المـــتقن الأســـس
ملـــك آل يغمـــور فيـــه نظـــرتهم ∴ كذلك ملك بني يعلـى الافـريني الـروس
لـــشعبن و مـــصاب مـــدّت طاعتـــه ∴ على مـسافات شـتى مـن أبـي الـضرس

---

[238] سقط البيت و شرحه.

فمهـد الكـل بـرخص و عافيـة ∴ قـد آمنـوا كلـهم عواقـب الفلـس
محمـد بـن عثمـان نجـم سـعدهم ∴ رصـد مـن كلـف يـصمى و مـن سجس
مـدّة سـت و سـت مـن امارتـه ∴ حـل العـذاب بأهـل البغـي و الفلـس
عمـر كـل مرصـد كـان مـسلكهم ∴ بالخيـل و الرجـل مـع حلـق العـسس
طلبـة جاهـدوا كفعـل شـيخهم ∴ أحمـد أو محمـد و ابـن الفـرس
سـنة خمـس أتـى لهـا بكلكلـه ∴ جنـد عظـيم مـا بـين الـشهم و الحـوس
مـدافعا و بـو نبـات أحـاط بهـا ∴ كأنهـا بيـنهم كحلقـة الجلـس
يكـاد يـصدع الـشامخات بـاروده ∴ رعـد سـحاب مـديم الـصعق و الجـرس
يشيب من حربه رأس الغـراب و لا ∴ يـشيب رأس نهـار دائـم الغلـس
يَـسودُ مبـيض وجَهْـي لرجـاه و لا ∴ يبـيض مـسوده مـن شـدة الـدمس[239]
بنقـع خيلـه و دخـان بـاروده ∴ يـوم حليمـة أو بعـاث أو جـدس
فحـار طاغيتهـا مـن بـأس أميرنـا ∴ و قلبـه مملـوء بالرعـب و الـوجس
أخبارها قد طارت في الارض قاطبـة ∴ لاقينـا في أمـدوجات مـرورًا بقـابس
أوبـة حجنـا فقلنـا هنيئـا لنـا ∴ وصـلنا حـج الجمـع بالجهـاد و الـنفس
وجدنا سوسة و المـستير قـد سمعـوا ∴ مدينـة اللخمـي و جربـة و تـونس
عـدّة أشـهر الحـرب يـساجلها ∴ طـالع سـعد لـه علـيهم بـالنحس
طلبـوا الـسلم مـن بعـد مـراودة ∴ جـرى بـذلك القلـم قـدما في الطـرس
فكانـت مـدتهم بـالثغر كمـج ∴ فـأعطوا الآمـان علـى الامتعـة و الـنفس
هـم يخربـون بيـوتهم بأيـديهم ∴ فـاعتبروا يـا ذوي الابـصار و الكـيس
بنو الـنظير في الحـشر سبقوهم بـذا ∴ فكيـف الـروم بفعـل اليهـود تـسي

---

[239] سقط البيت لكن شرحه موجود.

كفـــار وهــــران تركوهـــا غـــامرة ∴ فالحمـــــد لله أمنـــا مـــن الهجـــس
بـــاي عثمـــان و عثمـــان قـــد رجعـــا ∴ إلينـــا مـــا يبلـــي مـــن أرض أنـــدلس
رمــــاهم الله بالملـــــك آمرنــــــا ∴ رميـــة ســـهم أتـــتهم علـــى غـــير قـــس
طهـــر أرضـــه مـــنهم أنهـــم نجـــس ∴ بمطلــــق فطهـــــر ذلـــــك الـــــنجس
بماضـــي الحـــزم و الاقـــدام متـــزرًا ∴ إن عـــالج الـــداء كـــان غـــير منـــتكس
محى الذي كتب التجسيم من ظلم ∴ و أثبـــت التوحيـــد و دام كـــالحبس
أمسى على الرفع للتمييز منتصبا ∴ عـــن حفـــظ عاملـــها حـــالا مـــن ملتـــبس
لا غرو و إن نال مجدًا ليس يدركـه ∴ ســـواه إذ عرقـــه في المجـــد مـــنغمس
ان الامـــارة كانـــت و الايالـــة في ∴ أســـلافه عِرْقهـــا مخـــضر لم ييـــبس
دم في تـــصريف مـــا أوليتـــه أبـــدًا ∴ و أرض ســـعدك فيهـــا النهـــر منـــبجس
مدينـــة حلـــها التوحيـــد مبتـــسما ∴ جـــزلان و ارتحـــل التثليـــث منبـــئس
مـــن بعـــدما صـــيرها العـــائثون بهـــا ∴ يـــستوحش الطـــرف مـــا أنـــس مـــن أنـــس
شـــيدت مـــساجدها و هـــدمت بيعًـــا ∴ إذ أنـــت الحـــق قـــد بطـــش بـــالجرس
أبـــدلها الله ببهتـــــان جاقمـــــة ∴ مـــدارس للمثـــاني تقـــرُّ بالـــدرس
و غيّـــر الاســـلام العـــالي معـــالمهم ∴ و أذهـــب اللـــين مـــن ذلـــك و الـــشرس
ها هي قد غضت و طابت جوانبهـا ∴ و ثـــوب وشـــيها قـــد صُـــبغَ بـــالودس
حبائـــل الـــشرك لا تخفـــى غوائلـــها ∴ قـــد وارى الكفـــر في أغـــاميق الـــرمس
فقـــد ســـقاها الله تعـــالى حيّـــا ∴ منـــار الاســـلام بهـــا ضـــاء كـــالقبس
فاهـــت بقـــدر المـــولى بعـــد بكمتهـــا ∴ مـــا بهـــا مـــن صـــمم يـــرى و لا خـــرس
زهـــت بأميرنـــا محمـــد و غـــدت ∴ تميـــل أعطافهـــا مـــن شـــدّة الـــبهس
يبدي النهـار بـه مـن ضـوئه شـنبا ∴ كهالـــة البـــدر إن ركـــب في الخمـــس
أعلامـــه كعقبـــان الجـــو حائمـــة ∴ يحف مـن حولهـا شـهب القنـا حـرس

مــازال حظــه للاقبــال منتبهــا	∴	كوكــب ســعده ضــاء غــير مــنطمس
حيـث المنـى كـان طوعـه و تابعـه	∴	ســعد الــسعود برايتــه كــالطرس
في خامس الفرد ضحى يـوم إثنينـه	∴	كــان الــدخول بعــون الملــك القــدس
سـنة سـت ثـم الحمـد لخالقنـا	∴	وصــل علــى المنقــى مــن الــدنس
بإنـاء ابريـز قـد خـتم مـن رحيـق	∴	جبريــل أعطيــة مــن نهــر الفــردوس
و صحبه الـذين أحـد لـو كـان لنـا	∴	لم يــف بالمــدّ لهــم بــل و لا الخمــس

ملحق 2

مصادر "العجائب التاريخية و الأدبية و الفقهية"

–أ–

– **الأبار** (ابن) (595–658هـ) (أبو عبد الله): محمد بن عبد الله بن أبي.القضاعي: مؤرخ و محدث: أصله من أنْدَة بالأندلس.

ولد ببَلَنْسية. كان كاتبا لدى حكامها. رجع الى بلنسية بعد سفارة الى تونس ثم غادرها بعد سقوطها في أيدي المسيحيين. فأصبح كاتب سلطان تونس مدّة، الى أن ساءت علاقته به. فأمر بقتله (المستنصر): له عدّة كتب في التاريخ و الحديث و الأدب لم يبق منها سوى. "أعتاب الكتاب" و "كتاب التكملة" و المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي" و "الحلة السيراء".

– **الأبيّ** توفي (307هـ): ابن كعب بن قيس الأنصاري، من بني النجار. من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدْرًا و المشاهد كلها. و هو أول من كتب للنبي (صلع) و أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن.

– **الأبيّ** توفي (823هـ): محمد بن خلفة. ولد بقرية أبَّة بتونس: فقيه شهير: شارح مسلم بن الحجاج المترجم باكمال الاكمال.

– **ابن أبي جمعة** المغراوي توفي 930هـ: حفيد سيدي الهواري: أحمد. كتابه: جواهر الاختصار و البيان فيما يعرض بين المعلمين و أباء الصبيان "حققه عبد الهادي التازي.

– **ابن أبي الدينار**: محمد بن أبي قاسم القيرواني: مؤرخ تونسي ألف كتاب "المؤنس في أخبار افريقيا و تونس" عام 1115هـ– طبع في تونس عام 1286هـ و ترجم الى الفرنسية عام 1845م.

– **ابن الأثير** توفي 620هـ: (أبو الحسن): عز الدين: مؤرخ شهير. له "الكامل في التاريخ" و "اللباب في معرفة الانساب" اختصره القاضي أبي سعيد محمد السمعاني.

– **ابن الحاجب** 570–646هـ: (أبو عمرو): جمال الدين: عثمان بن عمر: نحوى و فقيه ولد بصعيد مصر و استقر بالاسكندرية حيث توفي. من أساتذته الشاطبي. ألف في النحو و العروض و الفقه. جمع بين عقائد المالكية في مصر و المغرب. له "الكافية"

في النحو و "المقصد الجليل في علم خليل" في العروضِ و "المختصر الأصولي" في أصول المالكية.

- **ابن حجر** العسقلاني 773–852هـ: أحمد بن علي: حجة في الحديث و مؤرخ و فقيه شافعي. عين قاضي القضاة و ظل في المنصب 21 سنة قام بالتدريس (فقه و تفسير و حديث) و لقب بحافظ عصره. من آثاره

"فتح الباري في شرح البخاري "و" الاصابة في تمييز الصحابة "و" تهذيب التهذيب "و" الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة "و" أنباء الغمر في أنباء العمر". من تلامذته السخاوي.

- **ابن حزم** 389– 456هـ: (أبو محمد) علي: عالم أندلسي كبير، فقيه و مؤرخ. ولد بقرطبة. كان أبوه وزير الحاجب محمد بن عامر.

من شيوخه الأزدي و ابن بشكوال. غادر قرطبة التي مزقتها الفتن و اختار المرية لاقامته.

سجنه حاكمها ثم نفاه فذهب الي بلنسية ثم عاد الي قرطبة و أصبح وزير المستظهر سنة 414هـ. غير أنه خلع من منصبه و دخل السجن. عاش حياة متقلبة بتقلب أحوال الاندلس حين سقطت الخلافة الأموية.

من مؤلفاته: "طوق الحمامة" و "رسالة في فضل الاندلس" و "جمهرة الأنساب" ثم "أنساب العرب" له دراية عميقة بأنساب العرب و البربر في المغرب و الاندلس. كان شافعيا ثم تحول الى الظاهرية و أبطل القياس الفقهي في تفسير القرآن و الحديث. له "الإحكام في أصول الأحكام" في اصول الفقه. انتقد الفرق الإسلامية في كتابه "الفصل في الملل و الأهواء و النحل" و هاجم الأشاعرة. أحرقت كتبه في إشبيلية.

- **ابن الجوزي** 510–597هـ: عبد الرحمن بن علي: فقيه حنبلي و مؤرخ و أديب. ولد في بغداد و استقر بها بعد رحلة الدرس و التحصيل.

صنف في علوم شتى منها "المغنى" في التفسير و "تذكرة الأريب" في اللغة و "عيون الحكايات" في الأدب و "جامع المساند" و "مشكل الصحاح" حيث انتقد الاحاديث الضعيفة و "المنتظم في التاريخ " الخ.. و أهمها : كشف النقاب عن الأسماء و الألقاب" و "كشف الران عن القلوب". أتجه إلى الوعظ و الارشاد

- **ابن خالويه** 314–370هـ: الحسين بن أحمد: نحوي و لغوي شهير. دخل الشام و استوطن حلب حيث توفي بها. اتخذ مذهبا وسطا بين مدرستي الكوفة و البصرة النحويتين. كان مؤدبا لأبناء سيف الدولة له عدّة مصنفات منها "إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز" و كتاب "العشرات"

- **ابن خرداذبة** 206–300هـ: أبو القاسم بن عبيد الله. **جغرافي** من أصل فارسي. لا نعرف عن سيرته الاّ القليل. كان نديما للخليفة المعتمد. له مصنفات: منها ما يتصل بأنساب الفرس و أخرى بالأدب. لم يبق منها سوى كتاب "المسالك و الممالك" جمع مواده من الوثائق الرسمية. استعان به كل من ابن حوقل و المقدسي

- **ابن الخطيب** توفي 713هـ: (لسان الدين) محمد بن عبد الله. لقب بالخطيب لانه من عائلة اشتهرت بالخطابة. ولد بلوشا (الاندلس) ثم انتقل الى غرناطة حيث درس على شيوخها الفقه و التفسير و اللغة و الطب.. كان في خدمة أسرة النصريين سجنه الأمير إسماعيل ثم أطلق سراحه فغادر الأندلس الى المغرب. عاش حياة قلق بين الاندلس و المغرب حيث اعتقل و قتل خنقا في السجن. دفن بفاس سنة 1374م. له صداقة بابن خلدون لقب بذى الوزارتين (القلم و السيف) نبغ في الشعر و الترسل، مدح الملوك و تغزل و رثى و اختص بفن الموشحات له عدد هام من المؤلفات "الاحاطة في أخبار غرناطة" موسوعة تاريخية و جغرافية. و "اللمحة البدرية في الدولة النصرية" الخ..

أحرقت كتبه و نهبت داره لانه أتهم بالالحاد.

- **ابن خلدون** 732–808 هـ : عبد الرحمن. ينتمي إلى أسرة ذات جاه و مال، انتقلت من اشبيلية الى تونس. أطلع على جميع أنواع المعارف المتداولة في عصره من عقلية و نقلية. تخصص في التاريخ و الفقه بعد أن تفقه مسائل الحكمة و الكلام و التصوف. تقلب في الوظائف، فكان وزيرا و سفيرا و قاضيا...

كتب "كتاب العبر" في تاريخ العرب و البربر. لم يكتف بتسجيل الأحداث بل أراد الكشف عن علتها، فأبدع علما سماه "علم العمران" نقل عنه أبوراس فيما يخص أخبار المغرب و أنساب العرب و البربر لكنه لم يهتم بمقدمته التى سجل فيها نظريته في التاريخ.

له مؤلفات أخرى سجلها في رحلته "الرحلة"

- **ابن خلدون** 734–780هـ: (أبو زكريا): (يحي) ولد بتونس و توفي بتلمسان. كان ذاميل للشعر و الأدب. اشتغل بالسياسة في بلاط الحفصيين و قوبل بالترحاب في تلمسان من قبل السلطان أبي حمو موسى الزياني. كان موفدا من أمير قسنطينة الحفصي ابي عبد الله الحفصي. و بعد استيلاء هذا الأخير على بجاية أمر باعتقاله بعنابة لكن سرعان ما فر من سجنه الى بسكرة و منها الى تلمسان فدخل في خدمة سلطانها (كاتبا) ثم التحق بالمريني عبد العزيز ثم عاد إلى خدمة السلطان الزياني أبي حمو. لكن الحساد قتلوه بتحريض من إبن السلطان

له: "بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد "تناول فيه تاريخ بني زيان خاصة عهد أبي حمو الطويل. غير أنه لم يظهر سموا في التفكير و لا براعة في النقد مثل أخيه. أورد في كتابه قصائد شعراء البلاط الذين عاصروه و معلومات عن علماء عصره. الكتاب لمحة صادقة عن الحياة الفكرية في تلمسان خلال القرن 14

- **ابن خلكان** 608–681هـ: أحمد من محمد البرمكي: مؤرخ عربي ولد بأربل. أشتغل بالتدريس و القضاء بين دمشق و القاهرة له : "وفيات الاعيان و أنباء أبناء الزمان" من أهم المصادر في التراجم و التاريخ الأدبي.

- **ابن خميس** 628–708هـ: (التلمساني) محمد بن محمد. تولى رئاسة ديوان الانشاء في عهد السلطان الزياني: أبي سعيد بن يغمراسن. أديب و شاعر و مؤرخ تنقل الى غرناطة و ضم الى مجلس الوزير. أغتيل عام 1308 على اثر انقلاب بغرناطة له ديوان شعر : "الدر النفيس في شعر ابن الخميس".

- **ابن دريد** (الازدي) 223–321هـ: محمد بن الحسن عتاهية. ولد بمصر و درس بها. و حين وقعت مذبحة الزنج عام 257هـ فرَّ الى عمان و أقام فيها 12 سنة ثم ذهب ألى نواحي فارس فأقام في بلاط آل ميكال ثم ألى بغداد فأجرى له الخليفة المقتدر راتبا شهريا. عمر طويلا إذ توفي سنة 321هـ. من أكبر علماء اللغة العربية

من مصنفاته : قاموس الجمهرة" و "السرج و اللجام" و "وكتاب الخيل" و "كتاب السلاح" و كتاب الاشتقاق". من تلامذته : أبو الفرج الاصبهاني.

- **ابن رقية**: (التلمساني): محمد الرحمن الجيلالي: له :" الزهرة النيّرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت جنود الكفرة" ألفها بأمر من الباي محمد الكبير سنة 1194هـ. تحدث فيها عن حملة أورلي " والحملات الأخرى على الجزائر (8 وقائع) و ضمنها أخبارا عن باشوات الجزائر.

- **ابن الزقاق** توفي 912هـ: علي بن قاسم: خطيب جامع الاندلس. ألف رجزًا في قواعد مالك سمّاه " المنهج المنتخب الى قواعد المذهب"

- **ابن سيرين** توفي 110هـ: محمد. من الطبقة الثانية من رواة الحديث. استقر بالبصرة و اشتهر بالورع و التقوى و له اليد الطولى في علم التعبير. كان صديقا للحسن البصري.

- **ابن الصباغ** (القلعي) توفي 923هـ: محمد بن عبد الرحمان من قلعة بني راشد بالقرب من غليزان. تولى القضاء.

كتابه " بستان الأزهار في مناقب زمزم الابرار و معدن الأنوار" في سيرة ولي الله أحمد الملياني دفين مليانة. و له شرح "في أسماء الله الحسنى" و شرح على قصيدة ابراهيم التازي في التصوف " المرادية" و شرح على الاجرومية في النحو سمّاه " الدرة الصباغية في شرح الجرومية.

- **ابن صعد** (التلمساني) توفي 901هـ: بمصر. صاحب "النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب " نقل فيه سيرة علماء التصوف في المغرب الاسلامي إلى غاية القرن التاسع الهجري. و له كتاب آخر "روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الاربعة المتأخرين في سيرة الامام الهواري و الامام التازي و الحسن أبركان " وأحمد بن الحسن الغماري" أعتمد عليه ابن مريم في كتابة البستان"

- **ابن عبد الله الجلالي** القرن 12هـ و بداية القرن 13هـ: من علماء معسكر تتلمذ عليه أبوراس وابن سحنون و غيرهما. كان سلفيا رحل الى فاس و تناظر مع علمائها و استفاد من علومهم ثم رحل الى الحجاز و التقى بعلمائها و جالسهم و بحث معهم غوامض المسائل. ثم رجع الى معسكر للتدريس اختاره الباي محمد الكبير للاشراف على المدرسة المحمدية. كما عين على قيادة رباط وهران أثناء الحصار.

- **ابن عمار** 1119–1206هـ: أحمد: إمام و خطيب جامع الجزائر من علماء الجزائر أثناء العهد العثماني. تولى الفتوى على المذهب المالكي تتلمذ عليه علماء كبار مثل أبي راس و الورثلاني و أبن حمادوش و الغزال من مصنفاته" نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلي الحبيب" و " حاشية على الخفاجي في الأدب. و ديوان شعر قلّد فيه لسان الدين بن الخطيب. توفي بالحجاز.

- **ابن محرز** توفي 575هـ: يلقب بركن الدين: محمد. من أدباء القرن السادس الهجري. ولد بوهران و عاش بها معظم حياته.

تجول في بلدان المغرب و صقلية على عهد الموحدين ثم انتقل إلى مصر ثم دمشق. كان إماما بمسجد داريا قرب دمشق الى أن توفي بها. كان سليط اللسان.

من مصنفاته: "منامات الوهراني و مقاماته" نشر بالقاهرة سنة 1968م

- **ابن مالك** (أبو عبد الله) 600–672هـ: محمد بن أبي عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي: نحوي و لغوي و مقرئ. رحل الى المشرق و توفي بدمشق.

من مصنفاته الكثيرة: "إكمال الاعلام بمثلث الكلام" و " الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة" و "تسهيل الفوائد" في النحو. و "مفتاح الأفعال " في الصرف و "رسالة في الاشتقاق" و خاصة "الالفية" في النحو: عمدة التدريس في المغرب، عرفت عدّة شروح.

- **ابن مرزوق** (الخطيب) توفي 781هـ: محمد بن أحمد بن مرزوق. توفي بالقاهرة. أختص في علم الحديث. له" شرح على العمدة" لكن غلب عليه التصوف. شرح البردة في رثاء رسول الله محمد(صلع)

له طريقة صوفية اشتهر بها.

- **ابن مشيش** (عبد السلام)559–622هـ: ابن حيدرة بن محمد .. حفظ القران و سنه لا يتجاوز 12 سنة. من المتصوفة المغاربة الكبار. تتلمذ عليه أبو الحسن الشاذلي الذي روى عنه مرويات في حسن السلوك و الأخلاق.

قتله بعض الدجاجلة بزاويته. ضريحه مزار العامة بضاحية شفشاون شمال المغرب الأقصى

- **ابن يوسف** (الملياني) توفي 927هـ: الراشدي: صوفي شاذلي الطريقة: ضريحه بمليانة مزار العامة. أشتهر بنقده للأمراء الزيانيين الذين عجزوا عن دفع الخطر الاسباني على السواحل الجزائرية. لقد ساند عروج و خير الدين على الاستقرار بالجزائر. سيرته كتبها تلميذه الصباغ القلعي..

- **أبو حيان** (التوحيدي) كان حيا قبل 380هـ: علي بن محمد بن العباس. صوفي، متكلم و أديب. من مواليد شيراز. عاش في بغداد مدّة ثم انتقل الى الري ثم جاور بيت الله الحرام.

من تصانيفه: " الامتاع و المؤانسة" و "بصائر القدماء و بشائر الحكماء" و "الردّ على ابن جنّي" في شعر المتنبي" و " الاشارات الالهية" و "الرسالة الصوفية" ثم أخلاق الوزيرين: الصاحب ابن عباد و ابن العميد"

- **أبو دلامة** توفي 160هـ (زند بن الجون): عبد أسود من موالي بني الأسد بالكوفة. قرظ الشعر في عهد العباسيين. كان نديما للسفاح و المنصور و المهدي. يتناول في شعره أوضاع الخلافة في سخر و مجون. كانت الخاصة تخاف لسانه السليط، حتى أقاربه.

- **أبو عبد الله** (المغوفل) توفي 1023هـ: سيدي بو عبد اللّه: من المتصوفة الكبار في الغرب الجزائري. رحل الى تونس حيث تلقى مشيخة التصوف فيها ثم عاد الى الجزائر ليستقر في منطقة وادي رهيو (غليزان) للتعبد. ضريحه مزار أتباعه. له أرجوزة في أولياء منطقة شلف "الفلك الكواكبي و السلم الراقي الى المراتب" ترك أبناءًا و أحفادًا ساروا على نهجه مثل "سيدي عدّة" بتيارت و سيدي عابد"بغليزان"

- **أبو الفرج** (الاصبهاني) (284–356هـ): علي بن الحسين... بن أحمد القرشي الاصبهاني: مؤرخ عربي من نسل الأمويين، ولد باصفهان و درس في بغداد. حظي برعاية سيف الدولة كما نال رعاية أمراء الاندلس. أهم مؤلفاته كتاب" الأغاني" جمع فيه الاغاني التي كانت شائعة في زمانه و أصحابها المطربين

- **أبومدين** توفي 594هـ: شعيب ابن الحسن الأندلسي ولد بجوار إشبيلية. من أسرة فقيرة، حفظ القرآن و تعلم حرفة النسيج. ارتحل الى فاس لطلب العلم لكنه مال الى التصوف بايعاز من شيخه "أبي يعزى" تنقل في مراتب الصوفية حتى بلغ مقام القطب ثم الغوث.

رحل الى مكة حيث لقي سيدي عبد القادر الجيلاني فارتبط به و أتم ارشاده الصوفي. عاد من المشرق لينصرف الى تدريس التصوف في بلاد المغرب على عهد الموحدين. فاستقر في بجاية ناسكا و سرعان ما اشتهر بورعه و ولايته: فأثار نقمة الفقهاء الذين سعوا الى قتله. فطلبه السلطان أبو يوسف يعقوب، فرحل قاصدا مدينة مراكش لكنه مات بنهر يسر قرب تلمسان فدفن برباط العباد. هو الذي أدخل الطريقة القادرية الى المغرب.

خلف ديوان شعر في التصوف. تعاليمه يمكن تلخيصها بهذا البيت:

اللّه قـل و ذر الوجـود و مـاحوى ∴ إن كنـت مرتـادا بـصدق مـراد

(أو) لو كان لي قلبان عشت بواحد ∴ و تركـت قلبَـا في هـواك يعـذب

لكـن لـي قلبًـا تملكـه الهـوى ∴ فلا العيش يحلى لي و لا الموت أقرب

– **أحمد بابا** (التمبكتي) : (أبو العباس) (960–1036هـ) : ولد بقرية أوران.درس العلوم على أبيه و شيوخ السودان. كان فقيها مالكيا شهيرا. قاوم الاحتلال المغربي للسودان فاعتقله قائد الحملة السعدية محمود باشا و نقله الى مراكش عام 1093هـ. أطلق سراحه بعد عامين من السجن فانقطع للتعليم في جامع الشرفاء. من تلامذته : الرقاقي و القاضي ابن أبي النعيم الغساني و أحمد بن القاضي، عاد الى السودان عام 1014هـ و أستقر بتمبكتو حيث توفي بها.

من آثاره: نيل الابتهاج بتطريز الديباج" في فروع الفقه المالكي، أضاف له شروحا و حواشي و " النكت الزكية بشرح الألفية "في النحو و "شرح صغرى السنوسي" في التوحيد " و "معراج الصعود" في ذم الرق..الخ.

– **الأخضري** (918–983هـ) (الصدر): عبد الرحمن بن محمد بن عامر: عالم و أصولي: له منظومتان الأولى: في البلاغة "الجوهر المكنون في صدق الثلاثة فنون" طبعت في مصر سنة 1395هـ الثانية في المنطق "السلم المرونق" في 94 بيتا من الرجز، طبعت بالقاهرة سنة 1318 هـ شرحها عدد من العلماء المغاربة منهم أبوراس:

– **الأصمعي** (أبو سعيد) (122–213هـ): عبد الملك: من مشاهير علماء اللغة.ولد بالبصرة. أفاد من دروس الخليل بن أحمد و عيسى بن عمر. كان متضلعا في لغة البدو و لهجاتهم و على دراية بفنون الشعر: كان مؤدبا لأبناء الخليفة هارون الرشيد. أمضى بقية حياته في البصرة.

من تصانيفه: كتاب الفرس "و كتاب"الأراجيز" و كتاب " الميسر"

– **الأنباري** (أبو بركات 270–330هـ): عبد الرحمن، بن محمد بن عامر: عالم لغوي، له "البلغة في الفرق بين المذكر و المؤنث"

– **الأشعري** (أبو الحسن) (873–941هـ): علي بن اسماعيل: إمام المتكلمين، كان معتزليًا ثم انقلب و دافع عن عقائد أهل السنة بالاستدلال المنطقي. اقتنع أنه لا يمكن محاربة الاعتزال بالأدلة التقليدية فأوجد صياغة نظرية وسطية تنفي التشبيه و تعمل على تثبيت الصفات المعنوية و قصر التنويه على ما قصره عليه السلف و كمل العقائد في البعثة و أحوال الجنة و النار و الثواب و العقاب.

طور العقائد الأشعرية علماء آخرون مثل الباقلاني و الجويني و البغدادي و الغزالي..

دخلت الأشعرية الى المغرب في العهد الموحدي و انتشرت بفضل السلاطين الموحدين و علماء مغاربة مثل الشيخ السنوسي و شراحه. لأبي راس شرح على العقيدة الكبرى.

- **الأوزاعي** (88–157هـ): عبد الرحمن بن عمرو: فقيه شهير. ولد ببعلبك و انتقل الى دمشق و بيروت و عاش فيهما. لا يعرف الكثير عن حياته، أما صلاحه فلا يحتاج الى تأكيد. مات ببيروت

انتشر مذهبه في الأندلس لكن سرعان ما اختفى بسبب ذيوع مذهب مالك.

–ب–

- **الباجي**(403–473هـ) (أبو الوليد): سليمان بن خلف بن سعد القرطبي: فقيه و أصولي و محدث، متكلم و مفسر و أديب. ولد ببطليوس. رحل إلى المشرق و أقام بمكة ثم انتقل إلى بغداد و أقام بالموصل. عاد الى الاندلس و توفي بالمرية.

من آثاره: "التسديد إلى معرفة التوحيد" و " إحكام الفصول في أحكام الأصول" في التوحيد و "المعاني" في شرح الموطأ، "في الفقه. و "الناسخ و المنسوخ" في التفسير.

- **البخاري** 194–256هـ (أبو عبد الله): محمد بن اسماعيل بن براهيم.ولد ببخاري، و دخل ممالك الشرق في خراسان و الجبل و العراق و الحجاز و مصر و الشام. مال منذ صغره الى الحديث و لما نضج علمه، شرع في تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها، جمع تسعة آلاف حديث (من ستمائة ألف حديث) مكرر بعضها بتكرر وجوهها فأجمع علماء السنة أنها صحيحة. عاد إلى بلاده و ابتلى فيها بمحنة "خلق القرآن" فكان ممن توسط فيها إذ قال بأن ألفاظ القرآن و نقوشه مخلوقة، أما كلام الله فقديم غير مخلوق. فأثار عليه والي بخاري العامة فأخرجوه منها و مات في طريقه بقرية خرتنك باقليم سمرقند.

- **البرزلي** توفي 481هـ (أبو القاسم): ابن أحمد بن محمد القيرواني: إمام و مفتى بالزيتونة. له: جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين و الحكام "يسمى كذلك" نوازل البرزلي. و نشأ بها.

- **البغدادي** (392–463هـ) (الخطيب) أبو بكر: أحمد بن ثابت: محدث و مؤرخ و أصولى. ولد بذر زيجان من قرى العراق و نشأ في بغداد و بها توفي. عانى من عداء الحنابلة.

من مؤلفاته: "تاريخ بغداد" و "الكفاية في معرفة علم الرواية" و "الصحاح العوالي": و التفصيل لمبهم المراسيم" في الحديث المرسل.

- **البلاذري** توفي 279هـ (أحمد): ابن يحي بن جابر، أصله من فارس من أشهر المؤرخين العرب. لقب بالبلاذري لإدمانه على شرب عصير البلاذر الى أن اختلط عقله. طلب العلم في دمشق و حمص و على علماء العراق

من آثاره "فتوح البلدان" في تاريخ الاقطار المفتوحة و "أنساب الاشراف" في علم النسب

- **البليدي** (الحسني) (1096-1176هـ): محمد المالكي التونسي: مفسر و حكيم، متكلم و أصولي، توفي بالقاهرة.

من تصانيفه: "نيل السعدات في المقولات العشر" و "الدرر على خطبة المختصر" في الفقه المالكي. و "حاشية على أنوار التنزيل" في تفسير القرآن، و "حاشية على شرح الألفية" للاشموني في النحو.

- **البكري** توفي 487هـ (أبو عبيد الله): أقدم جغرافي أندلسي، عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. كان جده واليا على شلطيش و لبة في خلافة هشام الأموي. استقل عن الخلافة الأموية لكن ابنه عبد العزيز فشل في الحفاظ على الامارة من أطماع الاشبيليين. ففرّ الى قرطبة صحبة إبنه محمد. درس هذا الاخير على علماء قرطبة و عند وفاة أبيه انتقل الى المرية فكانت علاقته بأميرها طيبة. عاد الى قرطبة بعد استيلاء المرابطين عليها لَهُ : "المسالك والممالك".

- **بهلول** توفي 182هـ (ابن راشد): زاهد من أصل بربري: كان خارجيا يرثى أحوال الدنيا يرفض الوظائف و يتوعد أولي الأمر عواقب الأحداث، يدافع عن حقوق العامة و يدعو إلى الورع و التقوى، يطالب الحكام بالقناعة في المدن، انتشر الاسلام بمثل هؤلاء النساك العابدين.

- **بيرم** التونسي 1162-1247هـ: محمد بن محمد بن حسين بن أحمد.القاضي. عالم أديب. ولي القضاء مرتين و تقلد الفتيا. من عائلة اشتهرت بالعلم، تتلمذ عليه أبوراس.

من آثاره: " حسن البنأ في جواز الحفظ من الوباء" و "رسالة في الخط" و "رسالة في الطلاق" و ديوان شعر.

- **البيضاوي** توفي 685هـ: عبد الله بن عمر: مفسر القرآن. ولي القضاء في شيراز، ثم استقر بتبريز حيث توفي.

من آثاره: "أنوار التنزيل و أسرار التأويل" تفسير يعتبره أهل السنة أحسن تفسير. عرف عدّة شروح و حواشي منها حاشية الخفاجي. و له تآليف في علم الأصول و الفقه و النحو.

-ت-

- **التازي** (ابراهيم) توفي 866هـ: عالم و متصوف، له دراية بالتصوف و الفقه المالكي، و أخبار العرب و الحديث.

تلميذ الإمام الهواري: قام مقامه بعد وفاته فتصدر التدريس بوهران.

هو الذي أدخل الماءالى وهران. توفي بها، غير أنَّ أهل القلعة نقلوا جثمانه الى بلدتهم بعد الاحتلال الاسباني في سنة 1509. و ضريحه مشهور

- **التتائي** (أبو عبد الله) (توفي 937هـ): محمد بن ابراهيم المالكي : فقيه و أصولي. ولي القضاء بمصر تم تركه و أقبل على العلم. من آثاره: "فتح الجليل في مختصر خليل" في فروع الفقه: شرحه عدد من العلماء منهم الرماصي.

" البهجة السنية في حل الإشارات السنية" و حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع.

- **التنسي** (الحافظ) توفي (899هـ): محمد بن عبد الرحمن: ولد بتنس و انتقل الى تلمسان و تتلمذ على علماءها: ابن مرزوق و العقباني و ابن الامام و على إبراهيم التازي: من علماء البلاط الزياني.

من آثاره: "نظم الدر و العقيان في شرف بني زيان ": كتاب تاريخ و شعر و حكم...

أنتصر للمغيلي في قضية يهود توات.

- **التيجيني** (أبو زيد) توفي 1098هـ: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد: تتلمذ على الولي سيدي دحو بن زرفة فلقنه علم التصوف ثم رحل الى المغرب و المشرق بغرض التحصيل العلمي. و عند عودته: تفرغ للتدريس و العبادة. دفن بالبطحاء

ألف رسالة "العقد النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس "ترجم فيها لأولياء المنطقة و أشرافها.

– ث –

– **الثعالبي** (أبو زيد) (787–875هـ): عبد الرحمن محمد بن مخلوف.. الثعالبي نسبة الى بطن المعاقيل استقر بميتجة.

توفي بالجزائر العاصمة و ضريحه بأعالي القصبة. تعلم في بجاية على يد أصحاب الشيخ الوغليسي ثم في تونس على يد الغبريني و الابي و البرزلي، ثم رحل الى مصر حيث أخذ الحديث عن ولي الدين القرافي

من آثاره "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" و "جامع الامهات في أحكام العبادات" في العبادات

– ج –

– **الجامعي** (أبو زيد) عبد الرحمن الفاسي: رحالة من المغرب الأقصى تنقل في الجزائر و بلاد المغرب و أعجب برجز (كان حيا سنة 1132هـ) شيخه محمد بن أحمد الحلفاوي: مفتي تلمسان الذي نظمه في أحداث فتح وهران الأول (سنة 1708) تحتوي القصيدة على 72 بيتا شرحها نثرا. فأصبحت هي و شرحها من أهم المصادر في تاريخ وهران. له رحلة سماها "التاريخ المشرق الجامع ليواقيت المغرب و المشرق".

و كتاب : الدرر المديحة في محاسن الدول الحسينية"

– **الجرجاني** 740-818هـ: علي بن محمد الشريف. متكلم و فيلسوف. ولد قرب استراباد و تكلف بالتدريس بايعاز من التفتزاني في شيراز. أوفده تيمور الى سمر قند ثم عاد الى شيراز حيث توفي

من آثاره: شرح على الكشاف للزمخشري و شرح على شرح التفتزاني على "تخليص المفتاح" للقزويني و شرح على كتاب "المواقف" للأيجي في علم الكلام. و كتب رسالة في المنطق بالفارسية شرحها إبنه: نور الدين.

– **الجزولي** توفي 869هـ: محمد بن سليمان بن أبي بكر: من قبيلة جزولة البربرية، استقر في سوس. ذهب الى فاس طلبا للعلم ثم عاد الى بلدته، لكنه رحل عنها الى طنجة و منها الى المشرق. عاش 40 عاما في الحرمين و لما عاد الى المغرب صنف "كتاب دلائل الخيرات". انتقل الى أسفي بعد 14 عاما قضاها في خلوة التعبد. كثر أتباعه مما أدى بوالي المدينة الى نفيه، فدعا عليها فاستولى عليها البرتغال و بقوا بها 40 عاما. توفي ببوغال.

و بعد وفاته، ثار تلميذه على النظام الوطاسي (السياف). و حين استولى السعديون على الحكم في المغرب أخذوا الجثة الى عاصمتهم مراكش حيث يوجد ضريحه. كان متصوفا و فقيها.

- **جلال الدين الرومي** 604-672 هـ: من فحول شعراء التصوف. ولد ببلخ و عاش بقونية في آسيا الصغرى. كان لقاؤه بالصوفي التبريزي أعظم أثر على حياته الفكرية. انصرف الى دراسة العلوم و انقطع للتصوف، فأسس الطريقة المولوية (الدراويش الرقاصون) و أدخل الموسيقى في محافل الطريقة. توفي بقونية.

آراؤه الصوفية فيها شئ من الافلاطونية الجديدة

من تآليفه: المثنوي.

- **الجنيد** (أبو القاسم) توفي 297هـ: محمد بن الجنيد، زاهد بغدادي شهير، لقب بسيد الطائفة. كان يفضل الصحو على حالة السكر عند المتصوفة. يسلم بأن معرفة الله تكون بالنظر العقلي. حافظ على التصوف في نطاق السنة باعتداله. يعتبره المغاربة مرجعا أساسيا في التصوف. المغاربة مالكيو المذهب، أشعريو العقيدة و حنيديو السبيل"

- **الجويني** 419-478هـ: عبد الملك بن عبد الرحمن بن يوسف: لقب "إمام الحرمين" ولد بضاحية نيسابور، اتبع عقيدة الأشعري ذهب الي بغداد و منها الى الحجاز فاشتغل بالتدريس في الحرمين ثم عاد الى نيسابور ليتولى التعليم في المدرسة النظامية حتى وفاته.

من اهم تآليفه: "الورقات في أصول الفقه"

- **الجوهري** توفي 397هـ : اسماعيل بن حماد. من مشاهير أصحاب المعاجم اللغوية. ولد بفاراب. رحل الى بغداد، فأخذ عن السيرافي (الحسن) و ابن عبد الغفار الفارسي. ثم ارتحل الى الشام و الجزيرة للتعمق في الدراسات من مؤلفاته: "تاج اللغة في صحاح العربية" و هو معجم كبير.

- ح -

- **الحريري** (446-516هـ) (القاسم): ابن علي بن محمد. كاتب رشيق ولد بضاحية البصرة. و توفي بالبصرة

أشهر تآليفه: "المقامات" يقصُّ فيها مغامرات رجل يدعى أبا زيد السروجي.

"درة الغواص في أوهام الخواص" و ديوان شعر

- **الحسن البصري** (أبو سعيد) توفي 110هـ: الحسن بن أبي الحسن: نشأ في المدينة وحفظ القرآن في خلافة عثمان. لازم أبا هريرة و أنس بن مالك و حفظ عنهما الاحاديث النبوية. أصبح من النساك التابعين إمام البصرة و مفتيها كان ذاهيبة يخشاهُ العلماء.

- **الحلاج** توفي 224هـ: الحسن بن محمد البيضاوي: متصوف كبير، ولد بطُور من أعمال فارس. عاش في خلوة 24 عاما مع متصوفة آخرين تلامذته و أتهمه المعتزلة بالشعوذة. ألقي القبض عليه و عذب و أمضى 8 سنوات في سجن بغداد ثم صلب بعد محاكمة دامت 7 أشهر بمقتضى فتوى أقرها القاضي المالكي أبو عمر.

قال بالاتحاد التام مع الارادة الالهية (عين الجمع) عن طريق الشوق و الاستسلام للألم. كفرهُ الفقهاء لكن العامة قدسته.

- **حمزة** (ابن أبي) توفي 699هـ: الأزدي الاندلسي (الحافظ)

من تصانيفه: "الاعمال في المؤتلف و المختلف باسماء الرجال" و "مفاخر القلم و السيف و الدينار"

- خ -

- **الخفاجي:** (976-1069هـ) : أحمد بن محمد بن عمر المعروف بشهاب الدين المصري: ولد بضاحية القاهرة: درس السيرة و الفقه و الحديث و الطب ثم حج و انتقل الى الاستانة. كان قاضيا، ينتسب الى قبيلة خفاجة من هوازن

من مؤلفاته "المقامات الرومية" و شرح على تفسير البيضاوي "عناية القاضي" و شرح على شفا عياض سماه "نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض" في السيرة النبوية عاد الى القاهرة و توفي بها.

- **الخليل** بن أحمد توفي 170هـ: الفراهيدي: نحوي من أهل عمان، توفي بالبصرة، كان شديد الورع و عاش فقيرا. وضع علم العروض و قواعده

صنف معجما في اللغة العربية "كتاب العين" لم يصلنا منه سوى مختصرا وضعه أبو بكر الزبيدي: اللغوي الاندلسي.

- **الخليل** بن اسحاق توفي 776هـ : ابن موسى بن شعيب. يعرف في المغرب بسيدي خليل: فقيه مالكي شهير من مصر. توفي بالقاهرة. تفرغ للدراسة و العبادة و أقام ردحًا من الزمن في المدينة.

يمثل المدرسة المالكية التي امتزجت فيها الاراء المصرية بالاراء المغريبة في الفقه المالكي.

مازال كتابه "المختصر" اكبر الكتب الفقهية تداولا في الجزائر على الرغم من إيجازه الذي يصل الى درجة الإبهام. شهد عدة شروح متداولة في بلاد المغرب. وله "التوضيح" و هو شرح لمختصر استاذه في الفقه ابن حاجب.

- د -

- **الدار القطني** (305-385هـ): (أبو الحسن): بن علي. إمام من أئمة الحديث، ولد بدار القطن و هو حي من أحياء بغداد و توفي بها

من تآليفه، "السنن" و "الزامات على الصحيحين"و"غريب الحديث" و "الامالي" لم تصلنا كلها.

- **الداني** 378-444هـ (الأموي): عثمان بن سعيد. ولد بقرطبة. سمي بالداني لمكوثه طويلا بدانية: قصبة تقع على الطريق الجنوب الشرقي من خليج بلنسية. تجول في بلاد المغرب و المشرق بغرض طلب العلم. توفي بها.

له مؤلفات في القراءات: منها: "التيسير في القراءات السبع" و "جامع البيان في القراءات السبع" و "الايجاز في أصول قراءة و رش بن نافع".

- ذ -

- **ذو الرمة** توفي 117هـ: أسمه غيلان بن عقبة بن مسعود. من قبيلة بني عدي. كان معاصرا للفرزدق و جرير. تغزل ببدوية تدعى "ميّة" فكان من أشهر عشاق العرب. لكنها رفضته، فتغزل بامرأة أخرى تدعى "خرقاء". مات بالجذري.

- **ذو النون** توفي 245هـ (أبو الفيض): ابن ابراهيم المصري. أحد مشاهير الزهاد. أصله من النوبة، توفي بالجيزة. يعد من الأولياء الكبار و الأقطاب. أول من تعاطى تعاليم الصوفية علانية. ترجع تسميته الى إحْدَى كرامته إذ "أنقذ طفلا كان قد أكله تمساح، فاخرج التمساح من النيل و شق بطنه" لا علاقة له بقبلية "ذي النون" البربرية التي هاجرت الى الأندلس.

- **الذهبي** (673-743هـ): (أبو عبد الله): شمس الدين الدمشقي الشافعي: مؤلف ولد في ميافارقين و توفي بدمشق. من أبرز العلماء في الحديث و التاريخ.

من تآليفه: "تذكرة الحفاظ" في علم الحديث، و "المشتبه في أسماء الاعلام" معجم، و "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" و هو معجم للمحدثين غير الثقاة و "تجديد أسماء الصحابة" و "الأخبار السياسية عن الدول الإسلامية" أو التاريخ الصغير.

– ر –

- **الرازي** 274-344هـ (الأندلسي): محمد بن موسى ينتسب الى مسقط رأسه "الري". وفد الى قرطبة لغرض التجارة.

له كتاب "الرايات" يتحدث فيه عن فتح الاندلس بالتركيز على القبائل العربية المحاربة التي دخلت الاندلس مع موسى بن نصير.

- أحمد **بن محمد** (ابنه): أقدم مؤرخي الاندلس. له عدّة رسائل في تاريخ الاندلس منها "تاريخ ملوك الاندلس" و "صفة الاندلس" و "موالي الاندلس" و "الاستيعاب في أنساب عرب الأندلس" استفاد منه ابن حزم

- **رشد** (أبن) 450-520هـ (أبو الوليد): محمد بن أحمد.. القرطبي المالكي: فقيه و أصولي في قرطبة.

من مؤلفاته: "المقدمات لأوائل كتب المدونة" و "البيان و التحصيل لما في المستخرجة من التوجيه و التعليل" و "مختصر المبسوطة" و "مختصر الأثار" للطحاوي.

- **الرقيق** توفي 396هـ (القيرواني): ابراهيم بن القاسم. كاتب و مؤرخ و شاعر.

من مؤلفاته: تاريخ افريقيا و المغرب" في عدة مجلدات. و "كتاب النساء" و "الراح و الارتياح" و "نظم السلوك في مسامرة الملوك" و " قطب السرور في أوصاف الخمور".

– ز –

- **الزبيدي** (أبو الفيض) (1145-1205هـ): المرتضى: محمد بن محمد.. بن عبد الرزاق: لغوي و محدث و أصولي و أديب مؤرخ و نسابه. أقام بمصر و كاتب ملوك الحجاز و الهند و الشام و المغرب و الجزائر. يماني الأصل. كان العلماء الجزائريون يرحلون اليه لطلب العلم. من آثاره:

"تاج العروس في شرح القاموس" في عشرة مجلدت. و "الروض المعطار في نسب السادة آل جعفر الطيار" و "اتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين" للغزالي. و "بلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب"

- **الزمخشري** (أبو القاسم) (467-538هـ): محمد بن عمر. عالم فارسي و متكلم و فقيه. ولد في خوارزم و توفي بها. كان معتزليا. أعظم مؤلفاته تفسيره المعروف "بالكشاف" عن حقائق التنزيل. يقول بخلق القرآن و يفسر العقيدة تفسيرا فلسفيا ظل معتمدا لدى أهل السنة إلى أن جاء البيضاوي، ففضله أهل المغرب إذ كان الزمخشري يعارض آراء مالك.

له كتاب في النحو "المفضل" و في اللغة"أساس البلاغة"

- **الزهري** 50-124هـ: محمد بن مسلم من عشيرة "زهرة" المكية. **جمع** حشدا من الأحاديث النبوية عن رواة مثل عروة بن الزبير و سعيد بن المسيب.

روى عنه كتاب السيرة كابن إسحاق و الواقدي و المؤرخون كالطبري. كان يستعمل السند.

- س -

- **السبكي** (تقي الدين) علي بن عبد الكافي (683-765هـ): عالم مشارك في الفقه و التفسير و المنطق و القراءات و الأدب و الحديث ولد بالمنوفة (مصر) و تفقه على والده و جماعة من العلماء منهم أبو حيان و الحافظ الدمياطي و الباجي و غيرهم.

ولي القضاء ثم مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق و في أواخر عمره رجع إلى مصر حيث توفي

من تآليفه: "الابتهاج في شرح المنهاج" و "الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم"

- **سحنون** (التنوخي) (160-240هـ): عبد السلام بن سعيد بن حبيب الملقب بسحنون لشدّة ذكائه. ولد بالقيروان و تعلم فيها ثم انتقل في تونس فدرس على علمائها و منها رحل إلى مصر و الحجاز، فأخذ الفقه عن مشاهير الفقهاء مثل بهلول و ابن القاسم عاد إلى القيروان و تولى القضاء بها إلى أن مات فكان لا يأخذ لنفسه رزقا من السلطان: من كبار فقهاء المغرب، عنه انتشر المذهب المالكي.

صنف "المدونة" في فروع المذهب المالكي و أصلها أسئلة طرحت على ابن القاسم فأجاب عنها بما سمعه من شيخه مالك، فإذا لم يجد في المسألة أجاب بالقياس ثم

الرأي و عن انتشار المالكية في المغرب يقول ابن خلدون "أما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب و الأندلس ...و لم يقلدوا غيره و لما أن رحلتهم كانت غالبا للحجاز...و المدينة يومئذ دار علم ...و ايضا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب و الأندلس...فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة" (المقدمة)

- **السخاوي** (علاء الدين) 558-643هـ: على بن محمد الهمداني: مقرئ و متكلم و مفسر و محدث ولد بمصر و توفي بدمشق من مؤلفاته الكثيرة: "شرح على المفصل للزمخشرى" و "الكوكب الوقاد" في أصول الدين و تفسير القرآن إلَى سورة الكهف و "شرح المنظومة الشاطبية في القرءات".

- **(السكاكي)** 555-625هـ: (أبو يعقوب) يوسف بن أبي بكر..الخوارزمي: عالم بالنحو و التصريف و المعاني و البيان و الشعر توفي بخوازم من آثاره "تلخيص مفتاح العلوم" و "مصحف الزهرة".

- **السكيت** (ابن) 186-244هـ: يعقوب بن اسحاق (أبو يوسف): أديب و نحوي و عالم بالقرآن و الشعر درس ببغداد و صاحب الكسائي، كان نديم الخليفة المتوكل و مؤدبًا لأبنائه ثم قتله. دفن ببغداد له: "أصلاح المنطق" في اللغة و معاني الشعر" و المقصود و المورود" و "القلب و الابدال"

- **السنوسي** توفي (895هـ): محمد بن يوسف: فقيه أشعري من بني سنوس من عمالة تلمسان دفن بالعباد تعلم على يد علماء مثل الحباك و القلصادي و ابن مرزوق و العقباني و الثعالبي من مصنفاته: كتب العقائد:

"عقيدة التوحيد المخرجة من ظلمة الجهل و ربقة التقليد" (العقيدة الكبرى و شرحها "عمدة أهل التوفيق و التمديد" و شرحها أبو راس" كفاية المعتقد و نكاية المنتقد"

عقيدة أهل التوحيد الصُغرى" أمّ البراهين" ثم العقيدة الوسطى.

كانت العقائد –خاصة الصغرى – عمدة التدريس في معظم معاهد الجزائر و المغرب، خاصة شروحها التي كانت الوسيلة في نشر العقيدة الاشعرية ببلاد المغرب

- **السيرافي** 290-367هـ : الحسن بن عبد الله بن المرزبان: ولد ببلدة سيراف (فارس) و توفي ببغداد و لي القضاء ببغداد و الافتاء و كان يرفض العطايا –كان معتزليا.

له شرح على "كتاب" سيبويه و شرح على قصيدة "المقصورة" لابن دريد و "الاقناع" في النحو..كانت تدرس بالمغرب.

- **السهروردي** 539-632هـ: شهاب الدين صوفي و فقيه شافعي ولد بسهرورد (فارس) تلقى التصوف على عبد القادر الجيلاني استقر في بغداد و أصبح شيخ المتصوفة إلى وفاته يرمز إلى التصوف السني أشهر كتبه "عوارف المعارف" و هو من أشهر الرسائل الصوفية.

- **السيوطي** (جلال الدين) (849-911هـ): عبد الرحمن بن أبي بكر...: عالم مشارك في عدّة علوم و مؤلف غزير الإنتاج كان أبوراس يقتدى به في التأليف. نشأ بالقاهرة يتيما، اعتزل الناس ليتفرغ للكتابة.

صنف في علوم الدين: "الاكليل في استنباط التنزيل" و "التحبير في علم التفسير". و "جمع الجوامع في الأحاديث النبوية. و في علوم اللغة: "النكت على الالفية" و"جمع الجوامع" في النحو.

و في التاريخ و النسب: "تاريخ الخلفاء" و "الشماريخ" و "الوسائل في علم الاوائل" و "لب اللباب في تحرير الأنساب" و "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" و"حسن المحاضرة في اخبار مصر و القاهرة".

و في التصوف: "تأييد الحقيقة العلمية و تشييد الطريقة الشاذلية" إلخ...

- **السبتي** (ابن رشيد) توفي (657-721هـ): محمد بن عمر بن محمد ولد بسبتة و توفي بفاس: أبو عبد الله.

رحالة و عالم بالأدب و عارف بالتفسير و التاريخ ولي الخطابة بجامع غرناطة الاعظم. رحل إلى مصر و الشام و الحرمين

صنف رحلة سماها "مَلْءُ العيبة فيما جمع بطُولِ الغيبة في الرحلة إلى مكة و طيبة" و "تلخيص القوانين" في النحو و "إفادة النصيَح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح" و المحاكمة بين البخاري و مسلم"

- ش -

- **الشاذلي** (أبو الحسن) 593-656هـ: على بن محمد...القرشي من مؤلفاته: "الوصايا" و "الباعث على الخلاص في أحوال الخواص" في التصوف. تقوم الطريقة الشاذلية على خمسة أصول هي: تقوى الله في السرّ و العلن، إتباع السنة في الأقوال

و الأعمال، الأعراض عن خلق في الإقبال و الإدبار، الرضا في القليل و الكثير، و الرجوع إلى الله في السراء و الضراء. انتشرت الطريقة في مصر و الشام لكن انتشارها الحقيقي كان في بلاد المغرب. هي أم الطرق الصوفية، أتباعها يرفضون المناصب.

- **الشاطبي** (أبو إسحاق) (790هـ): إبراهيم بن موسى ولد بشاطبة و توفي بمصر درس على علماء الأندلس ثم رحل إلى مصر: فقيه و محدث و أصولي و مفسر.

من تصانيفه: "الموافقات في أصول الأحكام" و "عنوان التعريف بأسرار التكليف" في علم الأصول "شرح على الخلاصة" في النحو و "عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق و الاعتصام"

- **الشريشي** (أبو العباس) توفي (619هـ): أحمد بن عبد المؤمن، ولد بشريش: مدينة أندلسية من أعمال قادس (jerez) و ليس شريس كما في النسخ الثلاث يعتمد عليه أبوراس في شرح مقامات الحريري: أديب شهير من تصانيفه: شرح على الجُمل للزجاجي و رسالة في علم العروض، و تلخيص كتاب النوادر للقالي غير أن شهرته تعود إلى كتابه الخاص بشرح مقامات الحريري على ثلاث صيغ: شرح كبير (أدبي) و شرح متوسط (فلسفي) و شرح صغير (مجمل) و "أسرار الرسالة و رسالة الأسرار في أصول الدين و "شرح الجزولية" في النحو: الخ...

- **الشريف** التلمساني توفي 771هـ: محمد بن أحمد (أبو عبد الله): أحد أعلام الفقهاء و الأصوليين تفقه على الآبلي و ابني الإمام و المجاصي و ابن النجار. تجول في أنحاء المغرب ثم رجع إلى تلمسان فانتصب للتدريس احتضنه الملوك مثل أبى عنان المريني و أبي سعيد العبد الوادي. كان أميل إلى علم الأصول: من تآليفه: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على "الأصول" و شرح على "جمل الخنجي".

- **الشريف** الغرناطي توفي 760هـ: محمد بن أحمد الشريف الغرناطي: نحوي و لغوي، شاعر و عروضي. من آثاره: "الدرة النحوية في شرح الأجرومية" و شرح مقصورة ابن حازم المسماة "رفع الحجب المستورة على محاسن المقصورة". و ديوان شعر "جهد المقلّ"...الخ...

- **الشبلي** (أبو بكر) 247-334هـ: صوفي سني ولد ببغداد و توفي بها. كان عاملا ثم انقطع للزهد متأثرا بالجنيد. تأثر كثيرا لمقتل الحلاج آراؤه العقدية هي آراء الجنيد و كان في الفقه على مذهب مالك له شعر جيد في الزهد.

- **الشيباني** (أبو عمرو): إسحاق بن مرّار (وليس مدار كما في النسختين): أصله من الكوفة و نزل بغداد من تصانيفه: كتاب "الجيم" و "كتاب اللغات" و "كتاب الإبل".

و كتاب "النوادي" جمع فيه أشعار القبائل العربية من بني ربيعة و مضر و حمير و بني هلال و "أشعار القبائل" و "غريب المصنف" و "غريب الحديث".

- **الشيباني** (محمد) بن الحسن بن فرقد (أبو عبد الله) 135-189هـ: فقيه، محدث، مجتهد، ولد بواسط و نشأ بالكوفة له: "الجامع الكبير" و "الجامع الصغير" في فروع الفقه الحنفي "الاحتجاج على مالك" و الاكتساب في الرزق المستطاب" و "كتاب الأثار"...

- **الشبرخيتي** (برهان الدين) توفي 1106هـ: ابراهيم بن مرعي المالكي: نزيل القاهرة: محدث و فقيه توفي غريقا بالنيل. من تصانيفه: "شرح مختصر خليل" و "شرح ألفية العراقي في أصول الحديث. و أهمها "الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين حديثا" للنووي.(الشبرخيتي و ليس الشبرختي كما ورد في النسختين)

- ص -

- **صاحب حماة:** (672-732هـ) (أبو الفؤاد): عماد الدين إسماعيل المؤيد من علماء الجغرافيا

ألف كتاب "تقويم البلدان" و كتاب "المختصر في تاريخ البشر و"الكناش في العلوم".

- ط -

- **الطبري** توفي 310هـ: جرير، مؤرخ و مفسر و محدث شهير من آثاره: "الرسل و الملوك" تاريخ الخليقة منذ البدء إلى عهده التزم فيه منهج السند بحكم تكوينه الفقهي و لم يلتزم بإعمال العقل لأنه كان يعتبر نفسه ناقل أخبار لا مفسرًا. و له "تفسير القرآن" اشتهر بتفسير الطبري.

- ع -

- **عبد ربه** (ابن) (أبو عمير) 246-328هـ: أحمد بن محمد عبد العزيز الأندلسي،عالم أديب توفي بقرطبة من تصانيفه "العقد الفريد" في الأدب و "اللباب في معرفة العلم و الآداب" و "أخبار فقهاء قرطبة" و ديوان شعر.

- **عتبة** (ابن) 899هـ: محمد بن أحمد بن عبد العزير الأندلسي، يعرف بالعتبة. فقيه و محدث توفي بقرطبة من آثاره "العتبية" المستخرخة من الأسمعة المسموعة" عن مالك بن أنس في فروع الفقه المالكي.

- **العربي** (ابن) 560-638هـ: محمد بن علي الطائي المرسي (محي الدين) الشيخ الأكبر دفين دمشق: صوفي و متكلم و شاعر ولد بمرسية رحل إلى إشبيلية و سمع عن ابن بشكوال رحل إلى مصر و الحجاز و العراق سجن بسبب آرائه الصوفية ثم أطلق سراحه من تآليفه العديدة: "الفتوحات المكية" في التصوف و محاضرة الأبرار و مسامرة الأخبار في الأدب و "مواقع النجوم و مطالع أهلّة الأسرار و العلوم" و "كشف الران عن وجه البيان بأفصح لسان" في اللغة و مجموعة من الرسائل في التصوف و المتصوفة.

- **عياض** (القاضي): (496-544هـ): ابن موسى بن عياض بن محمد..اليحصبي القاضي المحدث الشهير ولد بسبته و توفي بمراكش: محدث و حافظ و فقيه و أصولي شارك في علوم شتى تولى القضاء بغرناطة...

من آثاره: الشفا بتعريف حقوق المصطفى "في السيرة النبوية " "الالماع في أصول الرواية و السماع" في علم الحديث و "مشارق الأنوار على صحاح الآثار في تفسير غريب الموطأ و البخاري و مسلم" . "التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة" في فروع الفقه المالكي و "العيون الستّة في أخبار سبتة" في التاريخ.

- **العياشي** (أبو سالم) (1037-1090هـ): عبد الله بن محمد بن أبي بكر الفاسي: فقيه و رحالة من تآليفه: "ماء الموائد" أو الرحلة العياشية و إظهار المنة على المبشرين بالجنّة"و "مسالك الهداية" بأسانيد شيوخه و "تحفة الإخلاء بأسانيد الاجلاء". و "تنبيه ذو الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية".

– غ –

- **الغازي** (ابن) (841-919هـ) : محمد بن أحمد بن محمد...المكناسي (أبو عبد الله): مقرئ و محدث، مؤرخ و فقيه ولد بمكناس و توفي بفاس من آثاره: "شفاء الغليل في حلّ مقفل مختصر خليل" في فروع الفقه المالكي، و "بغية الطلاب في شرح منية الحساب" و في التاريخ: "الروض الهتون في أخبار مكناس الزيتون" و في القراءات "الدرر اللوامع في قراءة الامام نافع".

- **الغبريني** 644-714هـ: أحمد بن أحمد بن عبد الله البجاوي: مؤرخ و أديب ولد ببجاية و انتقل إلى تونس له: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة في بجاية"

- **الغراب** (أبو الحسن) توفي 1183هـ : شاعر خلاعي من أهل صفاقس. له علم بفقه المالكية. انتقل إلى تونس و اتصل بالأمير على باشا و صار من خواصه و لما قتل على باشا تحول إلى خصمه على بن الحسين و مدحه فعفا عنه. توفي بتونس.

سليل عائلة تجارية دفعه أبوه إلى طلب العلم. لما مات أبوه، ساءت حالته، فكان يكتسب بشعره. له "ديوان شعر" "بهجة النفس و العين في صفات على بن الحسين" كتب في عدّة أغراض منها مدح الرسول (صلع) و في الغزل و الهجاء و الاخوانيات.

- **الغزال** (أحمد) توفي 1191هـ: أبو العباس احمد بن المهدي توفي بفاس زار الجزائر و أخذ عن عالمها أحمد بن عمار ألف رحلة "نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد"

كان سفير المولى محمد بن عبد الله إلى الأندلس و الجزائر.

- **الغزالي** (أبو حامد) 450-505هـ: محمد بن محمد الطوسي الشافعي ...متكلم و فقيه، أصولي و صوفي ولد بالطابران حظى بمنزلة هامة لدى نظام الملك و تصدر التدريس بالمدرسة النظامية ثم أقبل على العبادة، فرحل إلى الحجاز ثم رجع إلى دمشق فاستوطن بها 10 سنين عاد إلى مسقط رأسه و ابتنى زاوية للتصوف إلى أن توفي.

من آثاره: إحياء علوم الدين" و الحصن في التجريد و التوحيد" و "تهافت الفلاسفة" و المستصفى في أصول الفقه" الخ...

– ف –

- **الفراء** إبن (أبو محمد) توفي 510 هـ: الحسن بن مسعود بن محمد: محدث و مفسر و فقيه شافعي ولد بغشور (خراسان) و عاش أكثر من 70 سنة من تصانيفه "معالم التنزيل" في التفسير و "مصابيح السنة "في الحديث و"التهذيب" في الفقه الشافعي، و "الجمع بين الصحيحين" و فتاوى المروروزي...

- **الفيروزباذى** (729-817هـ) (مجد الدين): محمد بن يعقوب الشيرازي: نشأ بشيراز، أخذ علوم الدين عن أبيه و علماء شيراز ثم رحل إلى بغداد. أخذ عنه

الصفدي و ابن عقيل تنقل في مصر و الحجاز و الشام و تجول في بلاد الروم و الهند. توفي بزبيد حيث استقر.

من تأليفه الكثيرة: "القاموس المحيط" و "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" و "فتح الباري في شرح البخاري" في الحديث و "البلغة في ترجمة أئمة النحاة و اللغة" في الطبقات و "سفر السعادة في السيرة النبوية" في السيرة، و المثلثات اللغوية"

– ق –

– **القاسم** (أبو) الوهراني توفي 441هـ: عبد الرحمن بن عبد الله (ابن الخراز): رجل صالح، تجول في بلاد المشرق و روى عن علمائها منهم المروزي و ابن رشيق المصري كان يتاجر في الثياب و يتنقل بين قرطبة و المرية التي توفي بها: عالم بالحديث و القرآن.

– **قتيبة** (ابن) (الدينوري) 213-276هـ: عبد الله بن مسلم (أبو محمد) عالم لغوي و نحوي و غريب القرآن و الحديث و الشعر و الفقه و الأخبار و أيام الناس

من آثاره "غريب القرآن" و "أدب الكتاب" و "عيُونُ الأخبار" و "المعارف" و "الامامة و السياسة"

– **القرافي** (شهاب الدين) 624-684هـ: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي (أبو العباس): فقيه و أصولي و مفسر من آثاره: "الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام و تصرف القاضي و الإمام" و الدخيرة "في الفقه و "التنقيح" في أصول الفقه و "شرح محصول الفخر الرازي و "شرح التهذيب" الخ...

– **القرافي** (ولي الدين) توفي 946هـ: يحيى بن عمر: فقيه تولى القضاء بمصر له شرح على الألفية.

– **القزويني**: جلال الدين توفي 739هـ: محمد بن عبد الرحمن عاش بدمشق و ولي القضاء بها له: "الإيضاح في علوم البلاغة" و "تلخيص المفتاح".

– **القشيري** (أبو محمد) 310-389هـ: عبد الله بن أبى زيد، النفزي: فقيه مالكي و مفسرمن تصانيفه: "النوادر و الزيادات" و "مختصر المدونة" و كتاب "الرسالة" و " إعجاز القرآن"

– **القصار** (ابن) : توفي 392هـ : محمد بن عبد العزيز بن يحي بن القرطبي (أبو عبد الله) عالم بالوثائق، له تآليف فيها.

- **القيراوني** (أبو محمد) : (310-389هـ) عبد الله بن ابي زيد النفزي : فقيه مالكي و مفسر، من تصانيفه : "النوادر و الزيادات" و "مختصر المدونة" و كتاب "الرسائل" و "اعجاز القرآن".

ـ ك ـ

- **الكلبي** (أبو الخطاب) توفي 633هـ: عمر بن الحسن...بن دحية: أديب و مفسر و مؤرخ... من مؤلفاته: "المضرب من أشعار أهل المغرب" و "الآيات البينات" و "التنوير في مولد السراج المنير"

- **الكلبي** (أبو المنذر) توفي 204هـ: هشام بن محمد بن السائب: النسابة و المفسر و المحدث

من آثاره: "جمهرَة الأنساب" أرخ لأنساب القبائل العربية و غيرها. و كتاب "الحيرة" أرخ فيه لملوك الحيرة و اعتمد على مخطوطات الكنائس و كتاب "الأصنام" تعرض فيه لتاريخ الأنبياء و الإسلام.

أفاد المؤرخين الكبار مثل الطبري و المسعودي و ابن قتيبة غير أنه اتهم بالوضع كان أبوه (أبو محمد) من علماء الأنساب و اللغة، حاول جمع أنساب القبائل العربية بالاعتماد على الرواية.

- **الكواش** (أبو الفلاح) 1137-1218هـ: صالح بن الحسين: فقيه و محقق و حافظ و أصولي أصله من الكاف ولد بتونس و تعلم بها له: شرح "المشيشية"

- **كيران** (ابن): (1227هـ) (أبو عبد الله) الطيب من محمد...أحد الأعلام في الحفظ

ـ ل ـ

- **لكحل** بن خلوف (أو لخضر) (عمر أكثر من 100سنة): من شعراء الملحون الكبار له ديوان شعر معظمه في المدائح النبوية اشتهر بقصيدة قصة مزغران "يروى فيها المعركة التي دارت بين الجيش العثماني بقيادة حسن باشا و الجيش الاسباني بقيادة الكونت دالكاودات "قائد وهران" سنة 965هـ و مطلعها:

يا سايلني عن أطراد الروم   قصة مزغران معلومة

انتهت المعركة بهزيمة الأسبان و مقتل قائدهم و قد شارك فيها الشاعر

و الشيخ ابن خلوف دفين مزيلة بإقليم مستغانم ضريحه مزار كبير، كان رجلا عاديا إلى سن الأربعين زار تلمسان فقرر الخلوة بالعباد حيت ضريح سيدي بومدين فاستلهم منه، التصوف و صار زاهدا ناسكا متعبدا إلى أن توفي في منتصف القرن الحادي عشر الهجري.

– م –

– **المازرى** (أبو عبد الله) توفي 536هـ : محمد بن علي ...التميمي: فقيه مالكي و محدث، توفي بالمهدية من آثاره: "المعلم بفوائد مسلم" و "إيضاح المحصول في برهان الأصول" و "نظم الفوائد في علم العقائد" و هو تعليق على المدونة.

– **المازوني** توفي 883هـ: يحيى بن أبي عمران (أبو زكريا): فقيه شهير، تتلمذ على أبيه و على ابن مرزوق الحفيد و العقباني (قاسم): تولى قضاء مازونة و توفي بتلمسان.

له: الدرر المكنونة في نوازل مازونة "يشكل مصدرا للتاريخ الاجتماعي (عهد عدم الاستقرار و القلاقل)

– **ماكولا** (ابن) (أبو النصر) 421-475هـ: علي بن هبة الله..البغدادي: الأمير: محدث و حافظ و نسابة، أقام ببغداد و سافر إلى الشام و الحجاز و مصر و خراسان قتل بخراسان.

– **مالك بن أنس** (أبو عبد الله) 93-179هـ: بن مالك بن أبي عامر المدني نشأ بالمدينة و توفي بها إليه تنسب المالكية أحد المذاهب الأربعة في الفقه كان بعيدا عن الملوك و الأمراء من تصانيفه: "الموطأ" و "رسالة إلى الرشيد".

– **المجاجي** عبد الرحمن توفي (1096هـ): تعلم في مجاجة ثم رحل إلى تلمسان ثم فاس أحد أحفاد أحمد بن القاضي أمير جبل كوكو بالقبائل، فقيه و محدث.

له "كتاب المغارسة" أو "التسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل" من أحكام المغارسة و "فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث".

– **محلي** (أبو): أحمد بن عبد الله (1560-1613م): كان صوفيا ثائرا على البدع و الخرافات، هاجم الشيخ بوسماحة: مؤسس الطريقة الشيخية بأولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي الجزائري أدعى "المهدوية" و نهض مع اتباعه من وَادي سَاورة إلى مراكش للقضاء على بقايا الحكم السعدي فاستولى على تافيلالت و وادي درعة ثم

اخترق جبل الأطلس الكبير و احتل مراكش لكن قبائل "حاحة" السوسية حاربته و انتصرت عليه.

من تأليفه: تهييج الأسود في تهريج القردة و الأسود" يدعو فيه إلى إسقاط النظام السعدي "مهراز الرؤوس الجهلة المبتدعة" و "منجنيق الصخور في هدّ بناء الشيخ الغرور" في نقد البدع و الخرافات.

" سلسبيل الحقيقة و الحق في سبيل الشريعة للخلق" انتصر فيه للتصوف السني

- **المحجوب** (ابن) توفي 1243هـ: أبو عبد الله محمد تقدم الفتيا في زمن علي بن الحسين باي. من أساتذة أبي راس.

- **المرسي** (أبو محمد) 669هـ: عبد الحق بن إبراهيم الاشبيلي المرسي: أحد الزهاد القائلين بوحدة الوجود" من آثاره: "الحروف الوضعية في الصور الفلكية" و "كتاب اللهو" و شرح كتاب إدريس في علم الحرف.

- **المسعودي** توفي 346هـ عبد الرحمن: مؤرخ شهير جمع بين التاريخ بالسنين و التاريخ بالموضوعات كان متأثرًا باليعقوبي غير أنه أكثر دقة منه

من آثاره: "مروج الذهب و معادن الجوهر": موسوعة تجمع في مادتها بين التاريخ و الجغرافيا ذكر فيه قصّة خلق العالم و درس فيه تاريخ الشعوب الأعجمية التي عرفها العرب و بحث في تاريخ السيرة النبوية و الخلفاء متبعا الترتيب الزمني.

و "التنبيه و الاشراف" ضمنه آراءه في فلسفة التاريخ و الكون و اهتم بوصف البلدان

- **المشرفي** عبد القادر توفي 1192هـ: أسرة علمية جاءت من الهضاب (بني سمغون) و استقرت بإقليم غريس في عهد الزيانيين تولى بعض أفرادها القضاء على عهد بني زيان لعبت دورا هَامًا في المنطقة علما و قضاءًا على عهد الأتراك و الأمير عبد القادر

و عبد القادر المشرفي كان إمام الراشدية ولد بالكرط و توفي بها عين مدرسا في معهد مصطفى بن المختار بالقيطنة ثم أسس معهدا للتدريس: فقيه و أصولي، ألف رسالة "بهجة الناظر" اعتبر فيها من قاتل المسلمين إلى جانب الأسبان كافر احلّ الشرع دمه

- **المغراوي** (أبو عبد الله) توفي 929هـ: شقرون بن محمد بن أحمد...المغراوي: مقرئ و حافظ. من تأليفه: "الجيش الكمين في الكرّ على من يكفر عوام المسلمين"

- **المقري** أحمد بن محمد توفي 1041هـ: ولد و نشأ و تتلمذ في تلمسان و قد ظل وفيا لهذا التكوين الأصلي حتى و هو يتمتع بالجاه و الحظوة في القاهرة و دمشق. هاجر إلى فاس بسبب اضطراب الحال على إثر دخول الأتراك إلى تلمسان لكنه كان يزورها من حين لآخر. تولى الإمامة و الفتوى في المغرب غير أنه هاجر إلى مصر... لانعدام الاستقرار السياسي، فاستقر بالقاهرة بعد أداء فريضة الحج فكان يتنقل بين الحجاز و الشام و مصر إلى أن توفي. درَّسَ في الأزهر و جامع الأمويين.

من آثاره الكثيرة "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" و هو موسوعة تناول فيها تاريخ الأندلس و آدابها ثم حياة صديقه لسان الدين بن الخطيب السياسية و العلمية و الأدبية و له "إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة" في علم التوحيد..

- **المكودي** (أبو زيد) توفي 807هـ : عبد الرحمن بن علي بن صالح: نحوي و لغوي توفي بفاس.

من آثاره: "شرح ألفية ابن مالك" في النحو و "البسط و التعريف في التصريف" في الصرف و " عمدة البيان في معرفة فرائض الأعيان" في الفقه و "المقصورة في مدح الرسول" (صلع) لكنه اشتهر بالأجرومية" في النحو شهدت عدّة شروح كانت عمدة التدريس في معاهد المغرب الكبير و مدارسه.

- **المازوني** (أبو عمران) عاش في القرن 9هـ: موسى بن يحيى: من علماء القرن التاسع الهجري: فقيه، تولى القضاء

من آثاره: ديباجة الافتخار في مناقب الأولياء الاخيار" في مناقب أولياء شلف و"الرائق في تدريب الناشئ" في فن التعليم و "حلية المسافر".

- ن -

- **النحوي** (ابن) (أبو عبد الرحمن) (90-182هـ): يونس بن الحبيب بالولاء : أديب نحوى عالم بالشعر و الشعراء أخذ عنه سيبويه و الكسائي و الفراء..كانت له حلقة في البصرة يأتيها طلاب العلم و الأدباء

من آثاره: "كتاب معاني القرآن" و "اللغات" و "النوادر" و "الأمثال" و معاني الشعر.

- **النعيم** (أبو) 336-430هـ: أحمد بن عبد الله بن إسحاق الاصبهاني: محدث و مؤرخ و صوفي توفي باصبهان

من آثاره: "تاريخ إصبهان" اشتهر به

و "حيلة الأولياء" في التصوف و "دلائل النبوة" و "معرفة الصحابة" في السيرة و المستخرج على الصحيحين" في الحديث و "الفتن" و "الطب النبوي".

- **النمري** عبد البر (أبو عمر) القرطبي: توفي 463هـ بشاطبة: حافظ المغرب و شيخ الإسلام و كبير المحدثين

من آثاره: "الاستيعاب" و "التمهيد" و "الاستذكار" و "الكافي" و "جامع بيان العلم و فضله و ما ينبغي في روايته و حمله" كلها في الموطأ

- هـ -

- **الهواري** (الإمام) توفي 843هـ: محمد بن عمر ينسب إلى قلعة هوارة أو قلعة بني راشد تجول في الشرق و الغرب[240] أحد الفقهاء المتصوفين و الزهاد المتعبدين، استقر بوهران و تصدر التعليم بها. علاقته بالحكم الزياني كانت سيئة مثله مثل الولي سيدي أحمد بن يوسف الملياني. دفين وهران حيث ضريحه مزار للعامة و الخاصة.

له "السهو و التنبيه" في الفقه أراد عالم وهران عبد الرحمن مقلاش إصلاحه، فردَّ عليه الإمام "ما أصلحته كتاب مقلاش و أما كتاب الفقراء فيبقى على لحنه"

اشتهر كذلك بدعائه على سكان وهران عند مقتل ابنه أحمد الهايج.

- و -

- **الوغليسي** توفي 786هـ: عبد الرحمن بن أحمد من قبيلة بني وغليس جنوب بجاية تولى الإمامة و الفتيا في بجاية له "الوغليسية" في الفقه المالكي، شهدت عدّة شروح منها شرح عبد الرحمن الصباغ و شرح الشيخ السنوسي.

[240] أخذ بفاس عن العبدوسي و القباب و في بجاية عن الوغليسي و احمد بن إدريس و في مصر عن الحافظ العراقي ثم جاور الحرمين مدّة و جامع الأمويين بدمشق.

- **الونشريسي** 834-914هـ: أحمد بن يحيى (أبو العباس) ولد بجبل و نشريس و توفي بفاس انتقلت الأسرة الى تلمسان و بها تتلمذ على شيوخها مثل العقباني (قاسم) و ابن مرزوق الكفيف و أحمد بن زكري وغيرهم. غادر تلمسان مكرها فانتهبت السلطة الحاكمة داره و توجه إلى فاس، فاستفاد من علمائها محمد اليفريني و محمد القروي. اشتهر بتدريس المذهب المالكي بمدارسها.

من آثاره "المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا و الأندلس و المغرب" جمع فيه النوازل الفقهية في أبواب اشتملت على مواضيع شتى: التعليم، القضاء، التصوف و التجارة...

- الوهراني (أبو تميم): الواعظ، فقيه عابد سكن بجاية و اشتغل فيها بعلم التذكير و استدعاء الخلق إلى باب الله كان له مجلس يروق الناظرين و يسر الحاضرين.

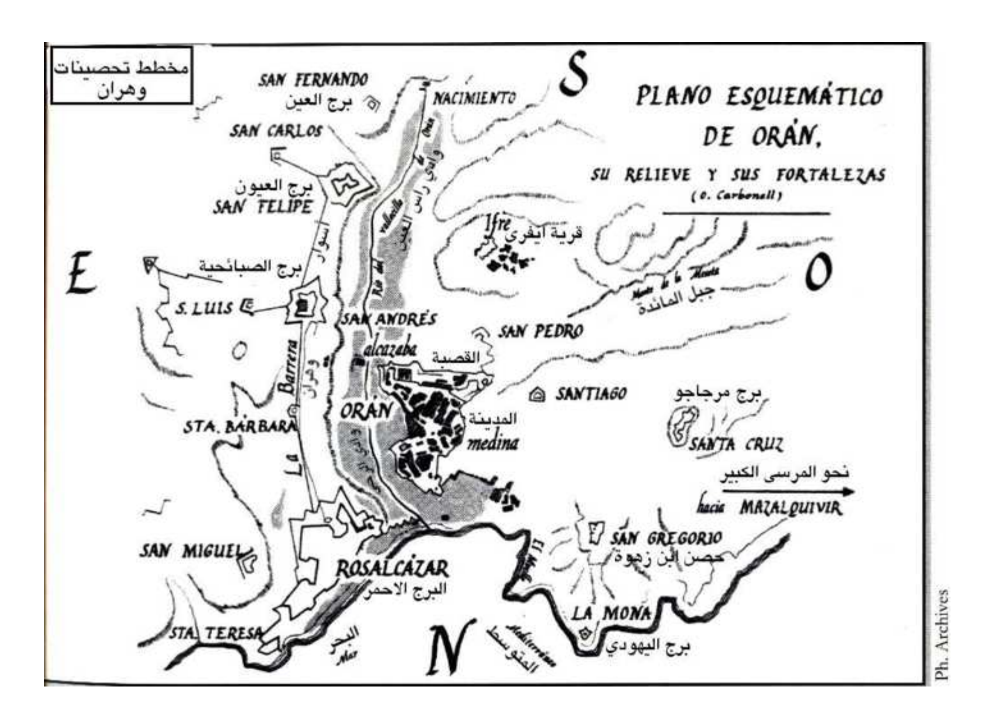
- ي -

- **اليوسي** (أبو علي): الحسن بن مسعود 1040-1121هـ: عالم أصولي و فقيه و أديب و مؤرخ..تفقه في علوم عصره و أشرف على التدريس في زاوية الدلاء و جامع القرويين بفاس.

من آثاره: "المحاضرات" في الأدب و "زهرة الأكم في الأمثال و الحكم" و حاشية على عقيدة السنوسي" في التوحيد و "الكوكب الساطع في شرح جمع الجوامع" و "نيل الأماني في شرح التهاني" و القصيدة الدالية و "شرحها و منهاج الإخلاص...

ملحق 3

مخطط تحصينات وهران



مدينة وهران سنة 1732



فهرس الموضوعات

قائمة المصادر و المراجع

الملاحق – و الفهارس

الملاحق

الفهارس